ISSN 1818-9849

اتحاد الجامعات العربية

الجمعية العلمية لكليات الآداب

مجلّة اتّحاد الجامعات العربيّة للآداب

مجلّة علميّة نصف سنويّة محكّمة

تصدر عن الجمعيّة العلميّة لكلّيّات الآداب في الجامعات الأعضاء
في اتّحاد الجامعات العربيّة

المجلّد السادس عشر العدد الثاني تشرين الأول 2019م / ربيع الأول 1441هـ

© جميع الحقوق محفوظة للجمعية العلمية لكليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2019

لا يجوز نشر أي جزء من هذه المجلة أو اقتباسه دون الحصول على
موافقة خطية مسبقة من رئيس التحرير

الآراء الواردة في هذه المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي
هيئة التحرير أو سياسة الجمعية العلمية لكليات الآداب

تنضيد وإخراج: مجدي الشناق

هيئة التحرير

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمد أحمد بني دومي

الأمين العامّ للجمعيّة العلميّة لكلّيّات الآداب في الوطن العربي

عميد كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

الأعضاء

أ.د. سوزان بينكني ستيتكيفيتش، جامعة جورج تاون، أمريكا.

أ.د. تلمان زايدنشتيكر، جامعة فريدريش شيلر، ينا، ألمانيا.

أ.د. سعاد عبد الوهاب، عميدة كلية الآداب، جامعة الكويت، الكويت.

أ.د. محمد القضاة، عميد كلية الآداب، الجامعة الأردنية، الأردن.

أ.د. عبد الباسط مراشدة، عميد كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن.

أ.د. زهير عبيدات، عميد كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الأردن.

أ.د. محمد عبيد الله، عميد كلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، الأردن.

د. طالب عبابنة، عميد كلية الآداب، جامعة إربد الأهلية، الأردن.

مدير التحرير: د. خالد بني دومي.

السكرتيرة التنفيذيّة للمجلّة: السيدة ريمة قزق.

سكرتيرة المجلّة: الآنسة نداء بني عيسى.

إداري المجلة: السيد عمر ارشيدات.

اللجنة الاستشارية:

أ.د. بربارا ميخالاك – بيكولسكا، جامعة ياجيلونسكي، كراكوف، بولندا.
أ.د. محمد خان، جامعة ناشونال ديفنس، باكستان.
أ.د. فيليب لان، جامعة روان، فرنسا.
أ.د. جنلنج وانغ، جامعة نيوساوث ويلز، أستراليا.
أ.د. أولجا جالاتانو، جامعة نانت، فرنسا.
أ.د. ميمونة خليفة الصباح، جامعة الكويت، الكويت.
أ.د. كمال جرفال، عميد كلية الآداب، جامعة سوسة، تونس.
أ.د. حسن كاتب، عميد كلية الآداب، جامعة الأخوة منتوري، الجزائر.
أ.د. موراد موهوب، عميد كلية الآداب، جامعة الحسن الثاني، المغرب.
أ.د. محمد أحمد غنيم، جامعة المنصورة، مصر.
أ.د. عبد الله القرني، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية.
أ.د. أحمد المحمودي، عميد كلية الآداب، جامعة مولاي إسماعيل، المغرب.
أ.د. سوزان القليني، عميدة كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر.
أ.د. صلاح فليفل الجابري، عميد كلية الآداب، جامعة بغداد، العراق.
أ.د. شكري المبخوت، جامعة منوبة، تونس.
أ.د. عز الدين عمر موسى، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، السعودية.
أ.د. فؤاد شهاب، جامعة البحرين، البحرين.
أ.د. عبد العزيز المانع، جامعة الملك سعود، السعودية/ كرسي عبد العزيز المانع.
أ.د. عدنان السيد، رئيس الجامعة اللبنانية، لبنان.
أ.د. عبد السلام المسدي، تونس.
أ.د. صلاح فضل، جامعة عين شمس، مصر.
أ.د. سعد مصلوح، جامعة الكويت، الكويت.
أ.د. نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، الأردن.
أ.د. حسن سمور، الجامعة الأردنية، الأردن.
أ.د. وافي صلاح الدين حاج ماجد، قسم اللغة العربية، الجامعة العالمية، لبنان.

مجلّة اتّحاد الجامعات العربيّة للآداب

مجلّة علميّة نصف سنويّة محكّمة

تصدر عن الجمعيّة العلميّة لكلّيّات الآداب الأعضاء في اتّحاد الجامعات العربيّة

شروط النشر:

- تنشر المجلة البحوث باللغات: العربية والإنجليزية والفرنسية، ويمكن نشر بحوث بلغات أخرى بعد موافقة هيئة التحرير.
- تنشر المجلة مراجعات المؤلفات العلمية، والتقارير الخاصة بالمؤتمرات الدولية والندوات العلمية المحكمة.
- يرفق بكل بحث ملخص باللغة العربية وآخر بالإنجليزية على ألا يزيد على 150 كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات الدالة .
- يجب أن تتوافر في البحوث العلمية المرسلة للمجلة الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، ويجب أن يكتب البحث بلغة عربية سليمة خالية من الأخطاء.
- يلتزم الباحث/ الباحثة بتدقيق البحث تدقيقًا لغويًا كاملًا يشمل الجوانب اللغويّة والنحويّة والإملائيّة والطباعيّة، والصياغة وعلامات الترقيم قبل إرساله للنشر في المجلّة.
- يشترط في البحث ألا يكون قد قدم للنشر أو نشر في أي مكان آخر.
- تخضع البحوث المقدمة للنشر للتحكيم حسب الأصول العلمية.
- تصبح البحوث بعد قبولها للنشر حقاً محفوظاً للمجلة، ولا يجوز النقل منها إلّا بالإشارة إلى المجلة.
- لا يجوز للباحث إعادة نشر بحثه إلا بموافقة خطية من هيئة التحرير، وتجب الإشارة إلى المجلة حسب الأصول.
- يجب أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب باستخدام برنامج word، وبمسافة مزدوجة بين السطور، ويرسل بوساطة البريد الإلكتروني إلى عنوان المجلة: **artsarabuni@gmail.com**
- يكون حجم الخط (14) ونوعه (Arial). وهوامشه الجانبية (2.5) سم.
- ألّا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة (A4).
- يذكر الباحث في الصفحة الأولى من البحث اسمه ورتبته الأكاديمية والمؤسسة التي يعمل فيها.
- تحتفظ الهيئة بحقها في عدم نشر أي بحث وتُعد قراراتها نهائية.
- لا تُرَد الأبحاث التي لم تقبل للنشر إلى أصحابها.
- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التحكيم في حال سحبه البحث أو رغبته في عدم متابعة إجراءات التقويم.

- يلتزم الباحث بإجراء التعديلات التي يقترحها المحكمون خلال شهرٍ من تاريخ تسلُّمه القرار.
- يخضع ترتيب الأبحاث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- الأبحاث المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها ولا تعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو جمعية كليات الآداب في اتحاد الجامعات العربية.

التوثيق:

* ترقم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين ( ).
* وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو الآتي:

- في حال كان المصدر أو المرجع كتاباً:

اسم المؤلف كاملاً: **المصدر أو المرجع**، عدد الأجزاء، مكان النشر، الناشر، السنة، الصفحة.
مثال:

ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، مصر، دار المعارف، 1966، ص24.

- في حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو الآتي:

اسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، **اسم الدورية أو المجلة**، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.
مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

* وتثبت **في** آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه وفق التسلسل الألفبائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً، ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك السنوي:

أ) للأفراد: خمسة دنانير داخل الأردن، وعشرة دولارات أمريكية خارج الأردن.

ب) للمؤسسات: عشرة دنانير داخل الأردن، وخمسة عشر دولارًا أمريكيًا خارج الأردن.

المراسلات:

ترسل البحوث إلى العنوان الآتي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام الجمعية العلمية لكليات الآداب،
رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب
عميد كلية الآداب
كلية الآداب – جامعة اليرموك، إربد، الأردن
هاتف :7211111 2 00962 فرعي 2900 أو 3555
فاكس :7211137 2 00962
البريد الإلكتروني: artsarabuni@yu.edu.jo / artsarabuni@gmail.com
الموقع الإلكتروني:http://aauja.yu.edu.jo

محتويات العدد

البحوث العلميّة باللغة العربية

*	**المصطلح النقدي العربي بين المعنى المعجمي والمفهوم الحديث** رائد وليد جرادات	399
*	**دور "المتكلم" في مرحلتي "نشأة النحو العربي ونموّه" دراسة في ضوء بعض الأنظار الحديثة** فارس علي السعود وفيصل إبراهيم صفا	433
*	**أثر الأنظمة الحاكمة في إيران على اللغة الفارسية ومفرداتها** مازن إسماعيل النعيمي وايناس شديفات	467
*	**السلوك الاقتصادي المكاني لأصحاب المنشآت التجارية وأثره في نشأة وتطور المناطق التجارية في مدينة إربد** عمر ضيافلة وولاء بني يونس	497
*	**المركز والهامش في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي في ضوء سيمياء الثقافة** زاهي نجيب سلامة ويوسف أبو العدوس	529
*	**النقود العثمانيّة في لواء القدس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي** زهير غنايم غنايم وعثمان إسماعيل الطل	559
*	**الحياة الاقتصادية لليهود في مدينة القدس في ضوء سجلات المحكمة الشرعية/ السجل رقم (397) تاريخه (1319– 1324هـ/1901– 1906م): "الوكالات نموذجاً"** حنان ملكاوي	583
*	**بين العربية والعبرية: الخيارات اللغوية للأدباء اليهود العراقيين بَعد هِجرتهم إلى "إسرائيل"** محمود العمرات ومحمد نصيرات	601
*	**الوطن خارج المكان: دراسة في السيرة الذاتية لإدوارد سعيد** أحلام مسعد	641

ملخصات البحوث العلميّة باللغة الإنجليزية

*	**في التراكيب الوجودية في اللغة الإنجليزية الأمريكية المعاصرة: توافق الفعل مع الفاعل: دراسة قائمة على المدونات النصية** عقاب يوسف الشواشرة ومحمد أحمد العمري	677
*	**مستوى معرفة المحتوى التربوية لدى معلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية** ديما حجازي وأمل الناطور	696
*	**الهيمنة الدولية في المنظور الصيني العالمي: من "عالم متناقض إلى عالم متناغم"** خير سالم ذيابات	715
*	**أطر المعالجة الإخبارية للشؤون العربية في المواقع الإلكترونية للقنوات الأجنبية الموجهة: دراسة تحليلية مقارنة لموقعي BBC وDW الألمانية** حاتم سليم علاونة وعرين عمر الزعبي	740
*	**قراءات في تراجم سورة الانشقاق** ريما العيسى	754
*	**الدين المؤسسي والازدواجية في رواية جين آير لتشارلوت برونتي** عبد الله دقامسة	772
*	**رحلة نحو فقد الهوية في رواية توني موريسون العين الأكثر زرقة** رشا مقابلة وآيه عكاوي	785

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 16 العدد 2، 2019، ص ص 399- 431

المصطلح النقدي العربي بين المعنى المعجمي والمفهوم الحديث[1]

رائد وليد جرادات *

تاريخ الاستلام 2016/6/21 تاريخ القبول 2016/8/10

ملخّص

يهدف هذا البحث إلى الوقوف عند بعض المصطلحات النقدية والأدبية الحديثة الأكثر تداولاً في الحقول الأدبية والنقدية قديماً وحديثاً، في محاولة لربط مفهومها القديم بالمفهوم المعاصر، إضافة إلى تتبع تطورها الدلالي، ومدى تقارب مدلولاتها وتباعدها في الدراسات النقدية القديمة والحديثة، وربط هذه المصطلحات المبثوثة في كتب التراث بالمصطلحات النقدية الغربية.

المقدّمة

لقد حظي المصطلح النقدي والأدبي في الدراسات النقدية المعاصرة باهتمام كبير لدى عدد من الباحثين والدارسين؛ إذ تناولوه في دراساتهم وأبحاثهم، وعقدوا حوله المؤتمرات العلمية، والندوات النقدية، وألفوا فيه كتباً قيمة تكشف عن مشكلاته وقضاياه المختلفة، وقد جاء هذا الاهتمام بالمصطلح نتيجة لما ألمّ به من مشكلات كثيرة تكمن في تعدد ترجمات المصطلح الواحد، وتنوع مفاهيمه وآليات استخدامه، إضافة إلى إخفاق عدد من الباحثين في تطبيقه في دراساتهم النقدية؛ لإغراقهم في تقليد الدراسات النقدية الغربية.

يحاول هذا البحث الوقوف عند بعض المصطلحات النقدية والأدبية الحديثة، وتجليتها وتحديد جذورها، وتطورها، وبيان بعض مشكلاتها، ثم محاولة تقديم فهم لعدد من هذه المصطلحات من خلال تقاربها وتباعدها، وتعددها ووحدة دلالاتها، ومدى تعالقها وقربها من المصطلحات النقدية العربية المبثوثة في كتب التراث وامتزاجها بالمصطلح النقدي الغربي.

إن للتلاقح الفكري بين الحضارات والتواصل المعرفي والثقافي الإنساني أثراً كبيراً في نشأة المصطلحات بعامة، والمصطلحات الأدبية والنقدية بخاصة، فالمصطلح ضروري في تحصيل المعرفة؛ ذلك لأنه يحدد قصد الباحث أو المتحدث، فالأصل في مصطلحات اللغة أنها رموز ذات

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2019.

* قسم اللّغة العربيّة، جامعة الطّفيلة التقنيّة، الطّفيلة، الأردن.

دلالة على معاني النفس للتعبير عن مكنونات النفس وخلجاتها، والمعنى هو أصل المصطلح ومصدر له، ويتداول الناس تلك المصطلحات بما تحمله من معانٍ للتواصل النفعي والتداول اليومي، وعندما تستحدث معارف وتنشأ أفكار جديدة بسبب ظروف معينة يصطلح أهل الاختصاص على تلك المعارف والأفكار بألفاظ من اللغة نفسها، دون غيرها لتعبر عن معان مرجعية أصيلة لتلك المفاهيم الاصطلاحية التي هي موضع الاصطلاح ومن ثم يكون المعنى أصلا للمصطلح.

والمصطلح ملتزم بذلك المعنى مهما حدث من تعديل أو توسع، وبعبارة أخرى: المصطلح يتضمن شحنات ثقافية ظاهرة للعيان في النص اللغوي تحيط به.

بيد أن المصطلح يختلف من شعب إلى آخر في اللغة الواحدة، وربما في الزمان والمكان الجغرافي كذلك، وبلغ المصطلح اللغوي، بوصفه علماً من علوم اللغة التطبيقية في العصر الحديث، شأناً كبيراً في علوم لغوية وغير لغوية، مما زاد من اتصال القارئ (المتلقي) غير المتخصص بهذا العلم أو ذاك، لإيجاد حل لعدم الاستقرار المصطلحي، أو ما يسمى إشكالية المصطلح.

ويقصد بالمصطلح "الألفاظ التي تحمل دلالات خاصة متعارفاً عليها بين طائفة معينة في مجال أو حقل معين، إذ يختلف مدلول المصطلح من مجال إلى آخر"[(2)] ومن عصر إلى عصر، ومن رقعة جغرافية إلى أخرى، "فالمصطلح كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة علمية أو تقنية ... يوجد موروثاً أو مقترضاً، ويستخدم للتعبير بدقة عن المفاهيم وليدل على أشياء مادية محددة"[(3)]، ويبين هذا المفهوم التحديد الحقيقي لمعنى كلمة المصطلح.

وكان للغربيين وغيرهم السبق إلى الاهتمام بهذا المجال المعرفي في العصر الحديث، ونجد أول من اعتنى بذلك من الفرنسيين آل فوستر (1898 –1977) وذلك من خلال وضعه أساس النظرية العامة للمصطلحية وتطويرها[(4)] والتي تهتم بمعالجة المفاهيم وخصائصها ونظمها، ومع وصف لتلك المفاهيم وطبيعتها وبنيتها وتدوينها في صناعة المصطلح.

إن وضع المصطلحات ودراستها وصناعتها والتجذير لها يحتاج إلى توليفة من المعارف تنطلق من علوم ذات صلة بها؛ من اللسانيات والمنطق وعلم التأصيل والمعاجم واللغويات، لذلك فإن التأصيل للمصطلح أمر يحتاج إلى دقة وحساسية عالية؛ فهو لا يتوقف عند حدود المصطلح اللغوي الخاص، بل يتعدى ذلك إلى مصطلحات العلوم والمعارف، فمعرفة مصطلح علم من العلوم من شأنها أن تعمل على اشتراك الباحثين والعلماء في الاتكاء عليه في أبحاثهم ودراساتهم، والعكس صحيح.

ومن ثم فإن تحديد مفهوم المصطلح يعني إلحاقه بمنظومة محددة من المفاهيم، وهو نوع من التبويب يعتمد على أساس فكري فلسفي أولاً قبل أي شيء آخر، فالرمز اللغوي وهو المصطلح (الشكل الخارجي) يقوم على بناء فكري ذهني معين، وهو الأساس في دراسة المصطلح وفق منهج المتخصصين في علم المصطلح، وهو رمز يبنى وفق شيفرة لغوية من أجل التواصل المعرفي الشفوي والكتابي، فمعنى المصطلح تقرره خصائص المفهوم الذي يعبر عنه، والعلاقات القائمة بين هذا المفهوم وبقية المنظومة المفهومية للحقل المعرفي الذي ينتمي إليه؛ فهو اسم يعرف داخل نظام منسجم له وظيفة إحالية وتصنيفية دقيقة، تقابل غالباً الأسماء العلمية والتقنية يتم باسم لغة طبيعية أو تركيب اسمي أو تعبير مشكل[5].

والمصطلحات كثيرة، وهي خير منهل للأدباء والباحثين المحدثين والمعاصرين؛ ولذا فإن مفكري العرب وعلماءهم اعتنوا به، وتنبهوا إلى أنّ لكل علم من العلوم اصطلاحاً خاصاً به، فالزبيدي مثلاً يرى أنّ "الاصطلاح اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[6]، ويرى علي القاسمي أن المصطلح "وحدة لغوية دالة، مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو كلمات متعددة، ومصطلح مركب، وتسمى مفهوماً محدداً بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما"[7].

وعلى هذا فالمصطلح عند العلماء، له شروط يجب أن تتوفر فيه، وللجيد منه صفات تميزه من غيره، لخصها علي القاسمي في شرطين أولهما: تمثيل كل مفهوم أو شيء لمصطلح مستقل، وثانيهما: عدم تمثيل المفهوم أو الشيء الواحد، بأكثر من مصطلح واحد[8].

والحقيقة أن العرب بذلوا جهداً كبيراً في وضع المصطلح بعد أن اتسعت العلوم وتنوعت الفنون، وتقدمت الحياة.

- الموروث الأدبي:

يخضع الأديب لواحد من اتجاهين تسلطا عليه، فهو إما منقطع عن كل رابطة تشده إلى جذوره وأصوله، يتتبع الأفكار التي تلألأت في ساحات غريبة عنه لا تمت إليه بصلة مأخوذا بها، داعيا إليها أو أن يكون أسلم قياده وكل هواه إلى نتاج السلف، صالحه وطالحه، خيره وشره، فقد أحجم المنقطعون من مناصري الثقافة الغربية العصرية عن إبداء أي تواصل مع ما عدوه رجوعا إلى ما عفا عليه الزمن، لذلك أداروا ظهورهم نحوه، ووجهوا وجوههم شطر الجديد يلهثون وراءه، ويتتبعون بريقه الساطع الخلاب، وعملوا جاهدين على إنكار التراث وتفنيده، والتعصب ضده، والاصطفاف في مواجهته.

ورد مصطلح الموروث ومفهومه في القرآن الكريم بمعنى يكاد ينحصر في (الإرث)[*] وهو ما يخلفه الميت من مال فيورَّث عنه، يقول تعالى: "فهب لي من لدنك وليا. يرثني ويرث من آل يعقوب" (مريم / 6) أي: يبقى بعدي فيصير له ميراثي، وذلك إخبارا عن زكريا - عليه السلام.

وازدحمت الاستعمالات الأدبية بلفظة (الموروث) ومشتقاتها، فقيل: (وَرِثَ المال والمجد عن فلان) إذا صار مال فلان ومجده إليه، و(أورثته الحمى ضعفاً) سببته له، و(أورثه الحزن هما) سببه له، و(أورث المطر النبات نعمة) سَببها له، و(المجد متوارث بينهم)، و(توارثوه كابرا عن كابر)، و(هم في إرْث مجدٍ) ورثه بعضهم عن بعض قدما، و(توارثتني الحوادث)[9] أي تداولتني.

ففي مختار الصحاح، ولسان العرب، والقاموس المحيط، ومعجم متن اللغة العربية، وغيرها من معاجم اللغة العربية نجد: وَرِث أباه، وورث الشيءَ من أبيه يرثه وِرْثاً وَوِرْثَةً ووراثةً وإرثاً، وَوَرَّث فلانٌ فلاناً تَوْريثاً: أدخله في ماله على ورثته، والإرث: الأصل، قال ابن الأعرابي: الإرث في الحسب، والورث في المال، وحكى يعقوب: إنه لفي إرث مجدٍ "على البدل" أما الجوهري فقد قال: الإرث: الميراث وأصل الهمزة فيه الواو[10].

الموروث اصطلاحاً، وعلى وجه الإجمال: النتاج الذي تركه لنا أسلافنا، سواء أكان ذلك في العلوم العلمية، أم في العلوم والفنون الإنسانية والشعبية المنقولة المروية شفاهاً أم المكتوبة.

وبحسب رأي محمد مصطفى هداره: "كل ما كتبه أسلافنا العرب، من فكر وشعر وفلسفة "[11]، وكأنه مقتنع بالتراث التدويني فقط، إذ لا أثر - في رأيه - لكل ما يمت بصلة للتراث المعنوي، كالقيم الاجتماعية والأخلاقية والحيوية، وأنماط المعيشة وأساليبها، فضلا عن اقتصاره على موروث (العرب) دون شموله للموروث بالحضارة الإسلامي، كما لم يتوقف عند الموروث الشفوي.

أما حسين محفوظ فيشير إلى أن الموروث: "كل ما ترك ماضونا من حضارة، وعلم، وأدب، ورأي، ودين، وصناعة، وفن، وكل ما ورث قدماؤنا من معقول ومنقول، وكل ما خلّف أسلافنا من مأثور، وكل ما وصل إلينا من آلات وأدوات، وأشياء وكل ما يسيطر علينا من عادات، وأخلاق، وكل ما حفظه رواتنا من آثار "[12].

والمراد بمصطلح الموروث في بحثنا: العمل الأدبي الذي ورثناه عن أسلافنا الأقدمين المكتوب والمروي الشفوي، أي الأدب بمعناه الخاص، وهو الكلام الجيد المؤثر في النفس، والذي يحدث فيها المتعة واللذة الفنية، سواء أكان نثرا أم شعرا، أو بعبارة أخرى: كل ما ترك الأوائل من العلوم والآداب والفنون والفكر والفلسفة، فضلا عن القيم الاجتماعية والأخلاقية والحياتية، وأنماط المعيشة وسلوكها، وهو ما يشكل عنصر التجدد والاستمرار.

- التاريخ والتاريخ الأدبي:

التَّاريخ و"التَّوْريخ": تعريف الوقت، تقول: أرَّخ الكتاب بيوم كذا، و"ورّخه" بمعنى واحد[13].

والتاريخ – عند كثير من الباحثين المحدثين - فن نثري، ومن أقدم الفنون الإنسانية، ظهر حين شاعت الكتابة بعد معرفتها، وارتقى بارتقاء العقل الإنساني، الذي أهله ارتقاؤه إلى التفكير الصحيح الموصل إلى ربط الحوادث بعضها ببعض، واتخاذها موضوعاً للعبرة والعظة.

فالماضي لم يعد فترة زمنية توجد خلف الحاضر، ولكن أصبح جزءا من التعدد الذي يشكل الحاضر، كما أن التاريخ ليس شيئا آخر سوى إعادة تشكيل للماضي في ذهن المؤرخ ومن خلاله.

أما عن التاريخ الأدبي، فالعلاقة بينهما كبيرة، ومن نواح كثيرة ومتعددة؛ فثقافة الأديب لا تكتمل إلا بمادة التاريخ، ومادة التاريخ – كما لا يخفى - يتكون كثير منها من قطع أدبية (نصوص)، في جمالها، وحسن صياغتها، وقوة عاطفتها، وسمو خيالها، وتراثنا التاريخي والأدبي مليء بمثل هذه النماذج؛ لأن أثر التاريخ واضح بيّن في الآداب على اختلافها؛ فهو من أهم العناصر التي تنشئ النثر الفني.

وأما وظيفة تاريخ الأدب فهي أنّه يدرس النتاج الأدبي في عصوره المختلفة، محاولاً تفهم الظروف المحيطة به، سواء أكانت ظروفاً اجتماعية، أو طبيعية، أو سياسية، أو ثقافية... ويقف عندها ليعرف مقدار فاعليتها في توجيه الأدب هذه الوجهة أو تلك، ثم تأثير الأدب في المجتمع الذي نشأ فيه، وأثره في الأمم الأخرى أو تأثره بها.

وتاريخ الأدب هو الذي يتتبع تطور النتاج الأدبي عبر السياق الزمني والمكاني، ويبحث في دواعيه، مستعيناً بدراسة حياة الأدباء، وتفهم الدواعي النفسية؛ السلبية منها والإيجابية، وبيئاتهم وجنسياتهم ودياناتهم وميولهم ومكانتهم، وله أثر كبير في حياة الأمة؛ إذ يحافظ على تراثها الأدبي، ويساعد على تطوره ونموه، ويعين على فهم النصوص الأدبية وتذوقها؛ فهو يحملنا على تذوق العصر الذي قيلت فيه، ولعل أول من اهتم بكتابة تاريخ الأدب العربي، على الطريقة الحديثة، جرجي زيدان، وله فضل كبير في تاريخ الأدب، لمن لم يترجم لهم القدماء من الأدباء والشعراء المتأخرين والمستشرقين[14].

- الأصـالـة:

مصطلح الأصالة من المصطلحات الكثيرة الدوران على الألسنة في حقول الأدب والنقد؛ لشدة اتصالها بما يصدر من نتائج وأحكام في حياة الفنون الأدبية الجمالية والنقدية بأجناسها المختلفة.

في لسان العرب[15]، الأصالة: "واحد الأصول، يقال: أصلٌ مؤصَّل ومجد أصل: أي ذو أصالة، ويقال: رجل أصيل الرأي: أي محكم الرأي والعقل ثابت فيهما، وقولهم: لا أصل له ولا فصل، الأصل هنا بمعنى الحسب، والفصل بمعنى اللسان، وأصَّلَ الشيءَ: قتله علماً فعرف أصله، والأصل: الذي له أصل، أو المتمكن في أصله، ومن هذا قولهم: إن النخل بأرضنا لأصيل: أي هو لا يُزال ولا يفنى".

وفي أدبنا العربي القديم، استعمل ليدل على هذه المعاني المعجمية، فقد وجدنا مصطلح الأصالة دالاً على أصالة الرأي، أو على الكمال.

والأصالة اصطلاحاً، عدم التقليد، والبعد عن أي تأثير أجنبي في موروثنا الأدبي العربي، وتعني الأديب المبدع، وتقنياته الإبداعية والفنية الأدبية المتأصلة فيه وقدرته على إنتاج النص الأدبي الإبداعي.

وتعني كذلك، التزام الصدق الفني، ووحدة القول والإحساس في كل ما ينظمه الأديب، ويعلنه الكاتب من مشاعر وأفكار، أو فيما يؤمن به ويستشعره في قرارة نفسه ووجدانه.

إن تحديد مصطلح الأصالة تحديداً مطلقاً، في أي عمل أدبي إبداعي، يصعب على النقاد؛ ولذا نرى بعضهم يقول باحتمال تأثر الأديب بأحاسيس أديب آخر وصوره وأفكاره، ونجد آخر يقول بابتكاره واختراعه، ونحن نقول بأن الأديب إنما استمد ذلك عبر المسارب الخفية في داخل نفسه؛ وذلك لأن النفس الإنسانية خزانة غنية، تضم في حوزتها ومكنوناتها كل ما يتسرب إليها من أفكار وأقوال، وأحاسيس وعواطف وصور، تختزن بوساطة العقل الواعي، العقل الباطني، كما يسميه علماء النفس، وفي هذه الحالة نحن ملزمون بالاعتراف بذاتية الأديب، وبعدم نفي الأصالة عنه، ولكننا غير ملزمين بالقول بالابتكار والاختراع، وهذا مفهوم شبيه أو قريب من مفهوم الجرجاني للأصالة.

لذا نجد أن مصطلح "الأصالة" لم يستعمل في أدبنا القديم بالمفهوم الحديث، ولم يحدد كمصطلح له دلالته؛ فالعرب القدامى – فيما نرى - لم يعرفوا مصطلح الأصالة، الذي يجري على ألسنتنا في الوقت الحاضر، ولكن ليس معنى هذا أنهم لم يفرقوا بين النتاج الأصيل وغير الأصيل؛ فقد عرفوا وميزوا ذلك وتكلموا فيه في أكثر من ميدان وحقل معرفي أدبي أو غيره، وقد استمد النقد العربي والنظرية النقدية فيه أصالتهما، فالشعراء الجاهليون – كما نعلم- لم يقلدوا أحداً، ولم يلتزموا بالتقليد للمعنى أو الغرض الفني، الذي ذهب إليه ابن قتيبة[16]، وإن كانوا قد التزموا بالألفاظ فقط، فاللغة الأدبية كانت سليقة فيهم وطبعاً لهم، يعبرون بها عن مواقف حياتهم بسهولة، وفي صحة لغوية، ويسر واستقامة في الضبط، وما صدر عنهم من مبادئ النقد وأسسه، كان

مفاهيم مسلماً بها، كمبادئ لأوليات أسس وأصول نقدية، أصبحت فيما بعد أسساً لقضايا نقدية مهمة، وإن كانت في وقتها غير مرئية أو مروية.

وفي الدراسات الحديثة، عُرّفت الأصالة على مستوى البنيات السيميائية العميقة كجواب خاص، يعطيه فرد أو مجتمع، رداً على تساؤلات أساسية، كما تشكل بمساعدة مقولات الحياة، والموت، والطبيعة، والثقافة، وهكذا تميز الأصالة الفردية، التي تخص فاعلاً فردياً، عن الأصالة الجماعية، التي تجعل ثقافة ما خاصة ونسبية[17].

- التقليد:

التقليد في اللغة مأخوذ من: قلّدت أقلد، قلدا: أي جمعت ماء إلى ماء، وقال أبو عمرو هم يتقالدون الماء ويتفارطون ويتراقطون، ويتهاجرون، ويتراقصون أي يتناوبون، والإقليد: شيء يطول الخيط من الصّفر يقلد على الإبرة وخرق القرط، وبعضهم يقول له القلاد وقلد أي يقوي، وتقلّد الأمر، احتمله[18].

أما في القاموس المحيط فجاء: قلد الماء في الحوض، واللبن في السقاء، والشراب في البطن، يقلده: جمعه فيه، وقلد الشيء على الشيء: لواه، وقلد الحبل: فتله، فهو قليد ومقلود، وقلدت الحمى فلاناً أخذته كلّ يوم، وقلد الزرع سقاه، ومقلدات الشعر وقلائده: البواقي على الدهر، ويتقالدون الماء: يتناوبونه، وأقلد البحر عليهم: أغرقهم، وأقلوّده النعاس: غشيه، والاقتلاد: الغرف، وقلدتها قلادة، جعلتها في عنقها، ومنه تقليد ولاة الأعمال، وتقليد البدنة شيئاً يعلم به أنها هديُ [19].

وفي المجاز: قلد العمل فتقلّده، وألقيت إليه مقاليد الأمور، وضاقت عليه المقاليد إذا ضاقت عليه أموره، وأقلد البحر على خلق كثير ارتجع عليهم وأطبق لما غرقوا فيه، وأعطيته قلد أمري: فوّضته إليه من قلد الماء قال:

وأعطته بالأقلاد كل قبيلة ومدّت إليه بالركاب الجحاجح

وقلّد فلان قلادة سوء: هجاه ما بقي عليه وسمه، وقلّده نعمة وتقلّدها، ولي في أعناقهم قلائد، ونعمتك قلادة في عنقي لا يفكها الموت[20].

وفي المعجم الوسيط: قلّد القلادة: جعلها في عنقه، والبدنة علّق في عنقها شيئاً ليعلم أنها هدي، وقلد فلاناً السيف: ألقى حمالته في عنقه، ويقال قلّد فلاناً نعمة: أعطاه عطية، أو أسدى إليه معروفاً، وقلّد قلادة سوء، هجاه هجاء يلازمه من غير حجة ولا دليل، ويقال: قلد القرد الإنسان [21].

ويقال قلدته أمر كذا: إذا وليته إياه، قال الجوهري: وهو مأخوذ من القلادة في العنق: يقال: قلدت المرأة فتقلدت، قال: ومنه التقليد" في الدين، والحكام، والوزراء، والقضاة، والعمال وغيرهم"[22]، أي الأمر الذي تعهد به الوظيفة أو نوع العمل، وقد اهتم المتأخرون بالتقاليد ووضعوا لها شروطاً أدرجها أحمد مطلوب، في كتابه:" معجم النقد العربي القديم"[23].

وأما التقليد الأدبي، فهو ممارسة أدبية، تحقق الحد الأدنى من الحس المشترك، وترسخ قواعد وعادات تجاه أسلوب ما، وهو يلتزم ذوقاً يسود حقبة محدودة ولا يتعداها[24].

ونسمع – أحياناً - بالتقليد الشفوي، وهو نمط من الأقوال غير المدونة في الأعراف الاجتماعية ويدخل فيه الحكايات والخرافات والألغاز والأغاني المتناقلة عبر الذاكرة، ويرتبط بالأبحاث الأثنولوجية خاصة[25]، فالتقليد الأدبي، من أدق المقاييس التي تميز الأديب الأصيل، ويكشف عن الشاعرية المتأصلة الحقيقية فيه، وفي حالة انعدام وجوده عند الأديب؛ لا يمكننا إثبات الأصالة للأديب ونحن هنا لا ننكر وجوده إنكاراً تاماً؛ لأن تحديد الأصالة تحديداً عاما في أي عمل أدبي، يصعب أمره على أي ناقد.

والتقليد هو طابع كل أديب عند بدايته، وفي باكورة نتاجه، وقد اتسمت به بعض أشعار الشعراء وأعمال الكتاب وبعض آراء المؤلفين والنقاد، وفي مفهومنا الحديث تعني الأصالة وحدة القول والإحساس، والتزام الصدق الفني في كل ما ينظمه الشاعر ويعلنه الكاتب من مشاعر وأفكار، أو فيما يؤمنان به ويستشعرانه فعلاً في قرارة نفسيهما، وداخلية وجدانيهما.

- الظاهرة الأدبية:

يميل النقاد والمؤلفون والأدباء اليوم إلى الحديث عن مصطلح الظاهرة الأدبية أكثر من حديثهم عن الأدب، وذلك لأنها تحدد واقعة الإنتاج الأدبي أفضل من مصطلح الأدب وحده، ومن ثم إيجاد العلاقات، وما تشكله تلك العلاقات من شبكة متجانسة داخل العمل الأدبي، وما تقيمه تلك العناصر في تشكيل الظاهرة الأدبية في فترة زمنية، ومن ثم استخلاص القوانين والأنظمة والأنساق الناتجة عن تلك الظواهر الأدبية والاستفادة منها في تطوير ظاهرة أدبية أخرى، وتحليل تلك العلاقات النسقية المنتظمة داخليا وخارجيا ووصفها بعد ذلك كخطاب أدبي معياري.

فالمفهوم اللغوي لمصطلح (الظاهرة الأدبية) يجعلنا نقف أمام معنيين:

الأول معنى يتضمن عدم الظهور: وهذا ما لا تراه العين وهو الباطن، والثاني معنى تراه العين المجردة لظهوره أمامها، وهذا يجعلنا نقول بأن هناك ظواهر خارجية بينة، تحسها النواظر، وظواهر باطنة تحسها الصدور؛ وأكثر ما تكون هذه في مواطن الجمال، فهذه الدقائق قد نحسها، ولكن يعسر علينا تعليلها، إلا بألفاظ عامة لا تحدد معنى، ولذلك شاع في النقد الأدبي، الألفاظ

التي أنكرها الباحثون المحدثون مثل: "الجزالة" و"الرقة" و"الانسجام" و"حلاوة اللفظ" و"كثرة الماء" و"الرونق" و"الإغراب" و"الإبداع" و"الطرب" و"الصبوة"[26]، وغير ذلك من هذه الألفاظ، التي يمكن ردّها إلى أصل نفسي، وهو قوة الانفعال وجماله، كما يمكن ردّها إلى أصل فني، وهو خلو الشعر مثلاً من الصنعة والتكلف.

وقد تنبه النقاد القدامى، إلى كثير من الظواهر الأدبية، وحاولوا تعليلها تعليلاً يتصف بالروح العلمية، كما فعل ابن سلاّم، وابن قتيبة، والقاضي الجرجاني وغيرهم؛ فقد نظروا في ظاهرة التوافق بين اللفظ والمعنى، وظاهرة الصنعة والتصنع، وظاهرة الصراع بين القديم والحديث وظاهرة السرقات الأدبية وغيرها... وأخضعوا هذه الظواهر لمقاييس نقدية متنوعة، منها مقاييس شعرية تقليدية، ومنها مقاييس لغوية، مهمتها النظر في الدقة أو عدم الدقة في اللغة، ومقاييس بيانية مهمتها النظر في الاستعارات والتشبيهات وما يتصل بهما، ومقاييس إنسانية، انتزعها النقاد من طبائع النفوس البشرية، ومقاييس عقلية مردها الثقافة العامة والتجارب الحياتية.

والظاهرة الأدبية تحيل على حدث أدبي أو قضية ما، وهي تفترض "انسجاماً تيمياً لظهورها ورواجها، خلال لحظة تاريخية"[27]، وتعمل على تعميق الوعي حالة أو دعوى تتعدى حدودها الإقليمية.

وأما التيار الأدبي فهو اتجاه يوجه الأذهان نحو فكرة معينة، "بطغيان ذوق أدبي معين"[28]، ويرى "جيرومونسكي" أن التيار الأدبي ظاهرة عالمية، ترتبط بالتطور العالمي، وحركة تبادل الآداب، أي جوهر وهدف الدراسة المقارنة للآداب نفسها[29].

- الشعر والشاعرية:

الشعر لغة: شعر به يشعر: أي علم، وأشعره الأمر وأشعره به: أي أعلمه إياه[30]، فهذا هو مفهوم الشعر لغة، وأما مفهومه اصطلاحاً، فقد غلب الشعر على منظوم القول لشرفه بالوزن والقافية، وإن كان كل علم شعراً، على حد قول الفيروز آبادي في القاموس المحيط[31].

وقد قيل في الشعر الشيء الكثير، ومن أبدع ما قيل فيه ما روي عن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه - أنه قال: "الشعر كلام، فحسنه حسن، وقبيحه قبيح"[32]،وروي أن عبد الله بن رواحة قال: إن الشعر "شيء يختلج في صدري، فينطق به لساني "[33].

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ)، الشعر هو "ما وافق أوزان العرب"[34]، وإلى هذا ذهب جميع القدماء، وقالوا إنه لا بد للشعر من وزن وقافية، أي أن أركانه أربعة: اللفظ، والمعنى، والوزن، والقافية[35].

أما ابن سلّام فقد كان لا يسمي كل كلام مؤلف معقود بقواف[36] شعراً، وكانت لفظة الشاعر عنده تعني المتميز، وإلى هذا ذهب ابن رشيق القيرواني، حيث قال: "وإنما سمي الشاعر شاعراً؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره".

وأما ابن سنان الخفاجي فيقول: "وسمي شعراً من قولهم: شعرت بمعنى فطنت والشعر فطنه، كأن الشاعر عندهم قد فطن لتأليف الكلام"[37].

وهذا الأمر إذا تتبعناه نجده عند السكاكي، وابن خلدون وحازم القرطاجني، والسجلماسي وغيرهم، مع بعض الاختلاف والإضافات.

ولا يبتعد مفهوم الشعر كثيراً عند المحدثين عنه عند الأقدمين، فهو: "نظم شاعري للواقع الملموس، يصل بمقارباته إلى فكرة أصيلة عن الإنسان والعالم والكون "[38].

أما جماعة "تيل كيل"، فهي تزاوج بين الشعر والمفهوم المبهم، الذي يستمد قوته من أيدولوجية المعنى والإلهام والوحي[39].

وأمّا الشاعرية فهي مصطلح يطلق على الشاعر المجيد المبدع، الذي يستطيع أن يبرز معانيه، ويضعها في صور رائعة؛ بما يضفي عليها من خيال جذاب، بحيث يؤثر شعره في النفوس ويعلق بها.

ولهذا المصطلح تعريفات وتحديدات كثيرة ومختلفة، بحسب المدرسة أو التيار أو المنهج الأدبي أو النقدي عند النقاد والباحثين المحدثين والمعاصرين، فهو عند "تودوروف" مثلاً، يستعمل شبه مرادف لمصطلح "علم" ولمصطلح "نظرية الأدب"، وعند "ج. كوهن" فهو علم موضوعه الشعر[40] وهو عند سعيد علوش، درس يتكفل باكتشاف الملكة الفردية التي تضع فردية الحدث الأدبي، وهذا بالضبط ما تعنيه "الأدبية" عند الأديب الناقد "ميثونيك"[41]، ويعرّف كثير من الباحثين المحدثين الشاعرية بأنّها نظرية عامة للأعمال الأدبية.

- لغة الشعر:

هذا المصطلح تعرّض - ويتعرض - لكثير من سوء الفهم من الباحثين الناشئين وغير الناشئين؛ حيث قدمت فيه مؤلفات وكتب ورسائل جامعية، هي بعيدة - في كثير من الأحيان - كل البعد عن الفهم الصحيح للغة الشعر؛ فلغة الشعر ليست في الألفاظ المحورية التي تمحورت فيها لغة الشاعر، وليس في الصناعة اللغوية، إنما هي في هذه الألفاظ والمعاني، وتوظيفهما توظيفاً إبداعياً؛ لأن لغة الشعر هي غير الصناعة اللغوية، وهي ليست أيضاً في الألفاظ التي تخص الشعر، أو يكثر استعمالها فيه فقط؛ فالألفاظ هي جزء من لغة الشعر، وإشارة ابن رشيق القيرواني إلى أن

للشعراء ألفاظاً معروفة "لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، ولا أن يستعمل غيرها"[42]، ومن ذلك مثلاً أن لفظة "تؤذي" لا تسوغ في الشعر، كما تسوغ في النثر، إنما تعني أن هناك ألفاظاً ذات جرس موسيقي، يؤهلها أكثر من غيرها في عملية نظم الشعر، ولا ننسى ما للسياق الجملي من فعالية في تطويع هذه اللفظة أو تلك وتجميلها.

ومن هنا نجد أن اللغة الشعرية تنطلق من المبدأ الأسلوبي القائم على انتهاك قوانين اللغة العادية بحيث تفسح لنفسها المجال للتأليف بين كلمات تكون في أغلب حالات اللغة بعيدة عن بعضها البعض؛ لكن الشاعر بوساطة (الحيلة الشعرية) يخترق هذا الجدار المتمثل في قوانين اللغة ويؤلف بين هذه الكلمات التي تعدّ بعيدة عن بعضها البعض في سياق اللغة العام، ويكسبها الشاعر طابعا يتسم باللين، ويحولها إلى كلمات متآلفة متجانسة تؤدي وظيفة شعرية بالغة الأهمية في تناسقها الجمالي ومدلولها العاطفي[43].

وهي الوظيفة التي أشار إليها بقوة ووضوح حازم القرطاجني في تقسيمه القول إلى عناصره الرئيسية قبل أن يفعل "جاكوبسن" بأمدٍ بعيد وذلك بإشارته إلى أن الأقاويل الشعرية: "تختلف مذاهبها وأنحاء الاعتماد فيها بحسب الجهة أو الجهات التي يعتني الشاعر فيها بإيقاع الحيل التي هي عمدة في إنهاض النفوس لفعل شيء أو تركه، أو التي هي أعوان للعمدة وتلك الجهات هي ما يرجع إلى القول نفسه، أو ما يرجع إلى القائل، أو ما يرجع إلى القول فيه، أو ما يرجع إلى المقول له " [44].

نعم إن للشاعر مقدرة خاصة، في إضفاء الجمالية على ألفاظه ومعانيه، وهذه المقدرة إنما تمثل جزءاً مهماً من لغته الشعرية.

فالنص الشعري لغة شعرية خاصة، لم تتمثل بالألفاظ، إنما تمثلت في المعاني الموحية، وفي تأثيرها في النفس وعلوقها بالقلب، وتمكنها من فرض قبولها على العقل، على الرغم من الخيال الواسع الكافي في التشبيهات والاستعارات التي تضمنتها الألفاظ، هذا إضافة إلى الإيحاءات الشعرية، وهي جزء مهم من اللغة الشعرية، إضافة إلى عناصر شعرية أخرى مثل العاطفة والأسلوب وغير ذلك.

يقول موكاروفسكي ديبوا: "ليست وظيفة لغة الشعر مرجعية، وإنما تكون وظيفة اللغة مرجعية إذا لم تكن شعراً، وهذا ما يجعل لغة الشعر غير مؤهلة لأن تكون لغة اتصال، فإما أن توصل لغة الشعر الكثير أو لا توصل شيئا، إن لغة الشعر لا توصل إلا نفسها، بل يمكننا أن نقول أنها توصل نفسها إلى نفسها، وهذه العملية للاتصال الداخلي في لغة الشعر هي الأساس الحقيقي لشكل الشعر، فالشاعر عندما يرغم عمليات المطابقة بين الوظائف المتعددة للغة على التزحزح من مستوى إلى آخر يغلق الكلام على نفسه، وهذا التكوين المغلق على ذاته هو ما نسميه شعراً [45].

إن الألفاظ التي يستخدمها الشاعر في فنه، هي – كما أرى - الألفاظ نفسها التي يستخدمها جميع الناس، فالشاعر أو الأديب لا يملك سوى كلمات لا تخرج كثيراً عما يتحدث به الناس، وعما يكتبونه أو يتخاطبون به، ولكن الشاعر أو الأديب يستطيع بهذه الالفاظ المألوفة، أن يخرج فناً يفوق جميع الفنون ويسمو عليها.

إذن، فليس المعنى وحده هو الذي يؤثر في النفس، وليست الألفاظ وحدها هي المؤثرة، وهي من المعنى بمثابة الجسد من الروح، ولها تأثيرها الخاص بها، وكذلك ليس الإحساس أو المشاعر أو العواطف، أو الأسلوب؛ إنما هو "الكل" المتكوّن من مجموع هذه الأجزاء.

إن الشعر الصحيح، هو الشعر الذي ينبعث عن إحساس قوي، ينماز عما سواه من الإحساسات المألوفة، لأنه اتخذ للتعبير عنه لغة خاصة متجانسة مع الإحساس، وقد استطاع الأقدمون التوصل إلى معرفة هذه اللغة وحصروها في صفات ومزايا، تمثلت في: تجانس اللفظ والمعنى، وفي تساويهما، أي في أن يكون اللفظ على قدر المعنى، كما تمثلت في نوع من الموسيقى، يوحي بمعنى فوق المعنى، الذي تدل عليه الألفاظ، وكذا استخدام بعض الصيغ مثل: الصيغ الطلبية كالاستفهام، والنداء، والتعجب، والأمر، والنهي، والجملة الخبرية ولكن على قلة، هذا إضافة إلى الوزن والقافية، وهما لازمتان من لوازم الشعر.

ووضع رومان جاكوبسن أساساً نظرياً – معرفياً جديداً – لجماليات الخطاب الأدبي من خلال تأكيده أن ما يميز "الأدبي" من "غير الأدبي" من الخطابات القديمة والحديثة لا يتجاوز كون الوظيفة الشعرية (الجمالية) للغة تهيمن في الخطاب الأدبي وعليه، وتغيب أو تهمّش فيه الوظائف الأخرى من (إحالية، وانفعالية، وإخبارية، وشارحة، واتصالية)، هذه الوظيفة متولدة تحديداً، كما يقول جاكوبسن، من تركيز منتج الخطاب جهده على عنصر (الرسالة) أي على جماليات القول وأساليبه الفنية؛ في حين يتجه الجهد في الخطابات الأخرى إلى (المرسل)، أو (المستقبل)، أو (السياق)، أو (الوسيط)، أو (الشيفرة اللغوية) كما هو معروف ومبين في نظريته الاتصالية الشهيرة[46].

كما أشار موكاروفسكي إلى وظيفة لغة الشعر في كونها تكمن في الحد الأقصى لأمامية القول[47].

إن القول المأثور الذي يُعزى أحياناً إلى الرسول الكريم (صلّى الله عليه وسلّم)، والذي فحواه: "الشعر ديوان العرب، يتسامرون به في نواديهم، وبه تسل الضغائن"؛ إنما هو خير تعبير عن أن للشعر لغة خاصة به، وهذه اللغة تتمثل في كلّ ما ذكرناه آنفاً.

وهذه اللغة الخاصة بالشاعر، لا يبلغها الشاعر إلا بالبحث والتأني، والاختبار، والثقافة، والتجربة، والدربة؛ لأنّها بالنسبة له الهدف والوسيلة؛ وسيلة الرؤية والقابلية والمقدرة على الاستحضار.

- النّصّ والنّصّ الأدبيّ:

نجد في لسان العرب أن المادة اللغوية (ن ص ص) تعني "النّص" وجمعه "نصوص"، أصله "نصص" وهو وزن "فعل"، يقال: "نص ينص نصا"، و"(النص) رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصاً: رفعه، وكل ما أُظهِر فقد نُصَّ، ووضع على المنصة: أي على غاية الشهرة والظهور، وقال الأزهري: النص أصله منتهى الأشياء، ومبلغ أقصاها، ومنه قيل: نصصت الرجل إذا استقصيت مسألته عن الشيء، حين تستخرج كل ما عنده، وفي حديث هرقل: ينصهم أي يستخرج رأيهم ويظهره ومنه قول الفقهاء: نص القرآن، ونص السنة، أي ما دل ظاهر لفظهما عليه من الأحكام وانتص الشيء وانتصب إذا استوى واستقام"[48].

إن النص هو تجسيد لغوي يمارس المنافرة باستمرار، ويبحث عن اختيارات دلالية من داخل السياق، لذا كان النص تجسيدا لمجموعة من الحوارات بين سياقات متعددة. ويرى – جاكوبسن – أن (... النص خطاب تركب في ذاته ولذاته..)[49].

تتقاسم دلالة مصطلح النص في العربية معاني متعددة، لعل أقربها إلى المجال الحسي: الرفع ومنه: نص العروس: أقعدها على المِنصة لترى، وهي ما ترفع عليه كسريرها وكرسيها، ونص ناقته: إذا استخرج أقصى ما عندها من السير، وهو كذلك من الرفع [50]، وذلك كما أورد في القاموس المحيط مادة (نصص) قوله: "(نصّ) الحديث رفعه، ونصّ ناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، ونصّ الشيء حركه، ومنه فلان يَنصُّ أنفه غضباً وهو نصاص الأنف، ونصّ المتاع: جعل بعضه فوق بعض، ونصّ فلاناً: استقصى مسألته عن الشيء، ونصّ العروس أقعدها على المِنصة بالكسر، وهي ما ترفع عليه فانتصت، ونصّ الشيء أظهره، ونصّ الشواء ينص نصيصاً: صوّتَ على النار، ونصّ القدر: غلت، والمَنصة بالفتح الجَمَلَة من نصّ المتاع، والنص الإسناد إلى الرئيس الأكبر والترقيات والتعيين على شيء ما، وسير نُصٌّ ونصيص جدٌّ رفيع، وإذا بلغ النساء نص الحقاق فالعصبة أولى: أي بلغن الغاية التي عقلن فيها، أو قدرن على الحقاق وهو الخصام أو حوق فيهن فقال كل من الأولياء أنا أحق، أو استعارة حقاق الإبل: أي انتهى صغرهن، ونصيص القوم: عددهم، والنّصّة: العصفورة بالضم الخصلة من الشعر، أو الشعر الذي يقع على وجهها من مقدم رأسها، وحية نصناص أي كثيرة الحركة، ونصص غريمه، وناصه: استقصى عليه وناقشه، وانتصب انقبض، وانتصب ارتفع، ونصنصه: حركه وقلقله والبعير ثبّت ركبتيه في الأرض وتحرك للنهوض"[51].

ومن معنى الرفع الحسي يمكن أن نلاحظ بداية لمعان أخر كالتعيين والإظهار والتحديد، أما معنى (نصّ): أسند الحديث، فله صلة بالرفع والتعيين على نحو عام، ومهما يكن من أمر، فإن معنى الإسناد محدث، إذ توضح إبان نشأة العلوم الدينية، كما يرى أحمد محمد قدور[52]؛ ففي تاج العروس، جعلت دلالة نص القرآن والحديث، من الرفع والظهور أساساً ثم من التعيين على أمر محدد، ثم نجد لفظة الإسناد والتوقيف: وهذه من المعاني المتطورة؛ فإذا نظرنا في هذا التطور تبينا أن صفة الإسناد والتحديد اللتين أحاطتا بما هو منقول من الآثار الدينية الثابتة، والتي يقصد ناقلوها - أو هكذا يفترض فيهم - المحافظة عليها كما جاءت، ساقتا الدلالة إلى المعنى المولود، وإذا غدا النص دالاً على ما لا يحتمل تعدد الصور، أو النقل بالمعنى، بالآثار الدينية ولا سيما القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، أمكن تفسير تلك المقولة: "لا اجتهاد مع النص" بما عرف من شروط نقله الوثقى بالآثار الدينية الصحيحة [53].

ثم كان بعد هذا التطور والتخصيص، تعميم للدلالة الجديدة؛ إذ غدا النص يشير إلى صيغة الكلام الأصلية، التي وردت كما هي في مؤلفها ومنشئها[54]، وليس هناك من بعد ما يدل على تحديد هذه الصيغة الأصلية للكلام طولاً وقصراً.

وهناك في طرف آخر تطور دلالة (نص) في العربية الفصحى في العصر الحديث، إذ إضافة إلى دلالتها معنى مصطلح (Texte) الأجنبي، وهو بالفرنسية، (Texte)، وهو لفظ مأخوذ عن اليونانية، من اللفظ (Textus)، والتي تعني (Tissue)، أو (Style of literary work)، وترتبط بـ (Textile)، والتي ترتبط بآلات النسج وأدواته، وقد ورد في معنى لفظ (نص) (Text) ما ترجمته: "الجمل والكلمات نفسها المكتوبة (أو المطبوعة أو المنقوشة) أصلاً، الكتاب أو المخطوطة أو النسخة التي تضم هذا".

وهو يعني في أبسط أشكاله مجموعة من الكلمات، ضمن تصرف لغوي معروف، سواء أكانت مكتوبة أم ملفوظة [55]، كما يعني لدى بعض اللغويين الأجانب كل ما هو معين محدد، وإن كان كلمة واحدة، أو مجموعة من الكلمات، أو ما هو أوسع من ذلك بكثير، وعلى هذا - والمعنى هنا مرتبط بأجناس الكلام - يمكن أن بعد الكلام المعين والمقصود تحديده لغاية توثيقه أو درسه نصاً، طال هذا الكلام أو قصر[56]، لكن دلالة النص هذه، لم تبق محصورة في "النص الأدبي" بل غدت شاملة فنون التعبير الفني الأخرى، أياً كانت مقروءة أو مسموعة أو منظورة أو متذوقة بملكة الإدراك الثقافية، ومن هنا ظهر مصطلح "النص الفني" الذي يشمل كل الفنون بما فيها الأدب[57].

والنص عند سعيد علوش[58]، مصطلح يحل محل "العمل الأدبي"، وفي الوقت الذي نرفض فيه مفهوم "الإبداع الفردي"، أو "الدلالة"، أو "تمثيل الواقع " يصبح النص أثراً للكتابة.

وتعريف النص يستهدف إنكار مفهوم العمل المكتوب كحقيقة تعبيرية؛ ولذا رأينا "دريدا" يعرفه كرقم دون حقيقة، أو كنظام أرقام لا تهيمن على قيمة الحقيقة.

أما "كريستيفا" فاقترحت تعريف "ظاهرة النص" في تعارض مع "توليد النص" المطبوع دون إلمام بمكوناته الأساسية وهي: المقولات اللسانية، وطوبولوجية الفعل الدال، بحيث تصبح الدلالة هي هذا التوليد[59].

- التنصيص والتناص والنصية:

لم يقتصر تأثير المصطلح الأجنبي (Texte) على تطور دلالة "نصّ" المتداولة بيننا حديثاً، بل تجاوز هذا المدى، عن طريق اشتقاقاته التي دخلت العربية في الآونة الأخيرة، إلى تأثير اصطلاحي ظهر في اللغة والنقد[60]، من ذلك مصطلحات بدأت تتردد بين الدارسين، كالتناص (Intertexte) أو التناصي (Intertextuel)، والتناصية وتداخل النصوص الذي يشير إلى دلالة التناص نفسها[61].

ومن الجدير بالذكر أن ما تشير إليه هذه المصطلحات، جديد لدى مبتدعيه من النقاد والدارسين، وتكاد تجمع الآراء على ردّه إلى ثلاثة من النقاد والسيميائيين المشهورين، وهم: رونالد بارت (R. Barthes)، وميشيل ريفاتير (M. Riffaterre)، وجوليا كريستيفا (J. Gristiva).

إن الحديث في هذه الأمور يطول كثيراً إذا تتبعناه لدى أصحابه في مصادره الأصلية، وليس هذا مدار بحثنا، ويكفينا الإشارة التعريفية، ودخول هذه المفاهيم في تراثنا وتداولها بأقلام نقادنا، وإن اختلفت الصورة عندهم، عما هي عليه لدى النقاد الأجانب، فالتنصيص مثلاً عند سعيد علوش: هو طريقة تصبح بها الكتابة نصاً، والنصية: هي طرق تستحضر لتكوين نحو نصي، واستمرارية خطابية، وهي "النصية" تتخذ شكل تمثيلية سيميائية المخاطب، وتدل على توقف المسافة التوليدية، خلال لحظة من صيرورتها وانحرافها إلى الظهور، ولإعطاء تمثيلية لمستوى ما من مستويات المسافة التوليدية، فإن علينا أن نمر بالضرورة بالنصية[62].

أما التناص فهو عند جوليا كريستيفا: أحد مميزات النص الأساسية، والتي تحيل إلى نصوص أخرى سابقة عنها أو معاصرة لها، وكان ظهور التناص عندها، مع ظهور تحليلاتها التحويلية في النص الروائي[63].

ويرى سولير أن التناص يكون في كل نص يتموضع في ملتقى نصوص كثيرة، حيث يعد قراءة جديدة مشددة ومكثفة، ويكون على شكل طبقات جيولوجية كتابية، تتم عبر إعادة استيعاب

غير محدد لمواد النص، حيث تظهر مختلف مقاطع النص الأدبي في صورة تحويلات لمقاطع مأخوذة من خطابات أخرى، داخل مكون أيديولوجي شامل[64].

وننهي القول في هذا المصطلح، بأنه من المصطلحات المولدة وغير المألوفة، التي حفل بها النقد الجديد، والتي شرع باستعمالها بصورة منتظمة وجدية جماعة "Tel Quel" الأدبية النقدية، التي استثمرته استثماراً بعيداً عن نص الجنس الأدبي، وطرحته بصيغة النص المتعدد، الذي يتوالد – في الوقت نفسه - من نصوص عديدة سابقة عليه.

وإذا كانت جوليا كريستيفا، هي صاحبة التوضيح المنهجي الأول لمسألة التناص، فإنه في المرحلة التي ذكرنا، تحول إلى مدماك لا غنى عنه في حقل الخطاب الأدبي والنقدي وغيرها من الخطابات.

- الصورة والتصوير:

خضع تحديد الصورة والتصوير لاختلافات كثيرة ومتشعبة، في المدارس النقدية الأوروبية الحديثة، وعلى الرغم من الجهود الكبيرة التي بذلت في هذا الميدان، فإنّها لم تستطع أن توصلنا إلى مصطلح واضح ودقيق، ومن خلال بعض أقلامنا العربية، امتد تيار هذه الدراسات إلى نقدنا العربي الحديث، وهذا لا يعني أن تراثنا البلاغي والنقدي، يخلو من الإشارات أو الدلالات الخاصة بهذا الأمر، فهي موجودة فيه، ولكن بصياغات نقدية أخرى حديثة، عبر مسارات تطورات دلالية عربية، ومثل هذا الأمر يحتاج منا وقفة وعودة إلى التراث القديم؛ فالعودة إليه واجبة، والاستئناس بالحديث محمود.

إن الناقد الحديث - شاء أم أبى - لا بّد له من الرجوع إلى القديم؛ ليستمد منه وجوده ومقاومته، ولا يكتفي بالنظر إلى آراء بعض الغربيين، ومن تبعهم أو سار في ركبهم، أما مفهوم الصورة في القديم فقد كان قائماً على صلة التشابه بين الشعر والتصوير، وذلك بغية إعلاء شأن التعبير الوصفي الذي يتعامل مع موضوعاته كما الرسم، وذلك ما عبّر عنه هوراس بقوله: "الشعر مثل التصوير"، التي جاءت في قصيدته (الفن الشعري)، كانت أكثر التعابير النقدية حضوراً قبل مجيء (أزرا باوند) الذي يرى أن الصورة الشعرية هي: "تركيبة عقلية وعاطفية في لحظة من الزمن"[65].

إن عددًا ممن بحثوا في الصورة الشعرية، أو في الصورة الفنية، توقفوا عند قول الجاحظ: "والمعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي، والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع، وجودة السبك..."[66]، حيث يتمثل الجمال بالصورة الشعرية وباللفظ، وكأنه لا يوجد غير هذا النص

مقياساً.. إن في مؤلفات الجاحظ إشارات كثيرة لمرادفات كثيرة للتصوير.. فالجاحظ - في أحيان كثيرة - يستخدم الكلمة ليشير بها إلى الصياغة والتشكيل.. وهنا يصبح التصوير مرادفاً للصنع، ويصبح الفعل "صور" مرادفا للفعل "صنع"، وتصبح الصورة مرادفة "للشكل أو الهيئة أو الصفة"[67]، وأحياناً نجد عنده السبك مرادفا للصياغة، والنحت.. وهكذا.

إن مؤلفات الجاحظ - وحدها - تغني الباحث في هذا الموضوع وشبهه، وكذا الأمر لمؤلفَي عبد القاهر الجرجاني، وأقصد بهما: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وهذا الذي ذكرت للتمثيل وليس للحصر.

وما نجده في المعاجم العربية، لا يبعد كثيراً عما ذكرناه، فالصورة كما جاء تعريفها في القاموس المحيط هي: الشكل، وجمعها صور، وتستعمل بمعنى النوع والصفة[68]، وقد تطلق على ترتيب الأشكال، ووضع بعضها من بعض واختلاف تركيبها، وهذه هي "الصورة المخصوصة" وقد تطلق على تركيب المعاني، التي ليست محسوسة، فإن للمعاني ترتيباً أيضاً وتركيباً وتناسباً[69].

إن التصوير الشعري هو جزء من النمو الحسي، والصورة هي: "اسم يقع على جميع هيئات الشيء لا على بعضها، ويقع أيضا على ما ليس بهيئة"[70]، فهي إذن الشكل والهيئة، والحقيقة، والصفة.

ومن تعريفات الصورة عند المحدثين، أنها (تمثيل بصري لموضوع ما)[71]، وعند سعيد علوش وعند (باشلار) تعد المعارضة بين الصورة والمفهوم أساسية؛ لأنها تسمح بفهم تنظيم الانعكاس، عبر وجهين: فالصورة نتاج للخيال المحض، وهي بذلك تبدع اللغة وتعارض المجاز، الذي لا يخرج اللغة عن دورها الاستعمالي[72].

- الأسلوب والأسلوبية:

يجدر بنا في هذا البحث، أن نوضح للقارئ مفهوم الأسلوبية، من خلال توضيح مفهوم الأسلوب لغة واصطلاحاً.

والأسلوب - كما نفهم اليوم - هو طريقة التعبير التي يختارها الأديب أو المنشئ، بما يتناسب مع عواطفه وأحاسيسه، والتي ينتظم فيها الكلام انتظاماً خاصاً؛ كي تؤدي وظيفتها من الإثارة، والإفهام، والتميز والتفرد، وقد عرف عبد القاهر الجرجاني الأسلوب بأنه الضرب من النظم والطريقة فيه[73]، فالأسلوب إذن أو طريقة التعبير: هو الوسيلة التي تؤدّى بها المعاني، والتي قد ترقى بالمعاني المعتادة، فتبرزها في شكل يدعو إلى الإثارة والإعجاب.

وهذا ما اصطلح عليه الكثير من النقاد المحدثين، فحدّه عند أحمد الشايب: فن من القول، أو وجه أو مذهب في بعض الأحيان[74]، وهو: حرية تكسب ضد القيود الاجتماعية والفنية

والبلاغية، وهو قوام الكشف لنمط التفكير عند صاحبه؛ لأنه ذات صاحبه، وهو النماذج والتطابق؛ فهو وحدة طريقة مطلقة في تقدير الأشياء على ما يرى المسدي[75].

وهناك من يرى أن المعاني وحدها، هي المجسمة لجوهر الأسلوب، وعلى هذا فما الأسلوب بحسب رأي (بوفون) "سوى ما نضفي على أفكارنا من نسق وحركة"[76].

الأسلوب، ويقال للسطر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب، قال: والأسلوب الطريق، والوجه، والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه، والأسلوب: بالضم، والفتح، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول أي في أفانين منه، وإن أنفه لفي أسلوب إذا كان متكبراً[77].

وبعد فمن حقنا أن نقول إن مفهوم الأسلوب مفهوم قديم، أقدم مما يرى كراهم هاف (Graham Hough)، الذي يرجعه إلى بدايات التفكير الأدبي في أوروبا[78]، والحقيقة أن ارتباط الأسلوب بالبلاغة، أكثر منه بفن الشعر، وليس من سبب خاص بذلك – كما يتراءى لنا - ما عدا أن نعدّ الأسلوب من صفة الإقناع؛ وبذلك فإن نقاشه يجري تحت موضوع الخطابة، والأمر الذي لا يختلف فيه اثنان، أن البلاغيين القدماء، كانوا يميزون بين ضروب الخطابة، فتلك سياسة، وأخرى قضائية واحتفالية.. إلى غير ذلك، ولكل منها مناسبته الخاصة ومبتكراته الملائمة: كما أن لها وسائلها الخاصة التي تحدث التأثير في نفوس السامعين؛ حيث يمكن تعيين اللفظة المناسبة، وصياغة الجملة، والصور البلاغية للغرض المطلوب، وهذا أمر معروف منذ أقدم ملحوظات أرسطو في البلاغة، وتأليفه في الخطابة.

وأما مفكرو العرب، فإن مسايرة زمنية استقرائية لتراثنا النقدي والأدبي، تطلعنا على آراء كثيرة ومفيدة، لأدبائنا ونقادنا وبلاغيينا الأقدمين حيث وقفوا مع الأسلوب، وتحدثوا في متعلقاته، وكان على رأس المتكلمين: بشر بن المعتمر، وابن سلاّم، والجاحظ، وابن قتيبة، وقدامة بن جعفر، والآمدي، والقاضي الجرجاني، وابن رشيق القيرواني، وعبد القاهر الجرجاني، وحازم القرطاجني وغيرهم، وقد تعرض أحمد مطلوب إلى الأساليب وطرق التعبير وتعددها، عند جملة من الأدباء والناقدين القدامى[79].

وبعد هذا الحديث المبتسر عن الأسلوب، أصبح من اليسير أن نجيب عن تساؤل ملح مضمونه: ما حدّ الأسلوبية إذن؟ وماذا نعني بها؟ وبتعريف موجز مفيد نقول: إن الأسلوبية هي الخواص العامة للفن والمنشئ أو الأديب، فالشعر مثلا ذو أسلوب مميز بالوزن والقافية، والموسيقى وغيرها، ولكن للمتنبي مثلا في أسلوبه زيادة على هذا خواص في التفكير والتعبير والسلوك، تفرقه عن أبي تمام والبحتري والمعري.

والكتابة – كما نعلم - أسلوب خال من قيود الشعر، وتقاليد الخطابة، وهذا لا يعني سهولة طرقها، فهي تنفرد من بين فروع الأدب بأنها وليدة العقل الناضج، والأفق الواسع؛ ولذا قيل: كل صناعة تحتاج إلى ذكاء، إلا الكتابة، فإنها تحتاج إلى ذكاءين: جمع المعاني بالقلب، والحروف بالقلم[80]، ومن هنا جاء اختلاف أساليب الكُتّاب في كتاباتهم الفنية، التي هي جزء من الكتابة الأدبية، وهي اللون من التعبير الذي يفتتن به الكتاب، ولذا نرى الجاحظ، مثلا، ينماز بلوازم في تعبيره وتصويره وأسبابه، لا نراها عند بديع الزمان ولا عند ابن العميد، أو ابن خلدون وغيرهم.. وهذه اللوازم في التعبير والتصوير والأسباب، هي الخواص العامة للجاحظ وفنه، وهي أسلوبيته التي تميزه عن غيره[81].

والأسلوبية عند المسدي، علم يُعنى بدراسة الخصائص اللغوية، التي تنتقل بالكلام من مجرد وسيلة إبلاغ عادي، إلى أداء تأثير فني، وعلى هذا كان النحو سابقا – في الزمن – الأسلوبية؛ إذ هو شرط واجب لها، فكل أسلوبية هي رهينة القواعد النحوية الخاصة باللغة المقصودة، ولكنها مراهنة ذات اتجاه واحد؛ لأننا إذا سلمنا بأن لا أسلوب دون نحو، لا نستطيع إثبات العكس فنقول: لا نحو دون أسلوب[82].

وفي موضع آخر نرى الأسلوبية عند المسدي، هي البحث عن الأسس الموضوعية، لإرساء علم الأسلوب، وهي البعد اللساني لظاهرة الأسلوب؛ طالما أن الأثر الأدبي، لا يمكن النفاذ إليه إلا عبر صياغاته البلاغية[83].

وهي عند الباحث توفيق الزيدي، تعامل اللسانيات مع النقد[84]، وليس هذا ببعيد عن قول أستاذه المسدي، بأنها علم يعنى بدراسة الخصائص اللغوية، التي تنتقل بالكلام من مجرد وسيلة إبلاغ عادي، إلى أداء تأثير فني.

أما جاكوبسن (Roman Jakobon)، فهو يبلور هذا المنحى في مقارنة شمولية؛ فيعرف الأسلوبية بأنها بحث عما يتميز به الكلام الفني، عن بقية مستويات الخطاب أولا، وعن سائر أصناف الفنون الإنسانية ثانيا[85].

وأما آريفاي (Dr. Michel Arrive) فيرى الأسلوبية وصفا للنص الأدبي، حسب طرائق مستقاة من اللسانيات.

والحقيقة أن الأسلوبية، ليست مقصورة على الأديب دون العالم؛ لأنها طريقة التعبير، التي يختارها الأديب ويختارها العالم، بما يتناسب مع عواطفه وأحاسيسه، أو مع نهجه وطريقته، التي ينتظم فيها انتظاما خاصا؛ كي تؤدي وظيفتها من الإثارة والإفهام، والتميز والتفرد، كما يرى عبد القاهر الجرجاني؛ وبهذا فإن المناهج الموضوعية، تشتمل على الأسلوبية الأدبية، والأسلوبية العلمية، واختلافها ظاهر لا جدال فيه.

- النقد والمقاييس النقدية:

كثر القول في مصطلح النقد، وتعرض له أكثر الباحثين في النقد قديمًا وحديثًا؛ ولذا علينا أن نوجز القول فيه، حتى لا نكرر ما قاله فيه الباحثون، فقد أجمعت المعاجم العربية على أن النقد والتنقاد هو: تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها، وقد استعمل هذا اللفظ قديماً، ليدل على هذا المعنى، نرى هذا في بيت الشعر الذي أنشده سيبويه:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصَّياريف

وعن الليث: نقدت الدراهم وانتقدتها، إذا أخرجت منها الزَّيْف، وفي معجم متن اللغة العربية: نقدَ الشعر والكلام: نظر فيه وميز الجيد من الرديء، فهو ناقد وجمعه نقّاد ونقده.

والنقد اصطلاحاً على وجه الإجمال، كما عرفه الكثيرون من النقاد المحدثين: هو فلسفة الأدب؛ لأنه يجلو جوهره، ويفسر الحقائق التي ينطوي عليها[86].

وعرفه آخرون بقولهم: النقد هو فن دراسة الآثار وإظهار قيمتها، والتمييز بين الأساليب المختلفة[87]، وهناك تعريفات كثيرة تختلف في صيغتها، ولكنها مأخوذة من نقدت الدراهم وانتقدتها، أي أخرجت منها الزيف، حيث يعتمد ذلك على الفحص والموازنة والتمييز والحكم؛ وبهذا يكون النقد الأدبي في المصطلح الخاص تقديراً صحياً، وبيان قيمته في ذاته، ودرجته الأدبية، بالنسبة إلى غيره من النصوص، على أن يكون ذلك مستنداً إلى الفحص الدقيق والموازنة العادلة، والتمييز المعتمد على المعرفة الصادقة؛ ليكون الحكم آنذاك قريباً إلى الصحة إلى حدّ ما[88].

وفي الحقيقة لم نقف على تصور القدماء للنقد كعلم منفصل، بل إن المفاهيم في أذهانهم كانت متداخلة.

ونكتفي بهذا التعريف لكثرة ما قيل في مفهوم لفظة النقد لغة واصطلاحاً، لنقف مع لفظة "مقياس" وقفة موجزة أيضاً؛ التزاماً منا بمبدأ غايته معرفة الحد، وليس غايته الشرح والتطويل، ففي مختار الصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس، والبحر المحيط، ومعجم متن اللغة العربية، وغيرها من معاجم اللغة نجد: قاس الشيء، وقاسه عليه قَوْساً وقَيْساً وقياساً: قدّره على مثاله، ويقال: بينهما "قِيَسُ" رمح، و"قاسُ" رمح: أي قَدْرُ رمح.

وقاس الشيء بغيره وعلى غيره فانقاس، أي قدّره على مثاله، ولا يقال أقاسه، والمقدار "مقياس"، وقايس بين الشيئين أو الأمرين مقايسة و "قياساً" أي قدّر، واقتاس الشيء بغيره: قاسه به، وقايسهم: جاراهم في القياس، وجاء في هذا قول أحدهم[89]:

فهنّ بالأيْدي مُقَيّساته مُقَدّرات ومُخيَطاته

وعن الليث: المقايسة مفاعلة من المقياس، وجاء في التهذيب، أن المقايسة تجري مجرى المقاساة، التي هي معالجة الأمر الشديد ومكابدته، وهو مقلوب حينئذ، ويقال: هو يخطو قيساً: أي يجعل هذه الخطوة بميزان هذه.

فالمقياس إذن وعلى وجه الإجمال، كما عرفه كثير من النقاد المحدثين: هو النظرة الموضوعية، التي ينتج عنها تقرير مبدأ أدبي أو حكم نقدي، أو منهج علمي أو أدبي، يصلح أن يسلك ويُنتهج.

ويعني المقياس عند (بريس)[90] علامة تشير إلى موضوع تسجله، وهو وحدة سردية مزدوجة، تعارض الوظيفة، وتسمح بالعبور إلى المستوى السيكولوجي، والأيدولوجي، ويحيل على الكود[91] السيميولوجي المدمج في السيميائيات السردية، وهو يعني في السيميولوجيا: نمط العلاقة التي تكون فيها العلاقة طبيعية وليست عرفية، بين الدال والمدلول، ثم أن المقياس عبارة عن حدث، يدرك مباشرة، ويعرفنا على شيء آخر غير ما هو.

- النقد الجديد:

نزعة ظهرت في أمريكا، مع الناقد (ج. ك. اتسوم)، وتقوم هذه النزعة على مبدأ: الناقد المختص بالنقد الأنطولوجي: أي الاهتمام بموضوع النقد، بغض النظر عن الموروث، ويعدّ النقد الجديد العمل الأدبي كائناً عضوياً مستقلاً[92].

ويرى مؤلفو كتاب: "في أصول الخطاب النقدي الجديد" أن النقد الأدبي الجديد، يعني الاختصاص بالأدب والمكونات الأصلية، في اللغة والكلام والعلامة، أو العلائق التي تنتج من كل مكون على حدة، وبين الأطراف المختلفة التي تنتج النص، ثم النص داخل النص[93]، وهو أيضاً توقف عند الدوال الشكلية الأساس، التي تلعب دور المنتج للنص بين الاختبارات اللسانية، والمحددات السيميائية، بل يؤدي إلى وضع الكتابة في إطار الأدبية، ويساعد على استخلاص هذه القيمة بالدرجة الأولى[94]؛ فهو إذن "نظرة" إلى النص الأدبي، لا كمرجع انعكاسي لأدبية خارجية، وإنما كمجال يمتلك دواله القادرة على ربط العلاقة مع المدلولات، ثم بقدرة هذه المدلولات انطلاقاً من أسس لسانية باتت معروفة، على توظيف الدوال وصياغتها[95].

وفي ظل هذه النظرة الجديدة للنقد، يتراجع الدرس النقدي الكلاسيكي، الذي ينظر إلى خصائص الكلام كحلية، أو أن هذه النظرة لا تتوصل إلى إعادة بناء النص، وتحديد مكوناته عبر تفكيكه ومعلمة نظامه، كما تتراجع النزعة التفسيرية الأولى، حين لا تحاول الكتابة إلا في أفق

تدرجها عبر السلالم والمحاور الموضوعاتية أو "التيمية"، على حدّ تعبير النقاد الأسلوبيين المعاصرين[96].

إن النقد الجديد عند رولان بارت وآخرين، هو القراءة المجترفة "الهرمونيكا" أي القراءة التي تدخل غمار التأويل؛ لتقتحم غمار نص بلا حدود، وهذا هو "التناص" أو الكتابة المضاعفة، أو – كما يسميه بارت - جولوجيا كتابات[97]، وهو من المصطلحات التي حظيت بعناية النقد الجديد ونالت اهتمامه.

وفي ظل هذا المنظور، يتوارى النقد الأدبي كدرس ذي طبيعة تلقينية في الأدب، يعتمد الأحكام القيمية؛ لأنه لا مجال هنا للتشريع الذي يقدر به النص وحده بما يمتلك بوصفه صناعة، وإنما بوصفه أيضاً نتاجاً لخطاب هو خطابه، فالخطاب النقدي في هذه – على ما يرى رولان بارت ومؤيدوه - يشترط بنظام المعرفة، ويصبح أكثر لياقة بالنقد الأدبي[98].

- الاتجاه والمنهج:

الاتجاه لغة يعني الوجهة والقصد، يقال: اتّجه يتجه اتجاهاً نحو كذا: أي اتخذه وجهته وقصده، واتجه له رأي: أي سنح.

وأما الاتجاه مصطلحاً، فهو المذهب في التعبير، وعلى هذا فإن الاتجاهات هي المذاهب في التعبير، وهي تتميز بصفات خاصة، ويتجلى فيها مظهر التطور الفكري، وتكون عادة وليدة ما يضطرب في عصر ما، وهي ثمرة لظروف ومقتضيات خاصة، والأدب العربي لا يخلو من النزعات والاتجاهات، التي نستطيع أن نضعها في المذاهب أو "الاتجاهات الأدبية"، كما فعلنا في آراء النقاد والأدباء، وأحكامهم النقدية – في دراساتنا النقدية - حيث أخضعناها وأدخلناها في أطر مناهج معروفة[99]، اصطلح على تسمياتها حديثاً، وهي ليست بعيدة عن المذاهب التي نعرفها الآن.

والمذاهب والاتجاهات لها جذور قديمة في أدبنا العربي، خضعت - كما خضعت غيرها من الأشياء - إلى حركة التطور الأدبي، حيث أصبحت مذاهب متكاملة، لها أسسها النظرية، ومحاولاتها التطبيقية؛ بما أثارته من معارك نقدية حتى استقرت وفرضت نفسها، وأقرّ لها بالثبات.

أما "المنهج" فلعل هذه الكلمة، من الكلمات الكثيرة الدوران على الألسنة؛ لشد اتصالها بما يصدر من نتائج وأحكام، لها في حياة الفنون الأدبية والنقدية أوفى نصيب.

جاء في مختار الصحاح، ولسان العرب، وتاج العروس، ومعجم متن اللغة العربية أن النهج والمنهج والمنهاج: الطريق الواضح، ونهج الطريق نهجاً ونهوجاً: أبانه وأوضحه وسلكه أيضاً، وفي التنزيل العزيز جاء قوله عز وجل: "لكلّ جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً"[100].

وفي الشعر جاء قول الشاعر، يزيد بن الحذّاف العبدي[101]:

ولقد أضاء لك الطريق، وأنْهجتْ سُبُلُ المكارم، والهُدى تُعْدي[102]

وفي مفهومنا الحديث أن المنهج، يعني طريقة الأديب أو المنشئ أو الناقد في مؤلفه؛ فنهج الناقد هو آراؤه وأحكامه النقدية القائمة على مسلك معين، تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة، أو تلك الأحكام القائمة على الموضوعية البعيدة كل البعد عن التأثرية المطلقة، ومن هنا نستطيع القول بأن مرمى الأسلوبيين – عامة - تنزيل عملهم منزلة المنهج، الذي يمكن القارئ من إدراك انتظام خصائص الأسلوب الفني إدراكاً نقدياً، مع الوعي بما تحققه تلك الخصائص من غايات وظيفية.

وللمحدثين تعريفات كثيرة للمنهج، متعددة الأسلوب، متساوية الدلالة، فالمقصود به - كما يرى سعيد علوش - سلسلة من العمليات المبرمجة، التي تهدف إلى الحصول على نتيجة مطابقة لمقتضيات النظرية[103].

وبهذا المنظور فإن المنهج لا يخرج عن مفهوم الطريقة؛ بل يطابقها تماماً، والمؤلف المنهجي – كما نرى - هو الذي يجري في تأليفه على خطة مرسومة ملتزمة، وهو الذي يخضع المظاهر الأدبية لمقاييس موضوعية علمية[104]، وفي النهاية فإن المنهج في أبسط تعريفاته وأشملها هو: طريقة يصل بها الباحث إلى حقيقة ما.

- النظرية الأدبية النقدية:

النظر في المعاجم العربية: تأمل الشيء بالعين، والنظر أيضاً بمعنى: الانتظار، والنظر: الفكر في الشيء نقدره ونقيسه[105]، ومنذ عصر مبكر استخدم النحاة لفظ " القياس" أو النظر، ومنذ القدم أيضاً وعند الإغريق على وجه التحديد، طالعنا أفلاطون بنظرية المحاكاة، وطالعنا أرسطو بشرح هذه النظرية في كتابه فن الشعر[106].

وبعد أن تداولت أقلام القراء والنقاد لفظة نظرية، لم تعد هذه اللفظة غريبة على الأذهان؛ بيد أن هذا المفهوم بقي يحيطه بعض الغموض؛ نتيجة الاجتهادات الكثيرة التي تناولت الفروق بين التنظير والنقد والتاريخ، والترابط والتداخل بين هذه الأمور.

ومصطلح النظرية – كما نفهمه - مجموعة العناصر الأساسية في النص الأدبي، أو هو – بالنسبة للنظرية الأدبية - النتاج الأدبي بكل أبعاده. ومن هنا فالنظرية النقدية إذن، هي مجموعة نظرات العرب في النتاج الأدبي، ونظرات العرب تمثل لنا مبلغ فطنة العرب إلى تعليل المسائل الأدبية، وقدرتهم على تفسيرها، ومن هنا نستطيع أن نقول إن النظرية النقدية هي عملية كشف

الأسس الفلسفية للأدب، سواء كان ذلك بطريقة الوصف الذي ينطوي تحت علم النقد، أو بطريقة الكشف الإبداعي في النظم والنثر.

إن الروابط قوية بين النقد المنهجي، وبين النظرية النقدية؛ لأنّ النقد المنهجي، هو النقد المؤسس على نظرية نقدية، تعتمد أصولاً معينة في فهم الأدب، وفي اكتشاف قيم جمالية ونفسية وفكرية واجتماعية في العمل الأدبي.

إن النظرية النقدية تقوم على بيان قيمة النص الأدبي، ثم توصيل هذا إلى الآخرين، فهي أساساً تقوم على عمودين أساسيين هما: تفسير القيمة، وتفسير عملية التوصيل[107]، والنظرية النقدية العربية تراث أصيل؛ استمدت أصالتها من أصالة أصولها ومكوناتها.

الخاتمة

يخلص الباحث إلى أن معظم المصطلحات النقدية المعاصرة الأكثر دوراناً في الحقول النقدية والأدبية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمعاني المعجمية الأولى لها في التأليف المعجمي القديم، فهناك وشائج وروابط وثيقة تربط بين الدلالة المعجمية الأولى للمصطلح ودلالته الحديثة في الدراسات النقدية، وهذا يعني الإقرار بفكرة النظرية النقدية القديمة ذات الأصول العائدة إلى جذور الدراسات النقدية العربية القديمة، وهذا يقود إلى الاعتراف بجهد النقاد القدماء وأصحاب المعجمات الذين حفظوا لنا كثيراً من أصول هذه المصطلحات التي تدور اليوم في الحقول الأدبية والنقدية.

ويلحظ المتلقي هذه الروابط بين المفهوم المعجمي والدلالة المعاصرة للمصطلح النقدي الحديث للوهلة الأولى، وهذا دليل على وعي وقصدية العلماء القدماء في استخدام في تلك الحقول، وكان اختيار هذا العدد من المصطلحات دون غيرها لكثرة دورانها في الحقول الأدبية وكذلك يمكن تلمسها بسهولة في الحقول النقدية القديمة.

The Arabic Critical Term between Lexical Meaning and Modern Concept

Ra'ed W. Jaradat, *Arabic Department, Technical University of Tafīla, Tafīla, Jordan.*

Abstract

The study aims at examining some modern literary and critical concepts most frequently used in ancient as well as modern literary and critical domains, trying to connect their old denotation with that of the contemporary. Moreover, the study traces these concepts' semantic development and the extent to which their connotations in old as well as new critical studies are related and overlapped. Finally, the study attempts to associate these concepts prevalent in heritage sources with Western critical concepts.

الهوامش

1 - هناك عدّة مصادر في موضوع المصطلح النقدي يمكن الرجوع إليها مثل:

أ- ويليك، رينيه: مفاهيم نقدية، ترجمة: محمد عصفور،سلسة عالم المعرفة، العدد 110،المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب،الكويت، 1987م.

ب- النوي، مليكة: المصطلح النقدي في العصر الحديث، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2011م.

ج- فتحي، إبراهيم: معجم المصطلحات الأدبية،المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطبع والنشر،صفاقس، الجمهورية التونسية، 1986.

2 - عبادة، محمد إبراهيم: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآدب، ط3، القاهرة، 2005م. ص 11.

3 - حجازي، محمود فهمي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة، القاهرة ص 11.

4 - هليل، محمد حلمي: أسس المصطلحية،، مقال ضمن إشكالية المصطلح، إشراف: يوسف زيدان وآخرون، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الفلسفة والعلم، 1996م، ع 3، ص15.

5 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984م. ص117- 118.

6 - الزبيدي: تاج العروس (ق1205هـ)، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ. (مادة صلح).

7 - القاسمي، علي:مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1988م. ص68.

8 - المرجع السابق، ص68.

(*) تكررت لفظة ((ورث)) ومشتقاتها في القرآن الكريم ((35)) خمساً وثلاثين مرة.

9 - ابن منظور، جمال الدين محمد: لسان العرب، دار الفكر، بيروت، 1954- 1955م. مادة (ورث).

10 - الرازي: مختار الصحاح، المكتبة الأموية، بيروت، مطبعة حديثة، 1971، ص13(مادة ارث).

11 - هداره، محمد مصطفى: ندوة العدد موقفنا من التراث، مجلة فصول، المجلد الأول، ع 1، 1980. ص45.

12 - محفوظ، حسين: مقال ((تقييم التراث باعتباره أساساً ووسيلة))، مجلة المورد، ع 2، 1978، ص 123.

13 - الرازي: مختار الصحاح، ص13. (مادة أرخ).

14 - عبود، مارون: أدب العرب، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، م1، ص446.

15 - ابن منظور، جمال الدين محمد: لسان العرب، مادة (أصل).

16 - ابن قتيبة: الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر 1386هـ/1966م. 60/1.

17 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص55.

18 - ابن منظور، جمال الدين محمد: لسان العرب، دار صادر، ط 10، بيروت، 2005م،ج1، ص 182،183 (مادة قلد).

19 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، 2007م، 336.

20 - الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1982م، ص 678-679.

21 - مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1960م، ص 782.

22 - القلقشندي: صبح الأعشى، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1383هـ، 1963م، م 11، ص 101.

23 - مطلوب، أحمد: معجم النقد العربي القديم، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ج1، ص9.

24 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص104.

25 - المرجع السابق، ص 104.

26 - أ- القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، (ت 392هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي. البابي الحلبي، ط2، 1370هـ /1952م. ص32.

ب - الشايب، أحمد: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ط2،القاهرة، 1374هـ- 1955م. ص345.

27- علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص82

28 - المرجع السابق، ص 92.

29 - المرجع السابق، ص 92.

30 - لسان العرب مادة (الشعر)

31 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، م59/2، (باب الراء/ فصل الشين).

32 - الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، كتاب القيان ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص160.

33 - الأندلسي، ابن عبد ربه: العقد الفريد، (ت 328هـ)، شرحه وطبعه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1385هـ،1965م، ج 5، ص 278.

34 - الدماميني: العيون الغامزة على خبايا الرامزة، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، القاهرة، مصر 1973م، ص 68/2.

35 - بن جعفر، قدامة: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، ط1، 1367هـ/1948م، ص15.

36 - شاكر، محمود محمد: قضية الشعر الجاهلي في كتاب ابن سلام، مطبعة المدني، مصر، 1997م، ص81.

37 - الخفاجي، ابن سنان: سر الفصاحة، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، 1372هـ، 1953م.

38 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 73-74.

39 - المرجع السابق، ص 73-74.

40 - المرجع السابق، ص 73-74.

41 - المرجع السابق، ص 73-74.

42 - القيروان، ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت/ لبنان، الجزء الأول، ص128.

43 - تودوروف، تزفيثان: نقد النقد، ترجمة: سامي سويدان، مراجعة: ليليان سويدان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد. ص24.

44 - القرطاجني، أبو الحسن حازم: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية 1966. ص346.

45 - الربيعي، محمود: لغة الشعر المعاصر، (بحث) في مجلة (فصول) م1، ع4، مصر 1981.

46 - الزهراني، معجب: النقد الجمالي في النقد الألسني، (بحث) في جملة (فصول) م5، ع4، مصر، 1997. ص200.

47 - موكاروفسكي: اللغة المعيارية واللغة الشعرية، ترجمة: ألفت كمال الروبي (بحث) في مجلة (فصول) م5، ع1، 1984، مصر. ص41..

48- ابن منظور، لسان العرب، مكتبة دار المعارف، بالقاهرة، 1979، ج13، مادة (نص)، ص 97-98.

49 - المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، ط2 1982م. ص93.

50 - الزمخشري: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1982م (مادة نص)، ص459.

51 - الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1997م، ج 1، ص 858 مادة (نص).

52 - التناص الظاهرة وإشكالية المنهج "قراءة في بعض الممارسات النقدية"، من بحوث مؤتمر النقد الثالث، جامعة اليرموك، 1989م ص 5.

53 - التناص الظاهرة وإشكالية المنهج "قراءة في بعض الممارسات النقدية"، من بحوث مؤتمر النقد الثالث، جامعة اليرموك، 1989م ص 5.

54- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، القاهرة، دار الفكر، ط 20.

55 - وهبة، مجدي والمهندس، كامل: معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب، مكتبة لبنان، بيروت، 1979م، ص 226..

56- Dictionaire de Ingutstique, P.486

57 - مرتاض، عبد الملك: في نظرية النص الأدبي، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، ع 201، كانون ثاني، 1986، ص47-50.

58 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 122.

59 - المرجع السابق، ص 122.

60 - المدني، عبد السلام: قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص 162.

61 - الغذامي، عبد الله محمد: الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي، جدة، ط1، 1985م، ص 32.

62 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 123.

63 - المرجع السابق، ص 123.

64 - المرجع السابق، ص 123.

65- اسماعيل، عز الدين، التفسير النفسي للأدب، بيروت، ط4، 1981م، ص71.

66 - الجاحظ: الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، البابي الحلبي، ط2، 1357هـ، 131/3.

67- عاصي، ميشال: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ،، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1974م، ص 113، 128، 139.

68- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، 73/2، باب (الراء) فصل (الصاد).

69- الكفوي، أبو البقاء: الكليات، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط2، دمشق، 1981م، ص 114-115.

70- العسكري: الفروق في اللغة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1979، ص154.

71 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 78.

72 - المرجع السابق، ص 78.

73 - الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الاعجاز، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط1، 1969م، ص 44.

74 - المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 64، 66.

75 - المرجع السابق، ص 64، 66.

76 - Guiraud. P,Lastylistique, Paris, P. U. F. 7.edit. 1977. P27

77 - ابن منظور: لسان العرب، دار جاد للطباعة والنشر، لبنان، ط1، 1992م، ج7، ص 255.

78 - نقلاً عن المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 19.

79 - انظر ما جاء عن الأسلوب في كتابه: مطلوب، أحمد: معجم النقد العربي القديم، 167/1- 174.

80 - الأصفهاني، الراغب: محاضرات الأدباء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م، ص 97/1.

81 - الشايب، أحمد: الأسلوب، ص، 123.

82 - المسدي، عبد السلام: المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي (من خلال البيان والتبيين) الحوليات، عدد (13)، 1976م، ص 155-156.

83 - المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 34-35.

84 - الزيدي، توفيق بكار: أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال نماذجه، الدار العربية للكتاب، 1984، ص 96.

85 - المسدي، عبد السلام: الأسلوبية والأسلوب، ص 37، والمقصود بالمنحى مبدأ ضبط حدود الأسلوبية، وعدم الفصل بين لغة الأثر الأدبي ومضمونه.

86 - مندور، محمد: الأدب وفنونه، دار النهضة مصر، ط2، القاهرة، 1974م، ص148..

87 - الفاخوري، حنا: تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، بيروت - لبنان، 1960م، ط3، ص 748.

88 - بن عباد، الصاحب: مقدمة كتاب الكشف عن مساوئ شعر المتنبي، مكتبة النهضة، بغداد، ط1، 1385هـ.

89 - الرازي: مختار الصحاح، ص 18.

90 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 105.

91 - الكود: هو نظام رمزي يستهدف في العرف تمثيل ونقل الخبر، من المصدر إلى المقصد في تعارض مع الخبر (المرجع السابق).

92 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 126.

93 - بارت، رولان وآخرون: في أصول الخطاب النقدي الجديد، ترجمة وتقديم أحمد المديني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1987م، ص 6.

94 - بارت، رولان وآخرون: في أصول الخطاب النقدي الجديد، ص5 من مقدمة المترجم.

95 - المرجع السابق، المقدمة.

96 - المرجع السابق، المقدمة.

97 - المرجع السابق، ص 6.

98 - المرجع السابق، ص 6.

99 - طه، هند حسين: النظرية النقدية عند العرب، دار الرشيد للنشر، 1981، عمان – الأردن. ص 269 وما بعدها.

100 - سورة المائدة آية (5).

101 - لسان العرب مادة (نهج).

102 - أي تعين وتقوّي.

103 - علوش، سعيد: المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 129.

104 - طه، هند حسين: النظرية النقدية عند العرب، ص269.

105 - الرازي: مختار الصحاح، ص 166.

106 - طه، هند حسين: النظرية النقدية عند العرب، ص 13- 16.

107 - أ- رتشاردز، أيفور أرمسترونغ: مبادئ النقد الأدبي. ترجمة وتقديم: مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، 1961م، ص 64-73.

ب- حجازي، محمود فهمي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة، القاهرة، ص 11.

المصادر والمراجع

القران الكريم

الأصفهاني، الراغب: **محاضرات الأدباء**، م1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.

الأندلسي، ابن عبد ربه: **العقد الفريد**، (ت 328هـ)، شرحه وطبعه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وآخرون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 1385هـ، 1965م، ج 5.

الجاحظ: **الحيوان**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، البابي الحلبي، ط2، 1357هـ..

الجاحظ: **رسائل الجاحظ**، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، كتاب القيان، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الجرجاني، القاضي: **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، (ت 392هـ)، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي. البابي الحلبي ط2، 1370هـ / 1952م.

الجرجاني، عبد القاهر: **دلائل الاعجاز**، تعليق وشرح: محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة القاهرة، القاهرة، ط1، 1969م.

بن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**، تحقيق: كمال مصطفى، ط1، 1367هـ / 1948م.

الخفاجي، ابن سنان: **سر الفصاحة**، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، القاهرة، 1372هـ، 1953م.

الرازي: **مختار الصحاح**، المكتبة الأموية، بيروت، مطبعة حديثة، 1971.

رتشاردز، أيفور أرمسترونغ: **مبادئ النقد الأدبي**. ترجمة وتقديم: مصطفى بدوي، مراجعة: لويس عوض، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر 1961م.

الزبيدي: **تاج العروس (ق1205هـ)**، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ.

الزمخشري: **أساس البلاغة**، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، 1982م.

الزيدي، توفيق بكار: **أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث من خلال نماذجه**، الدار العربية للكتاب.

الشايب، أحمد: **أصول النقد الأدبي**، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، 1374هـ- 1955م.

طه، هند حسين: **النظرية النقدية عند العرب**، دار الرشيد للنشر، 1981، عمان – الأردن.

عاصي، ميشال: **مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1974م.

بن عباد، الصاحب: **مقدمة كتاب الكشف عن مساوئ شعر المتنبي**، مكتبة النهضة، بغداد، ط 1، 1385هـ.

عبادة، محمد إبراهيم: **معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية**، مكتبة الآدب، ط3، القاهرة، 2005م.

عبود، مارون: **أدب العرب**، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، م1.

العزباوي، عبد الكريم: **التناص الظاهرة وإشكالية المنهج "قراءة في بعض الممارسات النقدية"**، من بحوث مؤتمر النقد الثالث، جامعة اليرموك، 1989م.

العسكري: **الفروق في اللغة**، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط3، 1979م.

علوش، سعيد: **المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)**، منشورات المكتبة الجامعية، الدار البيضاء، 1984م

الغذامي، عبد الله محمد: **الخطيئة والتكفير**، من البنيوية إلى التشريحية، النادي الأدبي، جدة، ط1، 1985م

الفاخوري، حنا: **تاريخ الأدب العربي**، المكتبة البوليسية، بيروت- لبنان، 1960م، ط3.

فتحي، إبراهيم: **معجم المصطلحات الأدبية**، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، التعاضدية العمالية للطبع والنشر، صفاقس، الجمهورية التونسية، 1986م.

الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1، 2007م.

القاسمي، علي: **مقدمة في علم المصطلح**، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1988م.

ابن قتيبة: **الشعر والشعراء**، تحقيق: أحمد محمد شاكر. دار المعارف بمصر 1386هـ/1966م.

القلقشندي: **صبح الأعشى**، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، 1383هـ، 1963م.

القيروان، ابن رشيق: **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، حققه وعلق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت/ لبنان، الجزء الأول.

الكفوي، أبو البقاء: **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، ط2، دمشق، 1981م.

مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 1960م.

مرتاض، عبد الملك: في نظرية النص الأدبي، **مجلة الموقف الأدبي**، دمشق، ع 201، كانون ثاني، 1986 م.

المسدي، عبد السلام: **الأسلوبية والأسلوب**، الدار العربية للكتاب، طرابلس، تونس، ط2 1982م.

المسدي، عبد السلام: المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي (من خلال البيان والتبيين)، **الحوليات**، عدد (13)، 1976م.

مطلوب، أحمد: **معجم النقد العربي القديم**، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ج1

مندور، محمد: **الأدب وفنونه**، دار النهضة، مصر، ط2، القاهرة، 1974م.

ابن منظور، جمال الدين محمد: **لسان العرب**، دار الفكر، بيروت، 1954- 1955م.

ابن منظور، جمال الدين محمد: **لسان العرب**، دار صادر، ط 10، بيروت، 2005م.

ابن منظور، جمال الدين محمد: **لسان العرب**، مكتبة دار المعارف، بالقاهرة، 1979م.

النوي، مليكة: **المصطلح النقدي في العصر الحديث**، الملتقى الدولي الأول في المصطلح النقدي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2011مـ.

وهبة، مجدي والمهندس، كامل: **معجم المصطلحات العربية في اللغة والآداب**، مكتبة لبنان، بيروت، 1979م ،

ويليك، رينيه: مفاهيم نقدية، ترجمة: محمد عصفور، **سلسة عالم المعرفة**، العدد 110، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

دور "المتكلم" في مرحلتي "نشأة النحو العربي ونموّه"

دراسة في ضوء بعض الأنظار الحديثة

فارس علي السعود* وفيصل إبراهيم صفا **

تاريخ الاستلام 2018/11/1 تاريخ القبول 2019/2/20

ملخص

يهدف هذا البحث إلى تحديد دور "المتكلم" في التراث النحوي العربي، في مرحلة نشأته ومرحلة نموّه؛ وذلك بعد العناية الفائقة التي أولتها دراسات الخطاب وتراكيبه - في العصر الحديث - لكل من "المتكلم" و"المخاطب" بوصف كل منهما عنصراً ذا أثر في الموقف الكلامي، وكذلك بعد ما أسفرت عنه تلك العناية من حملِ المهتمين بالدرس اللغوي العربي القديم على تفحّص هذا الدرس. لقد عُنِيَ هذا البحث بإبراز ما انطوى عليه ذلك الدرس القديم من مفاهيم تحكّمت في تحليل النحاة القدماء للكلام (الخطاب)؛ فكانت النتائج باهرة، في صعيد العمق ورعاية عناصر الموقف الكلامي- وعلى الأخص "المتكلم"، وكانت داحضة لتهمة من أهمّ التهم التي وجهت للنحو العربي، ألا وهي عناية هذا النحو بشكلانية الكلام ومعيارية قواعده فيه.

الكلمات المفتاحية: دور، المتكلم ، النحو العربي، مرحلة النشأة، النمو، الأنظار الحديثة.

تمهيد:

بنيت المنظومة النّحويّة في الفكر النّحويّ العربيّ على أسس سياقيّة لغويّة وغير لغويّة؛ فاللغويّة منها معنيّة بضبط بنى التراكيب اللغوية على المستوى الأفقي تقديمًا وتأخيرًا، وإظهارًا وإضمارًا، وغير ذلك من الظواهر اللغوية التي من الممكن أنْ تطرأ على التركيب على وَفق نظام من العلاقات اللغوية المترابطة بين العناصر اللغوية داخل التراكيب المستعملة على اختلاف

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2019.

* طالب دكتوراه، قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك

** أستاذ في قسم اللغة العربية، جامعة اليرموك.

صورها. أمّا غير اللغويّة فغاية ما يسعى النحاة إلى تحقيقه بها ضبط بنى التراكيب اللغوية على المستويين الأفقي والرأسي وفق نظام من العلاقات اللغوية والسياقية؛ بهدف تحقيق معيارٍ من الصواب النحوي المشفوع بالصواب السياقي، أو العكس؛ فهذان الصوابان يكمل أحدهما الآخر. فالسياق غير اللغوي، بجميع أركانه (المتكلم، والمخاطب، والمشاهدة، والحضور،...إلخ)، يولِّد المنجزات اللغوية ويبدعها، في موقف كلامي معين مباين لغيره من المواقف التي تتطلب منجزات لغوية مغايرة بالفعل أو بالقوة، انطلاقًا من أنّ مقامات الكلام والمخاطبين متفاوتة؛ فمقام الشكر مباين لمقام الشكاية، ومقام التهنئة مباين لمقام التعزية، ومقام المدح مباين لمقام الذَّمِّ والقدح والهجاء، ومقام الترغيب مباين لمقام الترهيب؛ فما يناسب أحدها لا يناسب غيره، ولكلٍ مقتضى غيرُ مقتضى الآخر[1]. فالمناسبة ومستوى المخاطب من الأبعاد غير اللغوية التي يراعيها المتكلم المبدع، عند اختيار مفرداته وتراكيبه، حرصًا منه على فهم الكلام مبنى ومعنى وقضية على الوجه المراد من غير لبس؛ لهذا ينبغي على المتكلم "أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[2].

ولأنّ المتكلم ركنٌ رئيسٌ من أركان السياق فإنّ الخطاب الكلامي يتحقق بوجوده وينعدم بفقدانه أو بغيابه؛ لهذا اعتمده نحاة العربية في بناء أحكام النحو العربي وتفسير بعض ظواهر العربية وتسويغها، في ظل الممارسة التاريخية للعمل النّحوي درسًا وتدريسًا وتنظيرًا في المراحل الآتية، وهي مراحل مقتبسة - مع قليل من الاختلاف في بعض المدد الزمنية - من الأستاذ حسن الملخ [**]:

- مرحلة النشأة والتكوين: من مطالع القرن الهجري الثاني إلى أواخره.
- مرحلة النمو: من أواخر القرن الهجري الثاني إلى أواخر القرن الثالث الهجري.
- مرحلة النضج والازدهار: من أواخر القرن الثالث الهجري إلى أواخر القرن الخامس الهجري.
- مرحلة الاستقرار والمراجعة: من القرن السادس الهجري إلى القرن الثامن الهجري.

أما العمل في هذا البحث فمنصبّ على المرحلة الأولى، مرحلة نشأة النحو وتكوينه، والمرحلة الثانية، مرحلة نموّه. ولا بدّ هنا من الإشارة إلى أن الحديث عن هاتين المرحلتين مهم؛ نظرا إلى عدّ بعض الدارسين لهما مُظلِمتين على نحوٍ ما. هذا، والحديث عنهما ليس مقطوع الصلة عن المراحل الأخرى المذكورة أعلاه، فقد أولاها الباحث اهتمامه في بحث آخر.

دور المتكلم في مرحلة نشأة النحو وتكوينه (من مطالع القرن الهجري الثاني إلى أواخره):

يظهر اعتمادُ النحاةِ المتكلمَ، في سياق الحديث عن نشأة النحو العربي وتكوينه، في المرويّات التي ذكرها أصحاب كتب التراجم عن أوليات التّقعيد النحوي والنّقد اللغوي. وقد تجلّت تلك المرويّات في إطار ترجمة ثلاث شخصيات من أعلام اللغة والنحو. ويعمل هذا البحث على تبيّن دور (المتكلم) في منظور كل منهم، وذلك على النحو التفصيلي الآتي:

1. دور المتكلم في منظور عبد الله بن أبي إسحاق الحضرميّ، المتوفى سنة (117هـ)[3]:

ابن أبي إسحاق الحضرميّ من أوائل النحاة الذين **مَعْيَروا** النحو العربي بمعايير قياسية مستنبطة من كلام العرب؛ فلقد أعمل معيارية القاعدة في كل ما ينطق به العرب، في ممارساتهم اللغوية ذات الأوساط الاجتماعية المتعددة والمختلفة؛ فما وافق تلك القاعدة كان مقبولاً مرتضًى عنده، وما خالفها ردّه على متكلمه أو بحث له عن وجه مسوّغ تجيزه قواعد النحو؛ إذ "كان شديد التجريد للقياس"[4] ومعنيًا بطرد القاعدة على وتيرة واحدة، حتى شجر بينه وبين الفرزدق (ت 110هـ)[5] شجار نحوي معروف انتهى بتسليم الفرزدق بمعايير ابن أبي إسحاق، فعندما قال[6]:

مُسْتقبِلين شَمالَ الشأمِ تَضْرِبُنا بحاصبٍ كَنديفِ القُطْنِ مَنْثورِ

على عَمائِمنا يُلْقَى وأرْحُلِنا على زواحفَ تُزْجَى مُخُّها ريرِ[7]

قال له ابن أبي إسحاق:" أسأت، إنما هو(ريرُ). وكذلك قياس النحو في هذا الموضع"[8]؛ لأنّ كلمة (ريرُ) جاءت خبرًا للمبتدأ (مخها)، وحق خبر المبتدأ أن يأتي مرفوعًا أو في حكم المرفوع؛ بحكم ركنيّتِه في الجملة[9]، ووظيفته النّحويّة الموقعية.

وأخذ ابن أبي إسحاق على الفرزدق قوله[10]:

وعضُّ زمانٍ يا ابنَ مَرْوانَ لم يَدَعْ من المالِ إلا مُسحتًا أو مُجَلَّفُ

فقال: "على أي شيء رفعت مجلّفًا؟ قال: على ما يسوؤك"[11]. وفي رواية "علينا أن نقول وعليكم أن تتأولوا"[12]؛ لأنّ المعيار هو مجيء كلمة (مجلَّفُ) منصوبة بالعطف على (مسحتًا)؛ ذلك أن العطف من التوابع، والتابع يأخذ حكم متبوعه رفعًا ونصبًا وجرًّا، وكلمة (مسحتًا) منصوبة؛ فيجب في معطوفها النصب.

وقد استمرت الخصومة بينهما، وكثرت طعون ابن أبي إسحاق في شعره، مما حمله على هجائه، فقال[13]:

فَلَوْ كانَ عبدُاللهِ مَوْلًى هَجَوْتُهُ / ولكنّ عبدَ اللهِ مَوْلَى مَوالِيا

فعقّب ابن أبي إسحاق على هذا البيت بقوله: "ولقد لحنت أيضًا في قولك: مولى مواليا، وكان ينبغي أن تقول: مولى موالٍ"[14]؛ ذلك أنّ كلمة (مواليا) اسم منقوص غير معرّف وغير مضاف وفي موقع جرّ. لم ينكر ابن أبي إسحاق على الفرزدق هجاءه له بقدر ما أنكر عليه مخالفة المعيار النحوي عندما أثبت الياء في كلمة (مواليا)، والأصل حذفها، باعتبارها اسمًا منقوصًا نكرة وليست في حالة نصب.

وما إنْ بلغ الفرزدق انتقاد الناس له، في بيته السابق، قال: "فما بال الذي يجرّ خصييه في المسجد ـ يعني ابن أبي إسحاق ـ لا يجعل له بحيلته وجهًا؟"[15].

ذهب النحاة واللغويون إلى أنّ الفرزدق لم يلحن، في قوله (مواليا)، وأنّ إثبات الياء في آخر الاسم المنقوص على هذه الشاكلة جاء موافقًا لغة بعض العرب[16]. ومن ذلك ما نصّ عليه التنوخي (ت 442 هـ)[17]، بقوله: "وأبو عمرو والخليل وسيبويه يجعلون هذا من ضرورة الشعر"[18]. وقد جاء عند سيبويه أنّ مستعملي اللغة والمتكلمين بها لمّا "اضطرّوا إلى ذلك في موضع لا بدّ لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل"[19].

وأوضح المبرِّد المسألة بقوله: "فإن احتاج الشاعر إلى مثل جوارٍ فحقه، إذا حرّك آخره في الرفع والخفض، ألاّ يُجريه، ولكنه يقول: مررت بجواريَ، كما قال الفرزدق...."[20]؛ أي أنّه يسوّغ لمستعمل اللغة (المتكلم) أن يثبت الياء في آخر الاسم المنقوص النكرة المجرور، مع بقائه ممنوعًا من الصّرف، ثم يعقب بأنّ المتكلم "أجراه للضرورة مُجرى ما لا علة فيه"[21]، بمعنى أنّ المتكلم أجرى المعتل مُجرى الصحيح في أصل الوضع؛ ذلك أنّ الشاعر (المتكلم/ مستعمل اللغة) إذا اضطرّ ردّ الأشياء إلى أصولها[22].

وأوضح أبو نصر الحسن الفارقي، المتوفى سنة (487 هـ)[23]، أنّ ما جاء في شعر الفرزدق لا خطأ فيه، وأنه ليس "لحنًا على الحقيقة؛ لأنه أجرى المعتل مُجرى الصحيح"[24]، مما اضطرّ الشاعر إلى "الإتمام والإجراء على الأصل كراهة للزحاف"[25] والعِلل. فالشاعر (المتكلمُ مستعملُ اللغة وابنُ بيئتها الاجتماعية والثقافية) يحاول أن يحدث تغييرًا في بعض الاستعمالات اللغوية المألوفة؛ فيأتي كلامه في ظاهره خارجًا على معيار القاعدة النحوية واللغوية ومخالفًا لها، لكن عدم مراعاته المعيارَ النحوي قد يوجد له ما يسوّغه ويجيزه في ظلّ سياق الخطاب الكلامي وفي إطار مبدأ "المناسبة"[26]. فمن أجل أن يعبّر المتكلم عن مقصده يلجأ إلى أنماط من الاستعمالات اللغوية الدالة على مقصده والمعبرة عنه، اتفقت مع ظاهر المعيار النحوي أو جاءت مخالفة له. ويترك باب التأويل والتفسير والتقدير على سَعته أمام النحاة؛ ليتحقق لهم طرد قواعد النحو وضبط صناعته.

وعليه كان من الممكن أن الفرزدق (المتكلم) قصد من مخالفة ظاهر القاعدة النحوية أن يلفت انتباه المخاطَب إلى مقصد آخر مُستَكِنّ خلف هذا الاستعمال؛ فجاءت المخالفة لحثّ المخاطب على استكناه المقصد الذي ينحوه في خطابه الكلامي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لم يخرج المتكلم (الفرزدق) على قواعد النظام اللغوي، بل أحدث انزياحًا قاعديًا، ضمن ممكنات هذا النظام؛ بمعنى أنّه خرج على القاعدة اللغوية بقاعدة أخرى كاشفة عن المقصد الذي يبتغيه في خطابه الكلامي، وقد ترك مدارات التأويل متاحة دون تقييد أو تحديد.

وهذا يشير إلى أنّ المتكلم أهمل قاعدة الاسم المنقوص في خطابه، واستثمر قاعدة صيغة منتهى الجموع؛ إذ تُجيز له إظهار الفتحة، في حالة الجر عِوضًا عن الكسرة، بعد الحرف الأخير، مما يساعد على تشكُّل "الألف للإطلاق"[27]. ومقام هذا الخطاب مقام ذم وسخرية وهجاء، والإتيان بألف الإطلاق فيه بيان مدى تهكّم المتكلم وسخريته من مهجوّه؛ وبهذا تكون الألف قد زيدت آخرا، من ناحية صوتية، للتطريب والترنم[28]. وكأنّ معنى الخطاب ومقصوده مُستَكِنّ في دلالة كلمة (مواليا) على العبودية والذل، و"الرجل إذا كان ذليلاً يوالي قبيلة وينضمّ إليهم ليعتزّ بهم، وإذا والى مولى كان أذلّ ذليل"[29]. وهكذا كان ابن أبي إسحاق، (مولى موالٍ)، "وهذا مبالغة في الهجو"[30].

إنّ انزياح الخطاب الكلامي من قاعدة إلى غيرها، في هذا السياق، ساعد على تشكُّل المعنى والمقصد الذي أراده المتكلم؛ من إظهار بذاءة الهجاء، ودناءة منزلة المهجوِّ نسبًا، لكنه (أي المتكلم) ألمح إلى هذا المعنى والمقصد على نحو غير مباشر؛ إذ ترك الانزياحَ القاعدي وما يرافقه من متعلقات، كإثبات الياء في آخر الاسم المنقوص الممنوع من الصرف وإطلاق الصوت بالألف، ليعبّر عن مقصده وينبّه عليه.

في مقابل ذلك، نلحظ أنّ ابن أبي إسحاق لا يألو جهدًا، في محاولة إلزام مستعمل اللغة وابن بيئتها بوجه من الوجوه الممكنة التي يتيحها النظام اللغوي؛ حرصًا على **مَعْيَرَة** الظاهرة النحوية، وطرد القاعدة النّحوية على وتيرة واحدة، وفي ذلك تضييقُ مساحة الاستعمال اللغوي الممكنة أمام المتكلم في بناء التراكيب، وفيه تقييد لاستثمار البنى اللغوية الدالة على المقاصد التي يريد المتكلم إيصالها إلى المخاطب وتنبيهه عليها ضمن المواقف الخطابية وأبعادها السياقية.

إنّ مما يسوّغ محاولة تقييد النحاة حرية المتكلم، في اختيار ما يتسق مع مواقفه الخطابية بما يحقق مقصده، أنّهم معنيون بفرض سلطان القاعدة النحوية على جميع الاستعمالات اللغوية، في أبسط صورها وأقربها تناولاً وأسرعها إفهامًا، من غير اللجوء إلى التقدير أو التأويل، وهم على دراية بأنّ التأويل منتهاه الوصول إلى القواعد الضابطة لجميع الاستعمالات اللغوية ذات الأبعاد الدلالية والتداولية المتعددة والمتنوعة؛ لهذا غضّ بعض النحاة النظر عن الظروف

الاجتماعية الملابسة لاستعمال اللغة بتراكيبها وأساليبها كافّة، ولم يستعينوا بعناصر غير لغوية في تعليل الظواهر اللغوية والنحوية وتفسيرها.

2. عيسى بن عمر الثقفيّ، المتوفى في حدود سنة (149هـ)[31]:

مبتنى الأحكام النحويّة عند عيسى بن عمر قائم على وَفق ثنائية القلة والكثرة؛ إذ جعل الكثرة معيارًا ضابطًا لكلام العرب، وتسويغ مقبوليته. وقد تجلّى هذا المعيار عنده، على وَفق ما يرويه أصحاب كتب التراجم، حين اتخذ من الكثرة منهجًا ومستندًا في بناء كتابيه وتأليفهما. أما ما جاء مخالفًا لهذا المنهج فقد عدّه لغات للعرب[32]؛ ذلك أنّ عيسى بن عمر سلك منهج أستاذه ابن أبي إسحاق في شدة التمسّك بالقياس والاعتداد به[33]؛ بهدف طرد القاعدة النحوية على وتيرة واحدة. ولا يعني هذا أنّ ما حُمِل على لغة من لغات العرب ليس صحيحًا، بل هو مقبول ومستعمل في إطار زمانه ومكانه. ولعله عُدّ مقبولاً عند أحد من النحاة لموافقته وجهًا من وجوه العربية.

أخذ عيسى بن عمر بمبدأ (كثرة الاحتمالات التّخريجيّة)، من بين الممكنات الإعرابيّة المتاحة على وَفق معطيات النظام اللغوي في العربية، وعلى نحو لا يخرج فيه أحد الممكنات على القاعدة ولا يبتعد بالخطاب النّحوي عن المقصد الذي قد يريده المتكلم. وكان عيسى يصدر عن هذا المبدأ تقعيدًا وتوجيهًا وقبولاً وردًّا. ويعود تبنّيه له إلى أنّه كان "ينزع إلى النصب في أكثر أوجه الإعراب"[34]، والنصب في العربية أكثر الإعراب طرقا ووجوها[35].

لعلّ المراد بذلك أنّ الموقع الإعرابي للعنصر اللغوي يحتمل غير ما علامةٍ إعرابية رفعًا ونصبًا وجرًا، وكلٌ من هذه العلامات مرتبط بالمؤثّر في وجودها وبما يسوّغها ويجيز استعمالها؛ فهي ذات وجه مقبول أو أكثر من بين الممكنات الإعرابية. وعلى الرغم من أنّ الاستعمالات المتاحة أمام المتكلم متعددة، فقد كان عيسى بن عمر شديد التقييد لها بوجه النصب من بين الأبدال الموقعية المختلفة إعرابًا، وإذا جاء المتكلم بوجه إعرابي على غير النصب، لم يحظ بالمقبولية عنده، وسعى إلى تأويله بأحد وجوه النّصب.

وربما خالف عيسى، في تأويل وجه النصب، غيره من النحاة، من ذلك أنّه كان يقرأ قوله تعالى: {يا جبالُ أوّبي معه والطيرَ} [سبأ من آية 10] بنصب كلمة (الطير)، في حين أنّ أبا عمرو بن العلاء كان يقرؤها بالرفع. وتأوّلها عيسى بن عمر على النداء، في حين ذهب أبو عمرو بن العلاء إلى أنّ النداء يستوجب الرفع لا النصب، ووجهُها- عند أبي عمرو- أن تكون منصوبة على تقدير (وسخرنا له الطيرَ)، بدليل أنها جاءت متبوعة بقوله تعالى: {ولسليمان الريحَ} بنصب كلمة (الريح)[36]. وفي هذا الذي يقول به عيسى تضييق لواسع، وهو بهذا أشدّ تقييدًا للمتكلم من أستاذه ابن أبي إسحاق.

في اختيار عيسى بن عمر النصب، عند تباين أساليب المتكلم في التعبير عن مقاصده واحتمال غير ما حكم نحوي، إشارة إلى قاعدتين أخذ بهما من غير أن يصرح بهما:

القاعدة الأولى هي: الأصل في العمل؛ إذ إنّ الأصل في العمل في العربية للأفعال[37]، والأفعال من العوامل اللفظية، وهي تعمل النصب ظاهرة ومضمرة. ومن المعلوم أنّ العوامل اللفظية أقوى العوامل تأثيرًا في العناصر اللغوية، داخل التراكيب، على اختلاف سياقاتها.

أما القاعدة الأخرى فهي: إيثار الخفة في الاستعمال؛ ذلك أنّ اختيار وجه النصب فيه - عند عيسى - ميل نحو الخفة؛ إذ ينحو المتكلم - بحسب ما يرى عيسى - بخطابه، على اختلاف أساليبه، نحو الخفة وينفر من الثقل. ومن طباع العرب أن تميل إلى اختيار الأخف على لسانها، ما لم يكن ذلك مُخِلاً بمقصدها من كلامها - كما يرى بعض القدماء[38]. ومن الممكن أنْ تنضوي الخفة - في نظر بعض المحدثين - تحت قانون "الاقتصاد اللغوي"[39]؛ ذلك أنّ المتكلم يحاول إيصال ما في ذهنه أو نفسه من أفكار وتصورات، بأقل جهد عضلي، وأقل زمن ممكن[40]. ومن المعلوم أنّ النصب أخف من الرفع؛ بدلالة كثرة الاستعمال في اللغة العربية؛ ولهذا كانت الفتحة أخف من الضمة والكسرة بدلالة كثرة مواضع استعمالها (أي الفتحة) في بناء الكلام العربي؛ فقد أُعطيت المفعولات وأشباهها الفتحة أو ما ينوب عنها، وهي أخف العلامات الإعرابية - في نظر علماء العربية القدامى ومن يتابعهم من المحدثين، في حين تمتعت العناصر الركنية في الجملة، بالضمة أو ما ينوب عنها، والضمة - عندهم كذلك - أثقل العلامات الإعرابية، بدلالة قلة الاستعمال في اللغة العربية. وانطلاقًا من هاتين القاعدتين أخذ عيسى على النابغة رفع (ناقع)، في قوله[41]:

فَبِتُّ كأنّي ساوَرَتْني ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ في أنْيابِها السُّمُّ ناقعُ

فقال: "وجهه أن يكون (السُّمُّ ناقعًا)"[42]، على أساس مجيء كلمة (ناقعًا) حالا منصوبة، على الرغم من أنّ إبقاءها بالرفع لا يخرم القاعدة النّحوية؛ إذ من المحتمل أن تعدّ خبرًا للمبتدأ (السُّمُّ)، وقد تقدم متعلّقها (في أنيابها) على المبتدأ والخبر. إنّه بهذا التوجيه يُلزِم الشاعر (المتكلم) بوجه واحد من الاستعمال، استثمارًا لأصالة الأفعال في العمل النحوي، والأصل الخفة في الاستعمال، مع أنّ المتكلم ههنا مخير في توظيف غير قاعدة نحوية؛ ليتسق خطابه على وفقها، دون أن يخرم غيرها من قواعد النظام اللغوي. وبهذا يكون عيسى بن عمر من الذين لا يتيحون للمتكلم حرية اختيار ما يشاء من القواعد النحوية الضابطة لخطابه والمحققة لمقصده منه.

3ـ أبو عمرو بن العلاء المتوفى، في حدود سنة (154هـ)[43]:

أبو عمرو بن العلاء من العلماء المبرّزين في اللغة والنحو، واشتهر بأنّه "يسلِّم للعرب ولا يطعن عليها"[44]، في جانب استعمال اللغة وتداولها؛ لأنّهم أهل الفصاحة وأصحاب السليقة

اللغوية. وقد اشترط في أحكامه النّحويّة أن تكون مبنية على الكثير المطّرد من كلام العرب. ويتجلّى هذا المنهج عنده في ما يرويه ابن نوفل من أنّه سمع أباه يقول لأبي عمرو بن العلاء: "أخبرني عمّا وضعت مما سمّيته عربيّةً، أيدخل فيها كلام العرب كلُّه؟ فقال: لا، فقلت: كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجّة؟ قال: أعمل على الأكثر، وأسمّي ما خالفني لغات"[45]؛ ذلك لصدوره عن أصل "السماع عن العرب"[46] في بناء الأحكام واستنباط القواعد النّحوية وتعميمها. وقد خالف بهذا معيارَ الكثرة عند عيسى بن عمر الثقفي؛ إذ كان معيار الكثرة عند الثقفي مبتنى على أساس كثرة الاحتمالات التّخريجيّة للوجه النّحوي الواحد، وبخاصة وجه النّصب. أمّا معيار الكثرة عند أبي عمرو بن العلاء فقائم على ما كَثُر استعماله وتداوله، على ألسنة أبناء اللغة الفصحاء، وصَحَّ أن تطّرد به قاعدة نحوية. وهو بهذا متمسّك بمعيارية أستاذه ابن أبي إسحاق، في بناء الأحكام النّحويّة، وتقنين الظواهر اللغوية؛ فما خرج على حدٍّ كثير الاستعمال والتداول، على ألسنة العرب المُعتدّ بلغتهم، جعله شاذًّا، لا يخضع للقواعد المطردة.

ومع أنّ أبا عمرو بن العلاء من أشدّ النّحاة تسليمًا للعرب في كلامها، فقد طعن على بعض الشعراء، من ذلك تخطئته لذي الرُّمة في قوله[47]:

حَراجيجُ ما تَنْفَكُّ إلا مُناخَةً على الخَسْفِ أو نَرْمِي بها بَلَدًا قَفْرا

حيث أدخل (إلا) بعد (ما تنفكّ)، و(إلا) لا تدخل معها ولا مع أخواتها؛ ذلك أنّ (ما) ها هنا إخبار وليست نفيًا[48]، فـ "ما تنفك وأخواته بمعنى الإيجاب من حيث المعنى، لا يتصل الاستثناء بخبرها"[49]. وفي هذا إشارة إلى أنّ ما يستوجب على المتكلم، عند بناء تراكيبه اللغوية في خطاباته الكلامية المتنوعة، أن يراعي مدى اتساق خطابه تركيبًا واستعمالاً مع حتمية القاعدة النحوية المنضبطة المطردة؛ كي لا يُحكَم على مبتناه اللغوي بعدم المقبولية وبالخطأ؛ فالتراكيب اللغوية واستعمالاتها محكومة بالسياقات اللغوية المنضبطة بحتمية القاعدة النّحوية.

وقد يصرِّح أبو عمرو بن العلاء بحُجّيّة بعض الشعراء في اللغة، إلا أنّ ذلك لم يمنعه من تخطئته في شعره؛ لأنّ شعره أو بعضه لم يرقَ - في نظر أبي عمرو - إلى مستوى الحُجّة في التقعيد النحوي؛ فلا يبنى على شعره قاعدة، ولا يقاس عليه. وهذا يعني أنّ الحُجّة شيء والنجاح في الحجّيّة عند النحاة شيء آخر؛ لهذا يشترط تكامل الحُجّة والحُجّيّة في كلام العرب؛ لتطّرد القاعدة، وينضبط الاستعمال. فمن ذلك أنّه كان يقول: "عمر بن أبي ربيعة حجّة في العربية"[50]، غير أنّه خطّأه في قوله[51]:

ثم قالوا: تُحِبُّها، قُلْتُ: بَهْرًا عَدَدَ القَطْرِ والحَصَى والتُرابِ

فقال أبو عمرو بن العلاء: "كان ينبغي أن يقول: (أتحبّها)؛ لأنّه استفهام"[52]. لكنّ أبا عمرو بن العلاء لم يراعِ سياق الحال (السياق غير اللغوي) الذي قيل فيه الكلام؛ إذ كان من الممكن أن يفسِّر عدم مجيء أداة الاستفهام ضمن السياق اللغوي للبيت الشعري، وأن يبيّن ما يسدّ مسدّها في ضوء لجوء المتكلم إلى التنغيم في مثل هذا الموضع؛ فالتنغيم أقوى تأثيرًا في إبراز المعنى الذي قصده المتكلم من الإتيان بأداة الاستفهام؛ فهو مرتبط بالجانب الوجداني الانفعالي للغة من جهة المتكلم والمخاطب معًا؛ فبه يستطيع المتكلم أن يجلِّي المعاني المستكنة في نفسه وفي ذهنه دون أنْ يستعمل كثيرًا من عناصر اللغة وأساليبها التعبيرية.

وفي رواية أخرى، قال أبو عمرو: "وله وجه إن أراد الخبر ولم يرد الاستفهام.... كأنه قال: أنت تُحبُّها على جهة الإخبار"[53]. وحتى لو قبلنا هذا الوجه من تلقي أبي عمرو للبيت، فإن معنى الاستفهام ما زال قائمًا ومُستكِنًّا في صيغة الإخبار.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّ الاستفهام يقتضي جوابًا، والجواب ظاهر في قوله: (بهرا)، ولا يتحقق ذلك إلا إذا سُبق بطلب العلم عن أمر مجهول، بعنصر استفهام لفظي كان ذلك أو ببنية لغوية ذات نغمة استفهامية. وفي الأحوال كلّها فإن الاحتمالات المتحدث عنها (هنا: الاستفهام والإخبار) لم تكن لترد لو كان المستنَد إليه هو المنطوق لا المكتوب المقروء.

من الممكن القول - تأسيسًا على ما تقدّم - بأنّ أبا عمرو بن العلاء كان يقدّم النص اللغوي على سياق الحال في تحليل الظاهرة اللغوية وتفسيرها؛ استمساكًا منه بمنهجه، في استنباط أحكام اللغة وبناء قواعدها، على ما كَثُر استعماله وتداوله في البيئات اللغوية ذات السليقة والفصاحة.

دور المتكلم في مرحلة نمو النحو العربي (من أواخر القرن الهجري الثاني إلى أواخر القرن الثالث):

أولاً. دور المتكلم في كتاب سيبويه:

يمثّل كتاب أبي بشر عمرو بن عثمان بن قَنْبَر، الملقب بـِ (سيبويه) والمتوفى في حدود سنة (180هـ)[54]، النظامَ اللغوي للعربية ببعديه الشكلي والاجتماعي، في مرحلة نمو النحو العربي؛ فإلى جانب العناية في الكتاب بالسياقات اللغويّة للتراكيب وبالكشف عن العلاقات التي تربط بين العناصر اللغوية فيها، يتكشّف فيه أيضًا الاهتمام مجلِّيًا بالسياقات غير اللغوية (الاجتماعية) بجميع عناصرها ومكوناتها[55]، أثناء تناول الظاهرة اللغوية؛ تحليلاً وتفسيرًا وتعليلاً وقبولاً وردًّا؛ ذلك أنّ سيبويه في كتابه قد نبّه على مقاصد العرب (المتكلم) في كلامها وألفاظها، ولم يقتصر حديثه على بيان أنّ الفاعلَ مرفوع والمفعولَ به منصوب، إلخ.. وإنما تجاوز ذلك إلى التفتيش عن المعاني التي تُصرّف عليها وجوه الكلام في أساليب العربية على وفق مراد المتكلم ومقصده[56].

يُعَدّ (المتكلم) أحد أهم الأركان الرئيسة في السياق غير اللغوي؛ وقد كان حضوره بارزاً في كتاب سيبويه، أثناء تحليل الظاهرة النحوية وتوصيفها؛ فقد عدّه مدار العناية والاهتمام؛ فيُصدَر عنه تحقيقًا لمقصديته وتجلية لها في بناء القاعدة النحوية، وعدّه كذلك مرجعاً في التوجيهات النّحوية وتعليلها، وفي تسييق الظاهرة اللغوية.

1. "مبدأ الأهمّيّة"[57] والمتكلم، عند (سيبويه):

يقرّر سيبويه حكما من أهم الأحكام التي ابتُنِيَ عليها النحو العربي؛ فهو يستند إلى مقصد المتكلم وما يسعى إلى تحقيقه من الكلام، وفق أنساق ذهنيّة تركيبية تحقق مقصده من جهة، وتضبط استعمالاته اللغويّة تركيبًا ودلالة من جهة أخرى. ومن الممكن الاصطلاح على هذا الدستور بِـ (**مبدأ الأهمّيّة**). وهذا ما أوضحه بقوله: "إنّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمانهم ويعنيانهم"[58]. غير أنّه، غفر الله له، لم يلتفت إلى بيان مواطن العناية والاهتمام في بنية التقديم والتأخير، في الخطاب الكلامي على اختلاف تشكلاته وأنماطه، لم يلتفت إلى هذه المواطن التفاته الظاهر إلى البنية اللغوية التركيبية للخطاب؛ ذلك أنّ باب التقديم والتأخير مبني على أساس اختيار المتكلم ما يشاء من البنى التركيبية تحقيقًا لمقصده، وسيبويه لم يصغ قوانين العربية على وَفق مبدأ اختيارات المتكلم؛ فلم يجعل، لأجل ذلك، من التقديم والتأخير بابًا متفرّدًا في المنظومة النحوية.

مدار الأهمّيّة والعناية في صوغ التراكيب وبنائها في العربية بؤرته (المتكلم)؛ فهو وحده مَن يبدع التراكيب اللغويّة وفق ترابط نحويّ دلالي (نسق تكاملي) يتساوق مع مواطن العناية والاهتمام من جهة، ويراعي اختلاف مقصدياته من جهة ثانية. فعند قولنا مثلاً:

1. (زيدٌ في البيت)،

2. (في البيت زيدٌ)،

فنحن بإزاء استعمال بنيتين تركيبيتين متشابهتين، من حيث الإعراب ومن حيث الأركان المكونة لكل منهما. فهما تتشكلان من (مسند إليه / مبتدأ) و(مسند / خبر)، غير أنه يُفترَض أن تختلف مقصديّة المتكلم في كلٍّ منهما استنادًا إلى (مبدأ الأهمية). ففي البنية التركيبية الأولى (زيدٌ في البيت) قدّم المتكلم المبتدأ على الخبر، وحقه التقديم أصالة. وفي ذلك إشارة إلى الغرض من البدء بالمسند إليه / المبتدأ؛ إذ يرد مثل هذا التركيب، من غير نبر - في نطقه - على أحد ركنيه، حين يكون مكان (زيد) مجهولا عند المخاطَب أو مسؤولا عنه. أما إذا نُطِق التركيب مع نبر لفظ (زيد) المقدّم فلعل الغرضَ إبلاغُ المخاطَبِ المتشككِ (في مَن استقرّ في البيت) أنّ (زيدا)، وليس غيره، هو مَن استقرّ في البيت؛ فجعل المتكلم الأهمية مركوزة في (زيد) تعيينًا، وقدّمه في الكلام ليُخبِر عنه، فهو موطن العناية والاهتمام.

أمّا البنية التركيبية الثانية (في البيت زيدٌ) فيظهر أنّ المتكلم قدّم شبه الجملة (في البيت)، من غيرما مسوِّغٍ لفظي، مع أنّ حقها التأخير أصالة، بوصفها خبرًا للمبتدأ. ولا شكّ في أنّ ذلك تلميحٌ إلى أهمية المكان (في البيت)؛ أي أنّه في البيت لا في مكان آخر، وفي هذا حصر وتحديد؛ ذلك أنّ هذه البنية التركيبية تحتمل أن تكون إجابة عن استفهام معنيّ بمكان زيد؛ فقُدِّم شبه الجملة على المبتدأ؛ لدلالته على المكان ولأنه موضع العناية والاهتمام[59]. وربما كان تقديم الخبر لغرض آخر هو إزالة شكٍ لدى المخاطَب في المكان الذي استقر فيه (زيد)، وهو (البيت) ليس غير.

وهكذا ينتظم الكلام - في نظر سيبويه - في التراكيب اللغوية تقديمًا وتأخيرًا، وتتعالق فيه العناصر اللغوية "على قدر عناية المتكلم"[60]. وإذا كان ذلك كذلك؛ فتغيير موقع العنصر اللغوي تقديماً أو تأخيراً داخل البنى التركيبية يتغير وفقه موطن العناية والاهتمام بما يحقق مقصديّة المتكلم.

2ـ "بناء القاعدة النّحويّة" والمتكلم، عند سيبويه:

يعتدّ سيبويه في بناء القواعد النحوية بالمتكلم ومقصده، وهذا ما أوضحه عند حديثه عن الأفعال المتعدية إلى مفعولين؛ إذ قال: "هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعولين، فإن شئت اقتصرت على المفعول الأول، وإن شئت تعدّى إلى الثاني كما تعدّى إلى الأول"[61]. فالمتكلم وحده مَن يقرّر ما إذا كان يريد ذكر أحد مفعولَي الفعل، المتعدي إلى مفعولين، أو ذكرهما، كل ذلك مستند إلى السياق الذي يستعمله فيه المتكلم أبنيته اللغوية تحقيقًا لمقصديّة محددة. وهذا يجلّي فكرة المتكلم المُقعِّد للظاهرة النّحويّة؛ فقد غدا موقعه أساسياً في تقعيد الظواهر اللغويّة، ووَضْع قوانينها؛ مما أتاح للنحاة صوغ القاعدة النحوية في صورة تضمن المواءمة بين مقصدية المتكلم ومعياريّة النظام اللغويّ.

مِن الأمثلة الكاشفة لذلك الفِعْلان (رأى) و(دعا)، في قول سيبويه: "سمّيته زيدًا، وكنَّيْتُ زيدًا أبا عبد الله، ودعوتُه زيدًا، إذا أردت (دعوته) التي تجري مجرى سمّيته، وإن عنيت الدعاء إلى أمر لم يجاوز مفعولاً واحدًا"[62]. فالإرادة والعناية مرتبطتان بالمتكلم، وفي ضوئهما يُحدَّد ما إذا كان يُراد ذكر مفعول واحد مع الفعل (دعا) أو ذكر مفعولين. ومما يزيد الأمر تأكيدًا الفعل (رأى)، فإن قَصَدَ المتكلمُ به الرؤيةَ البصرية جعله مكتفيًا بمفعول واحد، وإن ذهب به إلى الرؤية القلبية اليقينية جعله ناصبًا لمفعولين. فالمتكلم ههنا يستفيد مما يجيزه الاستعمال اللغوي، غير أنه يبقى استعمالاً مقيدًا بالدلالة المنضبطة بمقصدية المتكلم، في السياقات المختلفة.

والأصل في بنية التركيب أن تكون مكتملة العناصر؛ لتتحقق الفائدة ويُجتنب اللبس. لكنّ المتكلم قد يتصرّف في كلامه بحذف بعض العناصر اللغوية، إذا علم أنّ مراده معلوم، ومقصده

واضح لدى المخاطب، من ذلك: "قول العرب: لا عليك، وقد عرف المخاطب ما تعني، أنه لا بأسَ عليك، ولا ضَرّ عليك"[63]. مسوغ الحذف في هذا التركيب سياقي مبني على علة كثرة الاستعمال في حال يعرف المخاطب فيها مراد المتكلم، يقول سيبويه: "ولكنه حذف لكثرة هذا في كلامهم"[64]؛ فغدت بذلك كثرة الاستعمال في الحال المشار إليها علة كاشفة عن مقصدية المتكلم ودالة عليها.

يُعَدّ الاختصار مسوِّغًا يأخذ به سيبويه في تفسير ما يحذفه المتكلم من كلامه في موقف كلامي معين، من ذلك حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مكانه. ويظهر ذلك في الخطاب القرآني على لسان أبناء سيدنا يعقوب عليه السلام، في قوله تعالى: **{واسْأَلِ القَرْيَةَ التي كُنّا فيها والعِيرَ التي أقْبَلْنا فيها}**[يوسف 82]. والمراد أهل القرية، فحذف المضاف اختصارًا، وأقيم المضاف إليه مكانه؛ فعمل الفعل في المضاف إليه (القرية) كما كان عاملاً في المضاف (أهل) لو كان مذكورًا[65].

إن إدراك المتكلم أن المخاطب قادر على فهم مراده مما يسوّغ له إجراء بعض الحذوف تحقيقا لشيء من الاختصار في مثل هذا السياق. وربما عَمَدَ المتكلم (أبناء يعقوب عليه السلام) إلى أسلوب إقناعي يؤثر به في المخاطب (يعقوب عليه السلام)، وكأنَّهم يقولون: إن لم تكن مصدقًا لنا، فاسأل كلّ شيء مررنا به أو جئنا عليه، بل اسأل القرية نفسها. فلربما كانت الحالة النفسية (السيكولوجية) للمتكلم هي ما سوّغ له حذف بعض العناصر اللغوية من كلامه وإقامة بعضها الآخر مكانها في الوظيفة النحوية.

وقد تنبه سيبويه إلى أنّ مقصد المتكلم ومراده يتحكم في بناء الباب النّحوي وقواعده وأوجه استعمالاته، من ذلك "باب أمْ إذا كان الكلام بها بمنزلة أيُهما وأيُهم، وذلك قولك: أزيد عندك أم عمرو، وأزيدًا لقيت أم بشرًا؟ فأنت مدّع أنّ عنده أحدهما، لأنك إذا قلت: أيهما عندك، وأيهما لقيت. فأنت مدّعٍ أنّ المسؤول قد لقي أحدهما، أو أنّ عنده أحدهما، إلاّ أنّ علمك قد استوى فيهما لا تدري أيّهما هو"[66].

بمثل هذا الاستعمال يتبيّن أنّ لدى المتكلم ظنّا سابقا أنّ المخاطب قد لقي أحدهما أو أنّ عنده أحدهما، ولا يرتقي مثل هذا الظنّ إلى مستوى اليقين إلا بتعيين أحد المسؤول عنهما. والموجب لهذا التعيين استعمال المتكلم الأداة (أم) التي تقتضي معنى التعيين[76]؛ فلو أجاب المخاطب بقوله: (لا)، لأصبح الكلام ضربًا من المحال السياقي؛ ذلك أنّ السياق يقتضي وجود المسؤول عنهما، وما على المخاطب إلا تعيينه لإزالة الظنّ الحاصل عند المتكلم؛ لهذا، قال سيبويه: "لو قلت: أزيدٌ عندك أم بشرٌ، فقال المسؤول: لا، كان محالاً"[68].

ومن جهة ثانية، فإنّ المتكلم يسعى إلى تحديد (المسؤول عنه)، وليس الإقرار بـ (الوجود) أو (اللقاء)؛ ذلك أنه قدّم الاسم على الفعل في كلامه انطلاقًا من مبدأ الأهمية والعناية بالمتقدّم؛ فهو (أي الاسم) هو المتحمّل المباشر لأثر (الهمزة) ونظيرتها (أم)؛ فالحدث المعبَّر عنه بـ (لقي)، فالمتكلم متيقن من حدوثه؛ ولهذا لم يوقعه بعد الهمزة ولم يوقع غيره أو نقيضه بعد (أم). أما مَنْ وقع فعلُ (اللقاء) عليه فغير معلوم لديه على وجه التحقيق؛ فكان الاسم (الواقع عليه الفعل) - في المفهوم النحوي- بؤرة السؤال ومداره؛ فجعله المتكلم مبتنى كلامه، وجُلَّ وُكْدِه. وهذا ما أوضحه سيبويه بقوله: "إنّما تسأله عن أحد الاسمين لا تدري أيهما هو، فبدأ بالاسم؛ لأنك تقصد قصد أن يَبينَ لك أيُّ الاسمين في هذا الحال، وجعلت الاسم الآخِرَ عديلاً للأول، فصار الذي لا تسأل عنه بينهما"[69].

يبنى الباب النّحوي أحيانًا عند سيبويه استنادًا إلى الحال المشاهدة بالنسبة للمتكلم. والحال المشاهدة جزء من السياق الخارجي الذي يدور فيه الكلام ويتأثر به، ولا شكّ في أنّ المتكلم أحد مكونات هذا السياق؛ فيفيد منه، ويوظفه في صوغ كلامه أو تفسيره؛ لهذا يلجأ إلى أن يُضمر في خطابه الكلامي الفعل المستعمل إظهاره في أسلوب الأمر والنهي مكتفيًا بحال المخاطب المشاهدة أو المُحسَّة؛ إذ من الممكن أن تسدّ هذه الحال عن الفعل المحذوف وتغني عن ذِكرِه، وفي ضوء ذلك يؤسس سيبويه بابًا نحويًا بعنوان: "باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغنٍ عن لفظك بالفعل" وذلك قولك: زيدًا وعمرًا ورأسَه، وذلك أنك رأيت رجلاً يضرب أو يشتم أو يقتل، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تَلفظَ (أي: عن أن تلفظ) له بعمله، فقلت: زيدًا، أي أوْقِعْ عملك بزيد. أو رأيت رجلاً يقول: أضربُ شرَّ الناس، فقلت: زيدًا... استغنيت عن الفعل بعلمه أنّه مُستخبَر،..."[68]، أي: (أتضربُ زيداً؟)؛ فالمشاهدة البصرية (الحال المشاهدة) أغنت عن الفعل المتروك ذِكْره، وأجازت نصب الاسم من غير ذكر الفعل العامل فيه، وسوغت للمتكلم الإيجاز في كلامه؛ إذ جعلت مقصده من الكلام مفهومًا في الخطاب الكلامي وما حوله من مجريات وأحداث. ولعلّ مثل هذا الإيجاز معدود ضربًا من ضروب الاقتصاد اللغوي؛ إذ تُختزل المقاصد الدلالية والوظائف النّحوية في أصغر عنصر لغوي تتحقق به الفائدة، ويقبل التفسير ضمن سياقه.

3ـ "التوجيه النّحوي" والمتكلم، عند سيبويه:

يمثل كتاب سيبويه ميدانًا رحبًا للتوجيه الإعرابي؛ فيُحدَّد فيه الوجه الإعرابي المختار على وفق مقصد المتكلم[71]. من ذلك ما أوضحه سيبويه في قوله: "وأما أنت وشأنُك، وكلُّ امرئ وضيعتُه، وأنت أعلم وربّك، وأشباه ذلك، فكلّه رفع لا يكون فيه النصب؛ لأنك إنّما تريد أنْ تُخبر بالحال التي فيها المُحدَّث عنه في حال حديثك، فقلت: أنت الآن كذلك، ولم ترد أن تجعل ذلك

فيما مضى ولا فيما يُستقبل، وليس موضعًا يُستعمل فيه الفعل"[72]. فإرادة المتكلم غدت علة يُفسر بها ظهور علامة إعرابية مخصصة؛ فظهور هذه العلامة يخدم مقصد المتكلم في حمل رسالة كلامه ههنا، ببيان الحال التي كان عليها المُتحدَّث عنه، في لحظة صدور الكلام؛ لهذا نزع المتكلم نحو الرفع دون غيره من الأحكام النحوية، ولأنَّ الرفع هنا يعني أنّ الجملة اسمية، ومِثلُها يُستعمَل حين يكون الإسناد فيها حاضرًا حالاً، أو مطلق الزمن. وعليه، يكون ما بعد (الواو) معطوفًا على ما قبلها، وهو مرفوع.

ونظير ذلك - فيما أورده ابن هشام[73] اختيار المتكلم نصب الفعل المضارع بعد (حتى) أو رفعه، ففي كلٍّ ثمة مقصد مختلف عن الآخر، ويحتمل التركيب حينها معنى جديدًا. فإذا قصد المتكلم معنى (الغائية)؛ بمعنى أنّ الفعل بعد (حتى) غاية ونتيجة مترتبة على الحدث الذي قبلها، فسيأتي الفعل المضارع بعدها منصوبًا، نحو: (سرتُ حتى أدخلَ الحديقة)، فدخول الحديقة غاية للسير ونتيجة مبتناة عليه؛ لهذا نصب المتكلم الفعل المضارع تحقيقًا لمقصده وليُعلِمَ المخاطب عن هذا المقصد. أمّا إذا قصد المتكلم معنى الاتصال الحدثي بين الفعلين، فعل السير وفعل الدخول، فسيأتي بالفعل المضارع بعد (حتى) مرفوعًا، نحو: (سرتُ حتى أدخلُ الحديقة)؛ أي أنّ حدث المسير مستمرٌ ومتّصل بحدث الدخول دون انقطاع، وقد استُعمل الفعل المضارع مرفوعًا إشارة إلى هذا المعنى، وبهدف توضيحه بالنسبة للمخاطب ولفت انتباهه إليه.

ومما يلجأ فيه سيبويه إلى اعتماد المتكلم في تفسير ظهور علامة إعرابية مخصصة، قولهم: "مُصاحَبٌ مُعانٌ، ومبرورٌ مأجورٌ، كأنه قال: أنت مُصاحبٌ، وأنت مبرورٌ"[74] ثمّ عقّب على هذا الكلام بقوله: "فإذا رفعت هذه الأشياء فالذي في نفسك ما أظهرت، وإذا نصبت فالذي في نفسك غيرُ ما أظهرت، وهو الفعل، والذي أظهرت الاسم"[75].

إنّ تخصيص علامة إعرابية يكشف للمخاطب عن العنصر اللغوي الذي حذفه المتكلم، ويوضّح المعنى الذي يسعى إلى تحقيقه من خطابه؛ لذلك فإنّ ظهور علامة الرفع يشير، فيما يشير إليه، إلى أنّ المتكلم قصد طرفي الإسناد (المبتدأ والخبر)؛ لهذا جاء في قول سيبويه: (فإذا رفعت هذه الأشياء فالذي في نفسك ما أظهرت)، وهذا يعني أنّ العنصر اللغوي المحذوف موافق للعنصر اللغوي المذكور صنفًا وحكمًا، والعنصر اللغوي المذكور اسم مرفوع؛ فوجب أن يكون المحذوف مُشاكِلاً له.

أمّا إظهار علامة النصب فيبرز للمخاطب أنّ العنصر اللغوي المحذوف مخالف للعنصر اللغوي المذكور صنفًا وحكمًا، كما أنّه يكشف عن المعنى الذي قصده المتكلم في خطابه؛ لأنّ حالة النصب تجعل المعنى مركوزًا في الحاليّة، لهذا عقّب سيبويه بأنه (إذا نصبت فالذي في نفسك غير ما أظهرت، وهو الفعل). ولا شك أنّ ظهور علامة إعرابية محددة في مثل هذا السياق يعتمد مبدأ

ثنائية التوافق والتخالف، بين العناصر اللغوية في البنية التركيبية، من حيث الصنف والحكم الإعرابي، على المستويين: السطحي والعميق. وهذا ما أكده السيرافي في "أنّك إذا رفعت فالذي أضمرت مبتدأ، والذي ظهر هو خبره، والمبتدأ هو الخبر. وإذا نصبت فالذي أضمرت فعلاً، والفعل غير الاسم؛ لأنك إذا قلت: مُصاحبًا مُعانًا فتقديره: اذهب مُصاحَبًا مُعانًا"[76].

واختيار العلامة الإعرابية أحيانًا يأتي على وفق ما تسهم به الحال المشاهدة من تحقيق مقصد المتكلم في خطابه. كما في قول ابن همّام السّلوليّ[77]:

وَأَحْضَرْتُ عُذْري، عَلَيْهِ الشُهو دُ، إنْ عاذرًا لي وإنْ تاركًا

يعقب سيبويه على هذا البيت بقوله: "فنصبه؛ لأنّه عنى الأميرَ المخاطبَ"[78]، على تقدير إنْ كنت عاذرًا لي، أو إنْ كنت تاركًا العذر[79]. فحضور المخاطب أمام المتكلم قيّد قصده في تخصيص شخص دون غيره ممن حضر، وصار هذا الحضور مقيدًا لوجه النصب المرهون بهذا المقصد، وهذا ما استدعى نصب كلمتي (عاذرًا وتاركًا)؛ إذ لو جيء بهما على الرفع لاحتمل أن يكون المخاطب غائبًا، على تقدير (هو عاذرٌ لي)، و(هو تاركٌ العذر).

يلجأ سيبويه إلى تفسير ظهور علامات إعرابية محددة، في بعض الأساليب اللغوية انطلاقًا من مقصدية المتكلم. فمن ذلك رفع الاسم المبدوء به، وقد جاء بعده استفهام، نحو قولنا: زيدٌ كم مرةً رأيته، وعبد الله هل لقيته، وعمرو هلاّ لقيته؛ فالعامل في هذا الاسم الابتداء[80]. ومما يسوغ رفع الاسم ههنا على الابتداء، وجعله عمدة في الكلام؛ أنّ المتكلم يهدف إلى جعله موضع عناية واهتمام، كما يسعى إلى لفت انتباه المخاطب إليه، وهذا ما كشف عنه سيبويه بقوله: "هذا باب من الاستفهام يكون الاسم فيه رفعًا؛ لأنك تبتدئه؛ لتنبّه المخاطب، ثم تستفهم بعد ذلك"[81].

يوضح سيبويه في هذه المقتبسة موطن عناية المتكلم واهتمامه، وهي تنبيه المخاطب ولفت نظره إلى أمر قد غاب عنه، أو تنبيهه إلى أنّ الاسم المبدوء به محور الخطاب ومبتناه، ففي قولنا: (زيدٌ كم مرةً رأيته؟)، فإنّنا نستفهم عن فعل متعلّق بِـ (زيد) ونوليه عناية واهتمامًا دون غيره، ثم إنّ التركيز والاهتمام على شخص (زيد) وليس على عدد مرات اللقاء؛ لأننا لو قلنا: (كم مرةً لقيت زيدًا؟) لكان الاهتمام ببيان عدد مرات اللقاء من غير أي معنى آخر؛ إذ ليس هو المقصود من الخطاب. واستعمال التركيب على هذه الصورة، من تقديم الاسم ورفعه على وفق مقصدية المتكلم، فيه إشارة إلى أنّ المعنى التداولي هو المتحكم في صوغ مثل هذا التركيب في قالب معين.

يعدّ مقصد المتكلم في بعض السياقات موجِّهًا ومفسِّرًا لظاهرة التقديم والتأخير، في الأساليب اللغوية. من ذلك، تقديم الاسم المأمور به أو المنهي عنه، على الفعل، ورفعه بالابتداء، وقد سُوِّغ هذا التقديم بأنّ المتكلم أراد تنبيه المخاطب له وتعريفه بالمتقدم، فمثلاً في قولنا:

(زيدٌ اضربه)، يفيد تقديم الاسم على الفعل أنّ المقصود بهذا الفعل هو صاحب هذا الاسم، وليس شخصًا غيره، كما أنّ التركيز كان على الاسم دون الفعل؛ ولهذا جاء الاسم مبتدأ به الخطاب، وكأنّ المتكلم بهذا التقديم يوجه رسالة إلى المخاطب، أنّه إنْ لم تكن على معرفة ودراية بالمعنيّ فسأجعله محور الخطاب وبؤرته تنبيهًا له واهتمامًا به[82]، وقد أشار سيبويه إلى ذلك بقوله: "وقد يكون في الأمر والنهي أن يبنى الفعل على الاسم، وذلك قولك: عبدُالله اضربه، ابتدأت عبدالله فرفعته بالابتداء، ونبّهت المخاطب له لتعرّفه باسمه، ثم بنيت الفعل عليه كما فعلت ذلك في الخبر"[83].

يتبيّن في هذا النّص أنّ سيبويه لم ينظر إلى ثنائية التقديم والتأخير نظرة شكلية خالصة في ضوء أسس بناء التركيب، أو في ضوء أصول العمل النحوي، وإنما تجاوز ذلك إلى المعنى الذي يقصده المتكلم، ويسعى إلى تحقيقه في خطابه[84]، ولعلّ في هذا ما يدفع القول بشكلنة النحو العربي، وإهماله العناية بمعاني الكلام ومقاصد المتكلم.

وقد تتعدد التوجيهات النّحوية في الأسلوب اللغوي الواحد تبعًا لتعدد مقصديات المتكلم واختلافها، ويظهر هذا في الكتاب ضمن باب أطلق عليه سيبويه (باب من الفعل يستعمل فيه الاسم ثم يبدل مكان ذلك الاسم اسم آخر....)[85]؛ حيث ضرب أمثلة نحو قولهم: "رأيت قومَك أكثرَهم، ورأيت بني زيدٍ ثلثيهم، ورأيت بني عمِّك ناسًا منهم"[86]. ثمّ يوضح أنّ هذا القول يحمل على وجهين وفق مقاصد مختلفة قد يريدها المتكلم، الأول منهما أنّه أراد: رأيت أكثر قومك، ورأيت ثلثي قومك، غير أنه ثنى (كرر) الاسم توكيدًا. أما الوجه الثاني فيحمل على أن المتكلم قال: رأيت قومك، ثم بدا له أن يبين ما رأى منهم، فيقول: ناسًا منهم، أو ثلثيهم[87].

فجل وُكْد المتكلم ومراده في الوجه الأول هو التوكيد؛ ولهذا جيء بالاسم مكررًا، أما الوجه الثاني فمبتناه إفادة معنى التوضيح والتبيين والتخصيص والاستدراك الذي قصده المتكلم في خطابه، وكأنه أراد أن يستدرك على نفسه بنفسه، ويوضّح ما يعني.

ثانيًا. دور المتكلم عند المبرِّد:

يعدّ كتاب (المقتضب)، لأبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمُبرِّد (ت 286هـ)[88]، امتدادًا لكتاب سيبويه؛ إذ يمثل عملية مراجعة واختصار لما جاء في (الكتاب)، في مواضع متعددة، وقد "نظّم فيه عرض القواعد النحوية، إلا أنه وقف على حافة التنظير المنطقي"[89]، وعلى الرغم من ذلك فإنّ فكرة (اجتماعية اللغة) حاضرة في المقتضب أثناء معالجة الظواهر النحوية على اختلافها؛ فيعدّ المبرِّد من النحاة الذين تنبهوا أثناء وصف العربية ونظامها النحوي ومبناها الداخلي، إلى ما يحيط بالمنجزات اللغوية، من سياقات ومتغيرات خارجية تؤثر في التراكيب صوغًا واستعمالاً ومعنى[90].

يعنى المبرِّد بصحة التراكيب اللغوية وسلامة استعمالها؛ بغية الكشف عن مقاصد المتكلم منها، ومعرفةُ هذه المقاصد هدفُها التوصل إلى المعنى أو المعاني المُستكنّة خلف الموقف الكلامي والتي لا تصرح بها التراكيب أو الأساليب اللغوية على ظاهرها.

ولعلّ محاولة الكشف عمّا وراء الخطاب الكلامي من مقاصد، وعما يقتضيه من أبعاد بلاغية أو يؤثر فيه من عناصر العملية التواصلية هي جلُّ وُكْدِ المبرِّد وعنايته، ويظهر ذلك على النحو الآتي:

1. البعد الاجتماعي للغة، عند المبرد:

السلوك اللغوي مِرْآة تعكس السلوك الاجتماعي وتصوره بكلِّ ما فيه[91]؛ فالمجتمع، على اختلاف أجناسه وأطيافه، يؤثر في اللغة وأساليبها وتراكيبها، ويحدد دلالاتها ومقاصدها في المواقف والسياقات المختلفة والمتعددة، وليس ببعيد عن الصواب الذهاب إلى أنّ اللغة هي المجتمع لا العكس.

تظهر عناية المبرِّد بالجانب الاجتماعيّ للغة، في باب (المخاطبة)، في ما نصّ عليه بقوله: "فأول كلامك تسأل عنه، وآخره لمن تسأله، وذلك قولك، إذا سألت رجلاً عن رجلٍ، كيف ذاكَ الرجل؟ فتحت الكاف؛ لأنها للذي تُكلِّم، وقولك (ذاك) إنما زيدت الكاف على (ذا)، وكانت لما تومئ إليه بالقرب. فإن قلت: (هذا) فـ (ها) للتنبيه، و(ذا) هي الاسم، فإذا خاطبت زدت الكاف للذي تكلمه، ودلّ الكلام بوقوعها على أنّ الذي تومئ إليه بعيد، وكذلك جميع الأسماء المبهمة إذا أردت التراخي زدت كافًا للمخاطبة؛ لأنك تحتاج إلى أن تنبه بها المخاطب على بعد ما تومئ إليه. فإذا سألت امرأة عن رجل قلت: كيف ذاكِ الرجل؟ بكسر الكاف؛ لأنها لمؤنث...إلخ"[92].

يكشف هذا النّصّ المقاصد التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في خطابه؛ فإذا كان المقصد تنبيه المخاطب لجأ المتكلم إلى استعمال الهاء الدالة على التنبيه، مع اسم الإشارة؛ ليجعل المخاطب متنبِّها لما سيوجه إليه من رسالة أو إشارة لغوية، وكذلك إذا قصد تنبيه المخاطب إلى أنّ المشار إليه بعيد، عمد إلى استعمال الكاف مع اسم الإشارة (ذا)، وفي ذلك مراعاة من المتكلم لعلاقة القرب من المشار إليه أو علاقة البُعْد، ومراعاة حال المخاطب من غفلة أو تنبّه للمشار إليه.

ومن جانب آخر، يراعي المتكلم جنس المخاطب، ذكرًا كان أو أنثى؛ لينعكس ذلك في سلوكه اللغوي وفي خطابه، ويظهر أثره أواخر العناصر اللغوية، من علامات مائزة ودالة على الجنس؛ فاستعمال الكسرة بعد الكاف يعني أنّ المخاطب مؤنث دون أن يذكر المتكلم ذلك صراحة، في حين أنّ استعمال الفتحة فيه دلالة على أن المخاطب مذكر.

وتأسيسًا على ما تقدّم؛ فالمتكلم ـ بحسب المبرِّد ـ يفصّل خطابه ويقدِّره على وَفق الموقف المستعمل فيه، وعلى وَفق حال المخاطب وجنسه وقربه وبعده وعلى وَفق الآليات اللغوية التي تتيحها اللغة، أيُّ لغة؛ إذ الاختلاف في المباني اختلاف في المعاني بالضرورة.

أدرك المبرِّد أنّ اللغة مرتبطة بحياة الناس، ومعبِّرة عن حاجاتهم ومتطلباتهم[93]، ودليل ذلك كتاب (الكامل في اللغة والأدب) الذي جاء متكاملاً في مهارات الأداء اللغوي السليم، في مواقف تعبيرية متنوعة[94]. ويظهر هذا عنده، في باب (ما كان معرفة بجنسه لا بواحده، ولِمَ جاز أن يكون كذلك). وذلك نحو قولك: للأسد أبو الحارث، وأسامة، ونحو قولك: أبو الحصين للثعلب[95]. فأوضح علة جعل هذه الألفاظ معارف مع أنّ اسم الواحد منها يدل على ما هو مثله بأنّ "هذه أشياء ليست مُقِيمة مع الناس، ولا مما يتخذون ويقتنون، كالخيل والشّاء، ونحو ذلك، فيحتاجوا إلى الفصل بين بعضها وبعض، وإنما يريدون أن يفصلوا بين جنس وجنس، ولو كانت مما يقيم معهم لفصلوا بين بعضها وبعض، وكان مجراها كمجرى الناس"[96].

الاستعمال اللغوي لمثل هذه الألفاظ يخدم أغراض الناس وحاجاتهم الاجتماعية ويعبّر عنها؛ إذ اكتسبت هذه الألفاظ تعريفًا سياقيًّا اجتماعيًّا؛ فغدت معارف ببعدها الاجتماعي، على وفق السياقات المستعملة فيها. والذي يحدد التعريف السياقي الاجتماعي ويقيده هو طرفا الخطاب من المجتمع اللغوي الواحد؛ فتصبح مسألة التعريف معهودًا ذهنيًّا لديهما؛ ولأنّ كلً واحد منهما مدرك لحقيقة المقصود من الخطاب في الموقف المُعيَّن.

2 ـ المعاني البلاغية للاستعمالات اللغوية، عند المبرد:

يُعنى المبرِّد بإبراز بعض الملامح أو المعاني البلاغية للاستعمالات اللغوية، في كتاب المقتضب؛ وذلك من النظر في الاستعمال اللغوي عبر بعدين متكاملين متعاضدين؛ أحدهما تركيبي، وثانيهما بلاغي أو سياقي. ويتجلى هذا عنده في باب "المصادر في الاستفهام على جهة التقدير وعلى المسألة"[97]؛ إذ أوضح أنّ الاستفهام قد يخرج عن وظيفته التي وضع لها أصالة، من إفادة العلم بأمر يجهله المستفهم أو المتكلم؛ فقد يخرج إلى معانٍ بلاغية مقصودة لذاتها، في ظل السياقات المتنوعة التي يستعمل فيها أسلوب الاستفهام. وهذا ما أوضحه بقوله: "أقيامًا وقد قعد النّاس؟ لم تقل هذا سائلاً، ولكن قلته موبِّخًا مُنكِرًا لما هو عليه، ولولا دلالة الحال على ذلك لم يجز الإضمار؛ لأنّ الفعل إنما يضمر إذا دلّ عليه دالٌ، كما أنّ الاسم لا يضمر حتى يُذكر، وإنما رأيته في حال قيام في وقت يجب فيه غيره، فقلت له منكرًا"[98].

من ذلك أيضًا، ما ورد عند المبرِّد في باب "المصادر التي تشركها أسماء الفاعلين، ولا تكون واقعة هذا الموقع إلا ومعها دليل من مشاهدة....وذلك قولك: أقائمًا وقد قعد النّاس؛ وذلك

أنّه رآه في حال قيام، فوبّخه بذلك .... ولو لم تستفهم لقلت مُنكِرًا: قاعدًا علم الله وقد سار الناس، فهذا لا يكون إلا لما تشاهده من الحال، فلذلك استغنيت عن ذكر الفعل"[99].

الأصل في الاستفهام أن يرد على حقيقته، غير أنّ المتكلم قد يلجأ إليه بهدف قصد معنى غير المعنى الحقيقي، في ظل سياق معيّن؛ لهذا، فمقصدية المتكلم ههنا توبيخ المخاطب وتقريعه على ما كان منه من فعل، وإنكار لفعله، في ظل موقف يفرض القعود؛ إذ جيء بالاستفهام في هذا السياق على سبيل "الإنكار التوبيخي"[100]. والإنكار والتوبيخ من المعاني البلاغية التي يفيدها أسلوب الاستفهام في العربية. ولا شك أنّ الحال المشاهدة (رؤية العين) وحال المخاطب مَكّنا المتكلم من بناء كلامه على هذا النّحو الذي نُزع منه الفعل؛ ليتحقق له هذا المعنى.

إلى جانب هذه الوظيفة التي يقتضيها السياق في إظهار المعنى البلاغي لأسلوب الاستفهام، نجد المبرِّد يفسر، في ظل السياق، حذف الفعل بعد حرف الاستفهام، في قوله: (أقيامًا)؛ إذ الأصل (أتقوم قيامًا)، غير أنّ دلالة الحال المشاهدة سوّغت حذف الفعل وأجازته وأغنت عن ذكره؛ فيغدو بذلك هذا الحذف حذفًا سياقيًا نصيًّا. ويأتي الخطاب اللغوي مصحوبًا بالحال المشاهدة التي أغنت عن العنصر اللغوي المحذوف (الفعل) الذي عمل النصبَ في المصدر المذكور[101].

لهذا، يلحظ أن ثمة مزاوجة بين بعدي اللغة؛ الداخلي والخارجي، وما ينتج عن ذلك من ملامح بلاغية، في تحليل الظاهرة اللغوية وتفسيرها وتعليلها. وقد ذكر سيبويه هذه المسائل لكنّها جاءت أكثر وضوحًا وأقرب تناولاً عند المبرِّد.

وتظهر عناية المبرد بالمعاني البلاغية للاستعمالات اللغوية بشكل صريح واضح، في الحوار الذي دار بينه وبين الفيلسوف الكندي[102]؛ إذ أوضح المبرد المعاني البلاغية التي تقتضيها أضرب الخبر، كلٌ في السياق الخاص لاستعماله والضابط لمعناه. قال الكندي: "إنّي لأجد في كلام العرب حشوًا. فقال أبو العباس: في أيّ موضع وجدت ذلك؟ فقال: أجد العرب يقولون: (عبد الله قائم)، ثمّ يقولون: (إنّ عبد الله قائم)، ثمّ يقولون: (إنّ عبد الله لقائم)؛ فالألفاظ متكررة والمعنى واحد، فقال أبو العباس: بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ؛ فقولهم: (عبد الله قائم) إخبار عن قيامه، وقولهم: (إنّ عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل، وقولهم: (إنّ عبد الله لقائم) جواب عن إنكار مُنكر قيامه، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني. قال: فما حار المتفلسف جوابًا"[103]. يعكس هذا النّص المنهجية المتغايرة في التفكير اللغوي، بين كلٍّ من الفيلسوف والنّحويّ؛ فالأول منهما؛ يقف عند حدود الألفاظ داخل التراكيب، دون أن يراعي أنّ الاختلاف في المباني التركيبية يؤدي إلى اختلاف في معانيها التركيبية غالبًا؛ فالكندي ينظر إلى الجمل الثلاث الواردة في النّص، على أنها ذات صورة واحدة ومعنى واحد؛ بسببٍ من إغفاله - على ما يبدو - السياقَ الذي تستعمل فيه، وعدم مراعاة السياقات المختلفة أدى إلى عدم العناية بالمعاني التي تتولّد عنها؛ لأنّ لكل استعمال

منها سياقًا محددًا ومقصدًا معينًا. في حين أننا نلحظ أن النّحوي (المبرد، هنا) قد عُنِيَ بكلٍّ من البنية التركيبية، والسياقات التي تستعمل فيها، والمعاني التي تتولد عنها، انطلاقًا من أنّ الزيادة في المبنى التركيبي تؤدي إلى اختلاف نظري على الأقل، في المعنى التركيبي، وأنّ كلّ معنى يقصده المتكلم لا بدّ أن يستعمل في سياق معين؛ لهذا، تجاوز تفكير النّحوي حدود الألفاظ؛ ليبيّن لنا حال المخاطب التي راعاها المتكلم عند صوغ تراكيبه واستعمالها.

لعلّ المبرِّد في توضيحه لأضرب الخبر في العربية ومعانيها البلاغية، يميز بين الخبر بوصفه ركنًا إسناديًا في بناء الجملة في الدرس النحّوي، وبين الخبر، قسيم الإنشاء، الذي يحكم عليه بالصدق أو الكذب على وفق مطابقته للواقع، في الدرس البلاغي. وإذا كان الأمر كذلك؛ ففي هذا التمييز والفصل محاولة مبكرة تسعى إلى جعل النّحو العربي مستقلًّا عن معاني النحو، التي عرفت بعد ذلك بـ (علم المعاني)، وغدت علمًا له أصوله وضوابطه ومنهجيته الخاصة في البلاغة العربية.

3 ـ الحال المشاهدة:

تمثل الحال المشاهدة، في الدرس اللغوي، أصلاً مهمًّا من الأصول المتبعة عند النحاة، في تقرير الظاهرة النحوية وتقنينها وتجريد قواعدها. والمراد بالحال المشاهدة كلُّ ما يحيط بالخطاب الكلامي لحظة إنتاجه من ظروف ومتغيرات في زَمَكانٍ معلوم[104]. وهي من المبادئ المهمة التي بنيت عليها التداولية الحديثة، وذات حضور في الفكر النحوي العربي، أثناء توجيه المسائل النحوية وتفسيرها وتعليلها[105]. وما ذلك إلا دليل على دراسة النحاة للغة العربية بوصفها ظاهرة اجتماعية متصلة بمحيط استعمالاتها وملابساته[106]؛ ذلك أنّ الحال المشاهدة "من أهم عناصر السياق المقامي"[107]، التي تسهم في تحديد مقاصد الكلام، وقد غدت فكرة المقام الأساس الذي يبتنى عليه الجانب الاجتماعي للمعنى[108].

تظهر عناية المبرِّد بالحال المشاهدة في تفسير الحذف داخل التراكيب اللغوية، من خلال ما ذكره في باب (إيّاك في الأمر)؛ إذ قال: "وقد يحذف الفعل في التكرير وفي العطف، وذلك قولك: رأسَك والحائطَ، ورأسَه والسيفَ يا فتى. فإنما حُذف الفعل للإطالة والتكرير، ودل على الفعل المحذوف بما يشاهد من الحال .... فلو أفردت لم يجز حذف الفعل إلا وعليه دليل، نحو: زيدًا. لو قلت ذلك لم يُدْرَ ما الفعل المحذوف. فإن رأيت رجلا قد أشار بسيف، فقلت: زيدًا، أو ذكرت أنه يضرب أو نحو ذلك جاز؛ لأن المعنى: أوقع ضربك بزيد"[109]. ونحو قوله: "وكذلك كلُّ مستغنًى عنه فإن شئت أظهرت الفعل.... وترى الرامي قد رمى، فتسمع صوتًا فتقول: القرطاسَ والله؛ أي أصبت. وإن شئت قلت:..... أصبت القرطاسَ يا فتى"[110]. وبهذا يتحول السياق إلى شاهد اجتماعي.

ليس للمتكلم أن يحذف من بنية التركيب اللغوي إلاّ عند وجود دليل مقالي أو مقامي، على المحذوف[111]؛ فالدليل المقالي، كما في أسلوب الاشتغال، نحو قولنا: (زيدًا ضربته)؛ فالفعلُ المذكورُ العاملُ في الضمير يفسر الفعلَ المحذوفَ العاملَ في الاسم الصريح. أما الدليل المقامي فيغني عن ذكره ما يشاهد من حال، وذلك نحو حذف الفعل العامل في أسلوب التحذير، في قولنا: (السيارةَ السيارةَ)؛ فحذف المتكلم الفعل العامل النصب في الاسم؛ لما يشاهده من حال المخاطب وخطورة الموقف. ومما يُلحَظ في المقتبسة السابقة أنّ المتكلم لجأ إلى هذين الضربين من الحذف؛ ليكتمل كلٌ منهما بصاحبه؛ فالحذف بسبب عدم الرّغبة في الإطالة أو التكرير أو العطف ضرب من الحذف المقالي، غير أنه يبقى محتاجًا لما يُفسِّره ويوضحه من معطيات خارجة عن بنية التركيب؛ لهذا جاءت الحال المشاهدة دليلاً على المحذوف، وسادّة مسدّه وتفسيرًا له في آنٍ معًا. كما أنّ رؤية العين وسماع صوت وقوع الفعل أغنيا عن ذكر الفعل (أصبت)؛ فجاء حذف الفعل ههنا مقاميًا، وذلك أكثرُ بلاغةً في الدلالة على وقوع الحدث؛ لأنّ ذكر الفعل في مثل هذا السياق قد يجعل المخاطب بمنزلة الجاهل الذي لا يدرك ما يقوم به من فعل، كما أنّ في عدم حذفه ضربًا من الإطالة والحشو الذي ترفضه بلاغة اللغة؛ لأنّ المهم من هذا المشهد هو ما وقع عليه الفعل؛ أي القرطاس؛ فحُذِف الفعل استغناء بسماع الأذن وبمشاهدة العين، وفي ذلك استثمار لمبدأ الاقتصاد اللغوي، الذي من شأنه تكثيف المعنى وإبراز الجانب البلاغي في الخطاب الكلامي.

وتأسيسًا على ما تقدّم، يمكن تأكيد أنّ مسوغ الحذف يأتي مقاليًا حينًا، ومقاميًا حينًا آخر، ومقاليًا مقاميًا في الوقت نفسه، وفي هذا الضرب يحقق المتكلم مبدأ الاقتصاد اللغوي، في كلامه وبناء تراكيبه، ويُمكِّن من تقدير المحذوف فيها وتفسيره بقدر ما تعين على ذلك الحالُ المشاهَدةُ.

خاتمة:

لقد سعى نحاة العربية جاهدين - وعلى الأخص في مرحلة نمو النحو (مرحلة سيبويه والمبرد) - إلى الكشف عن أوجه تحقُّق (الفائدة اللغوية التواصلية)، في (الخطاب اللغوي الكلامي) الذي عملوا على تحليله وتفسيره، وعُنوا بالكشف عن مقاصد العرب في كلامها، على اختلاف أساليبه وتنوعها؛ كي يتسنى لهم (أيْ: النحاة)، صوغ القواعد ومن ثَمَّ تعميمها على الاستعمالات اللغوية قديمها وحديثها.

ولقد أدرك هؤلاء النحاة أن الفائدة لا تتحقق، ولا تكتمل الفِكَر، ولا ترتسم المدارات الدلالية والمعنوية لكثير من أنماط الخطاب الكلامي إلا عند ربطها بالبعد الاجتماعي لها؛ ذلك أنّ اللغة "لا وجود لها خارج الإطار الاجتماعي"[112] الذي تستعمل فيه؛ فالصبغة الاجتماعية للغة من أهم ما يميز أنماط الخطاب الكلامي[113]. وعليه، فقد كانت معرفة الأبعاد الاجتماعية التي ينطلق منها

الخطاب الكلامي من أهم ما عُنِيَ به هؤلاء النحاة؛ فهذه الأبعاد - في نظر المحدَثين - تتمثل في معرفة شخصية المتكلم والمخاطب وأنماط تواصلهما وتفكيرهما[114].

مراعاة أطراف العملية التواصلية وما يحيط بها من ظروف وملابسات ثقافية واجتماعية، كانت إذاً مما عُنِيَ به النحاة، في تحليل الظواهر اللغوية والنحوية وتفسيرها وتقنينها، عندما لم يكن السياق اللغوي معيناً في إيضاح القاعدة النحوية الضابطة للظاهرة اللغوية، أو عندما أظهر هذا السياق عجزَه عن تفسير العلامات الإعرابية، في أواخر المفردات داخل التراكيب، أو عجزَه عن تسويغ حذف عنصر لغوي أو أكثر من البنية التركيبية الخطابية.

وعليه، فقد استثمر النحاة المتكلم والمخاطب وأحوالهما من علم وجهل وشك وتَيقُّن وغفلة وتَنبُّه، وغير ذلك، في دراسة الظواهر اللغوية والخطابات الكلامية؛ من أجل الوصول إلى المعاني القريبة، والمقاصد التداولية البعيدة.

وقد أفادوا من الحال المشاهدة، في تحليل الخطابات الكلامية وتفسيرها وتقنينها وتوجيهها بما يتسق ومبتنى قوانين الصناعة النحوية. استثمروا الجوانب السالفة الذكر في تجلية المدارات الدلالية والتداولية، في مختلف أشكال الخطاب الكلامي، بما يسهم في تحقيق الفائدة وأمن اللبس ووضوح المعنى.

The Role of the "Speaker" in the Stages of "The "Emergence and Growth of Arabic Grammar (A study in the light of some modern perspectives)

Fares A. Alsoud and **Faisal I. Safa,** *Department of Arabic Language and Literature, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims at illustrating the role of the "speaker" in the Arabic Grammatical Heritage in its two stages: "emergence" and "development". This is due to the intensive care given by "discourse studies" to both the "speaker" and the "addressee" in the verbal situation. That given intensive care was strong enough to encourage a lot of those who are interested in ancient Arabic linguistics to examine the ancient grammatical studies. This study was concerned with highlighting the concepts which governed the way of analysis followed in those studies. The results were impressive regarding the "speaker", and also were refuting one of the most important accusations, which says that Arabic Grammar was fond of formality in studying speech, and in standardizing its constructional rules.

Keywords: Role, speaker, Arabic Grammar, Emergence Stage, Development, Modern Perspectives.

الهوامش والإحالات:

1. ينظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، قدّم له وبوبه وشرحه: علي أبو ملحم، د.ط، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن، مج 2009،1م ص 91- 99. وينظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي، **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1987م، ص 168 ـ 169.
2. **البيان والتبيين**، مج1، مصدر سابق، ص 131.

** نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، دار الشروق، عمان 2000، ص 35.

3. ينظر: الزُبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 33.
4. الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1985م، ص 26.
5. ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود، الأعلام، ط 15، دار العلم للملايين 2002، ج 8، ص 93.
6. ينظر: **ديوان الفرزدق**، قدّم له وشرحه: مجيد طراد، ط1، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1992م، ص 236. وينظر: الزُّبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن ، **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة، 1984م، ص 32. ورواية الديوان هي:

مستقبلين شمال الشأم تضربنا بحاصب كنديف القطن منثورِ

على عمائمنا يلقى وأرحلنا على زواحف نزجيها محاسيرِ

7. الرير: هو مخ الساق الذائب من شدّة الهُزال. ينظر: مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط2، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا، 1972م، مادة (ر،ا، ر).
8. المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين ، ط 1، دار الكتب العلمية، 1995 ص 127. وينظر: **طبقات النحويين واللغويين**، مصدر سابق، ص 32.
9. ينظر: استيتية، سمير شريف، علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، ط1، دار وائل، عمان، الأردن، 2012م، ص 373- 376. وينظر: استيتية، سمير شريف، الإعراب في العربية صوتيًا ودلاليًا بين القديم والحديث، (مقاربة لسانية)، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية 34، 2103م، ص 99- 101.

10. ينظر: **ديوان الفرزدق**، مصدر سابق، ج2، ص 75. وينظر:**الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، مصدر سابق، ص92. وينظر: الأنباري، أبو البركات عبدالرحمن بن محمد، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، 1985م ص 28. وينظر: البغدادي، عبد القادر بن عمر، **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979 ، ج1، ص 237. ورواية الديوان (أو مُجرَّفُ).
11. **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، مصدر سابق، ص 92. وينظر: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، مصدر سابق، ص 28.
12. **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، مصدر سابق، ج 1، ص 237.
13. **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، مصدر سابق، ص 90.
14. **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، مصدر سابق، ص 27.
15. **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، مصدر سابق، ص 91.
16. ينظر: **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، مصدر سابق، ج1، ص 235- 236.
17. الدعجاني، طلال سعود، موارد أبن عساكر في تاريخ دمشق، ج 1، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، 1424 هـ، ص 321.
18. ينظر: ترجمة: (عبد الله بن إبي إسحق) في: أبو المحاسن الفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري، المتوفى سنة 442 هـ، **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة ط 2، 1412 هـ، 1992 م، ج 1 ص152 وما بعد.
19. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبَر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت. ج 3، ص 313.
20. **المبرد، محمد بن يزيد، كتاب المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة 1994، ج1، ص 281.
21. **المقتضب**، ج1، ص 281 .
22. ينظر: **المقتضب**، ج1، ص 281 – 282.
23. الفارقي، أبو نصر الحسن بن أسد، **الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب**، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط 2، جامعة بنغازي 1974، ص 5.
24. الفارقي، أبو نصر الحسن بن أسد، **الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب**، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1980م، ص 294.

25. **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، مصدر سابق، ج1، ص 236.

26. روبول، آن و موشلار، جاك: **التداولية اليوم: علم جديد في التواصل**، ترجمة سيف الدين دغفوش، و محمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت 1998، ص 82 .

27. **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، ج1، ص 235.

28. ابن يعيش، موفق الدين، **شرح المفصل**، مج1، ج 2، ص 287.

29. **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، ج1، ص 236.

30. **المصدر السابق نفسه.**

31. ينظر: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، ص 28- 30. وينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، **تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب**، دراسة وتحقيق: حسن الملخ وسهى نعجة، ط1، ج2، عالم الكتب، إربد، الأردن، 2005م، ص 586 - 589.

32. ينظر: القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف، **إنباه الرواة على أنباه النُحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1986م، ص 375. وينظر: **طبقات النحويين واللغويين**، ص 22.

33. ينظر: **تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب**، ج2، ص 586.

34. **ولد اباه، محمد المختار**: **تاريخ النحو في المشرق والمغرب**، دار الكتب العلمية سنة النشر: 1429 - 2008 الطبعة: 2 ، ص 59.

35. ينظر: ابن شقير، أبو بكر أحمد بن الحسن النحوي البغدادي: **المحلّى في وجوه النصب**، تحقيق: فائز فارس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ودار الأمل، الأردن، 1987م، ص 1، حيث بلغت وجوه النصب- كما يذكرها ابن شقير ص 2- واحدا وخمسين وجها، في حين بلغت وجوه الرفع- عنده ص 91- اثنين وعشرين وجها، وبلغت وجوه الجرّ- عنده كذلك ص 146- تسعة وجوه.

36. ينظر: ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي: النشر في القراءات العشر، دار الكتاب العربي، د.ت.، ج 2 ص 349. وينظر: **طبقات النحويين واللغويين**، ص 41.

37. ينظر: الأنباري، أبو البركات، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، دار إحياء التراث، القاهرة، 1961م،ج1، مسألة 18، ص 162، وينظر: **الملخ، حسن خميس، التفكير العلمي في النحو العربي**، دار الشروق، عمان 2002 ط 1 ص 215.

38. ينظر: أبو الحسن الوراق، محمد بن عبد الله، **علل النحو**، تحقيق ودراسة: محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1999م، قسم الدراسة، ص 60.

39. الحلواني، محمد خير، **أصول النحو العربي**، ط2، الناشر الأطلسي، الرباط، 1983م، ص114.
40. ينظر: الحلواني، محمد خير، **أصول النحو العربي**، المرجع السابق، ص 114.
41. ينظر: ديوان النابغة، (ضمن: هذا مجموع مشتمل على خمسة دواوين...)، الوهبية، 1293هـ، ص 51. وينظر: **طبقات النحويين واللغويين**، مصدر سابق، ص 41. وينظر: **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، مصدر سابق، ص 39.
42. **طبقات النحويين واللغويين**، مصدر سابق، ص 41.
43. ينظر: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، ص 31- 35. وينظر: **تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب**، مصدر سابق، ج2، ص 590 - 612.
44. **طبقات النحويين واللغويين**، ص 35.
45. **المصدر السابق** ، ص 39.
46. الأسطى، عبد الله محمد، **أبو عمرو بن العلاء اللغوي النَحوي ومكانته العلمية**، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية الليبية، 1986م، ص 168.
47. ديوان ذي الرمة، تحقيق كارليل هنري هيس، كمبردج 1919، ص 173.
48. ينظر: **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، ص 165.
49. **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، بولاق، 1299هـ، ج4، ص 49.
50. **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، ص 182.
51. ديوان عمر بن أبي ربيعة، بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد، السعادة 1371 هـ، ص 423.
52. **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، ص 182.
53. المرجع نفسه.
54. ينظر: القفطي، أبو الحسن بن علي بن يوسف، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، 1986م، ج2، ص 345- 360. وينظر: **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، مصدر سابق، ص 58.
55. كان لكتاب الدكتور حسن الملخ (**رؤى لسانية في نظرية النحو العربي**)، دار الشروق، عمان 2016، أثر واضح في إبراز هذا البحث الجوانبَ الاجتماعية في نظرات سيبويه اللغوية التحليلية.
56. ينظر: الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى، **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق: خالد عبد الفتاح شبل، د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،1999م، ج4، ص 67.

57. استفادت الدراسة هنا، على نحو عام، من بحث (المحظورات النحوية في اللغة العربية)، المنشور في مجلة (دراسات)، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 39، العدد 2، 2012، للباحثين: حسن الملخ وسهى نعجة.

58. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبَر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، د. ت.، ج1، ص34. وينظر في ظاهرة الترتيب من تقديم وتأخير وغيره: عمايرة، خليل، **في نحو اللغة وتراكيبها**، ط 1، عالم المعرفة، جدة 1984، ص 88-96.

59. للمزيد من بيان عناية المتكلم واهتمامه بالمتقدِّم في الكلام، من استفهامٍ وإخبارٍ، واسمٍ وفعلٍ، يمكن الإفادة مما جاء عند: الجرجانيّ، عبد القاهر في كتابه: **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة، 1992م، ص 108 – 145.

60. السيرافي، أبو سعيد، **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط3، دار الوثائق والكتب القومية، القاهرة، 2013م،ج2، ص274.

61. **الكتاب**، ج1، ص37.

62. السابق نفسه، ج1، ص 37.

63. **الكتاب**، ج1، ص 224.

64. السابق نفسه،ج1، 224.

65. ينظر: **الكتاب**، ج1، ص 212.

66. السابق، ج3، ص169.

67. ابن هشام الأنصاري، أبو محمد عبد الله بن يوسف، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، مطبعة المدني، القاهرة،د. ت، ج1، ص 42.

68. **الكتاب**، ج3، ص169.

69. **السابق**، ج3، ص 169 _ 170.

70. السابق، ج1، ص253.

71. كان لكتاب حسن الملخ (رؤى لسانية في نظرية النحو العربي) أثر عام لا ينكر في ما أثبته البحث في جانب الاحتمالات الإعرابية لدى سيبويه.

72. **السابق**، ج1، ص305.

73. ينظر: ابن هشام، جمال الدين: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، دار الفكر، بيروت 1979، ص ص 166-171.

74. **مغني اللبيب**، مطبعة المدني ج1، ص 271.

75. السابق نفسه، ج1، ص 271.

76. **شرح كتاب سيبويه**، تحقيق: محمد عوني عبد الرؤوف، ج5، ص38.

77. الكتاب، ج1، ص 262.

78. **السابق نفسه**، ج1، ص 262.

79. ينظر: **الكتاب**، ج1، هامش ص 262.

80. ينظر: المصدر السابق، ج1، ص127.

81. السابق نفسه، ج1، ص127.

82. ينظر: الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى، **النُكَت في تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه**، قرأه وضبطه: يحيى مراد، نسخة إلكترونية، ص141.

83. الكتاب، ج1، ص138.

84. ينظر: العوادي، أسعد، **سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة**، ط1، دار الحامد، عمان، الأردن، 2011م، ص 90.

85. **الكتاب**، ج1، ص 150- 158.

86. **الكتاب**، ج1، ص151.

87. ينظر: السابق نفسه.

88. ينظر: **طبقات النحويين واللغويين**، ص 101- 110.

89. **تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب**، ص 132.

90. ينظر: الموسى، نهاد، **الأعراف: نحو اللسانيات الاجتماعية**، ص 145، والعيص، سائدة، **الوجهة الاجتماعية في منهج التحليل النحوي عند المبرّد في المقتضب**، ص 4.

91. ينظر: برهومة، عيسى، **اللغة والجنس، حفريات في الذكورة والأنوثة**، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن، 2002م، ص 30. وينظر: عبد العزيز، محمد حسن، **علم اللغة الاجتماعي**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة، 2009م، ص 272.

92. المبرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد، **المقتضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، د.ط، عالم الكتب، القاهرة، د. ت.، ج3، ص 275.

93. ينظر: **الوجهة الاجتماعية في منهج التحليل النحوي عند المبرّد في المقتضب**، ص 7.

94. ينظر: المبرِّد، محمد بن يزيد، **الكامل في اللغة والأدب**، د.تح، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، د.ت، ج2، ص 5- 6، ص 40 – 48، ص132 – 134، ص 198 - 199، ص 219 – 221، ص 232 – 233، ص 376 – 378. وينظر: الخطيب، أبو الحسن عبد الله، **المبرِّد ودراسة كتاب الكامل**، تقديم: محمد مصطفى هدارة، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1979م، ص 363 – 368.

95. ينظر: **المقتضب**، ج4، ص 44.

96. **السابق**، ج4، ص 45.

97. **السابق**، ج3، ص 228.

98. السابق نفسه.

99. السابق، ج 3، ص 264.

100. السامرائي، فاضل صالح، **معاني النحو**، ط2، شركة العاتك، القاهرة، 2003م ج4، ص 201.

101. ينظر: **الوجهة الاجتماعية في منهج التحليل النحوي عند المبرّد في المقتضب**، مرجع سابق، ص 13 - 14.

102. هو يعقوب بن إسحاق الكندي المترجم، من نسل الأشعث بن قيس (رضي الله عنه)، وكان عظيم المنزلة عند المأمون، وله نحو مائتي تأليف بين كتاب ورسالة في جميع العلوم. ينظر: الجاشية (1) من كتاب "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، د. ت.، ص 205.

103. الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط3، دار المدني، جدة، 1992م، ص 315.

104. ينظر: موسى، عطا، **ملامح تداولية في دراسات نهاد الموسى اللغوية، ضمن كتاب، آفاق اللسانيات: دراسات، مراجعات، شهادات تكريمًا للأستاذ الدكتور نهاد الموسى**، إشراف وتحرير: هيثم سرحان، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2011م ص 438.

105. ينظر: أبو نواس، عمر محمد، **علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية**، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، مج7، ع2، نيسان، 2011م، ص 123.

106. ينظر: **سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة**، ص 84.

107. **ملامح تداولية في دراسات نهاد الموسى اللغوية، ضمن كتاب، آفاق اللسانيات**، ص 438.

108. ينظر: حسان، تمام، **اللغة العربية معناها ومبناها**، د.ط، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001 ص 337، **ملامح تداولية في دراسات نهاد الموسى اللغوية، ضمن كتاب، آفاق اللسانيات**، ص

438، مقبول، إدريس، **البعد التداولي عند سيبويه**، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، مج33، ع1، سبتمبر، 2004م ص257.

109. **المقتضب**، ج 3، ص 215 - 216.

110. السابق، ج 2، ص318.

111. ينظر: الأنصاري، ابن هشام، **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، مطبعة المدني، القاهرة، د.ت.، ج2، ص 603 – 605. حسان، تمّام، **الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة**، د.ط، عالم الكتب، القاهرة، 2000م، ص 203. السعدني، مصطفى، **تأويل الشعر: قراءة أدبية في الفكر النحوي**، د.ط، منشأة المعار، الإسكندرية، 1992م، ص 74 – 75. وخليل، إبراهيم، **في اللسانيات ونحو النص**، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن، 2007م، ص 192. وينظر كذلك في ظاهرة الحذف: عمايرة، خليل، **في نحو اللغة وتراكيبها**، مرجع سابق، ص 134-148.

112. دي سوسير، فردينان، **علم اللغة العام**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، مراجعة: مالك يوسف المطلبي، د.ط، بيت الموصل، 1988م، ص 95.

113. ينظر: **علم اللغة العام**، المرجع نفسه، ص 95.

114. ينظر: خليل، عبد المنعم، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية**، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2007م، ص 85.

المصادر والمراجع

ابن أبي ربيعة، عمر. (1371هـ). **ديوانه**، بعناية محمد محيي الدين عبد الحميد، ط مطبعة السعادة.

ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي. (د.ت). **النشر في القراءات العشر**، دار الكتاب العربي.

ابن شقير، أبو بكر أحمد بن الحسن النحوي البغدادي. (1987م). **المحلّى في وجوه النصب**، تحقيق: فائز فارس، مؤسسة الرسالة - بيروت، ودار الأمل، الأردن.

ابن هشام ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف. (د.ت). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، د.ط، مطبعة المدني، القاهرة، ، ج1.

ابن هشام ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف. (1979م). **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، دار الفكر، بيروت.

ابن يعيش، موفق الدين. (د.ت). **شرح المفصل**، الطبعة المنيرية.

أبو الحسن الوراق، محمد بن عبد الله. (1999م). **علل النحو**، تحقيق ودراسة: محمود جاسم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1.

أبو المحاسن الفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري. (1981م). المتوفى سنة 442 هـ، **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم**، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، **الكتاب**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د ط.

أبو نواس، عمر محمد. (2011م). علم المخاطب بين التوجيه النحوي والتداولية، **المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها**، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، مج7، ع2، نيسان.

استيتية، سمير شريف. (2012م). **علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة**، ط1، دار وائل، عمان، الأردن، ، ص 373- 376.

استيتية، سمير شريف. (2013م). الإعراب في العربية صوتيًا ودلاليًا بين القديم والحديث، (مقاربة لسانية)، **حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية**، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية 34، ص 99- 101.

الأسطى، عبد الله محمد. (1986م). **أبو عمرو بن العلاء اللغوي النّحوي ومكانته العلمية**، ط1، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية الليبية.

الأعلم الشنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى. (د.ت). **النُكَت في تفسير كتاب سيبويه وتبيين الخفي من لفظه وشرح أبياته وغريبه**، قرأه وضبطه: يحيى مراد، نسخة إلكترونية.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1985م). **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط3، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد. (1961م). **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين، والكوفيين**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، دار إحياء التراث، القاهرة، 1961م.

برهومة، عيسى. (2002م). **اللغة والجنس، حفريات في الذكورة والأنوثة**، ط1، دار الشروق، عمان، الأردن.

البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1979م). **خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (2009م). **البيان والتبيين**، قدّم له وبوبه وشرحه: علي أبو ملحم، د.ط، منشورات وزارة الثقافة، عمان، الأردن، مج 1، ص 91- 99.

الجرجانيّ، عبد القاهر. (1992م). **دلائل الإعجاز**، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني، جدة،.

الجرجانيّ، عبد القاهر. (د. ت). دلائل الإعجاز تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية، مكة المكرمة.

حسان، تمّام. (2000م). **الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو، فقه اللغة، البلاغة**، د.ط، عالم الكتب، القاهرة.

حسان، تمّام. (2001م). **اللغة العربية معناها ومبناها**، د.ط، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001.

الحلواني، محمد خير. (1983م). **أصول النحو العربي**، ط2، الناشر الأطلسي، الرباط.

الخطيب، أبو الحسن عبد الله. (1979م)**. المبرِّد ودراسة كتاب الكامل**، تقديم: محمد مصطفى هدارة، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية.

خليل، إبراهيم. (2007م). **في اللسانيات ونحو النص**، ط1، دار المسيرة، عمان، الأردن.

خليل، عبد المنعم. (2007م). **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية**، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية،.

دي سوسير، فردينان. (1988م). **علم اللغة العام**، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز. مراجعة: مالك يوسف المطلبي، د.ط، بيت الموصل.

ذو الرمة. (1919م). **ديوانه**، تحقيق كارليل هنري هيس، كمبردج.

روبول، آن و موشلار، جاك**.** (1998م). **التداولية اليوم: علم جديد في التواصل**، ترجمة سيف الدين دغفوش، ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت.

الزُبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن**.** (1984م). **طبقات النحويين واللغويين**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، القاهرة.

الزركلي، خير الدين بن محمود. (2002م). **الأعلام**، ط 15، دار العلم للملايين.

السامرائي، فاضل صالح. (2003م). **معاني النحو**، ط2، شركة العاتك، القاهرة، ج4.

السعدني، مصطفى. (1992م). **تأويل الشعر: قراءة أدبية في الفكر النحوي**، د.ط، منشأة المعار، الإسكندرية، ص 74 – 75.

السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي. (1987م). **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 168 ـ 169.

سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قَنبَر (د.ت). **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان.

السيرافي، أبو سعيد. (2013م). **شرح كتاب سيبويه**: تحقيق: رمضان عبد التواب، ط3، دار الوثائق والكتب القومية، القاهرة.

السيرافي، أبو سعيد. (2013م). **شرح كتاب سيبويه**: تحقيق: محمد عوني عبد الرؤوف.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (2005م). **تحفة الأديب في نحاة مغني اللبيب**، دراسة وتحقيق: حسن الملخ وسهى نعجة، ط1، ج2، عالم الكتب، إربد، الأردن، ص 586 - 589.

الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى. (1999م). **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق: خالد عبد الفتاح شبل، د. ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

عبد العزيز، محمد حسن. (2009م). **علم اللغة الاجتماعي**، ط1، مكتبة الآداب، القاهرة.

عمايرة، خليل. (1984). **في نحو اللغة وتراكيبها**، ط 1، عالم المعرفة، جدة، ص 88-96.

العوادي، أسعد. (2011م). **سياق الحال في كتاب سيبويه دراسة في النحو والدلالة**، ط1، دار الحامد، عمان، الأردن.

العيص، سائدة. (د.ت). **الوجهة الاجتماعية في منهج التحليل النحوي عند المبرّد في المقتضب**.

الفارقي، أبو نصر الحسن بن أسد. (1974م). **الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب**، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط 2، جامعة بنغازي.

الفارقي، أبو نصر الحسن بن أسد. (1980م). **الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الإعراب**، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الفرزدق، همام بن غالب. (1992م). **ديوانه**، قدّم له وشرحه: مجيد طراد، ط1، ج1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،.

القفطي، أبو الحسن علي بن يوسف. (1986م). **إنباه الرواة على أنباه النُحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

المبرِّد، محمد بن يزيد. (د.ت). **الكامل في اللغة والأدب**، د.تح، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان، ج2.

المبرِّد، محمد بن يزيد. (1994م). **كتاب المقتضب**، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج 1 القاهرة.

المرزباني، أبو عبد الله محمد بن عمران بن موسى. (1995م). **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء**، تحقيق: **محمد حسين شمس الدين**، ط 1، دار الكتب العلمية.

مصطفى، إبراهيم، وآخرون. (1972م). **المعجم الوسيط**، ط2، المكتبة الإسلامية، إستانبول، تركيا.

مقبول، إدريس. (2004م). البعد التداولي عند سيبويه، **عالم الفكر**، المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، مج33، ع1، سبتمبر.

الملخ، حسن. (2016م). **رؤى لسانية في نظرية النحو العربي**، دار الشروق، عمان.

الملخ، حسن. (2002م). **التفكير العلمي في النحو العربي**، دار الشروق، عمان، ط1.

الملخ، حسن و نعجة، سهى. (2012م). المحظورات النحوية في اللغة العربية، **مجلة (دراسات)**، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 39، العدد 2.

موسى، عطا. (2011م). **ملامح تداولية في دراسات نهاد الموسى اللغوية**، ضمن كتاب، آفاق اللسانيات: دراسات، مراجعات، شهادات تكريمًا للأستاذ الدكتور نهاد الموسى، إشراف وتحرير: هيثم سرحان، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.

الموسى، نهاد. (د.ت). **الأعراف: نحو اللسانيات الاجتماعية**.

النابغة الذبياني. (1876م). **ديوانه**، (ضمن: هذا مجموع مشتمل على خمسة دواوين...)، المطبعة الوهبية، 1293هـ.

ولد اباه، محمد المختار. (2008م). **تاريخ النحو في المشرق والمغرب**، دار الكتب العلمية، سنة النشر 1429هـ، ط2.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 16 العدد 2، 2019، ص ص 467- 495

أثر الأنظمة الحاكمة في إيران على اللغة الفارسية ومفرداتها

مازن إسماعيل النعيمي* وإيناس شديفات**

تاريخ الاستلام 2019/1/6 تاريخ القبول 2019/7/31

ملخّص

تناول البحث بعض المراحل التاريخية المُهمة التي مرّت بها اللغة الفارسيّة في كنف سطوة أنظمة الحُكم التي قادت إيران وحكمها في حقبٍ زمنيةٍ مختلفة من القديمة إلى الوسطى والمعاصرة، وتأثير طبيعة الحُكم وماهيته وتوجهاته السياسية على اللغة الفارسية، وألفاظها، وقواعدها، وصرفها، ونحوها، وآدابها. يتناول البحث بداية اللغة الفارسية القديمة (باستان)، التي كانت مستعملة قبل الفتح الإسلامي تحديداً، ومن ثم الفارسية الوسيطة (ميانه) التي نطق بها الناس حتى سقوط الإمبراطورية الفارسية، وفتح إيران من قبل العرب المسلمين، وأيضاً القرون الهجرية الأولى، ثم يتطرّق البحث إلى اللغة الفارسية الحديثة (الدرية) أو المعاصرة.

يُقدّم البحث مختلف أنواع الأمثلة والإشارات والنماذج على تأثير النظام الحاكم في إيران في اللغة الفارسية. ويستعرض أهم اللغات الي أثرّت فيها، وفق أولوية التأثير، ابتداء باللغة العربية، ثم التركية والفرنسية، مروراً بسائر لغات البلدان المجاورة لإيران، أو البعيدة عنها. ويتضمن البحث نصوصاً لغوية نثرية من اللغة الفارسية لمختلف المراحل الزمنية الآنفة الذكر تعكس تأثير تلك الأنظمة الحاكمة في اللغة من خلال استيراد المفردة الأعجمية، أو بتأثير أصل الحُكام الذين حكموا إيران، ويُشير إلى تأخّر تدوين قواعد اللغة الفارسية ومعجمها اللغوي، مما أفسح المجال، وهيّأ الأرضية المناسبة لكل ذلك التأثير في اللغة الفارسية.

مقدّمة

تُعدُّ اللغة إحدى المميزات العجيبة والمضيئة للبشرية، لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يمتلك هذه الميزة، ويمكن له من خلالها نقل أفكاره بدقّة إلى الآخرين. لذلك فهي وسيلة ارتباط وتواصل بين بني البشر، ومن أكبر عوامل تكوين المجتمعات والثقافات والحضارات والعلوم والفنون، وبدونها لا يمكن التفريق بين الإنسان والحيوان، إضافة إلى أنها وسيلة لظهور أوسع

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2019.

* باحث، الأردن.

** قسم اللغات السامية والشرقية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

أنواع فنون النوع البشري، ونعني بذلك الأدب، عندها لا تكون اللغة وسيلة لبيان الأفكار لكونها عامل تكوينها وخلقها، يعني بدون اللغة لا يسعنا التفكير. واللغة ركن مهم من أركان الفكر والحضارة والتكوين الاجتماعي للبشر، لذلك يجب على البشر تعزيز لغاتهم وإغنائها، والمحافظة على سلامتها وتاريخها وقواعدها وآدابها، وتنقيتها من الشوائب، مع التمسّك بالدخيل من الألفاظ ذات الفائدة اللغوية التي تغني اللغة الأُم، مع الإبقاء على هويتها بجهود علماء اللغة والأدب والمثقفين كافة، بعيداً عن التأثيرات الحكومية والسياسية للأنظمة الحاكمة.

نتناول في بحثنا هذا بعض المراحل التاريخية المهمة التي مرّت بها اللغة الفارسيّة تحت سطوة الحكومات وأنظمة الحُكم التي قادت إيران مدداً مختلفة من الزمن، وتأثير طبيعة الُحكم وتوجهاته السياسية على اللغة الفارسية ومفرداتها وآدابها على وجه الدّقة والتحديد. بداية يتناول البحث اللغة الفارسية القديمة، ما قبل الإسلام تحديداً، ثم مرحلة سقوط الإمبراطورية الفارسية على يد العرب المسلمين، ونقصد الفتح الإسلامي لإيران، وتحديدا القرون الهجرية الثلاثة الأولى، ثم نعرج على اللغة الفارسية الوسيطة، ومن ثم الحديثة، أو المعاصرة. وتجدر الإشارة هنا إلى عدم وجود فوارق جسيمة بين تلك الحِقب سوى التأثير اللغوي والثقافي الأعجمي المستورد، أو لغة الحاكم وبطانته، أو التوجّه السياسي الطوعي أو المفروض للنظام الحاكم في إيران، ناهيك عن نتائج آثار الاحتلال الأجنبي (المجاور أو البعيد)، لمعظم الأراضي الإيرانية، أو بعضها، على اللغة الفارسيّة.

لم تُوثق اللغة الفارسيّة القديمة (باستان) بدّقة لشحة مصادرها ونُدرة نصوصها، سوى ما عُثر عليه هنا وهناك في بطون النصوص اليونانية والآرامية والآشورية والكلدانية والعبرية وبعض نصوص الآفستا (الكتابات الدينية الزردشتية)، وكل ذلك يُبعدنا بعض الشيء عن دراسة اللغة الفارسية القديمة.

تُعدُّ اللغة الفارسيّة من اللغات القديمة، وتمتّد جذورها إلى فترة ما قبل ميلاد السيّد المسيح عليه السلام، لكون الفُرس[1] من الأقوام القديمة {كلمة فارس تعريب لكلمة بارس بالباء المثلثة (پارس)} التي استوطنت إيران قبل ألف عام من الميلاد، وكانت منتشرة في إيران وأفغانستان، وشمالا في المنطقة الواقعة بين المجر وتركستان. وتُعدُّ الآفستية والفارسية القديمة (فارسى باستان) أقدم أشكال الفرع الإيراني، والآفستية هي لغة الآفستا الكتاب المُقدّس للزردشتيين، أما اللغة الفارسية القديمة فهي اللغة الرسمية للملك داريوش الكبير (522،486 ق، م) وخشايارشا (486،465 ق، م) وخلفائهم، وهو أقدم تحديد تاريخي تقريبي للغة الفارسية لغة الإيرانيين.

تُعدُّ اللغة الفارسية من عائلة اللغات الهندية الأوربية وفق تقسيم علماء اللغة[2]، وهو ليس مصطلحاً قديماً، بل انتشر منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلادي لأن

الدراسات في هذا المجال بدأت مُذّاك، وكان الباحثون الألمان أوّل من استعمل مصطلح الهندية الجرمانية، لكن بعض الأقوام غيّرت هذا المصطلح في القرن العشرين إلى الهندية الأوربية بعد أن واجهت نشاطات هتلر والنازيين[3]، وبعد تقسيم هذه المجموعة من اللغات أُطلق اسم اللغات الهندية الإيرانية عليها بحكم الموقع الجغرافي الذي اتفق عليه علماء اللغة. شملت هذه المجموعة اللغوية لغتين: الهندية والإيرانية؛ اللغة الهندية لغة شمال الهند ووسطها وباكستان، وأقدمها اللغة السنسكريتية، ثم اللغة الإيرانية التي راجت في إيران وأفغانستان، وهي أيضا لغة الكرد والبشتو والبلوشية[4].

نوعية الحُكم في إيران

لقد حكم إيران عدد من السلاطين والأباطرة، وتنوعّت توجهاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية واللغوية، وأسفر كل ذلك عن تنوّع الأعراق والقوميات واللهجات والانتماء، وشهدت حِقب استقرارًا، وثورات، واحتلالاً خارجيًا، واستقرارًا سياسيًا، ونورًا وظلامًا، وانفتاحًا وانغلاقًا. انعكس جُلّ ذلك على الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي انسحب على كلّ جوانب الحياة التربوية والعقائدية والتاريخية، وتحديدا اللغة ذات الصلة المباشرة بالحضارة، والقيم، والثقافة، وعلاقة الفرد بثقافته وتاريخه ومصيره. اللغة التي تُعدُّ الهوية وجواز السفر ورمز الانتماء، وينعكس كل ذلك سلباً وإيجاباً على القارىء والأُمي على حد سواء، لأن الإنسان بحد ذاته باحث عن الأفضل لمنفعته إذا اتيحت له الفرصة لذلك، وهو أيضاً أول من يتأثر بالمتقلبات والمتغيرات السياسية والثقافية. ويتركّز حديثنا هنا على أهل اللغة، والمثقف، والأديب المعني المباشر، لأنه قائد المجتمع، وليس السياسي أو المَلك أو السلطان أو بشتى المسميات الذين لا أثر لهم إلا في زمن الحكام الذين يعيشون في ظلهم.

بعد أن درسنا اللغة الفارسيّة طلابا، وتخصّصنا بها ثم أصبحنا معلمين لها، وباحثين فيها بحكم التخصّص، وقارئين لتاريخها وأدبها الجميل الذي ترعرع ونما وازدهر بفضل اللغة العربية وآدابها وفي كنفها. والقصد هنا تذكير من يتناسى فضل العرب ولغتهم وهم الذين شرّفهم الله تعالى بكتابه المُقدّس القرآن، وبالنبي العربي محمد صلى الله عليه وسلّم. ولقد وجدنا أن اللغة الفارسية من اللغات التي تأثّرت كثيراً بلغات أُخرى مجاورة وبعيدة، وفي مقدمتها اللغة العربية. حاول نُحَاة الفُرس ضبط لغتهم، إضافة إلى بعض النُحَاة العرب من خلال عددٍ من كتب القواعد التي دوّنوها، متفردين بالأسلوب، أو مقلدين للأساليب الأجنبية، لكن عدم الاستقرار اللغوي ساد كل تلك المدونات اللغوية، رغم أن اللغة الفارسية كانت، وما زالت، من اللغات التي جلبت أنظار كثير من الباحثين والدارسين من غير الناطقين بها منذ قرون، ومن مختلف أصقاع العالَم[5].

مرّت اللغة الفارسية لغة بحثنا هذا بعدّة مراحل يمكن إجمالها في ثلاث:

1. **المرحلة الأولى:** وهي من أقدم المراحل زمنيا، والمعاصرة للميديين والدولة الهخامنشية (القرن السابع حتى القرنين الثالث والرابع ق. م)، وكانت تُكتب بالخط المسماري، وكانت في الوقت نفسه لغة مذهبية تُعنى بتسطير الترانيم والأناشيد الدينية في المعابد الزردشتية.
2. **المرحلة الثانية:** هي مرحلة اللغة البهلوية، أو الوسيطة التي راج استخدامها منذ حملة الإسكندر حتى الفتح الإسلامي لإيران، وتُعدُّ أيسر نطقا وكتابة من الفارسية التي سبقتها. وكان خطها مأخوذاً من الآرامية.
3. **المرحلة الثالثة:** اللغة الفارسية المعاصرة، ويُسميها بعضهم الفارسية الإسلامية، وتُكتب حتى اليوم بالحروف العربية، رغم محاولة بعضهم في القرن الميلادي العشرين كتابتها بالخط اللاتيني، كما فعل أتاتورك مع اللغة التركية[6]. نعني بذلك الفارسية القديمة (باستان) والفارسية الوسيطة (ميانه) والفارسية الحديثة (دَري)[7].

انعكس تأثّر اللغة الفارسية بلغات الأقوام الأخرى في ظل تعاقب الأنظمة الحاكمة على كل مناحي الحياة، وبخاصة الأدب من النثر والشعر والرواية والمسرحية ولغة الصحافة ولهجة الشارع (العاميّة) ناهيك بلغة الحُكام والسلاطين والاتفاقيات السياسية والبروتوكولات، وكانت هناك فجوة كبيرة في بعض الأنظمة بين لغة العامة والطبقة الحاكمة وشريحة علماء الدين. وسوف نتحدث عن ذلك في متن البحث لاحقا.

ونود التذكير هنا بأننا اختصرنا الأمثلة الواردة في البحث، رغم امتلاكنا المزيد منها، لعدم الاسهاب وإطالة البحث العلمي المُقيّد بعدد الصفحات في المجلات العلمية المُحكّمة.

تطرّقنا في المقدمة إلى تقسيم بحثنا إلى حقبٍ زمنية مختلفة، قادتها أنظمة ملكية وإمبراطوريات وسلطنات آخرها نظام جمهوري، وقد تركّز اهتمامنا على أنظمة كان لها الدور الفاعل والمؤثر في الحياة العامة في إيران، وبخاصة اللغة الفارسية موضوع بحثنا هذا.

الأنظمة الحاكمة في إيران قبل الإسلام واللغة الفارسية

اللغة الفارسية القديمة (باستان)

لم تتوصّل الدراسات عن اللغة الفارسية القديمة إلى نتائج ناجعة ومؤكدة، لقلّة المصادر وندرتها، أو لعدم وصولها الى المؤرِّخ والباحث في مجال اللغة، بسبب اندثارها وتلفها، أو عدم توثيقها؛ حالها حال اللغات الأخرى في العالَم.

ظهر في الألفية الثانية قبل الميلاد في غرب إيران من يتحدّثون اللغة الهندية الأوربية ثم اختفوا، وفي أوائل الألفية الأولى قبل الميلاد كان في مناطق غربي إيران الماديون والبارسيون الإيرانيون، وتدريجياً استوطن البارسيون أرضاً سُميت "بارس" بعد نزولهم فيها، واستقرت في ذلك الوقت مجموعة أُخرى من الإيرانيين شرق إيران. أسّس ديوكس Deioces دولة (ماد) في همدان أواخر القرن الثامن قبل الميلاد، وكانت تابعة لدولة آشور. وأسّس هخامنش في بارسومش parsumash قرب مدينة الشوش الدولة الهخامنشية البارسية أوائل القرن الثامن قبل الميلاد، وكانت تابعة لدولة ماد. وفي عام (612) قبل الميلاد أسّس هوخشتره Huwaxstra دولة ماد المستقلة بعد احتلال نينوى عاصمة آشور. أسّس كوروش البارسي، من أحفاد هخامنش، في عام (550) قبل الميلاد الدولة الهخامنشية بعد انتصاره على آستياغوس Astyages آخر ملوك ماد. سيطر كوروش على أُمم أُخرى إضافة إلى الإيرانيين. بعد ذلك سيطر كمبوجيه (530،522 ق.م) ابن كوروش وخليفته على مناطق أُخرى. وعندما كان داريوش حاكما (522،486 ق.م) كانت الدولة الهخامنشية تسيطر على مناطق واسعة من العالَم القديم، من الحبشة ومصر وليبيا غرباً والسند شرقاً، ومن الشمال حتى بحر الأورال وجبال القفقاز، وجنوبا إلى الخليج وبحر عمان[8].

تأثّرت اللغة الفارسية القديمة باللغة الآرامية، لغة العالَم الأُم، بعد أن توسعَت الدولة الهخامنشية في المناطق والأكناف التي ذكرناها سابقاً، لأن لغتها كانت اللغة الآرامية التي كانت قد عرفت الكتابة والتدوين والنقوش قبل اللغة الفارسية القديمة، وتسمى لغة الألف باء[9].

ظهر التبادل اللغوي بين الفارسية القديمة والساميّة المنحدرة من الآرامية، وتحديداً العبرية، وتأثّرت الفارسية بمفرداتها منذ تلك الحقبة (الحقبة الهخامنشية)، وبخاصة بعد أن أعاد كوروش الأسرى اليهود من بابل، حيث عُدَّ كوروش مسيح اليهود المُنجي. ويُروى أن كوروش كبير ملوك إيران كان من أُم يهودية، لذلك كان تعاطفه مع اليهود وإرجاعه لهم، وتخليصهم من الأسر بتوجيه من والدته، لذلك شاع الزواج من اليهوديات في عهد الهخمانشيين[10]. لقد سبقت العبرية اللغة الفارسية القديمة في التدوين والكتابة كما ورد في التوراة، وهذا ما سجله الفُرس القدامى، وخبروه منها بحكم تلك العلاقات التي تطرقنا إليها.

وحين نبحث في مفردات اللغة الفارسية نجد الكثير منها من ذات جذور آرامية مثل (گور) وتعني القبر، و(الوزير)، فمثلا استعاروا من السومرية لفظة dipi التي تعني الكتيبة باللغة الفارسية القديمة، ثم صارت في اللغة الفارسية الدرية (دب) في كلمة (دبستان)، وكلمة hwn في الآرامية التي صارت في اللغة الدرية (هاون)، علما أن حرف (الكاف) من الحروف الآرامية، وقد صُحّف عند العرب إلى حرف (القاف). حتى طريقة الكتابة من اليمين إلى اليسار.

ثم نعرج هنا على الخط الذي كُتبت به الفارسية القديمة، وهو الخط المسماري الذي كانت تُدوّن به اللغة البابلية والأكدية والآشورية، واستمر استعمال هذا الخط في اللغة البهلوية التي استبدلت الخط الآرامي به ونأتي على ذكره لاحقاً في الحقبة البهلوية. يبدو أن داريوش أمر باستحداث خط للغة الفارسية القديمة لتدوّن به تلك اللغة، واستلهم خط الفارسية القديمة من الخط الأكدي الذي أُخذ من الخط السومري وكان يُكتب من اليسار إلى اليمين[11].

اللغة الإيرانية الوسيطة (ميانه)

بدايةً يمكن تقسيم اللغة الفارسية بأسلوب أهلها قسمين: اللغات القديمة (الميتة)، والمعاصرة الإيرانية (الحيّة). تفتقر اللغة الإيرانية القديمة إلى الكثير من الأصوات، والخط، وقواعد اللغة بالمفهوم الحالي المعاصر، حالها حال سائر لغات العالم القديمة التي لم تُدوّن، أو لم يكن لها آداب، أو آثار مكتوبة. لقد كانت أكبر مشكلة واجهها باحثو اللغات الإيرانية القديمة، هي نسيان تلك اللغات، عكس اللغات الأخرى كاللاتينية، واليونانية القديمة والعبرية، وبعض الألسنة القديمة التي كانت قد حُفظت عند العلماء وعلماء الدين حتى بعد ترك التكلم بها وخرجت عن نطاق اللغات الحيّة[12].

في الحقبة الوسيطة، كانت اللغة الآفستية، اللغة الميتة منتشرة في الحوزات الدينية للزردشتيين. ثم أصبحت اللغة اليونانية اللغة الرسمية بعد أن تلاشت رسمياً اللغات الفارسية القديمة والأكدية والعيلامية والآرامية التي كانت اللغات الرسمية للدولة الهخامنشية، واستمرّت تلك اللغة بسيادتها ورواجها كلغة رسمية وحيدة حتى عهد بلاش الأول الأشكاني (51ـ 77، أو 78 م) ولغة من اللغات الإيرانية الرسمية[13].

كانت بلخ في عهد الهخامنشيين محافظة تابعة للمملكة، ثم حكمها اليونانيون، وتعرّضت في القرن الثاني قبل الميلاد إلى هجوم قبائل السكاييين والتخاريين من تركستان الصين واحتلوها، ثم غُيِّرَ اسمها إلى تخارستان، ظهرت منهم سلالات محلية جديدة، أشهرها سلالة الكوشانيين، واحتلوا الأرض التي تُسمى الآن أفغانستان، وكانوا يستعملون الخط اليوناني في الكتابة، واشتهر بالخط التخاري.

لقد تم اكتشاف كثير من الآثار عن الحقبة الوسيطة التي يعود تاريخها إلى القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، وكانت قد كُتبت بالخط البراهمي الذي استُعير من الهنود الذين أخذوه من الخط الآرامي، وكان يُكتب من اليسار إلى اليمين.

كانت لغة (بهلة) تشمل خراسان ومازندران وبعض من تركمنستان الحالية. وكان يقال للبهلة في الفارسية القديمة Pareawa وتحديداً في عهد داريوش، وكان والده wistaspa حاكم بهله.

ومن تلك الأرض ثار أشك الأول وتمكن من إنهاء حُكم اليونانيين وأسس دولة استمرت من العام (242) إلى العام (247م)[14].

نعود ونُذكّر هنا أن اللغة الفارسية في تلك الحقبة كانت تدور في فلك التأثّر باللغات الأخرى،وتحديداً باللغة اليونانية التي اجتاح أهلها إيران واحتلوها لمدة زمنية طويلة، وبحكم عِلم الاجتماع، فالمجتمع المُحتَل يتأثر بثقافة الفاتح ولغته بالضرورة، وبخاصة إذا دام الاحتلال مدة طويلة. وكان لنشر المسيحية في إيران الدور الكبير في تقبّل بعض المفردات من اليونانية، والمسميات، ذات المدلولات الخاصة والعامة. وهنا يؤدي التصاهر أيضاً دوره في نقل اللغات والأفكار والمسميات مثلما هو الحال بين العرب والفُرس.

لقد طغت كثير من المسميات اليونانية على الأماكن والأفراد في إيران، وقد تسمّى بعض الفُرس بالأسماء اليونانية، حتى إننا نجد بعض الأساطير والقصص في التاريخ الإيراني مشابهة إلى حدٍ ما لنظيراتها القصص والأساطير اليونانية، كرواية مقتل يوليوس قيصر التي تجسدت في الأُسر الهخامنشية السبع التي تنص على ظهور سبعة أسماء في التاريخ الهخامنشي، واتفاق داريوش مع ستة من القادة للإطاحة بحكومة غيوماته، وهم الذين أسسوا الأُسر الهخامنشية السبع المشهورة في التاريخ[15].

ومن تلك التسميات التي تأثّرت باليونانية، على سبيل المثال لا الحصر، ما ورد من أسماء في مسلّة داريوش وتشابهها مع ما ورد في كتابات هيروديت:

فَيَدَفرَنه (اينتا فِرنس)، اوتان (اتانيس)، فيدَرنَه (هيدارنس)، غيوبُروف (غُبرياس)، بوبره (بوباريس) إلى آخره[16]، ناهيك بالخط الذي تحدّثنا عنه سابقا. ونجد أن بعض الأفكار الدينية الواردة في المذهب الزردشتي عند الإيرانيين مشابهة إلى حد ما لما في المذهب البوذي عند الهنود، وهذا موضوع طويل لا نريد الولوج فيه.

اللغة الفارسية بعد الفتح الإسلامي لإيران

لقد تحدّثنا سابقا عن الخط المسماري والخط البهلوي اللذين كانت تُكتب بهما اللغة الفارسية، وبعد الفتح الإسلامي لإيران (14هـ) وانتشار الإسلام فيها واعتناق أهلها الدين الجديد الذي أُنزّل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم باللغة العربية تعلّم الفُرس لغة الدين الجديد، الدين الإسلامي الحنيف، وتركوا خطّ لغتهم القديم واستبدلوا به الخط العربي من الألف إلى الياء، سوى أربعة حروف من لغتهم القديمة وهي (پ، چ، ژ، گ). يُذكر أن اللغة العربية تختلف عن اللغة الفارسية من حيث الأُسرة اللغوية، فالعربية من اللغات الساميّة، والفارسية من اللغات الهندوأوربية.

تمهيد عن علاقة العربية بالفارسية

إن جذور العلاقة بين العربية والفارسية الضاربة في عمق التاريخ نتيجة منطقية لعاملين الأول: طبيعة التجاور، وروابط وصلات دولة الفُرس القديمة مع الجزيرة العربية وسائر المشرق العربي، والدويلات التي زرعها الفُرس والتابعة لهم مثل (دولة المناذرة 268 - 633م). والعامل الثاني: العامل الاقتصادي، والتبادل التجاري بين الأمتين العربية والفارسية، المتجسِّد بطريق الحرير الذي كان يمتد من أفريقيا إلى الجزيرة العربية، مروراً بإيران ومنتهياً بالصين. قلنا بعد الفتح الإسلامي دخلت الحروف العربية اللغة الفارسية، واستمر هذا الوضع حتى القرن الخامس الهجري، وكان جُلّها إدارية ودينية افتقرت اللغة الفارسية لها[17]، وبخاصة الألفاظ القرآنية مثل، الزكاة، والصوم، والحجّ، والجهاد، والمؤمن وغيرها، ناهيك بالصنعة البديعية والشعر وأسلوب النثر، وغلبت بعض الألفاظ العربية على الفارسية لجمالها وقصرها ودلالتها. صحيح أن اللغة العربية لم تصبح اللغة الرسمية في إيران لكنها كانت وما زالت لغة النخبة من علماء الدين، والمتنفذين، والمثقفين، والسياسيين وفحول شعراء الفُرس، وأسفر كل ذلك عن شخصية جديدة للغة الفارسية الدرية.

بعد الفتح الإسلامي لإيران كان الحُكم بيد العرب الفاتحين، والحُكام يُنصّبون من الخلفاء الراشدين، أو الأُمويين، أو العباسيين، سوى بعض الحُكام المحليين من الفُرس الذين كان يُنصّبهم العرب لجهلهم ببعض المناطق المفتوحة، وكان يُطلق على أولئك الحُكام الدهاقين، وهي لفظة مُعرّبة لكلمة (دهكان) الفارسية التي تعني المختار، أو كبير القوم، إذاً لم يكن نظام الحكم سياسياً إيرانياً بمعنى الكلمة، لذلك خضع لكل شروط الفاتح والنظام الإسلامي الذي نصّ عليه القرآن الكريم والشريعة والسُنّة النبوية الشريفة.

وفي القرن الرابع الهجري بعد أن استولى البويهيون (الإخوة الثلاثة، علي (عماد الدولة)، وحسن (ركن الدولة)، وأحمد (معز الدولة) على السلطة في العراق وفارس، خلع عليهم الخليفة العباسي ألقاب السلطة، وبهذا كان لهم دور مهم في تأثير اللغة العربية في اللغة الفارسية. فقد كان للغة العربية في عهدهم مكانة عظيمة، وأظهر سلاطين آل بويه ووزراؤهم اهتمامهم الكبير بها، إذ قاموا بتغيير مراكز حكمهم إلى أماكن لتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية. وتم اعتبار الكتابة والحديث باللغة العربية في ذلك الزمان دليلاً على التقدم والرقي الاجتماعي. وكان رجال الدولة يتكلمون اللغة العربية بفصاحة وبلاغة تامة، ولعل رسائل ابن عباد أفضل أنموذج للنثر العربي في عهد آل بويه[18].

بعد القرن السادس الهجري دخلت ألفاظ عربية جديدة إلى اللغة الفارسية، ودخل معها كذلك نحو اللغة العربية وصرفها، مثل الجمع، ومطابقة الصفة للموصوف، (مع فارق بسيط في الجمع)

وسبب ذلك: التوجّه الكبير للصنعة في الشِعر والنثر، وتقليد شِعر العرب ونثرهم، وترسيخ الإسلام واللغة العربية بين الإيرانيين وظهور مجموعة من الإيرانيين من اللغويين والشعراء والأعاجم الذين أضافوا إلى اللغة العربية وآدابها إضافات مُهمة لا يمكن نكرانها، أو نتيجة التمازج بين الأمتين من أمثال الشاعر بشار بن بُرد (714م)[19].

مظاهر تأثّر اللغة الفارسية بالعربية في ظل سيطرة العرب المسلمين على إيران

لقد بلغت نسبة الألفاظ العربية في القرنين الثاني والثالث الهجريين حوالي 70%، لكن تلك النسبة أخذت بالتناقص بعد مساعي الفُرس تفريس لغتهم، الذي بدأ في العهد القاجاري (1779م)، لكنها لم تنه اللفظة العربية كليا، بل خفضّت نسبتها ربما إلى40%.

أدخل الفُرس اللفظة العربية في الفعل الفارسي، وبخاصة في الفعل المُركّب، وبلغت نسبة الألفاظ العربية في الفعل الفارسي حوالي (2520) لفظة[20]، مثل: استماع كردن (الاستماع)، طمع آمدن (الطمع)، صلح طلبيدن (طلب الصلح والسلام) وغيرها. من جانب آخر تطوّر النثر الفارسي في تلك الحقبة بشكل ملحوظ بفضل استعمال اللغة العربية التي أضفت على اللغة الفارسية جمالية في التعبير والأداء والسرد والاستيعاب، فعلى سبيل المثال مسميات العلوم مثل: **علوم شرعى** (العلوم الشرعية)، **علوم عقلى** (العلوم العقلية)، **علم حديث وعلم فقه** (علم الحديث والفقه)، إضافة إلى مسميات القواعد الفارسية: كالفاعل، والمفعول به، والصفة، والمفعول له، والإضافة، وغيرها[21]. وفي نصوص النثر الفارسي مثل: (**ما براى شناسايى بيشتر حكيم طوسى اين كتاب را تهيه ديده ايم، اميد است خوانندگان ودانش پژوهان در نكات آن تعمق وتأمل نمايند**)[22]،

الترجمة: "لقد أنجزنا هذا الكتاب للتعرّف أكثر على الحكيم الطوسي، ونأمل من القراء والباحثين أن يتعمقوا في دراسته".

من القواعد المهمة التي تختلف بها اللغة الفارسية اختلافا جذرياً عن اللغة العربية، وقوع الفعل في الفارسية في نهاية الجملة، وهذا الأسلوب موجود في بعض اللغات الهندوأوربية، لكن بعض النصوص النثرية في القرون الهجرية الأولى تأثرّت باللغة العربية، وحذت حذوها في تقديم الفعل، مثل: (**مجنون مثل اعلاى كسى است كه محبت را مقدم داشته است بر معرفت وشاهد صدق است بر صحت اين طريقت. از اينرو وقتى مجنون بنى عامر را به خواب ديدند، وگفتند خداى با توجه چه كرد؟ گفت: مرا بيا مرزيد وحجتى كرد بر محبان**)[23].

الترجمة: "المجنون هو المثل الأعلى للشخص الذي يقدّم المحبة على المعرفة، والمجنون شاهد صدق على هذه الطريقة، من هذا المنطلق فإنهم عندما شاهدوا مجنون بني عامر في المنام سألوه: ماذا فعل الله بك؟ فقال: لقد رحمني الله وغفر لي وجعلني حجة على المحبين". وقد انتشر هذا الأسلوب في اللهجة العامية الفارسية كثيرا لصحته ووقعه الإخباري على السامع مثل: (**رفتم ديروز به مسجد**): ذهبت أمس إلى المسجد. لا نريد الإطالة في موضوع النثر لأن الشواهد كثيرة لا حصر لها، وننتقل بعض الشيء إلى الشعر الفارسي.

لم يكن للفرس سابقة في الشعر سوى بعض الترانيم والأناشيد الدينية الزردشتية قديما في المعابد الدينية قبل الإسلام. كانت بدايات الشعر الفارسي بعد الفتح الإسلامي لإيران، وتحديداً حين قرأوا الشعر العربي في الجاهلية أو بعد الإسلام واطلعوا عليه، نظموا الشعر باللغة العربية أولا لكن عدم فهم بعض الحُكام المحليين من الفُرس للغة العربية جعل شعراء اللغة الفارسية ينظمون أولا الشعر المُلمّع (الشطر عربي والعجز باللغة الفارسية)، ثم نظموا الشعر باللغة الفارسية طمعا في تكريم الحكام المحليين والسلاطين، وتأثروا بالبحور العربية وأساليب الشعر العربي وموضوعاته، متأثرين بفحول شعراء العرب من أمثال: عروة بن الورد (المتوفى 592م)، زهير بن أبي سلمى (المتوفى 627م) والمتنبي (المتوفى 965م) وغيرهم. يقول مؤلِّف تاريخ سيستان في أحداث الأعوام (444 - 445 هـ.ق) أوائل عهد السلاجقة ثم تاريخ سيستان إلى حوادث عام (725 هـ.ق): إن أول شعر أُنشد باللغة الفارسية كان قصيدة لمحمد بن وصيف (القرن 3هـ) في مدح يعقوب ليث الصفاري (254 إلى 265هـ. ق) يقول في مطلعها[24]:

اي اميري كه اميران جهان خاصه وعام بنده وچاكر ومولاى وسگ بنده وغلام

الترجمة: "فلمثلك أيها الأمير يكون عموم الأمراء وخواصهم عبيدا وموالي وخدما وغلمانا".

ومن أمثال الشعر المُلمّع الذي كان يفتخر به شعراء الفُرس لإثبات وقوفهم الواسع على الشعر العربي وبحوره وأغراضه، هذا البيت للشاعر الكبير حافظ الشيرازي[25]:

ألا يا أيها الساقي أدر كأسا وناولها كه عشق آسان اول ولى افتاد مشكلها

ترجمة الشطر الثاني: "فالعشق يبدو ميسوراً أوله ولكنْ من يقع فيه سيعلم أنه عسير".

أخيرا لقد نفى الفُرس بعض أفعالهم المركّبة مع الجزء العربي، الجزء الاسمي العربي عوضا عن الجزء الفعلي الفارسي وفق قواعد لغتهم، وذلك باستعمال أداة النفي للأسماء في اللغة الفارسية (**نا**) ليمنحوا الفعل إيقاعا أكبر في توكيد النفي، وليكون أكثر إقناعًا لأذن المتلقي من

حيث عِلم الصوت (Phonemes) مثل: **(نا حساب‌گفتن)**، **(نا راحت شدن)**، **(نا مرعی داشتن)** وغيرها.

الألفاظ التركية في اللغة الفارسية

تمهيد

تنتمي اللغة الفارسية واللغة التركية إلى أُسرة لغوية واحدة هي الهندوأوربية، وكانت اللغة التركية تُكتب بالحرف العربي إلى أن تحولّت إلى الخط اللاتيني في عهد مصطفى أتاتورك (1881 - 1938م). يُذكر أن جُلّ السلاطين والملوك (الشاهات) الذين حكموا إيران كانوا من أصول تركية وتركمانية ولورية، وانسحب لسانهم في البلاط على اللغة الفارسية، وطغت الكثير من تلك الألفاظ على الفارسية، وعلى سبيل المثال السلاجقة (1037م، 429هـ/ 1157م، 552هـ)، والصفويون (906هـ ـ 1135هـ)، والقاجاريون (1794م ـ 1925م) إلى الحكم البهلوي من رضا شاه البهلوي (1925 ـ 1941م) ومن بعده ابنه محمد رضا بهلوي (1919 ـ 1998م).

ونتيجة لتسلّط الحُكام الأتراك، ونفوذ التركمان والقاجاريين إلى السلطة في إيران، دخلت ألفاظ تركية صريحة إلى اللغة الفارسية، وأصبحت من الألفاظ الرسمية نتيجة نطقها من السلاطين، وشاعت بين الإيرانيين، حتى إن اللغة الرسمية كانت التركية والتركمانية في البلاط الملكي الإيراني، واضطُر بعض الشعراء الفُرس إلى نظم قصائدهم باللغة التركية للتقرّب من السلاطين والملوك."**{الأمثلة مثل، القزل باش (الحرس الخاص بالصفويين)،آزوق (متاع السفر)، آزوقه، باشی (المسؤول)، تاش (لقب)، باجی (الأخت في الرضاعة).**

لقد دخلت الألفاظ العسكرية وألفاظ السلاح والإدارة أكثر من غيرها في اللغة الفارسية نتيجة ما ذكرناه سابقا، إضافة إلى أسماء الذكور والأناث تقليدا لأسماء الملوك والأمراء والأميرات الأتراك، إضافة إلى عامل الزواج. فمثلا نأخذ على سبيل المثال لا الحصر ما حدث في العهد الصفوي:

تشكلّت الدولة الصفوية من ثلاث قوى: سياسية، وعسكرية، وعلمية مرموقة، واعتمد جهازها العسكري على قوى القزل باش المؤمِّنة (نتطرق لمعناه لاحقا...) من الأناضول بشكل رئيسي، أمّا القوّة السياسية والإدارية فاعتمدت على التاجيك ثم الفُرس، والقوّة العلمية على مزيج من العرب والعجم[26].

والأنموذج الثاني ما نورده أدناه:

أمّا فيما يخص المناصب فيجب الأخذ بعين الاعتبار نقطتين: الأولى قوى القزل باش منذ بداية الدولة الصفوية إلى منتصفها، وكانت الدولة الصفوية تعتمد عليها عسكريا. لكن أساس بناء الدولة الصفوية اعتمد في النصف الثاني على القسم الإداري، ومن الطبيعي أن هذا التفاوت كان له خصوصية جعلت الأتراك يُسيطرون في المرحلة الأولى على الدولة، وهم ذاتهم رؤوساء طوائف القزل باش، أما المرحلة الثانية فقد آلت إلى التاجيك ثم الإيرانيين، وأمّا المناصب الدينية فكانت العناصر العربية تتقدّم فيها على الإيرانية[27].

تحدّثنا سابقا عن الألفاظ التركية التي انتشرت في إيران، وطغت على الألفاظ الفارسية، إمّا بسبب الحُكام، وإمّا لعدم وجود بديل لها في الفارسية رغم كونهما من أُسرة لغوية واحدة كما أسلفنا. ونُورد هنا بعض تلك الألفاظ:

آغاالسيّد[28] / **آغاجى**: الحاجِب، وكانت شائعة الاستعمال في القرنين الرابع والخامس الهجريين في بلاط السلطنات شرق إيران[29] / **باشى:** رئيس، قائد، لاحقة مع الأسماء لتعيين العمل وطبقة الشخص للاحترام مثل، حكيمباشي، منشي باشي[30] / **بيك**: عنوان للأمراء والنجباء، قائد الجيش، شيخ القبيلة[31] / پرچم: العَلَم، الراية[32] / **توب:** المدفع، كُرة اللعب[33] / **خان**: لقب للملوك والأمراء في تركستان وغيرها من المناطق، لقب التجّار والعظماء[34] / **خانُم:** السيّدة، السيّدة النجيبة، الزوجة[35] / **قزلباش:** جيش إيران في العهد الصفوي[36]/ **كشيك**: المراقبة، الحراسة[37].

أثر اللغة الإنجليزية والفرنسية في اللغة الفارسية

لم تكن إيران تشهد علاقات مع الدول الأوربية وأمريكا قبل العهد الصفوي إلا ما ندر، لكن مع بداية العهد الصفوي بدأ التقارب الإيراني الأوربي كتحالف ضد الدولة العثمانية التي كانت في نزاع عسكري ومذهبيّ دائم وحروب مع الدولة الصفوية منذ نشوئها، وبخاصة بعد معركة جالدران التي وقعت في الثاني من رجب عام (920هـ) الثالث والعشرين من آب عام (1514م) التي اندحر فيها الشاه إسماعيل الأول مؤسس الدولة الصفوية[38]. ومن الجدير بالذكر هنا أن مدينة أصفهان شهدت في عهد الشاه عباس الصفوي وجوداً للمسيحيين على شكل مجموعات، المجموعة الأولى الأرمن الذين أسكنهم الشاه عباس في مدينة أصفهان لأسباب مُعيّنة، والمجموعة الثانية المسيحيون الغرجيون الذين وُجدوا في البلاط الصفوي كرهائن، أو أسرى أو تحت مسميات أُخرى، والمجموعة الثالثة الأوربيون الذين قَدِموا إلى المدينة لأغراض التجارة، والسياسة، والجيش أو السياحة. والحقيقة كان الأوربيون أهم مجموعة من الجانب المذهبي وأحيانا في النزاعات الدينية[39]. بعد ذلك بدأ الانفتاح على الغرب، وقد حدث أول مرة أن يأمر فيليب الثاني ملك إسبانيا

(1555،1598م) بإرسال سفير إلى إيران في عهد محمد خدابنده، وكان المبعوث راهبا يُدعى بريسيمون موراليس، وكان قد قَدِمَ من الهند ويُجيد اللغة الفارسية، واستطاع أن يكسب ثقة الشاه، ثم صار بعد مدة وجيزة مُعلما لأولاده[40].

استمر الوضع على ما هو عليه من الانفتاح على أوروبا والغرب من الحُكام الإيرانيين، وتنامى الأمر بعد الأطماع الروسية في إيران، ومحاولة التوسع الروسي في أذربيجان الشرقية حتى الوصول إلى العاصمة طهران، مما اضطر الفُرس إلى التعاون مع البريطانيين، وحتى الأمريكان، ناهيك بسائر الدول الأوربية للوقوف بوجه التوسّع الروسي القيصري في عهد بطرس الأكبر عام (1722م) على حساب إيران، وممانعة الغرب وأمريكا من وصول روسيا إلى المياه الدافئة. ثم تأتي مرحلة نادر شاه مؤسس الأُسرة الأفشارية (6 أوغسطس 19،1698 يونيو 1747م)، وقد بدأ كقائد عسكري لطهماسب الثاني الصفوي.

بعد ذلك استمر التعاون الإيراني الغربي والأمريكي على الصُعد كافة، وفي مقدمتها الصعيد العسكري والثقافي، وإرسال الطلاب للدراسة في الدول الغربية، وبخاصة فرنسا وبريطانيا، واستيراد التكنولوجيا التي تفتقر لها إيران من تلك الدول، وبناء المصانع الحربية، وافتتاح المدارس الغربية والتبشيرية في مختلف المدن الإيرانية، وافتتاح السفارات والقنصليات الغربية فيها. لقد كان لابتعاث الطلاب الإيرانيين إلى الغرب الأثر البالغ في نقل ثقافات تلك الدول، ومنها مصطلحاتهم اللغوية والعلمية والثقافية إلى المجتمع الإيراني الذي كان متخلفا عنها بسبب الحروب وتعاقب السلطنات والدويلات والأطماع الخارجية فيها، وبخاصة بعد اكتشاف النفط؛ تلك الثروة التي جلبت المصائب والويلات على دولها.

لقد ظهر تأثير كل ذلك جليا على اللغة الفارسية، ودخلت الكثير من الألفاظ الإنجليزية والفرنسية التي استُعملت بكثرة على لسان المثقفين والأدباء وأرباب السياسة، وانعكست حتى على لغة العامة والشارع الإيراني بحكم النقل والتقليد. ونتيجة كل ذلك برزت الدعوة من بعض المثقفين واللغويين الإيرانيين لتجاوز الخط العربي، واستبدال الخط الپهلوي به في إطار النزعة العنصرية لفارس وأمجادها السالفة، تحت مصطلح (تفريس اللغة الفارسية) وكون الخط العربي خطّ لغة لدولة الاحتلال العربية لإيران، في نظرهم، متناسين أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم الذي هدى الفُرس وقومياتها إلى الإسلام دين الحق، بعد أن كانوا عبدة الأوثان، وخلّصهم من الشرك والكفر، لكن علماء الدين الإسلامي في إيران وحوزاتها الفقهية كان لهم رأي آخر، وربما كان الأمر تقليدا للأتراك في إعادة الخط اللاتيني وإحلاله محل الخط العربي، لكن تلك المساعي باءت بالفشل.

نعود إلى موضوع بحثنا عن تأثّر اللغة الفارسية، فمثلا دخلت ألفاظ من اللغة الإنجليزية إلى اللغة الفارسية لم تكن أصلا موجودة فيها، رغم كونهما من أُسرة لغوية واحدة (الهندية الأوربية)،

وتشترك معها في بعض الألفاظ، رغم اختلاف الصوت Phonetic مثل، **برادر**، وتعني الأخ Brother، **مادر**، وتعني الأُم Mother، وغيرهما من الألفاظ. نأتي بداية على تأثر اللغة الفارسية باللغة الفرنسية لكونها أوسع اللغات الأوربية تأثيرا في اللغة الفارسية بعد اللغة العربية.

تأثّر كثير من الكُتاب الفُرس ومثقفيهم باللغة الفرنسية نتيجة معايشتهم لها في فرنسا بحكم الدراسة، أو الابتعاث أو النفي، أو لأسباب أُخرى. فمثلا وجدنا المصطلحات الفرنسية السياسية والاقتصادية والأدبية استعملت بكثرة على لسان الكُتّاب والأدباء والمثقفين الفُرس، ناهيك بلغة الصحافة. ننقل هنا بعض تلك النماذج محاولين الاختصار لتوخي عدم إطالة البحث، وسنضع المصطلحات الأجنبية بالبنط العريض:

(در نظر ادیان ودر نظر دین ما چگونه موجودی است، مقدمة اینرا عرض کنم که زبان مذاهب، بالاخص زبان مذاهب سامی که ما اعتقاد به پیامبران آن داریم، زبان **سمبلیك** است، زبان **سمبلیك** زبانیست که به رمز معانی را بیان کنیم)[41].

الترجمة: فيما يتعلق بالأديان وديننا، اسمحوا لي أولاً أن أقول إن لغة الأديان، وخاصة لغة الأديان السامية التي نؤمن بها هي نبوءة، هي اللغة الرمزية، واللغة الرمزية للتعبير عن معنى الرمز.

(حتی **مارکسیسمنیز** ـ بر خلاف آنچه از توجیهات ضد مذهبي وضد **آیده آلیستی** متأخران وبیشتر متعصبان سطحی آن بر می آید وبویژه در جبه گیریهای تند وبیشتر سیاسی ومصلحتی **مارکسیسم روسی** ! دیده میشود در آنجا که از **(الیناسیون)** ومسخ جوهری انسان در نظام بورژوازی وفلسفه مزدوری سخن می گوید)[42].

الترجمة: حتى الماركسيّة أيضا التي تُستنتج من التبريرات المعادية للمذهبية والفكرية للمتأخرين وأغلب المتعصبين السطحيين لها، وبخاصة عند التكتلات المتعصبّة والماركسية الروسية المصلحية، يتحدّث عن المسخ الجوهري للإنسان في النظام البرجوازي والفلسفة العميلة.

حتى إننا نجد أن بعض عناوين الكتب كانت تُكتب بلغة أجنبية مثل:

(ظهور **پدا گوژی های** جدید در هزاره سوم)[43]، ومعناه: ظهور أنواع تربية الطفل الجديدة.

أو عدم إمكانية تجنب المصطلحات العلمية الحديثة لافتقار اللغة الفارسية لبدائلها مثل:

(کارکنان پشتیبانی فنی نیز برای انجام مسئولیتهای خود باید با شبکه ای کردن، شبکه ارتباطات داده ها، پست **الکترونیکی**، شبکه ی جهانی **ویب**،**سیستم** راه اندازی مورد استفاده ی خدمات دهنده)[44].

الترجمة: يجب على العاملين في الدعم الفني للقيام بمسؤولياتهم التواصل مع الشبكة، وشبكة الاتصالات، والبريد الحاسوبي، وشبكة الويب العالمية، ونظام التشغيل للخدمات.

أما في المجال الأدبي، فقد أُسست دار الفنون في إيران عام (1851م) وكانت أوّل مؤسسة للتعليم العالي في إيران تُقلّد التعليم الغربي وتتبنّى منهجه. وفي القرن الثالث عشر طرقت أسماع الإيرانيين الحضارة الأوربية وثقافتها. كان عباس ميرزا ابن فتح علي شاه (1168ـ 1212م) من أوائل الواقفين على الثقافة والحضارة الأوربية، وصاحب السبق في جلب أول مطبعة إلى ولاية تبريز الإيرانية لطبع الكتب والصحف[45]. فمثلا نأخذ هذا المثال على بدايات تأثر أسلوب الأدب الفارسي بأسلوب الأُمم الأوربية:

(با پیدایی وگسترش دانشگاهها وبا فراگیری شیوه های علمی تحقیق وپژوهش از ایران شناسان خارجی اکثر دانشجویان معاصر واستادان دانشگاه به کارهای پژوهشی ودانشهای نظری جلب شدند)[46].

الترجمة: توجّه أغلب الطلاب المعاصرين وأساتذة الجامعات إلى العمل البحثي والعلوم النظرية بعد تأسيس الجامعات وتوسعها وانتشارها، واستلهامها الأساليب العلمية والبحثية للمهتمين بالشأن الإيراني من المستشرقين الأجانب.

إضافة إلى التأثّر بأنواع الفنون الأدبية الأوربية كالرواية، والمسرحية، وأدب الأطفال، وأسلوب الصحافة وغيرها وبعض مسمياتها.

قواعد اللغة الفارسية

نعود إلى تأثُّر قواعد اللغة الفارسية بأسلوب تدوين قواعد اللغات الأخرى، ومنها تدوين قواعد اللغة العربية، وكان كل ذلك نتيجة علاقات الجوار التاريخية والجغرافية والفتح الإسلامي لإيران، ودراسة القرآن الكريم وتلاوته باللغة العربية، ووقوف الفُرس على الأدب العربي بكل جوانبه وأساليبه، وقد أَلّف الكثير من النحاة العرب كتبا في قواعد اللغة الفارسية، وبخاصة المعاصرون منهم ممن درس اللغة الفارسية في إيران، أو خارجها، وكذلك نتيجة تدريس اللغة الفارسية في كثير من الجامعات العربية. في بداية الأمر: (نتيجة للكثرة الهائلة من الألفاظ العربية التي دخلت اللغة الفارسية، اضطر الفُرس إلى الرضوخ لبعض قواعد النحو العربي، كما هو الحال في استعمال

جمع المؤنث السالم في جمع بعض الكلمات الفارسية الأصل، وكذلك قبول الفارسية للصفة المؤنثة، إلى غير ذلك من القواعد النحوية العربية التي دخلت النحو الفارسي)[47].

حذا بعض النُحاة الفُرس في تدوين كتب القواعد حذو كتب قواعد الدول الأوربية، وبخاصة الفرنسية والبريطانية في استعمال الحروف اللاتينية لدلالة الصوت مثل:

(ماده های ماضی ومضارع فعلهای ذیل از دو ریشه اند: فارسی میانه: **amad**((آمد))، ایرانی باستان: **gma_ta _a.** ریشه ی **gam أو gma**به معنی ((آمدن)) است. **_ay**((آی_))، ایرانی باستان: **a_y_a** ریشه ی **y** به معنی ((آمدن)) است)[48].

الترجمة: تأتي مادّة الماضي والمضارع للأفعال الآتية من جذرين: الفارسية الوسطى (آمد)، الإيرانية القديمة: من جذر، وتعني (آمدن) المجيء، والإيرانية القديمة: وتعني المجيء.

لقد تناول الأوربيون بعض قواعد اللغة الفارسية في مؤلفات خاصة، مثل البروفسور الفرنسي لازار في كتابه (**زبان کهنترین آثار نثر فارسی**) لغة أقدم آثار النثر الفارسي، أو (**دستور زبان فارسی میانه**) قواعد اللغة الفارسية الوسيطة للكاتب و.س. راستاركفيفا، وترجمة الدكتور ولى الله شادان، أو الكتاب الذي ألّفه كارل بروكلمان بين الأعوام (1879 و1916م) تحت عنوان (**اساس دستور مقایسه ای زبانهای هندواروبائی**) أساس القواعد المقارنة للغات الهندية الأوربية، أو كتاب (**مقدمه ی فقه اللغه ی ایرانی**) مقدمة فقه اللغة الإيرانية، للكاتب أي،م، أرانسكي، وترجمه إلى الفارسية كريم كشاورز، وغيرها من الكتب.

تطّرقنا سابقا إلى أن اللغة الفرنسية كانت من أهم المناهل اللغوية للغة الفارسية، وبخاصة بعد الانفتاح على الغرب من الأنظمة الحاكمة في تلك الحقبة، وإرسال البعثات العلمية، وتوافد الهيئات العسكرية والإدارية والاقتصادية والتبشيرية إلى إيران، ونذكر هنا بعض المصطلحات الفرنسية المهمة التي دخلت اللغة الفارسية ولو بشكل مختصر لكثرتها وتعدد جوانبها اللغوية:

امپریالیسم: الإمبريالية[49] / **بالانس:** موازنة، تعادل[50]/ **بانك:** المصرف، نوع من ألعاب القمار[51]/ **پاتالوژی:** علم أعراض الأمراض وأسبابها[52]/ **پاراگراف:** فقرة من كتاب[53]/ **پارلمان:** مجلس النواب[54]/ **پاستوریزه:** طريق تعقيم الحليب والسوائل[55]/ **پروژه:** مشروع، تخطيط أولي[56]/ **پُست:** البرىد[57]/ **رستوران:** المطعم[58]/ **کابینه:** هيئة الوزراء[59]/ **کاندیدا:** المُرشَّح[60].

ونتطّرق هنا إلى بعض الألفاظ الإنجليزية التي دخلت الفارسية في مختلف مجالات الحياة، وبخاصة بعض الألعاب الرياضية التي تفتقر إليها اللغة الفارسية، وبشكل مختصر:

باسكتبال: كُرة السلّة[61]/ **پارك:** رحبة وقوف السيارت، متنزة[62]/ **پُرتست:** أعتراض على قرض أو دين في المحكمة[63]/ **تانك:** الدبابة[64]/ **تنيس:** رياضة كرة المضرب الأرضي، التنس[65]/ **كترى:** إبريق الشاي[66]/ **واليبال:** كُرة الطائرة[67].

إضافة إلى ما ذكرنا سابقاً من مفردات، يجب أن لا يفوتنا التطرّق إلى بعض الألفاظ الهندية والمغولية والروسية في اللغة الفارسية، الأولى بسبب الحضارة الهندية وقوّة ملوكها واقتصادها التي لجأ إليها كثير من الشعراء والأدباء الفُرس طلبا للرزق، علما أن بداية الطبعات الحجريّة للكتب ودواوين الشعر كانت قد انطلقت من الهند، والثانية الاحتلال المغولي لإيران وتأسيس الدولة الإيلخانية، حيث أدخل المغول بعض الألفاظ العسكرية، وبعض مسميات الأطعمة وغيرها إلى اللغة الفارسية، وأخيرا الألفاظ الروسية التي دخلت اللغة الفارسية قديما، أو بعد الاجتياح الروسي لإيران واحتلال أذربيجان، أو بعد اكتشاف البترول، ونذكر بعض تلك الألفاظ تباعا كما وردت في الشرح أعلاه:

بسنت: فصل الربيع عند الهنود ويبدأ من تحوّل الشمس إلى برج الدلو، وقد ضمّن بعض شعراء الفُرس هذه اللفظة في أشعارهم[68]/ **پَركاس:** سعي، شروق[69]/ **پَست:** ذليل، سافل[70]/ **كافور:** نبات مُعطِّر، الكافور[71]/ **كچل:** أصلع[72].

باسقاق: مأمور الضرائب المحلي[73]/ **پانيره:**قطعة من الذهب أو الفضة يُكتب عليها أسماء الملوك والسلاطين[74]/ **كاكل:** غرّة رأس الإنسان أو الحيوان[75]/ **كُتل:** الفَرَس المسروج الذي يُرافق موكب الملوك والأمراء[76]/ **كُرسى:** سرير نوم خاص لفصل الشتاء يوضع تحته منقل نار[77].

استكان: كأس زجاجي صغير لشرب الشاي[78]/ **بُشكه:** وحدة قياس، برميل للسوائل والنفط[79]/ **درشكة:** العربة[80]/ **كالسكه:** العربة التي تجرها الخيول[81].

وأخيرا وبعد سقوط الشاه ونجاح الثورة الإسلامية في إيران (1989م) في الوصول إلى دفّة الحُكم، وتسنّم أغلب علماء الدين جُلّ المناصب المفصليّة في الدولة الإيرانية، وازدهار الحوزات الدينية والعلمية، عادت اللغة العربية إلى مكانتها الطبيعة التي كانت تشغلها سابقا بعد الانحسار المقصود الذي أصابها في أنظمة الحُكم السابقة للثورة الإسلامية، لأن اللغة العربية تعني لغة القرآن، ولغة الشرع، والفقه، وأغلب جوانب الحياة، ونجد أن اللغة العربية تعود للازدهار في المؤسسات الدينية كافة، وفي الأدب والنثر خاصة وفي لغة الصحافة والخطاب السياسي، وتجسّدت تلك العودة للألفاظ العربية في جُلّ المؤلفات التي دوّنت بعد الثورة الإسلامية على

حساب الألفاظ الغربية، وبخاصة الفرنسية والإنجليزية. وعاد المثقَف الإيراني لاستعمال اللغة العربية في مدوناته وحديثه، إظهارا لثقافته وإلمامه باللغتين العربية والفارسية. ونعرض أدناه بعض النماذج التي تحفل بالمفردات العربية بشكل مختصر:

(من اكنون مشاهده می کنم که تحصیلات ادبي، در میان طلاب، از آن اوجی که داشته أفتاده است. شگفتا! از حدود بیست سال پیش آگاهان حوزه توجه یافتند که دانستن ادبیات اسلامی، برای طلاب وحاملان فکر دینی وناقلان آن فکر (چه مجتهد، چه عقاید شناس، چه مفسر قرآن، چه محدّث، چه مؤلّف، چه مدرس، چه خطیب، چه منبری... کافی نیست)[82].

الترجمة: أُرى الآن أن الدراسات الأدبية بين طلاب الحوزات الدينية أصابها الانتكاس بعد رقيها، عجبا! لقد انتبه المُطّلعون في الحوزة قبل حوالي عشرين عاما خلت إلى أن التعرّف على الآداب الإسلامية بالنسبة للطلاب وحملة الفكر الديني والناقلين له (من المجتهد، والعالم بالعقائد، ومفسِّر القرآن، والمُحدِّث، والمؤلِّف، والمُدرِّس، والخطيب، والمنبر) غير كافٍ.

(یکی از اهداف مهم انقلاب فرهنگی، ایجاد دگرگونی اساسی در دروس علوم انسانی دانشگاهها بوده است، واین امر مستلزم بازنگری منابع درسی موجود وتدوین منابع مبنایی وعلمی معتبر ومستند با در نظر گرفتن دیدگاه اسلامی در مبانی ومسائل این علوم است)[83].

الترجمة: لقد كان من الأهداف المهمة للثورة الثقافية، إيجاد تغيير أساسيّ في دروس العلوم الإنسانية في الجامعات، وهذا الأمر يستلزم إعادة النظر في المصادر والمراجع الدراسية التعليمية وتدوين مصادر أصولية وعلمية معتبرة وموّثقة مع الأخذ بعين الاعتبار النظرة الإسلامية في أصول هذه العلوم وقضاياها.

أما فيما يخص قواعد اللغة الفارسية فنأخذ المثال الآتي:

(اسم در ایرانی باستان: معرفه ونکره، حالت وجنس وشمار. صفت در ایرانی باستان: حالت وجنس وشمار، تأنیث صفت، صفت تفضیلی وعالی. عدد در ایرانی باستان: اعداد اصلی، اعداد ترتیبی، اعداد کسری، اعداد توزیعی)[84]. لا نعتقد أن النص أعلاه يحتاج إلى الترجمة إلى اللغة العربية سوى كلمة باستان وتعني القديم.

الاستنتاجات

توصلنا في بحثنا هذا إلى الاستنتاجات الآتية:

1. ظلت اللغة العربية على رأس اللغات التي تأثرّت بها اللغة الفارسية منذ الفتح الإسلامي لإيران حتى يومنا هذا، رغم كونها من أُسرة لغوية تختلف عن أُسرة اللغة الفارسية، وقد مرّ ذلك التأثير بنسب متفاوتة في بعض الأنظمة الحاكمة في إيران التي حاول بعضها الانتقاص من قيمتها ومحاولة تفريس اللغة الفارسية، وإلغاء الخط العربي وإبدالها بالخط البهلوي، أو اللاتيني القديم تقليدا لما فعله الأتراك مع لغتهم في العهد العثماني، لكن تلك المساعي المحمومة باءت جميعها بالفشل لكون إيران من أكبر البلدان الإسلامية، ويُشكل المسلمون الغالبية العظمى من نفوسها، وتنتشر فيها الكثير من الحوزات الدينية، وبخاصة بعد الثورة الإسلامية في إيران التي قادها علماء الدين وأعادوا للغة العربية ازدهارها وزهوها.

بلغت الألفاظ العربية في التركيبات اللغوية في اللغة الفارسيّة التي أُحصيت من معجم الفارسية حوالي (4295) لفظة موزعة على الاسم، والاسم المرّكب، واسم الفاعل، والاسم المصغر، واسم المفعول، والحال، والحال المرّكب، وحرف الربط، وحرف الإضافة، والصفة، والصفة التفضيلية، والصفة الشغلية، والصفة الفاعلية، والصفة المرَكبّة، والصفة المفعولية، والصفة النسبية، وظرف الزمان والمكان، والظرف المرّكب، وفي اللهجة العاميّة، وفي الكناية والمجاز، والمصادر، والعدد الكسري، والجملة الفعلية[85]. ونجد من المناسب أن نتذّكر أن باكورة تأليف وتدوين المعجم الفارسي كانت متأثّرة بأسلوب المعجم العربي الذي سبقه من حيث التكامل، وبدأ المعجم الفارسي في القرن الخامس الهجري حيث وصل الينا معجمان هما (الرسالة) لأبي حفص السغدي، و(تفاسير في لغة الفُرس) لشرف الزمان قطران بن منصور[86]، وأقدم المعاجم الفارسية التي وصلتنا المعجم المشهور (لغت فُرس أسدى) للأسدي الطوسي، الذي انتهج فيه المؤلِّف أسلوب العرب في كتابة المعاجم الموضوعية، وهو أول معجم فارسي يعتمد على الشواهد الشعرية، وقد اعتمد عليه فيما بعد واضعو المعاجم في تاريخ اللغة الفارسية، مثل (معجم الفُرس)، و(جهانگيرى)، و(صحاح الفُرس)[87].

2. تحتّل اللغة التركية الدرجة الثانية في التأثير على اللغة الفارسية رغم كونهما من أُسرة لغوية واحدة، وبخاصة في الدول الإيرانية والسلطنات التي كان يقودها ملوك وسلاطين وأمراء من العنصر التركي والتركماني والتاجيكي مثل: الغزنويين، والسلاجقة، وسلاجقة الروم، والخوارزمشاهيين، والإلكخانيين والصفويين... إلخ. كانت جُلّ تلك الألفاظ تخصّ الجانب العسكري والحربي والجيش وقيادته وتنظيماته والبلاطات والنظام الإداري والقضائي وألقاب الرجال والنساء

إلى غير ذلك، ثم أثّر ذلك على أسلوب النثر بشكل كبير ثم الشعر، رغم أن النثر والشعر التركي قد تأثّرا بداية بالأسلوب العربي كما ذكر ذلك مؤرخو الآداب التركية.

3. بموازاة اللغة التركية في التأثير في اللغة الفارسية تأتي اللغة الفرنسية بعد أن انفتحت الأنظمة الحاكمة في إيران على فرنسا نهاية العصر الصفوي والعصر النادري، ثم على الإمبراطورية البهلوية، وأرسلت إيران الكثير من البعثات الطلابية والعلمية والصناعية والعسكرية إلى فرنسا لدراسة أنواع الفنون والصناعات، والوقوف على التطوّر التكنولوجي، وبخاصة التطوّر في المجالين العسكري والعلمي، والتطوّر في مجال الاتصالات والإتيكيت والتشريفات في البلاط الملكي، وتأسيس الجامعات الإيرانية والمعاهد العلمية، وإنشاء المطابع التي كانت فرنسا تشتهر بها منذ القرون الوسطى، مقابل ذلك توافدت الوفود الفرنسية على إيران في التخصصات العلمية والثقافية والعسكرية والصناعية والتبشيرية التي كانت تنتشر في المدن الإيرانية الرئيسية، مثل أصفهان وتبريز وطهران ومشهد، وافتتحت القنصليات الثقافية والعسكرية...إلخ. حتّى لقد جَرَت الألفاظ الفرنسية على لسان المواطن العادي الذي كان يتفاخر بالنطق بها، فمثلا استبدلوا لفظة (مرسي) الفرنسية بـ "متشكرم" (شكرا). وشهدت فرنسا لجوء الكثير من المعارضين السياسيين والمثقفين، ومن علماء الدين الإيرانيين إليها في حقب زمنية مختلفة.

4. وتأتي اللغة الإنجليزية بعد ذلك في تأثيرها في اللغة الفارسيّة، ولكن بنسبة أقلّ، من اللغة الفرنسية، وتركّز تأثيرها في الجانب الدبلوماسي والتكنلوجي والصناعات النفطية والعسكرية والأسلوب الأدبي من الرواية والمسرحية وأدب الأطفال والمسرح وغيرها.

5. اللغات الهندية، من السنسكريتية والأوردو، رغم أنها ترتبط باللغة الفارسية بأُسرة لغوية واحدة، مثما ترتبط الديانات القديمة كالزردشية الإيرانية بالبوذيّة الهندية بذات الأفكار والنُسُك والمعتقدات، لكن الكثير من مفرداتها دخلت اللغة الفارسية لأسباب عدّة منها على سبيل المثال لا الحصر: أن الهند كانت من البلدان الغنية وفيها حكومات وسلطنات قوية، وواسعة الأطراف، وذات نفوذ، وكانت تهيمن في بعض الأزمنة على بعض المناطق الإيرانية، وكان التجّار الهنود يتردّدون على إيران كثيرا، ويسيطرون على بعض الأسواق فيها مستغلين وضعهم المادي المتقدّم على الإيرانيين، إضافة إلى أن بعض السلاطين المحليين الإيرانيين في حاجة ماسة لدعم السلاطين الهنود الأقوياء وأصحاب النفوذ لمواجهة الغُزاة الخارجيين والطامعين في أراضيهم. من جانب آخر عاش الكثير من الشعراء الفُرس في بلاطات الملوك والسلاطين والأمراء الهنود، طمعا في تكريمهم المادي وعطاياهم وهداياهم، وضمّنوا أشعارهم الكثير من ألفاظ اللغة الهندية التي عمّت دواوين أشعارهم التي طبعوها طبعة حجرية، وكانت تلك الطباعة مشهورة ومتقدّمة في الهند التي تفتقر لها إيران في تلك الأزمنة. ناهيك بالدور المهم الذي أداه الهنود في تدوين المعجم الفارسي. بدأ الهنود في القرن التاسع الهجري تأليف المعاجم باللغة الفارسية لأسباب منها تزايد عدد سلسلة

الملوك المسلمين والناطقين باللغة الفارسية في الهند في القرن التاسع الهجري، ووجود الكثير من الشعراء الناطقين بالفارسية، ثم خدمة للعامل الاقتصادي، وكان الشعب الهندي في حاجة إلى فهم اللغة الفارسية لأنهم بعيدون عن إيران، ومن بواكير المعاجم التي تم تأليفها في الهند (أداة الفضلاء) تأليف قاضي خان بدر محمد الدهلوي المُلقب بـ دهاروال والذي فرغ منه عام (822هـ)، وغيره من المعاجم التي بلغ عددها حوالي (76) معجما[91].

6. بعد الاحتلال المغولي لإيران ثم تأسيس الدولة الإيلخانية، انتشرت الكثير من الألفاظ المغولية في اللغة الفارسية نتيجة تسلّط حُكام المغول على إيران، وكان جُلّها في الجانب العسكري والحربي ونظام الجُند وبعض الجوانب الإدارية، حتى إن (التومان) العملة الإيرانية من الألفاظ المغولية[92].

7. يجب أن لا ننسى هنا تأثير اللغة الروسية في اللغة الفارسية منذ عهد القياصرة الروس، وزاد هذا التأثير بعد الاجتياح الروسي لإيران (1941م) بمساعدة البريطانيين، وتنافس الروس مع البريطانيين والأمريكان على توسيع نفوذهم في إيران والسيطرة على بحر قزوين والوصول إلى المياه الدافئة (الخليج العربي) والسيطرة على منابع النفط الإيراني، ورغم أن الشاه رضا بهلوي أعلن إيران بلدا محايدا لكنه أظهر تعاونا مع الألمان في الحرب العالمية الثانية؛ الأمر الذي دفع القوات البريطانية والسوفيتية إلى خلعه عن العرش وتنصيب ابنه خلفا له بعد احتلال الأراضي الإيرانية بشكل كامل[93]. كانت جُل تلك المصطلحات في مجال النفط ووسائط النقل ووسائل الطبخ والشرب.

خاتمة البحث

وخاتمة القول أن كلّ ذلك التأثير على اللغة الفارسية يكمن أولا وأخيرا في تعاقب أنظمة الحُكم على إيران، ووقوعها تحت تأثير الدول المجاورة والبعيدة وإهمال جُلّ المثقفين والباحثين وإخضاعهم لسياسة النظام الحاكم، وعدم منحهم فسحة من الحرية للتعبير العلمي والثقافي واللغوي، وتأصيل الأصل والتراث في بلد تضرب جذوره في أعماق التاريخ ومن أكبر البلدان الإسلامية في العالَم، وفيه الكثير من اللغويين والمثقفين والباحثين والعلماء الذين يُشار لهم بالبنان، ويمتلك أشهر الرجال في عالَم الشعر والأدب والتصوّف من أمثال حافظ الشيرازي (725 - 792هـ) وسعدي الشيرازي (606هـ) والمولوي (604 - 671هـ) والفردوسي (935 - 1020هـ) وغيرهم. إن اللغة تحافظ على أصالتها بتاريخها وأهلها وعلمائها وأدبائها وتاريخها، ولم تكن ولن تكون بمعزل عن اللغات الأخرى، إذا كانت لغة متطورة وقابلة للتأثير والتأثّر، وهذه من سمات اللغات الحيّة المتطوّرة، ولا يُعيب اللغات التأثّر باللغات الأُخرى إذا كانت لغات أصيلة، وذات تاريخ، ويتحدّث بها الكثير من البشر. وستبقى اللغة الفارسية من اللغات الجميلة؛ إذا

ابتعدت عن التأثير السياسيي والعنصري، وتأثير النظام الحاكم فيها، وستظل من اللغات الجميلة التي يهتم بها العالَم لكونها لغة حضارة عريقة، ولغة أدب جميل، وبخاصة في أدب التصوّف والعرفان والغزل، وتبقى اللغة حيّة ما دام أهلها ونظام الحُكم فيها أوّل من يدافع عنها ويصونها.

The Effect of Iranian Regimes on Persian Language and its Vocabulary

Mazen Al-Noaime, *Researcher, Jordan.*

Enas Shdaifat, *Department of Semitic and Oriental Languages, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study tackles some of the most important historical stages of Persian language under the dominance of regimes that governed Iran during different periods from the past to the present. Also, the study addresses how the nature of the regime and its political orientation have influenced the Persian language, its vocabulary, grammar, syntax, morphology, and literature. The study deals with the ancient Persian language (Pastan), which was used before the Islamic conquest and then the middle Persian (Miyan) which was used till the Arabs and Muslims invaded the Persian Empire, and the modern Persian language (the contemporary Persian language.

The study provides different examples, indications and models showing the influence of the ruling regime on the Persian language in its different historical stages. Also, the research demonstrates the different languages that affected Persian such as Arabic, Turkish, French and the languages of the neighboring or foreign countries. The study includes Persian prose texts from the above-mentioned periods that reflect the influence of the regimes on the language by borrowing foreign words. Moreover, the study showsthe delay in the codification of the Persian language and its dictionary which opens the doors widely for all these forces to influence the Persian language.

الهوامش

1. دکتر محسن ابو القاسمی، تاریخ زبان فارسی، چاب دوم،چاب مهر،پائیز، 1374.

2. مهر داد بهادر، نگاهی به تاریخ واساطیر ایران باستان، ص 18. 19، چاپ اول، چاپ رامین، زمستان، 1388.

3. الدکتور بدیع محمد جمعة، قواعد اللغة الفارسية مع التطبيقات والنصوص، ص 12، 1982، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

4. دکتر فرشید ورد، جمله وتحوّل آن در زبان فارسی، چاپ سوم، ص14، مؤسسه ی انتشارات أمیر کبیر، تهران، 1382هـ،ق، 2003م.

5. مهدی ضرغامیان، دوره ی آموزش زبان فارسی، جلد دوم، دیباجه، چاپ سوم، پائیز، 1380هـ. ق، انتشارات دبیرخانه ی شورای گسترش زبان وادبیات فارسی، ص21.

6. الدکتور بدیع محمد جمعة، قواعد اللغة الفارسية، ص16.

7. دکتر محسن ابو القاسمی، دستور تاریخی مختصر زبان فارسی، پیش‌گفتار 1، چاپ اول، پائیز، 1377، مؤسسه ی چاپ وانتشارات وزارت امور خارجه.

8. دکتر محسن ابو القاسمی، تاریخ زبان فارسی، ص13- 14.

9. المصدر نفسه، ص14.

10. شهرام هدایت، واژه های ایرانی در نوشته های باستانی (عبری، آرامی، کلدانی) همراه با اعلام ایرانی، مقدمه 2، انتشارات دانشگاه تهران، 1981م، 2036 شاهنشاهی.

11. دکتر محسن ابو القاسمی، تاریخ زبان فارسی، ص5.

12. ای، م، اُرانسکی، فقه اللغه ی زبان ایرانی، ترجمه ی کریم کشاورز، ص17، چاپ دوم، 1379، تهران، پیام.

13. دکتر محسن ابو القاسمی، تاریخ زبان فارسی، ص2، بخش دوم.

14. المصدر نفسه، ص145.

15. میترا مهر آبادی، خاندانهای حکومتگر ایران باستان، ص5، چاپ اول، تابستان، 1372، چاپپیك ایران.

16. المصدر نفسه، ص6.

17. دكتر ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات ايران، ص49، خلاصه ى جلد اول ودوم، انتشارات ققنوس، چاپ نزدهم، 1377.

18- علي اصغر فقيهي، آل بويه واوضاع زمان ايشان، ص 131،انتشارات صبا، 1357، تهران.

19. مازن إسماعيل النعيمي، بحث أثر اللغة العربية في أفعال اللغة الفارسية المُركّبة والبسيطة، ص37، بحث منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلة علمية مُحكّمة، جامعة مؤتة، المجلد 8، العدد 3، رجب 1433هـ، تموز 2012م.

20. دكتر ذبيح الله صفا، تاريخ ادبيات ايران، ص48.

21. دكتر محسن ابو القاسمى، دستور تاريخى مختصر زبان فارسى، ص18.

22. دكتر احمد رنجبر، جاذبه هاى فكرى فردوسى، ص10، چاپ سوم، چاپخانه ى سپهر، تهران، 1379 هـ، ش، 2000م.

23. ترجمه ى رساله ى قشيريه، تاليف ابو القاسم عبد الكريم بن هوازن قشيرى (376 ـ 465) به تصحيح بديع الزمان فروزانفر، ص562، تهران، 1345.

24. دكتر كامل احمد نجاد، تاريخ ادبيات وسبك شناسى، چاپ يكم، ص11، شركت چاپ ايران، 1373هـ.ق ـ 1994م.

25. حافظ شيرازى، ديوان غزليات، بكوشش خليل خطيب رهبر، چاپ نوزدهم، ص1، انتشارات صفى عليشان، تهران، 1376 هـ، ق ـ 1997م.

26. رسول جعفريان، سياست وفرهنگ روزگار صفوى ترجمة الدكتور مازن إسماعيل النعيمي، المجلّد الأول، ص 22، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، عمّان، 2017م.

27. المصدر نفسه، ص .210

28. دكتر معين، فرهنگ معين، چاپ دهم، ج1، ص65، چاپابخانه ى سپهر، تهران، 1375.

29. المصدر نفسه، ج1، ص66.

30. المصدر نفسه، ج1، ص460.

31. المصدر نفسه، ج1، ص631.

32. المصدر نفسه،ج1، ص725.

33. المصدر نفسه،ج1، ص116.

34. المصدر نفسه، ج1، ص1393.

35. المصدر نفسه، ج1، ص1493.

36. المصدر نفسه، ج2، ص2672.

37. المصدر نفسه، ج3، ص2995.

38. رسول جعفريان، سياسة العهد الصفوي وثقافته، ترجمة الدكتور مازن النعيمي، ج1، ص22.

39. المصدر نفسه، ج2، ص 210.

40. المصدر نفسه، ج2، ص320.

41. دكتر على شريعتى، إنسان، مجموعه ى آثار 24، چاپ هفتم، 1378، چاپخانه ى نراقى، ص4.

42. المصدر نفسه، ص225.

43. حسن شهركى پور، وپرى ناز بنى سى، غلاف جلد، چاپ اول، چاپ آزاده، تهران، 1382.

44. المصدر نفسه، ص228.

45. محمد حقوقى، ادبيات امروز ايران (نثر، داستان)، ص3، چاپ اول، انتشارات قطره، تهران، 1977م.

46. المصدر نفسه، ص26.

47. الدكتور بديع محمد جمعة، قواعد اللغة الفارسية مع التطبيقات والنصوص، ص9.

48. دكتر محمد ابو القاسمى، دستور مختصر زبان فارسى، ص53.

49. دكتر محمد معين، فرهنگ معين، ج1، ص349.

50. المصدر نفسه، ج1، ص466.

51. المصدر نفسه، ج1، ص469.

52. المصدر نفسه، ج1، ص643.

53. المصدر نفسه، ج1، ص652.

54. المصدرنفسه، ج1، ص655.

55. المصدر نفسه، ج1، ..660

56. المصدر نفسه، ج1، ص766.

57. المصدر نفسه، ج1، ص782.

58. المصدر نفسه، ج2، ص1652.

59. المصدر نفسه، ج3، ص2780.

60. المصدر نفسه، ج3، ص2874.

61. المصدر نفسه، ج1، ص458.

62. المصدر نفسه، ج1، ص655.

63. المصدر نفسه، ج1، ص721.

64. المصدر نفسه، ج1، ص1012.

65. المصدرنفسه، ج1، ص1157.

66. المصدر نفسه، ج3، ص2904.

67. المصدر نفسه، ج4، ص4968.

68. المصدر نفسه، ج1، ص536.

69. المصدر نفسه، ج1، ص749.

70. المصدر نفسه، ج1، ص781.

71. المصدر نفسه، ج3، ص2848.

72. المصدر نفسه، ج3، ص2916.

73. المصدر نفسه، ج1، ص458.

74. المصدر نفسه، ج1، ص692.

75. المصدر نفسه، ج3، ص2855.

76. المصدر نفسه، ج3، ص2906.

77. المصدر نفسه، ج3، ص2943.

78. المصدر نفسه، ج1، ص257.

79. المصدر نفسه، ج1، ص542.

80. المصدر نفسه، ج1، ص1511.

81. المصدر نفسه، ج3، ص2861.

82. محمد رضا حكيمى، ادبيات وتعهد در اسلام، بحث ونمونه، سر آغاز، دفتر نشر فرهنگ اسلامى، شهريور،1358، ص15.

83. دكتر محسن ابو القاسمى، تاريخ زبان فارسى، مقدمه ى كتاب، ص3.

84. دكتر محسن ابو القاسمى، دستور تاريخى مختصر زبان فارسى، فهرست مطالب ص5.

85. الدكتور مازن النعيمى، بحث أثر اللفظة العربية في التركيبات اللغوية في اللغة الفارسية، 2013م، بحث غير منشور، ص3.

86. إبراهيم الدسوقي، المعجم الفارسي الكبير، ج1، ص هـ، و، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة الطبع مجهولة.

87. حسن عميد، فرهنگ عميد، ص سى ونه، مؤسسه ى انتشارات امير كبير، تهران، 1375/ 1955م.

88. دكتر محسن ابو القاسمى، تاريخ مختصر زبان فارسى، ص2.

89. اى. م. اُرانسكى، مقدمه ى فقه اللغه ى ايرانى، ص53.

90. دكتر خسرو فرشيد ورد، جمله وتحوّل آن در زبان فارسى، ص43.

91. مازن النعيمى، المعجم الفارسى في إيران نشأته وتطوره وأثر المعجم العربي فيه، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغات/ جامعة بغداد، بغداد، 1376هـ / 1997م.

92. دكتر معين، فرهنگ فارسى، ج1، ص1171.

93. ملحق جريدة لندن جازيت، العدد 37685، 27 أغسطس 1946م.

94. دكتر خسرو فرشيد ورد، جمله وتحول آن در زبان فارسى، ص 25 و26.

المراجع

إبراهيم الدسوقي، المعجم الفارسي الكبير، مكتبة مدبولي، القاهرة، سنة الطبع مجهولة.

الدكتور بديع محمد جمعه، قواعد اللغة الفارسية مع التطبيقات والنصوص، 1982م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

الدكتور مازن النعيمي، أثر اللفظة العربية في أفعال اللغة الفارسية المُركّبة والبسيطة، بحث منشور في المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلّة علمية عالميّة مُحكّمة، جامعة مؤتة، المملكة الأردنية الهاشمية، المجلد (8)، العدد (3)، رجب، 1433هـ / تموز 2012م.

الدكتور مازن النعيمي، بحث أثر اللفظة العربية في التركيبات اللغوية في اللغة الفارسية، 2013م، غير منشور.

ای، م، اُرانسکی، مقدمه ی فقه اللغه ی ایرانی، ترجمه ی کریم کشاورز، چاپ دوم، 1379، تهران، پیام، کتابخانه ملی ایران.

ترجمه ی رساله ی قشیریه، ابو القاسم عبد الکریم بن هوازن قشیری، بتصحیح بدیع الزمان فروزانفر، تهران، 1345.

حافظ شیرازی، دیوان غزلیات، بکوشش خلیل خطیب رهبر، انتشارات صفی علیشان، چاپ نوزدهم، تهران، 1376.

حسن شهرکی پور، وپری ناز بنی سی، ظهور پداگوژیهای جدید در هزاره ی سوم، انتشارات فراشناختی اندیشه، چاپ آزاده، تهران، 1382.

دکتر احمد رنجبر، جاذبه های فکری فردوسی، چاپ سوم، چاپخانه ی سپهر، تهران، 1379/ 2000م.

دکتر ذبیح الله صفا، تاریخ ادبیات ایران، خلاصه ی جلد اول ودوم، انتشارات ققنوس، چاپشانزدهم، 1377.

دکتر خسرو فرشید ورد، جمله وتحوّل آن در زبان فارسی، مؤسسه ی انتشارات امیر کبیر، چاپ سوم، تهران، 1382.

دکتر کامل احمد نجاد، تاریخ ادبیات وسبك شناسی، شرکت چاپ ایران، چاپ یکم، 1373.

دکتر علی شریعتی، انسان مجموعه ی آثار 24، چاپ هفتم، 1378، چاپ مهر، قم.

دکتر محسن ابو القاسمی، تاریخ زبان فارسی، سازمان مطالعه وتدوین کتب علوم انسانی دانش‌گاهها، چاپ دوم، پائیز، 1374، چاپ مهر، قم.

دکتر محسن ابو القاسمی، دستور تاریخی مختصر زبان فارسی، سازمان مطالعه وتدوین کتب علوم انسانی‌دانش‌گاهها، چاپ اول، پائیز، 1377، مؤسسه ی چاپ وانتشارات وزارت خارجه.

دکتر محمد معین، فرهنگ فارسی، چاپ دهم، چاپخانه ی سپهر، تهران، 1375، مؤسسه ی انتشارات امیر کبیر.

رسول جعفریان، سیاست وفرهنگ روزگار صفوی، ترجمة الدكتور مازن النعيمي، الطبعة الأولى، 2017م، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع.

شهرام هدایت، واژه های ایرانی، در نوشته های باستانی (عبری، آرامی، کلدانی) همراه با اعلام ایران، انتشارات دانش‌گاه تهران، 1981م، 2036 شاهنشاهی.

علي اصغر فقيهي، آل بويه واوضاع زمان ايشان، انتشارات صبا، تهران، 1357.

مازن النعيمي،، المعجم الفارسي في إيران نشأته وتطوره وأثر المعجم العربي فيه، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغات / جامعة بغداد، بغداد، 1376هـ / 1997م.

محمد حقوقی، ادبیات امروز ایران، (نثر ـ داستان)، چاپ اول، انتشارات قطره، تهران، 1977م،.

محمد رضا حکیمی، ادبیات وتعهّد در اسلام، دفتر نشر فرهنگ اسلامی، شهریور، 1358.

ملحق جريدة لندن جازيت، العدد 37685، 27 أغسطس 1946 م.

مهدی ضرغامیان، دوره ی آموزش زبان فارسی، چاپ سوم، پائیز، 1380، انتشارات دبیرخانه ی شورای گسترش زبان وادبیات فارسی.

مهرداد بهادر، نگاهی به تاریخ واساطیر ایران باستان، چاپ اول، زمستان، چاپ رامین.

میترا مهر آبادی، خاندانهای حکومتگر ایران باستان، چاپ اول، تابستان، 1372، چاپ پیك ایران.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 16 العدد 2، 2019، ص ص 497- 528

السلوك الاقتصادي المكاني لأصحاب المنشآت التجارية وأثره في نشأة وتطور المناطق التجارية في مدينة إربد

عمر ضيافلة* وولاء بني يونس**

تاريخ الاستلام 2019/2/5 تاريخ القبول 2019/3/4

ملخص

هدفت الدراسة إلى معرفة السلوك الاقتصادي المكاني لأصحاب المنشآت التجارية على تطور المراكز التجارية في مدينة إربد في ضوء استجابتها للعديد من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي شهدتها. اعتمدت الدراسة على المنهج السلوكي والوصفي والمنهج التحليلي وتم تصميم استبانة وتوزيعها على (142) تاجراً لدراسة المؤثرات الموقعية في اختيار مواقع النشاط الاقتصادي ومعرفة خصائصها الاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى استخدام المنهج التطوري لمعرفة مراحل وأماكن نشأة وتطور المناطق التجارية. وتوصلت الدراسة إلى أن هناك تباينا واختلافا في آراء التجار حول مؤثرات اختيار الموقع وأهميتها؛ إذ يعد اختيار موقع المشروع التجاري من أهم القرارات التي يتخذها صاحب المشروع، والتي يتوقف عليها نجاحه أو فشله، الأمر الذي يتطلب اختيار الموقع بطرق سلمية ومنظمة ومبنيّة على اعتبارات اقتصادية وعلمية وتجارية، ومنها يصبح للموقع التجاري عملية المفاضلة بين مزايا أو عيوب؛ لاختيار الموقع الأمثل. وتبين أن الميزة الأقل تأثيراً في قرار اختيار الموقع هي توفر الميزة المقارنة للعمالة. وبناء عليه فإن الدراسة توصي بإجراء المزيد من الدراسات التي تفسر سلوكات التجار، والاستفادة منها في اتخاذ القرارات المتعلقة بالتخطيط التجاري. كما توصي بإنشاء مناطق اقتصادية جاذبة تسهم في عمليات التنمية في مدينة إربد، لا سيما في المناطق التي تعاني من نقص في الأنشطة الاقتصادية، حتى يصبح الإقليم إقليما متوازناً تنموياً.

الكلمات المفتاحية: السلوك الاقتصادي المكاني، منشآت تجارية، مناطق تجارية، الجغرافيا الاقتصادية، مدينة إربد

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2019.

* قسم الجغرافيا، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

** إربد - الأردن

مقدمة الدراسة:

أدى التطور المستمر في سكان مدينة إربد وامتداد مساحتها إلى ظهور العديد من المناطق التجارية الحديثة، وحدوث تغيرات جوهرية في بنية المناطق التجارية والأحياء المجاورة لها، التي ارتبطت بحركة المحالّ التجارية ؛ حركة العاملين والموردين.

إن اختيار موقع المشروع يُعدّ من أهم القرارات التي يتوقف عليها نجاح أو فشله. وهذا يتطلب اختيار الموقع بطريقة سليمة ومنظمة ومبنية على اعتبارات اقتصادية وعلمية وتجارية لا على اعتبارات شخصية بحتة. وهنا تأتي عملية المفاضلة بين مزايا كل موقع تجاري وعيوبه، لكي يجري بعد ذلك اختيار الموقع الأكثر ملاءمة ليصل إلى أكبر شريحة من المستهلكين، ليحقق للمستثمر أكبر نسبة ربح (Tjalling, 1957).

مع تزايد السكان في مدينة إربد ارتفع الطلب على الخدمات التجارية، مما تسبب في حدوث فجوة بين الطلب المتزايد والعرض، وترتب عليه حركة كبيرة من المحالّ التجارية، فالبعض انتقل من مركز المدينة القديم إلى مناطق التركز الحديثة وبعضها افتتح فروعاً له في مناطق أخرى، ومنها ما تم تأسيسه لأول مرة. وأتت هذه الدراسة لتبين أهم عوامل الموقع التي يأخذها التجار بعين الاعتبار عند تأسيس محالّهم التجارية أو نقل مشاريعهم من مكان إلى آخر أو افتتاح فروع أخرى.

مشكلة الدراسة:

يعدُّ النشاط التجاري عصب اقتصاديات المدن، وهو ما ترتكز عليه المدينة في نموها وحركتها. ونتيجة للظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي مرّت بها مدينة إربد والتي أثرت بطبيعة الحال في حركة الأنشطة التجارية التي تمارس داخل المدينة، دعت الحاجة إلى تفسير حركة المحالّ التجارية المتمثلة بـ (نشأة، انتقال، افتتاح فروع جديدة) عن طريق تفسير السلوك الاقتصادي المكاني لأصحاب المنشآت التجارية لتحديد العوامل التي تحكمه، مع بيان أبرز المزايا التي تسهم في اتخاذ قراراتهم، في ظل شح الدراسات التي تناولت هذا الموضوع في منطقة الدراسة.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1. معرفة الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لأصحاب المنشآت الاقتصادية.
2. تحديد السلوك المكاني لأصحاب الأنشطة الاقتصادية، وانعكاساته على تطور المناطق التجارية.

3. تحديد عوامل انتقال التجار إلى المراكز التجارية الحالية.
4. تحديد أبرز المزايا الاقتصادية التي تسهم في اتخاذ القرار عند اختيار الموقع.

منطقة الدراسة

تقع مدينة إربد شمال المملكة الأردنية الهاشمية وضمن نطاق محافظة إربد، وتُعد مركز المحافظة، تفصل بينها وبين العاصمة عمان مسافة تقدّر بواحد وسبعين كيلومتراً شمالاً، وبمساحة تقدّر (المدينة مع ضواحيها) بحوالي 30 كيلو مترا مربعا، وتحتلّ المرتبة الثانية على مستوى مدن المملكة من حيث عدد السكان، ويبلغ عدد سكانها حوالي 650 ألف نسمة. تقع المدينة في مكان متوسط بالنسبة لباقي مناطق المحافظة؛ إذ تقع على على دائرة عرض 44″ 32′ 32° شرقا و 26″ 51′ 35° شمالا

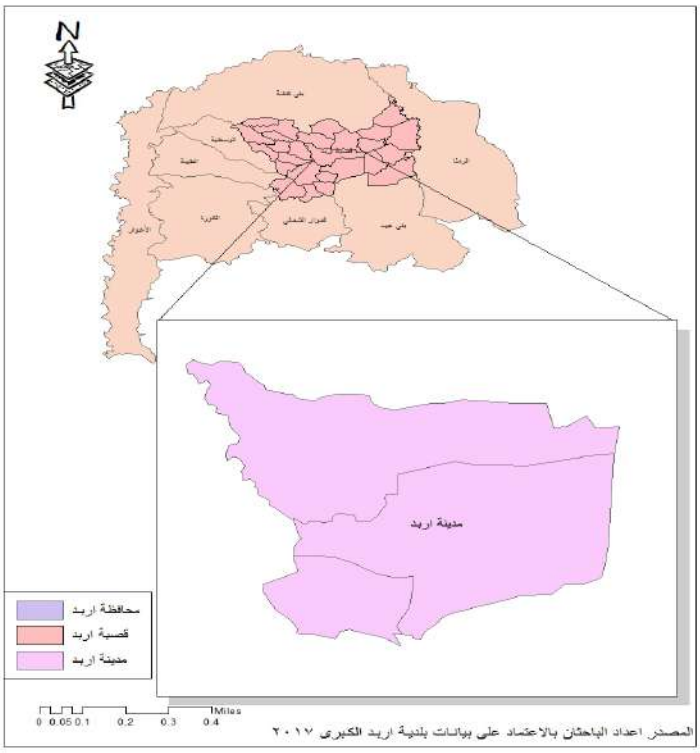

الشكل (1): منطقة الدراسة

منهجية الدراسة:

لإعداد هذه الدراسة تم تحديد المناطق التجارية الحديثة في مدينة إربد، وذلك بالرجوع لدائرة التخطيط ودائرة التنظيم ورخص المهن في بلدية إربد الكبرى، والاستعانة بالخرائط التي توضح المناطق التجارية التي ترتكز فيها المنشآت التجارية القائمة في مدينة إربد.

أ- المنهج:

اعتمدت الدراسة في تحقيق أهدافها على المنهج السلوكي والمنهج الوصفي التحليلي لدراسة السلوك الاقتصادي لرجال الأعمال، ولفهم التغيرات والأنماط المكانية الجديدة للمناطق التجارية الحديثة في مدينة إربد، لدراسة عوامل اختيارهم لهذه المناطق. إضافة الى استخدام المنهج التطوري لمعرفة التطورات العددية والمكانية للأنشطة؟

ب- الأداة:

استخدمت استبانة تم توزيعها على (142) من أصحاب المنشآت التجارية في مركز المدينة وظهيرها، احتوت على ثلاثة محاور: محور لمعرفة الخصائص الاجتماعية للتجار (النوع الاجتماعي، العمر، المستوى التعليمي). والمحور الثاني لمعرفة خصائص المنشآت التجارية (نوع الخدمة، شكل التنظيم، عدد الفروع وموقعها، عدد العاملين، مكان النشأة). والمحور الثالث يهتم بالموقع (أسباب الاختيار والمزايا)

ج- عينة الدراسة:

تم اختيار عينة عشوائية من التجار باستخدام العلاقة التالية (الزيود، 2010، ص36)

$$N = \frac{(1.96)2 * (P * Q)2}{(0.05)2}$$

إذ إنّ

N = حجم العينة

1.96= درجة معيارية عند مستوى ثقة 5%

P = نسبة المؤسسات التجارية إلى مجموع المنشآت التجارية

Q = نسبة الشركات إلى مجموع المنشآت التجارية

0.05= مستوى المعنوية

تم اختيار عينة عشوائية ممثلة من 50 تاجراً، وتم اعتماد سؤال "ما نوع التنظيم لمؤسستك التجارية"، وبعد احتساب النسبة المئوية لكل من الاختيارين "مؤسسة خاصة، شركة محدودة"، كانت نسبة "مؤسسة خاصة" 72%، و"شركة محدودة" 28%، بعد ذلك تم احتساب حجم العينة الكلية الممثلة للمجتمع بتطبيق العلاقة السابقة.

حجم العينة = (1.96)2 * 0.72)2 * 0.28)) \ 2(0.05)

حجم العينة = 142 تاجراً

لتحديد عدد التجار المشمولين في العينة في كل منطقة من مناطق الدراسة، تم تجميع رخص المهن في كل منطقة، ومن ثم توزيع العينة لاحتساب الأهمية النسبية لكل منطقة. الجدول (1)، الشكل (2).

الجدول (1): أعداد المحالّ التجارية في مناطق مدينة إربد السبع

الرقم	المناطق	أعداد المهن	الأهمية النسبية للمنطقة %	عدد الاستبانات الموزعة في كل منطقة
1	الهاشمية	3536	34.8	49
2	النزهة	1824	17.9	25
3	النصر	888	8.7	12
4	الروضة	1794	17.7	25
5	البارحة	607	6.0	9
6	المنارة	911	9.0	13
7	الرابية	604	5.9	9
المجموع		10164	100	142

إعداد الباحثين بالاعتماد على بيانات بلدية إربد الكبرى 2017

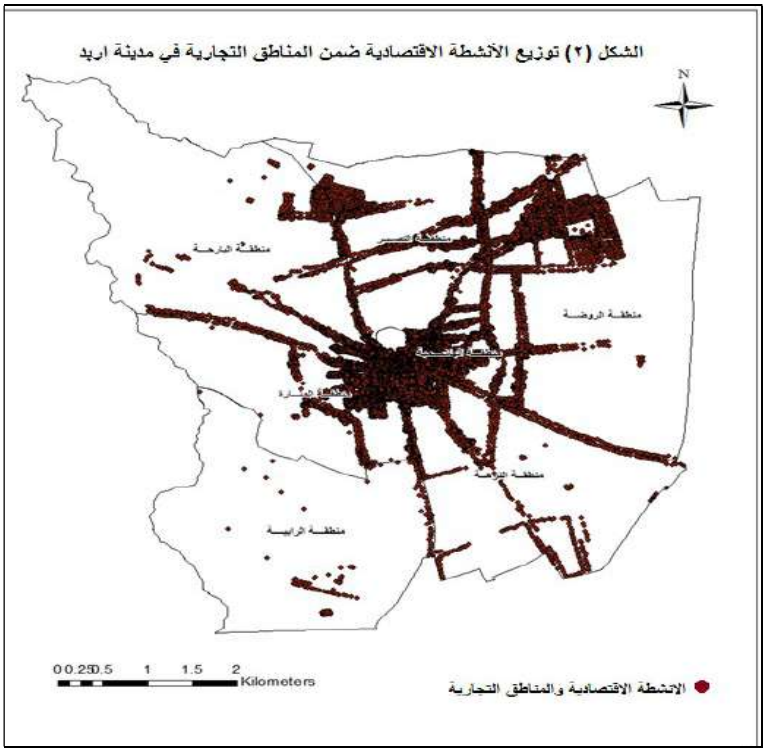

الشكل (2): توزيع الأنشطة الاقتصادية ضمن المناطق التجارية في مدينة إربد

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على بينات غرفة تجارة إربد وبلدية إربد الكبرى 2017

الدراسات السابقة:

أشارت دراسة الضيافلة، (2017) بعنوان "الخصائص المكانية والهيكلية للأسواق الآسرة في محافظة إربد باستخدام نظم المعلومات الجغرافية" هدفت إلى معرفة الخصائص المكانية والهيكلية للأسواق الآسرة في محافظة إربد ومعرفة ماهية السلع والخدمات المقدمة، ونمط توزيعها الجغرافي والتعرف على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لأصحاب هذه الأسواق. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. وتوصلت الدراسة إلى العديد من النتائج أهمها أن هناك علاقة قوية بين موقع الأسواق الآسرة وموقع مراكز الخدمات الإدارية والمجتمعية.

وتناولت دراسة خوالدة وآخرون (2016) مراحل تطور تجارة التجزئة في مدينة عمان (المولات) والتحولات الحديثة التي طرأت عليها، ودراسة توزيع مراكز التسوق، ووظائفها، ومناطق الجذب الخاصة بها. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لتحقيق أهدافها. وتوصلت الدراسة إلى أن تجارة التجزئة تطورت من مؤسسات تجارية صغيرة وبقالات إلى السوبر ماركت

كبيرة الحجم ثم مراكز التسوق الكبرى (المولات). وأظهرت الدراسة انتشار مراكز التسوق الكبرى في المناطق ذات المستوى المعيشي المرتفع وفي الاحياء ذات الكثافة السكانية المرتفعة، وأوضحت تطور الوظيفة الترفيهية لمراكز التسوق إضافة إلى الوظيفة الأساسية.

وهدفت الزيود، (2010)، في دراستها إلى إيجاد البعد الزماني والمكاني لنشأة المناطق التجارية في عمان الكبرى وتطورها خلال أكثر من نصف قرن تمتد (1950- 2009)، ودراسة سلوك التجار فيما يتعلق بنشأة المراكز التجارية الحديثة، واستخدمت الدراسة المنهجين : التاريخي والسلوكي لتحقيق الأهداف السابقة الذكر، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن هناك تباينا مكانيا في تركز الأنشطة التجارية في المناطق التجارية الحديثة، وأظهرت الدراسة أن أبرز عوامل الموقع في المناطق التجارية الحديثة تأثيراً في سلوك التجار وقراراتهم عند إقامة منشآتهم التجارية هي وجود الكثافة السكانية المناسبة.

وأوضحت دراسة برهم المعنونة بـ : **Sectoral Actors in the Jordanian Economy (2000)** لتشخيص رجال الأعمال الأردنيين من حيث نشأتهم وسلوكهم الاقتصادي. وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج السلوكي لدراسة سلوك التجار، والرياديين منهم بخاصة، وتوضيح البيئة التي يعملون فيها من حيث غياب الاستقرار السياسي في المنطقة والمناخ التشريعي المتغير والذي لا يمكن التكهن به، حيث إن هؤلاء يضعون أثمانا باهضة لمجازفاتهم وعلى أسس طويلة الأجل، وليست لفترة انتقالية من النشاط، لذا يلاحظ بأن نشاطهم جاء بناءً على أنه مزاج سلوكي ضمن بيئة محددة بدلاً من أن يكون نشاطاً مهنياً، وبهذا تكون المجازفة أهم صفات التجارة. و تناولت الدراسة صفات رجال الأعمال وخصائصهم من حيث التعليم والهجرة. وكان من أهم خصائصهم البدء بسن متأخر من حياتهم لإنشاء أعمالهم.

وبينت دراسة السعيد بعنوان **The Political Economy of Reform in Jordan (2000)** دور مجموعات أصحاب المصالح في الأردن في التأثير في الاقتصاد الأردني. وقد اعتمدت هذه الدراسة المنهج التاريخي لدراسة التاريخ الاقتصادي السياسي للأردن، وكيفية تأثير أصحاب المصالح التجارية في الأردن في الاقتصاد السياسي. و أظهرت الدراسة أن بعض هذه المجموعات من رجال الأعمال الذين كانوا يشغلون مناصب في الحكومة كانت مواقفهم تؤثر تقليديا في رسم السياسات في عمان التي تعرقل تنفيذ مصالحهم في الأردن منذ أواسط الثمانينيات. كما بينت الدراسة الوتيرة البطيئة للإصلاح الاقتصادي خلال الفترة ما بين (1988-1985) إضافة إلى إبراز التقدم في التنفيذ بعد 1998، كذلك التطورات الرئيسية المؤثرة في الاقتصاد السياسي في الأردن منذ أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات، وهذه كلها مهمة بسبب تأثيرها في برامج الإصلاح. كما أظهرت الدراسة أن بعض هذه المجموعات في داخل الأردن وخارجه بقيت في طريق الإصلاح الاقتصادي والسياسي، في حين ظهرت مجموعة نخبة من التجار

للاستفادة من سياسة الانفتاح الاقتصادي، وأسهمت هذه المجموعة في رسم معالم الطريق التي سوف يسلكها الاقتصاد الأردني.

واستخدمت دراسة (Wissen,V) بعنوان: **A Micro – Simulation Modal of Firms. Applications of Concepts of the Demography of the Firm(1996)**. منهجا أكثر شمولية، يأخذ بعين الاعتبار جميع متغيرات الشركات التحليلية بعضها ببعض، متمثلة بالعناصر الديموغرافية الآتية: (المواليد والوفيات، والهجرة، وتراجع النمو)، وأظهرت الدراسة إمكانية تطبيق منهج ديموغرافية الشركات، وذلك يعود إلى وفرة مصادر المعلومات في هولندا المتعلقة بالشركات من خلال ما يسمى بنظام توازن التحول الخاص بغرفة التجارية الهولندية. وقد جاءت هذه الدراسة لتركز على عامل العرض الذي يتمثل في سلوك التجار تجاه حركة المنشآت التجارية وقراراتهم حيالها، بالإضافة إلى دراسة سلوك التجار الاقتصادي وانعكاسه على تطور المراكز التجارية ؛ بتحليل تقييم التجار لعوامل موقع المراكز التجارية الحديثة وأخذ قراراتهم في الانتقال إليها.

- تميزت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في كونها الأولى التي تدرس السلوك الاقتصادي لأصحاب المنشآت التجارية عند اختيار الموقع في مدينة إربد، وإضفاء البعد المكاني للدراسات الاقتصادية لتأكيد أهمية المكان وخصائصه وأثره في الظواهر المختلفة.

أولا: الخصائص الاجتماعية والاقتصادية لأصحاب المنشآت الاقتصادية.

أ. الخصائص الاجتماعية لعينة الدراسة (النوع الاجتماعي، العمر، المستوى التعليمي):

جدول (2): الخصائص الديموغرافية للتجار.

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي
النوع الاجتماعي	ذكر	140	99
	أنثى	2	1
العمر	15- 24 سنة	9	6
	25- 34 سنة	21	15
	35- 44 سنة	51	36
	45- 54 سنة	45	32
	55 فأكثر	16	11

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي
	دون الثانوية	77	54
	ثانوية	38	27
المستوى التعليمي	دبلوم متوسط	7	5
	بكالوريوس	19	13
	دراسات عليا	1	1

المصدر: العمل الميداني.

لقد ساد على مدى القرون الاعتقاد بأن التمايز الاجتماعي والأدوار المختلفة للرجال والنساء هي اختلافات طبيعية لا تتغير، وأنها محددة بالاختلافات البيولوجية، إلاّ أنه تزايد في وقتنا الحالي الاهتمام بقضايا المساواة بين الجنسين ومحاولة تمكين المرأة على المستويين المحلي والدولي وذلك لدورها المهم الذي تقوم به في المجتمع. ولتعزيز دور المرأة في عمليات التنمية الشاملة، وانطلاقاً من أهمية وجودها في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ؛ كونها نصف المجتمع، كان لا بد من تقليص الفجوة بينها وبين الرجل بخوضها جميع مجالات الحياة (المومني، 2018). أن نسبة الذكور 99%، بينما كانت نسبة الإناث 1% فقط، وهذا يفسر تخصص مهنة التجارة بالمجتمع الذكوري فقط، وعدم مشاركة المرأة فيه بشكل كبير. اما في خصائص العمر فقد بلغت النسبة العليا لأعمار التجار للفئات العمرية (35- 44 سنة) و(45- 54 سنة) بنسب متقاربة تساوي 36% و32% على التوالي، وكانت النسبة الدنيا للتجار 6% للذين تقل أعمارهم عن 24 سنة، وهذا قد يفسر عدم امتلاك هذه الفئة رأس المال الكافي لافتتاح مشروع، أو عدم امتلاكهم الخبرة الكافية.

وعن المستوى التعليمي بلغت النسبة العليا من العينة للتجار الحاصلين على ما دون الثانوية 54%، وجاءت نسبة التجار من حملة الثانوية العامة في المرتبة الثانية 27%، وكانت النسبة الدنيا للتجار الحاصلين على دراسات عليا 1%، وهذا يفسر عدم ميول المتعلمين إلى العمل في التجارة، وتوجه غير المتعلمين نحو مهنة التجارة لتوفير الدخل المناسب - الجدول (2).

ب: العلاقة بين الخصائص الديموغرافية وبعض المتغيرات:

- **الخصائص الديموغرافية ونوع النشاط التجاري:** تبين من نتائج المسح الميداني أن هناك علاقة بين أعمار التجار والنشاط التجاري الذي يمارسونه؛ حيث كانت النسبة الكبرى للتجار الذين تقل أعمارهم عن 35 سنة قد افتتحوا محالّ تجارية متخصصة ببيع "آلالات والأجهزة" و"العطور وأدوات التجميل" و"الكتب والأدوات المكتبية"، أما نوع النشاط الذي تمارسه النسبة الكبرى من التجار الذين تتراوح أعمارهم ما بين "35-44" فكان

"الحاصلات الزراعية" و"الأدوات الكهربائية" و"السيارات وأدواتها"، في حين شكّل التجار الذين تتراوح أعمارهم بين "45-54" النسبة الكبرى في بيع "مواد البناء" و"الأقمشة والمنسوجات والأحذية" و"المعادن النقية والمجوهرات والأحجار الكريمة"، أما نسبة التجار الذين تخصصوا ببيع "الفنادق والمطاعم" و"خدمات تجارية" كانوا ضمن الفئة العمرية "أكثر من 55 سنة". في حين لم يكن هناك دور للمستوى التعليمي في اختيار التجار لنوع النشاط التجاري.

- **الخصائص الديموغرافية وشكل تنظيم المنشأة التجارية:**

ارتفعت نسبة تنظيم المحالّ التجارية "مؤسسة خاصة" بنسبة 72%، وهذا يدل على أن التجار يميلون إلى الاستقلالية وعدم حب المشاركة في المشاريع، وكانت النسبة العليا للتجار ذوي المؤسسة الخاصة 35% من الفئة العمرية (45- 54 سنة) يليها الفئة العمرية (35- 44 سنة) بنسبة 32%، والنسبة العليا للحاصلين على المستوى التعليمي دون الثانوية 56% يليها التجار الحاصلون على الثانوية بنسبة 24%.

أما التجار أصحاب المحالّ التجارية التي أخذت تنظيم "شركة محدودة" فكانوا بنسبة 28%، وهذا يفسر ميول بعض التجار إلى مشاركة آخرين ليتقاسموا المسؤولية والتكاليف، وكانت النسبة العليا للتجار ذوي الفئة العمرية (35- 44 سنة) بنسبة 45%، والحاصلين على الثانوية العامة بنسبة 35% من مجموع التجار ضمن هذا التنظيم. الجدول (3).

جدول (3): الخصائص الديموغرافية للتجار حسب شكل تنظيم المحالّ التجارية.

المتغير	الاختيار	مؤسسة خاصة		شركة محدودة	
		التكرار	النسبة التكرارية	التكرار	النسبة التكرارية
العمر	15- 24 سنة	5	5.0	4	10.0
	25- 34 سنة	17	17.0	4	10.0
	35- 44 سنة	33	32.0	18	45.0
	45- 54 سنة	36	35.0	9	23.0
	55 فأكثر	11	11.0	5	12.0
المستوى التعليمي	دون الثانوية	57	56.0	20	50.0
	ثانوية	24	24.0	14	35.0
	دبلوم متوسط	6	6.0	1	2.5
	بكالوريوس	15	14.0	4	10.0
	دراسات عليا	0	0.0	1	2.5

المصدر: العمل الميداني.

ج. بعض خصائص المنشآت التجارية

تراوح عدد العاملين في المنشآت التجارية في مدينة إربد من عامل واحد إلى ثمانية عمال في منطقة المدينة، ويدل ذلك على أن المنشآت التجارية في منطقة المدينة صغيرة الحجم بشكل عام، وليس لديها القدرة التوسعية داخل حدود المدينة نظرا لارتفاع قيم الأراضي فيها وارتفاع إيجار المحالّ وخلوها، فقط كانت فئة أربعة عمال هي المستحوذه على باقي الفئات يليها فئة ثلاثة عمال وفئة خمسة عمال بالتساوي جدول (4). وهذا يفسر انتقال الأنشطة التجارية إلى خارج المركز لغايات التوسع المكاني والاستفادة من انخفاض الإيجارات فيها. ناهيك بأن 87% منها أنشطة تم افتتاحها لأول مرة وما زالت صغيرة الحجم، وفي مرحلة النمو. الشكل (2). اما المحالّ التي تمتلك فروعا فقط فكانت نسبتهم (13%) فقط، حيث تم تأسيس منشآتهم القديمة في المنطقة التجارية المركزية المتمثلة بمنطقة الهاشمية (وسط البلد)، التي كانت تتمتع بالعديد من المزايا الاقتصادية الجاذبة للمستهلكين والتجار، وبعد قيام العديد من المولات التجارية، وامتداد الشوارع التجارية، تم افتتاح فروع جديدة في هذه المناطق لتوسيع التجارة والوصول إلى أكبر عدد من الزبائن، وكانت النسبة الكبرى للتجار الذين يمتلكون فروعاً تجارية في منطقتي الهاشمية والنزهة ويمارسون فيها نفس النشاط التجاري جميعا، وهذا يدل على حرص التاجر على عرض السلع التي يبيعها في المنشأة الأم في جميع فروعه، إما لخبرته وتخصصه في هذا المجال وإما للسعي إلى الوصول إلى أكبر عدد من الزبائن في المناطق التجارية الحديثة. الجدول (4) والشكل (3)

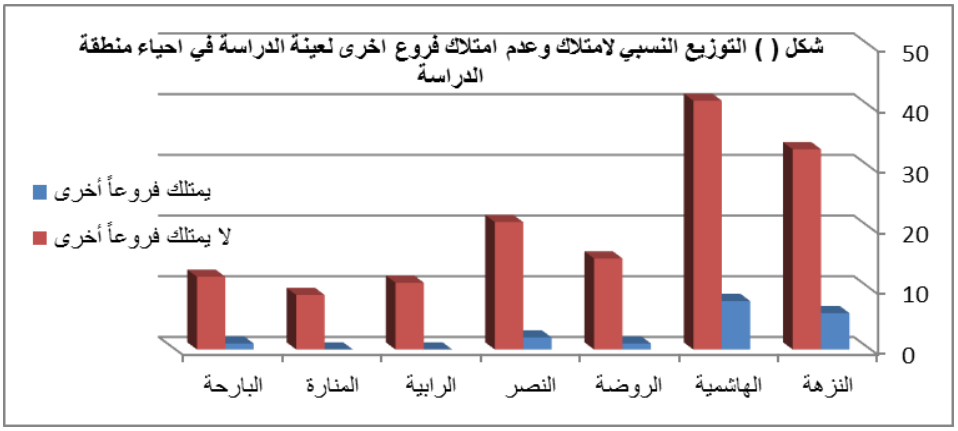

الشكل (3): التوزيع النسبي لامتلاك وعدم امتلاك فروع أخرى لعينة الدراسة في أحياء منطقة الدراسة

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على العمل الميداني 2017.

الجدول (4): بعض خصائص المنشآت التجارية.

المتغير	الحالة	التكرار	التكرار النسبي
عدد موظفي المشآة	موظف واحد	9	6.5
	موظفان	22	16
	ثلاثة موظفين	33	23
	أربعة موظفين	36	25
	خمسة موظفين	33	23
	ستة موظفين فأكثر	9	6.5
طبيعة المحل التجاري	افتتاح لأول مرة	123	87
	محل قديم (الأصل)	16	11
	فرع آخر	3	2
عدد الفروع	فرع واحد	124	87
	فرعان	9	7
	ثلاثة فروع	6	4
	أربعة فروع	3	2

المصدر: العمل الميداني.

الشكل (4): مراحل توسع مدينة إربد

المصدر: إعداد الباحثين

ثانيا: السلوك الاقتصادي المكاني وانعكاساته على المناطق التجارية

أ. أسباب انتقال التجار إلى المنطقة التجارية الحالية، وانعكاس السلوك الاقتصادي المكاني لأصحاب المنشآت التجارية على تطور المناطق التجارية:

تتوقف قدرة المجتمعات على مواكبة التغيرات والتجديدات على خيارات يقوم بها الأفراد والشركات والمجتمعات المحلية والحكومات مجتمعة، والأمر المؤكد أن ظهور أشكال عديدة ومتجددة لأشكال مختلفة من الأسواق يعد مؤشراً على جودة تصرف الأفراد في الأسواق، ومدى جودة الأسواق في أداء وظيفتها. ومنذ بداية استهلال القرن الحادي والعشرون أصبح بناء المؤسسات والمشاريع الصغيرة الرسمية وغير الرسمية التي من شأنها تعزيز التنمية وتخفيض أعداد الفقراء أحد الموضوعات الأساسية على أجندة التنمية العالمية والإقليمية والمحلية (الضيافلة،2017).

تتوزع المتاجر والأسواق جغرافيا في مراكز المدن وظهيرها، وتزايد انتشارها وتناثرها في الوقت الحاضر، إذ ارتبط ذلك بتوزع السكان (المستهلكين). ودخلت تعديلات كثيرة على المتاجر ومنافذ توزيع السلع على مستهلكيها، حيث ظهرت في الآونة الأخيرة أعداد لا حصر لها من هذه الأنماط العالمية الانتشار مثل: الأسواق الآسرة، أسواق توصيل السلع للمستهلك في المنزل، سوق وقت التمتع، المتجر المتميز أو البدالة المتميزة، المجمعات التجارية، متاجر الكاتلوج، المتاجر العامة المشجعة، متاجر الأغنياء (المستبعدة)، أسواق الإنترنت، الأسواق المخططة (الديب، 2010).

ولا شك أن بعض الأنشطة الاقتصادية يكون فيه اختيار الموقع مرتبطا بعامل رئيس ومحدد، إلا أننا في المقابل نجد أن قرارت اختيار الموقع ضمن الحيز الحضري يمتلك قابلية اكبر للتحرك والاختيار بناء على التشكيلة الواسعة للاعتبارات والأولويات داخل هذا الحيز. ينطلق من الطبيعة الديناميكية للاقتصاد الحضري.

بدوره انعكس هذا التوسع على الأبحاث الجغرافية التطبيقية، والنظرية الجغرافية بشكل عام منذ ظهورها، كالنظريات التي ركزت على دراسة الموقع الجغرافي، والعوامل التي تحكم اختياره والعلاقات والترابطات المكانية في الحيز المكاني، بدءاً من إسهامات الألماني weber 1909 في الأسس والمبادئ الأولى لاقتصاديات الموقع، ثم جهود كل من Plander 1935,1955، August Losh 1945، Edgar Hover 1948، Greenhut 1956، Isard 1956، Warneryd 1968,1999، Goddard 1970 في محاولاتهم للوصول إلى موقع الأنشطة الاقتصادية الأمثل. وفي جغرافية التسويق ونظرياتها المكانية والتي ظهرت عند كل من Brian Berry في بحثه عن

نظرية الموقع المركزي لأغراض التخطيط بولاية شيكاغو، وLakshman وHansen اللذين قيما في مدينة بالتيمور حجم تطور مراكز التسوق بتقديم دراسة حقلية عن نظرية التفاعل العام.

وقد صنفت المواقع المكانية لمراكز التسويق وأنماطها لدى Applebaum عن مدينة سنسيناني في ولاية أوهايو، ورولف في مدينة بالتيمور في ولاية بنسلفانيا؛ محاولة نحو دراسة تركيب أنماط التجارة في المدن أوائل الثلاثينيات من القرن المنصرم، ولحقتها دراسات حقلية لإكمال التصنيفات السابقة بظهور منطقة تسويق مركزي ومراكز جوار، ومراكز فرعية وأسواق شوارع ضيقة، أما Diamond فاهتم بالحجم التسويقي في المدن الجديدة، إضافة إلى دراسات حقلية Daves Ross عن سلوك المستهلكين لتحديد وظائف مراكز التسويق وفوائده في مدينة كوفنتري (بدوي،1991هـ).

تبين من نتائج المسح الميداني وبعد استخدام مقياس ليكرت الخماسي والثلاثي، أن العامل الأكثر تأثيراً في انتقال التجار إلى المناطق التجارية الحديثة هو توسيع التجارة والوصول إلى أكبر عدد من الزبائن، وجاء عامل انخفاض تكاليف الإنتاج في المرتبة الثانية من حيث الأهمية النسبية، أما العامل الأقل تأثيراً في انتقال التجار إلى المناطق التجارية الحديثة كان فسخ المشاركة مع شخص آخر في المكان القديم. والجدول (5) يبين أهم أسباب انتقال التجار إلى المناطق التجارية الحديثة والأهمية النسبية لكل منها:

جدول (5): أسباب انتقال التجار إلى المنطقة التجارية الحالية.

السبب	موافق بشدة %	موافق %	محايد %	غير موافق %	غير موافق بشدة %	الأهمية النسبية
ضيق مساحة المحل القديم	15	3	23	10	49	3
انخفاض تكاليف الإنتاج	34	11	2	22	31	2
فض الشراكة مع شخص آخر في المكان القديم	0	0	3	1	97	5
قرب مكان السكن من المنطقة التجارية الحديثة	5	0	8	16	71	4
لتوسيع التجارة والوصول إلى أكبر عدد من الزبائن	88	11	1	0	0	1

المصدر: العمل الميداني

ب. المزايا الاقتصادية التي أسهمت في اتخاذ قرار الموقع:

- **الكثافة السكانية للمركز التجاري الحديث:**

يعد عامل الكثافة السكانية من أهم المعايير التي تؤخذ بعين الاعتبار عند اختيار موقع المشروع الاستثماري. فهي تعطي صورة للتاجر عن حجم الطلب المتوقع قبل قيامه بتأسيس منشأته التجارية، وهذا ما يضمن له استمرار نشاطه التجاري.

بلغت النسبة العليا للتجار الذين قيموا عامل **الكثافة السكانية** بشكل إيجابي (موافق/ موافق بشدة) 78% من التجار. وكانت غالبية التجار من الفئات العمرية (35- 44 سنة) و(45- 54 سنة)، ومن المستوى التعليمي دون الثانوية. وهذا يدل على الأهمية الاقتصادية لعامل الكثافة السكانية عند اختيار الموقع. كما في الجدول (6).

جدول (6): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "الكثافة السكانية في المناطق التجارية الحديثة"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/موافق بشدة%	محايد%	غير موافق/ غير موافق بشدة%
العمر	15- 24 سنة	9	6	22	45	33
	25- 34 سنة	21	15	52	5	43
	35- 44 سنة	51	36	88	4	8
	45- 54 سنة	45	32	91	2	7
	55 فأكثر	16	11	75	12	13
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	83	3	14
	ثانوية	38	27	79	8	13
	دبلوم متوسط	7	5	29	14	57
	بكالوريوس	19	13	74	21	5
	دراسات عليا	1	1	100	0	0

المصدر: العمل الميداني.

- **تمتع مواقع المراكز التجارية الحديثة بالسمعة العالية:**

عمل عدد من التجار على فتح فروع جديدة لهم في المناطق التجارية الحديثة التي تمتاز بالسمعة العالية، وذلك لأن الزبائن الذين يترددون على هذه المناطق هم من الطبقة الراقية، والذين يقومون بالشراء والتسوق بغض النظر عن التكلفة العالية، وهم أكثر استجابة للعروض التجارية في هذه المناطق.

بلغت النسبة العليا للتجار الذين قيموا عامل **السمعة العالية** بشكل إيجابي (موافق / موافق بشدة) 90% من التجار. وكانت غالبية التجار من الفئات العمرية (25- 34 سنة) و(35- 44 سنة) و(45- 54 سنة). وهذا يدل على حرص التجار على فتح فروع تجارية لهم في المناطق التجارية التي تتمتع بالسمعة العالية بهدف زيادة الأرباح. كما في الجدول (7).

جدول (7): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "السمعة العالية في المناطق التجارية الحديثة

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/ موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/ غير موافق بشدة%
العمر	15- 24 سنة	9	6	89	11	0
	25- 34 سنة	21	15	100	0	0
	35- 44 سنة	51	36	90	6	4
	45- 54 سنة	45	32	91	2	7
	55 فأكثر	16	11	75	13	12
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	91	4	5
	ثانوية	38	27	100	0	0
	دبلوم متوسط	7	5	57	29	14
	بكالوريوس	19	13	79	11	10
	دراسات عليا	1	1	100	0	0

المصدر: العمل الميداني.

- **القوة الشرائية العالية لسكان المنطقة التجارية:** ترتبط القوة الشرائية بالوضع الاقتصادي للسكان في المنطقة، والتي تتقلب من وقت إلى آخر حسب الظروف السائدة. وتعتد القوة الشرائية العالية للمستهلكين في المنطقة التجارية من المعايير المهمة التي يدرسها التاجر عند اختيار الموقع.

بلغت النسبة العليا للتجار الذين قيموا عامل **القوة الشرائية العالية** بشكل إيجابي (موافق / موافق بشدة) 52% من التجار. وارتفعت نسبة الذين رأيهم (محايد) 39% من التجار بسبب إيمانهم بتغير وتقلب القوة الشرائية للمستهلكين عبر الزمن. وكان معظم التجار من الفئات العمرية (35- 44 سنة) و(45- 54 سنة). ويختلف تقييم التجار لعامل القوة الشرائية من تاجر إلى آخر حسب نوع السلع المبيعة وأسعارها. كما في الجدول (8).

جدول (8): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "القوة الشرائية العالية للمستهلكين"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/ موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/ غير موافق بشدة %
العمر	15- 24 سنة	9	6	22	44	34
	25- 34 سنة	21	15	62	33	5
	35- 44 سنة	51	36	53	41	6
	45- 54 سنة	45	32	64	24	12
	55 فأكثر	16	11	19	75	6
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	36	55	9
	ثانوية	38	27	84	13	3
	دبلوم متوسط	7	5	29	28	43
	بكالوريوس	19	13	58	32	10
	دراسات عليا	1	1	100	0	0

المصدر: العمل الميداني.

• **وجود محلات مشابهة ومنافسة يزيد من عدد الزبائن:**

يلجأ التجار أحياناً إلى تأسيس منشأة تجارية في منطقة تتجاور مع المحالّ التي تعرض نفس السلعة، وذلك بسبب تردد المستهلكين على المناطق التجارية التي تتخصص في النشاط نفسه في المكان الواحد، حيث يتوفر لهم أكثر من خيار للشراء والمفاضلة بين السلع والأسعار بأقل وقت وجهد، وهذا من أهم أسباب نجاح المركز التجاري.

بلغت النسبة العليا للتجار الذين قيموا عامل وجود محالّ مشابهة ومنافسة يزيد من عدد الزبائن بشكل إيجابي (موافق / موافق بشدة) 81% من التجار. وبلغت نسبة التجار الذين لم يؤيدوا أن وجود محالّ مشابهة ومنافسة يزيد من عدد الزبائن 19%، حيث رأوا أن إنشاء محل تجاري ينفرد ببيع سلعة معينة أكثر سبباً للنجاح، بسبب حصر الزبائن وعدم وجود خيارات أخرى أمامهم للشراء. كما في الجدول (9).

جدول (9): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "وجود محلات منافسة يزيد من عدد الزبائن"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/ موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/ غير موافق بشدة%
العمر	15- 24 سنة	9	6	67	0	33
	25- 34 سنة	21	15	76	0	24
	35- 44 سنة	51	36	78	0	22
	45- 54 سنة	45	32	89	0	11
	55 فأكثر	16	11	81	0	19
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	83	0	17
	ثانوية	38	27	82	0	18
	دبلوم متوسط	7	5	86	0	14
	بكالوريوس	19	13	74	0	26
	دراسات عليا	1	1	0	0	100

المصدر: العمل الميداني.

- **تمتع المناطق الجديدة بعوامل جاذبة:** يفضل التجار إقامة منشآتهم في المناطق التجارية الحديثة التي تتميز بتوفر الخدمات العامة المتنوعة، والسلع المعروضة وطريقة عرضها، وشكل تصميم المباني، حيث يكون الزبائن أكثر استجابة للإغراءات التجارية فيها.

بلغت النسبة العليا للتجار الذين قيموا عامل **تمتع المناطق الجديدة بعوامل جاذبة** بشكل سلبي (غير موافق / غير موافق بشدة) 63% من التجار، حيث رأوا أن هذا العامل ليس سبباً في استقطاب الزبائن، ولم يعد يؤثر على سلوك المستهلكين بسبب تراجع الوضع الاقتصادي للسكان مؤخراً. كما في الجدول (10).

- **سهولة الوصول إلى المناطق التجارية الجديدة:**

من عوامل نجاح المراكز التجارية أن تكون مخدومة بشبكة طرق جيدة تربط جميع أطراف المدينة بعضها ببعض، لتسهل عملية التنقل من المناطق التجارية وإليها.

بلغت النسبة العليا للتجار الذين قيموا عامل **سهولة الوصول إلى المناطق التجارية الجديدة** بشكل إيجابي (موافق / موافق بشدة) 95% من التجار، حيث رأوا أن هذا العامل سبب رئيس لنجاح المركز التجاري، من خلال سهولة تنقل الزبائن منه وإليه. كما في الجدول (11).

جدول (10): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "تمتع المناطق الجديدة بعوامل جاذبة"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/غير موافق بشدة%
العمر	15- 24 سنة	9	6	22	0	78
	25- 34 سنة	21	15	0	0	100
	35- 44 سنة	51	36	10	14	76
	45- 54 سنة	45	32	62	9	29
	55 فأكثر	16	11	19	25	56
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	32	8	60
	ثانوية	38	27	24	18	58
	دبلوم متوسط	7	5	29	14	57
	بكالوريوس	19	13	11	5	84
	دراسات عليا	1	1	0	0	100

المصدر: العمل الميداني.

جدول (11): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل"سهولة الوصول إلى المناطق التجارية الجديدة"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/ موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/ غير موافق بشدة %
العمر	15- 24 سنة	9	6	100	0	0
	25- 34 سنة	21	15	100	0	0
	35- 44 سنة	51	36	96	2	2
	45- 54 سنة	45	32	96	2	2
	55 فأكثر	16	11	100	0	0
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	96	1	3
	ثانوية	38	27	100	0	0
	دبلوم متوسط	7	5	100	0	0
	بكالوريوس	19	13	95	5	0
	دراسات عليا	1	1	100	0	0

المصدر: العمل الميداني.

- **توفر مواقف سيارات:**

بلغت النسبة العليا للتجار الذين قيموا عامل **توفر مواقف سيارات** بشكل إيجابي (موافق / موافق بشدة) 73% من التجار، حيث رأوا أن هذا العامل يسهل على الزبائن إيجاد مواقف لسياراتهم والوقوف أمام المحالّ التي يريدون التسوق فيها. كما في الجدول (12).

جدول (12): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "توفر مواقف سيارات"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/ موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/ غير موافق بشدة%
العمر	15- 24 سنة	9	6	67	0	33
	25- 34 سنة	21	15	76	0	24
	35- 44 سنة	51	36	70	8	22
	45- 54 سنة	45	32	71	2	27
	55 فأكثر	16	11	81	13	6
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	74	4	22
	ثانوية	38	27	68	8	24
	دبلوم متوسط	7	5	43	14	43
	بكالوريوس	19	13	84	0	16
	دراسات عليا	1	1	100	0	0

المصدر: العمل الميداني.

- **سلوك المستهلكين في المراكز التجارية الحديثة أكثر استجابة للإغراءات التجارية:**

تتميز المناطق التجارية الحديثة بالإغراءات التجارية العديدة، مثل توفر المرافق العامة وسعة المكان، والشكل المعماري للسوق، والإضاءة الطبيعية ونظافة المكان، كل هذه العوامل تعمل على استقطاب الزبائن وتشجيعهم على الشراء.

بلغت النسبة العليا للتجار الذين قيموا عامل **استجابة المستهلكين للإغراءات التجارية** بشكل إيجابي (موافق / موافق بشدة) 72% من التجار، حيث رأوا أن معظم الزبائن يميلون إلى التسوق في المناطق التجارية الحديثة رغم التكلفة الأكثر ارتفاعا، وذلك لاحتوائها على العديد من العوامل التي تشجع على الشراء. كما في الجدول (13).

جدول (13): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "استجابة المستهلكين للإغراءات التجارية"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/ موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/ غير موافق بشدة%
العمر	15- 24 سنة	9	6	89	11	0
	25- 34 سنة	21	15	62	14	24
	35- 44 سنة	51	36	61	12	27
	45- 54 سنة	45	32	76	0	24
	55 فأكثر	16	11	100	0	0
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	75	9	16
	ثانوية	38	27	73	8	29
	دبلوم متوسط	7	5	57	0	43
	بكالوريوس	19	13	84	0	16
	دراسات عليا	1	1	0	0	100

المصدر: العمل الميداني.

• **مناسبة أسعار المنشآت التجارية وأجورها في المناطق الحديثة:**

بلغت نسبة التجار الذين قيموا عامل **مناسبة أسعار وأجور المنشآت التجارية في المناطق الحديثة** بشكل إيجابي (موافق / موافق بشدة) 23% من التجار فقط، والذين رأوا أن أسعار المنشآت التجارية غير مناسب بنسبة 53%. وهذا يدل على ارتفاع أجور المحالّ التجارية وأسعارها في المناطق التجارية الحديثة، بسبب الأهمية التجارية لهذه المناطق وسمعتها الاقتصادية العالية. كما في الجدول (14) والشكل (5).

• **القرب من مواقع مدخلات العملية الإنتاجية:**

يراعي التجار عند اختيار الموقع لمنشآتهم التجارية القرب من مواقع مدخلات العملية الإنتاجية (المواد الخام أو المواد المصنعة التي تدخل في العملية الإنتاجية)، لخفض تكلفة النقل والتصنيع.

بلغت نسبة التجار الذين قيموا عامل **القرب من مواقع مدخلات العملية الإنتاجية** عند اختيار الموقع بشكل إيجابي (موافق / موافق بشدة) 23% فقط من التجار، والنسبة العليا كانت (غير موافق/ غير موافق بشدة) 53%. وهذا يدل على أن هذا العامل ليس ذا أهمية، ولا يأخذه التجار بعين الاعتبار. كما في الجدول (15).

جدول (14): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "مناسبة أسعار وأجور المنشآت التجارية"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/ موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/ غير موافق بشدة %
العمر	15- 24 سنة	9	6	22	11	67
	25- 34 سنة	21	15	52	19	29
	35- 44 سنة	51	36	18	16	66
	45- 54 سنة	45	32	13	16	71
	55 فأكثر	16	11	25	31	44
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	27	14	59
	ثانوية	38	27	8	18	74
	دبلوم متوسط	7	5	57	43	0
	بكالوريوس	19	13	16	21	63
	دراسات عليا	1	1	100	0	0

المصدر: العمل الميداني.

جدول (15): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "القرب من مواقع مدخلات العملية الإنتاجية"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/ موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/ غير موافق بشدة%
العمر	15- 24 سنة	9	6	22	22	56
	25- 34 سنة	21	15	43	24	33
	35- 44 سنة	51	36	41	25	34
	45- 54 سنة	45	32	16	27	57
	55 فأكثر	16	11	19	19	62
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	29	17	54
	ثانوية	38	27	29	18	53
	دبلوم متوسط	7	5	14	43	43
	بكالوريوس	19	13	37	11	52
	دراسات عليا	1	1	100	0	0

المصدر: العمل الميداني.

- **توفر الميزة المقارنة للعمالة:**

يعد توفر عمالة ذات خبرة ومهارة عالية وبأجور منخفضة في منطقة تجارية ما عامل أساسيا من العوامل التي تشجع التاجر لتأسيس المنشأة التجارية في هذه المنطقة.

بلغت نسبة التجار الذين قيموا عامل **توفر الميزة المقارنة للعمالة** عند اختيار الموقع بشكل إيجابي (موافق / موافق بشدة) 20% فقط من التجار، والنسبة العليا كانت (غير موافق/ غير موافق بشدة) 59%. وهذا يدل على أن هذا العامل ليس ذا أهمية ولا يأخذه التجار بعين الاعتبار. كما في الجدول (16).

جدول (16): الخصائص الديموغرافية للتجار عند تقييم عامل "الميزة المقارنة للعمالة"

المتغير	الاختيار	التكرار	التكرار النسبي	موافق/ موافق بشدة %	محايد %	غير موافق/ غير موافق بشدة%
العمر	15- 24 سنة	9	6	22	33	45
	25- 34 سنة	21	15	24	33	43
	35- 44 سنة	51	36	26	22	52
	45- 54 سنة	45	32	20	29	51
	55 فأكثر	16	11	0	38	62
المستوى التعليمي	دون الثانوية	77	54	23	31	46
	ثانوية	38	27	18	16	66
	دبلوم متوسط	7	5	14	29	57
	بكالوريوس	19	13	16	42	42
	دراسات عليا	1	1	0	0	100

المصدر: العمل الميداني.

تبين من نتائج المسح الميداني أن هناك تبايناً واختلافاً في آراء التجار. وتبين أن أبرز المزايا الاقتصادية التي تسهم في اتخاذ القرار عند اختيار الموقع سهولة الوصول إلى المركز التجاري، يليها في الأهمية السمعة العالية للمركز، ثم وجود محالّ منافسة، ثم التخصص في النشاط، ثم يوجود قاعدة استهلاكية كبيرة، ويليها الكثافة السكانية. وتبين أن المزيّة الأقل تأثيراً في قرار اختيار الموقع هي توفر الميزة المقارنة للعمالة. كما هو مبين في الشكل (5).

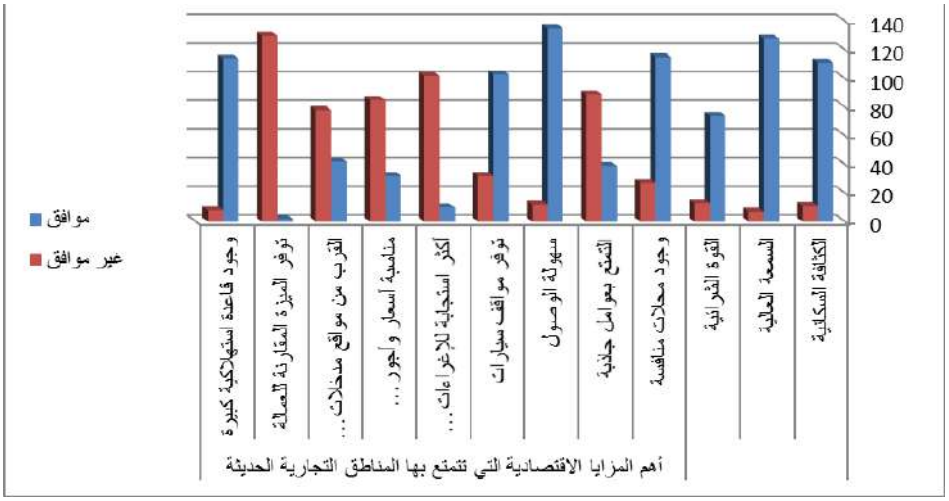

شكل (5): أهم المزايا الاقتصادية للمراكز التجارية الحديثة.

المصدر: العمل الميداني.

النتـائج

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. أن العامل الأكثر تأثيراً في انتقال التجار إلى المناطق التجارية الحديثة هو توسيع التجارة والوصول إلى أكبر عدد من الزبائن، وجاء عامل انخفاض تكاليف الإنتاج في المرتبة الثانية من حيث الأهمية النسبية، أما العامل الأقل تأثيراً في انتقال التجار إلى المناطق التجارية الحديثة كان فض الشراكة مع شخص آخر في المكان القديم.
2. أن سهولة الوصول إلى المركز التجاري تعد أبرز المزايا الاقتصادية، التي تسهم في اتخاذ القرار عند اختيار الموقع، يليها في الأهمية السمعة العالية للمركز، ثم وجود محالّ منافسة، والتخصص في النشاط ،ثم وجود قاعدة استهلاكية كبيرة، ويليها الكثافة السكانية. وتبين أن الميزة الأقل تأثيراً في قرار اختيار الموقع هي توفر الميزة المقارنة للعمالة.
3. أن هناك علاقة بين سلوك التجار في اختيارهم لمواقع منشآتهم التجارية وبين خصائصهم الديموغرافية (النوع الاجتماعي، العمر، المستوى التعليمي). إذ تبين من نتائج المسح الميداني أن مهنة التجارة اختصت بالجنس الذكوري، ولم يكن هناك دور يذكر فيه للإناث. أيضاً كانت النسبة الدنيا للتجار الذين تقل أعمارهم عن 24 سنة، وهذا يفسر عدم امتلاك هذه الفئة لرأس المال الكافي لافتتاح مشروع، أو عدم امتلاك الخبرة الكافية. وكانت النسبة الأكبر للتجار الذين يحملون مستوى تعليميا (ما دون الثانوية، الثانوية العامة) بنسبة

(81%) من التجار، وفقط (1.0%) للدراسات العليا، وهذا يفسر عدم ميل المتعلمين إلى العمل في التجارة، وتوجه غير المتعلمين نحو مهنة التجارة لتوفير الدخل المناسب لهم.

4. أن هناك علاقة بين أعمار التجار والنشاط التجاري الذي يمارسونه. حيث كانت النسبة الكبرى للتجار الذين أعمارهم أقل من 35 عاماً؛ فقد افتتحوا محالّ تجارية متخصصة ببيع "آلالات والأجهزة" و"العطور وأدوات التجميل" و"الكتب والأدوات المكتبية"، أما نوع النشاط الذي تمارسه النسبة الكبرى من التجار الذين تراوحت أعمارهم "35-44" كان "الحاصلات الزراعية" و"الأدوات الكهربائية" و"السيارات وأدواتها"، في حين شكلّ التجار الذين تراوحت أعمارهم بين "45-54" النسبة الكبرى في بيع "مواد البناء" و"الأقمشة والمنسوجات والأحذية" و"المعادن النقية والمجوهرات والأحجار الكريمة"، أما نسبة التجار الذين تخصصوا ببيع "الفنادق والمطاعم" و"الخدمات التجارية" فكانوا ضمن الفئة العمرية "55 سنة فما فوق ". في حين لم يكن هناك دور للمستوى التعليمي في اختيار التجار لنوع النشاط التجاري.
5. نسبة تنظيم المحالّ التجارية "مؤسسة خاصة" قد ارتفعت بنسبة (72%)، وهذا يدل على أن التجار يميلون إلى الاستقلالية وعدم الرغبة في المشاركة في المشاريع. أما نسبة أصحاب المحالّ التجارية التي أخذت تنظيم "شركة محدودة" فكانوا (28%)، وهذا يفسر ميول بعض التجار إلى مشاركة آخرين ليتقاسموا المسؤولية والتكاليف.
6. أن نسبة التجار الذين يمتلكون فروعاً أخرى لمنشآتهم التجارية قد بلغت 13% فقط، إذ تم تأسيس منشآتهم القديمة في المنطقة التجارية المركزية المتمثلة في منطقة الهاشمية (وسط البلد)، التي كانت تتمتع بالعديد من المزايا الاقتصادية الجاذبة للمستهلكين والتجار، وبعد قيام العديد من المولات التجارية، وامتداد الشوارع التجارية، فقد تم افتتاح فروع جديدة في هذه المناطق بغرض توسيع التجارة والوصول إلى أكبر عدد من الزبائن، وكانت النسبة الكبرى للتجار الذين يمتلكون فروعاً تجارية في منطقتي الهاشمية والنزهة.

التوصيات

توصي الدراسة بما يلي:

1. تحسين وسائل النقل لأغراض التجارة، وتحسين وسائل جمع المعلومات التجارية، واستخدام أحدث وسائل التسويق ونقلها، وتفعيل دور الغرفة التجارية. عن طريق استخدام التجارة الالكترونية في التعامل التجاري
2. إجراء المزيد من الدراسات التي تفسر سلوكات التجار، والاستفادة منها في اتخاذ القرارات المتعلقة بالتخطيط التجاري.

3. ايجاد مناطق اقتصادية جاذبة تسهم في عمليات التنمية في محافظة إربد، لا سيما في المناطق التي تعاني من نقص في الأنشطة الاقتصادية، لإحداث التوازن التنموي في المدينة.
4. تشجيع فكرة المجمعات التجارية (المولات) بشكل أكبر، للمساعدة في تركز الأنشطة الاقتصادية، وتنظيمها وتنظيم حركة المستهلكين.
5.

Spatial Economic Behavior of the Owners of Commercial Stores and their Impact on the Commercial Areas in Irbid City

Omar M. Aldayafleh, *Department of Geography, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Walaa Bani Younis, *Irbid, Jordan.*

Abstract

The study aims to identify the spatial economic behavior of the owners of commercial establishments in Irbid city and how it contributes to the development of the commerical stores in Irbid in the light of their response of various socio-economic changes the city witnessed. The study is based on a behavioral and analytical descriptive approach, and it designed questionnaire distributed to (142) owners (salespeople) to study the spatial effects of choosing the locations of economic activities and knowing the socio-economic characteristics. Moreover, the study uses the evolutionary approach to identify the stages and locations of emergence and development of commercial areas. The study has found that there is disagreement and difference in the traders' opinions towards the effects of site selection and importance. It was found that the choice of the commerical project site is one of the most important decisions that the owner might take as the failure or success of the project depends on the site location. That is why site location should be carefully selected and based on commercial, scientific, and economic considerations. Hence, the commercial site has its own advantages and disadvantages. It has been found that the less significant advantage of the site selection decision was the availability of the the comparative advantage of employment. Accordingly, the study recommends further studies that explain the behavior of traders and salespeople of which one can make use of when taking decisions concerning commercial planning. Also, the study recommends establishing attractive economic zones that contribute to the development of Irbid, espcially in the areas that lack economic activities, so the whole region becomes more equally developed.

Keywords: Location Economic behavior, triad firms, Commercial areas, Economic Geography, irbid city.

المصادر والمراجع

بدوي، نصر الدين (1991م)، **جغرافية التسويق رؤية جغرافية جديدة**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

بلدية إربد الكبرى (2018م)، دائرة التنظيم.

بلدية إربد الكبرى (2018م)، دائرة رخص المهن.

دائرة الإحصاءات العامة (2018م)، **تقارير منشورة وغير منشورة**.

خوالدة، حمزة وأبو ركبة، رشا وبرهم، نسيم (2016م)، التحولات الحديثة في تجارة التجزئة في مدينة عمّان: مكة مول، سيتي مول حالة دراسيّة. **مجلة دراسات: العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد (43)، العدد (3)، ص 2485-2506.

الزيود، ريم.(2010م)، "**ديناميكية تطور المناطق التجارية في عمان الكبرى (1950- 2009) باستخدام نظم المعلومات الجغرافية**"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان.

الضيافلة، عمر (2017م)، الخصائص المكانية والهيكلية للأسواق الآسرة في محافظة إربد باستخدام نظم المعلومات الجغرافية. **مجلة العلوم الإنسانية**، الجامعة الأردنية، المجلد (44)، ملحق (1).

غرفة تجارة إربد، تقارير غير منشورة.

غرفة الصناعة إربد (2018م)، تقارير غير منشورة.

المومني، هنا (2018م)، **الترابطات الأمامية والخلفية للصناعات في مدينة الحسن الصناعية/ إربد**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك. إربد، الأردن.

وزارة الداخلية (2018م)، بيانات منشورة.

Barham, n., *Sectoral Actors in Jordanian Economy*, (Ed), Jordan in Transition (1990- 2000). (PP 254-273), London

Berry, B. L. and Garrison, W. M. (1958). “Recent Development of Central Place Theory" , *Paper and Proceeding of Regional Since Association*, Vol 4, p 110

El-Said, H., (1998). *Jordan: The Political Economy of Public Sector Growth and Reform in a Rent-Seeking Economy*, 1973-1998 Center d'études et de recherché, Editing Eric Huybrechts, Publishing Emmanuelle Capet, 75351 Paris 07 SP - FRANCE

Hirshman, A.O. (1958). Strat*egy of Economic Development Yale University Press*, New Haven.

Hoover – (1948). *The location of Economic Activity*, Mc Graw Hill, Book Company Inc.

Isard. W., (1956). "Location and Space Economy " , MIT Press. Combridge , Mass., pp 6-32.

Losch, A., (1954). *The Economic of Location by Woglom*, H.W., New York,.

Tjalling, C. (1957). Koopmans and Martin Beckmann, *Assignment Problems and the Location of Economic Activities*. Vol. 25, No. 1, pp. 53-7

Weber, A., (1969). "*Theory of Location of Landsite*," Translated by Fridrich, Seventh Impression.

Wissen, Leo van (1996). A micro-simulation model of firms: Applications of concepts of the demography of the firm, *Papers Reg. Sci.,* 79, 111–134 (2000).

استبيان خاص بعوامل اختيار الموقع عند التجار في المناطق التجارية الجديدة في مدينة إربد

النوع الاجتماعي: ☐ ذكر ☐ أنثى

1. العمر ☐15- 24 سنة ☐25- 34 سنة ☐35- 44 سنة
   ☐45- 54 سنة ☐55 سنة فأكثر
2. المستوى التعليمي د☐لثانوية ثانوي☐ دبلو☐وسط
   ☐بكالوريوس ☐ دراسات عليا
3. ما نوع النشاط التجاري: .....
4. تاريخ أول رخصة: .....
5. مكان النشأة: الحي..... المنطقة .....
6. ما شكل التنظيم لمنشأتك؟ ☐مؤسسة خاصة ☐ شركة محدودة
   (عدد الشركاء .....)
7. عدد العاملين في المنشأة: .....
8. هل المنشأة التجارية الحالية فرع جديد لمحل قديم، أم قمت بافتتاحه لأول مرة؟
   ☐فرع جديد (ما طبيعة النشاط الاقتصادي للمنشأة الأصل.....)
   ☐لأول مرة المنشأة الأصل
9. هل لديك فروع أخرى: نعم ☐ لا (انتقل لسؤال (13)) ☐

الفرع	نوع النشاط	الموقع
الأول		
الثاني		
الثالث		

10. هل تمارس النشاط التجاري نفسه في الفروع الأخرى: ☐ نعم
    ☐ لا (ما طبيعة النشاط الجديد:.....)

11. ما هي الأسباب الرئيسية في انتقالك إلى المنطقة التجارية الحالية؟

السبب	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
ضيق مساحة المحل القديم					
فض الشراكة مع شخص آخر في المكان القديم					
قرب مكان سكنك من المنطقة التجارية الحديثة					
انخفاض تكاليف الإنتاج					
لتوسيع التجارة والوصول إلى أكبر عدد من الزبائن					

12. ما المزايا الاقتصادية التي يتمتع بها الموقع:

الرقم	مزايا الموقع الجديد	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
1	الكثافة السكانية للمركز التجاري الحديث					
2	تمتع مواقع المراكز التجارية الحديثة بالسمعة العالية					
3	القوة الشرائية لسكان المنطقة التجارية الحديثة عالية					
4	وجود محال مشابهة ومنافسة يزيد من عدد الزبائن					
5	تمتع المناطق الجديدة بعوامل جاذبة كنوعية الخدمات المتوفرة.					
6	سهولة الوصول إلى المناطق التجارية الجديدة					
7	توفر مواقف السيارات					
8	سلوك المستهلكين في المراكز التجارية الحديثة أكثر استجابة للإغراءات التجارية.					
9	مناسبة أسعار المنشآت التجارية في المناطق الحديثة وأجورها					
10	عوامل بيئية مناسبة (نظافة المكان مثلاً)					
11	القرب من مواقع مدخلات العملية الإنتاجية (المواد الخام أو المواد المصنعة التي تدخل في العملية الإنتاجية)					
12	تتوفر فيها عمالة ذات خبرة ومهارة عالية					
13	قلة عدد المنافسين في الموقع الحالي					
14	تتوفر فيها الميزة المقارنة للعمالة (توفر عمالة بأجور منخفضة ومهارة أعلى مثلاً)					

الرقم	مزايا الموقع الجديد	موافق بشدة	موافق	محايد	غير موافق	غير موافق بشدة
15	وجود قاعدة استهلاكية كبيرة					
16	عوامل إنشائية من حيث التصميم الداخلي والخارجي (كسعة المكان والشكل المعماري والإضاءة الطبيعية)					

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 16 العدد 2، 2019، ص ص 529- 557

المركز والهامش في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي في ضوء سيمياء الثقافة

زاهي نجيب سلامة* ويوسف أبو العدوس**

تاريخ الاستلام 2019/3/28 تاريخ القبول 2019/5/29

ملخّص

ينظر الدرس النقدي إلى جدلية المركز والهامش على أنها مسألة مهمّة لتحقيق فهم للنص الأدبي، على اعتبار ملاءمة هذه الثنائية لدراسة معظم النصوص الأدبية.

سيحاول البحث استبطان شعر الصعاليك في العصر الجاهلي بمنظار سيميائيات الثقافة، مستعينًا بثنائية المركز والهامش كونها جزءاً من هذه السيميائيات.

يقوم البحث على جانبين: يستعرض الأول نشأة مصطلح المركز والهامش ودلالته في المجالين الأدبي والنقدي، والجدلية القائمة في الفهم الاصطلاحي؛ ويستقصي الثاني سيمياء المركز والهامش في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي وانعكاساتها في هذه الثنائية.

أما النموذج الشعري للبحث فمحصور في أشعار كل من: الشنفرى، وعروة بن الورد، وعمرو بن برّاقة.

يَفترِض البحث وجود سيميائيات ثقافية تميِّز شعر هؤلاء الشعراء، من شأنها أن تستجلي جوانب مركزية في مضامينه، فيُنظَر إلى النص القديم بمنظار نقدي حديث، بعيد عن مجرد عرض الدّلالات الحرفية للنص، لتتعدى إلى دلالات ثقافية تميز هذه التشكيلة من النصوص.

الكلمات المفتاحية: المركز والهامش، الشعراء الصعاليك، العصر الجاهلي، سيمياء الثقافة.

1. المحور الأول: المهاد النظري - المركز والهامش

سيكون هذا المحور تأسيسًا نظريًّا لمصطلح سيمياء الثقافة كاتجاه متحدِّر من السيميائيات العامة، ومصطلح المركز والهامش كما عرَّفته المصادر والمراجع؛ القديمة منها والحديثة.

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2019.

* طالب دكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

** قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

1.1 تقديم وتعريف اصطلاحي

قبل الخوض في عمق التحليل في مادة البحث، فإنه لا بد من محاولة إجراء تفكيك لعناصر العنوان، ثم البدء بمقدِّمة تشمل تعريف مصطلح سيمياء الثقافة، يليه تعريف مصطلح المركز والهامش.

يدل مصطلح سيمياء الثقافة على أحد الاتجاهات النقدية، ويتفرَّع عن منهج السيميائيات العامة، ويطلق عليه، أيضًا، سيميوطيقا الثقافة (La Sémiotique de la Culture). وقد نشأ هذا المصطلح في ستينيات القرن العشرين. وتعود جذوره إلى فلسفة الأشكال الرمزية عند إرنست كاسيرير (Ernst Cassirer) والفلسفة الماركسية. ومن رواده الروسيّ يوري لوتمان (Juri Lotman) وزملاؤه في مدرسة تارتو (Tartu)، التي نشأت في ستينيات القرن العشرين، والإيطاليّ أمبرتو إيكو (Umberto Eco). ويهتم هذا الاتجاه بدراسة الأنظمة الثقافية الخاصة والكونية، ومظاهر المثاقَفة والتهجين والتعدُّدية ودراسة أنظمة التواصل عند الشعوب البدائية والمتحضرة. وذلك بحسب ما يوحي به وإليه الأثر الأدبي، مع الاهتمام بدور السياق الثقافي أو الاجتماعي في تشكيل المعنى، من غير إهمال اللغة كأداة تواصل. ويشتغل هذا الاتجاه، أيضًا، في تأويل علامات الخطاب متكِئًا على مرجعياته الثقافية والفكرية. ويُعنى كذلك بدراسة العوالم والأقطاب الثقافية الصغرى والكبرى، ضمن ثنائية المركز والهامش، ويهتم بالحوار في علاقته بالصراع الثقافي[1].

وقد برز استعمال المصطلح "المركز والهامش" بصورة واضحة في سبعينيات القرن العشرين، وذلك بظهور دراسات اجتماعية واقتصادية حول مصطلح "الهامش" وما يتفرع عنه من مصطلحات قريبة[2]، وما حوله من ميادين أدبية وغير أدبية.

تم استخدام مصطلح المركز في مجالات غير أدبية، فقد استعمله راؤول بريبيش (Raoul Prebisch) في المجال الاقتصادي[3]، وتدور فكرته حول انقسام الاقتصاد العالمي الحر إلى قسمين: دول المركز (الصناعية المتقدمة) ودول الهامش. وقد كان لجهود المفكر الماركسي العربي سمير أمين إسهام ملموس في تناول المصطلح حين نظَّر في نظرية "المركز والأطراف" في كتابه "نحو نظرية للثقافة"، وملخصها أن التغيير ينشأ في أطراف النُظُم لأنها في طور النمو، ولديها القدرة على التجاوز، وليست متجمِّدة كما هو حال المركز[4].

1.2 جدلية مصطلح المركز والهامش

من الطبيعي أن تتدرَّج المفاهيم من حيث الأهمية، كل في مجاله. فدرجة الأهمية توحي بمدًى من المركزية أو الهامشية على حدّ سواء. ويسري هذا التدرُّج بناء على اعتبارات خارجية

أو داخلية، أو بناء على كليهما معًا. فقد يكون الشيء مركزيًا أو هامشيًا؛ لأنه وُجد - فعلًا - على هذه الشاكلة واكتسب هذه الصفات من تلقاء نفسه. وقد تكون اليد الطولى للبشر في إكساب مسألة معينة درجة كبيرة أو صغيرة من الهامشية أو المركزية. بالإضافة إلى ذلك، فإن الأمر خاضع لقدر كبير من النسبية، بناء على زاوية النظر إلى المصطلح، فما يُنظر إليه على أنه مركزي من زاوية معينة قد يُنظر إليه على أنه هامشي من زاوية أخرى. ويخضع هذان المصطلحان للنسبية في مقدار ودرجة المركزية أو الهامشية نفسها. فالأمور ليست محسومة باحتساب رقمي، مع أنه - أحيانًا - يمكننا إجراء ذلك، خاصة في مجالات العلوم الدقيقة كالاقتصاد مثلًا، أو إذا أخضعنا العلوم الإنسانية الأخرى إلى نظريات دقيقة تستعمل فيها المُعْطَيات وتحلَّل بناء على آليات وأساليب بحث علمية وإمبيريقية في الوقت نفسه.

وينطلق لوتمان من فكرة مفادها أن الكون بكلِّيَّته سيمياء. وتتسع نظرته إلى ثنائية المركز والهامش، القائمة على اللاتناظر[5]. حيث يمكن أن يتحول المركز إلى هامش، والعكس صحيح[6].

ويتبنى عبد الله بريمي رؤية لوتمان في ثنائية المركز والهامش كجزء من نظام يؤلف "الكون السيميائي" (المحيط السيميائي). فالكون السيميائي ذو معالم متغيرة باستمرار، ويصعب تحديد الداخل والخارج فيه، وتتصارع في الأكوان السيميائية قوتان: القوة النابذة (ومصدرها في المركز) تقابلها القوة الجاذبة (ومصدرها في الهامش)، مع العلم بأن الهامش متحرك أكثر من المركز [7].

أما عبد الله إبراهيم فيتناول الموضوع بنظرة مختلفة إلى حد ما، ويرى أن "العالم كمجال ثقافي سيبقى مضمارًا للمنازعة والمدافعة. وقد تأخذ المنازعة أشكالًا، وتنتظم في أهداف، لكنها تستعين بالمكوِّن الثقافي – العقائدي في صراعها مع الآخر"[8]. وكما يبدو فإنّ هذه الرؤية صائبة، والسبب هو أن الوَحدات المكوِّنة للعالم - أيًا كانت - قائمة على التباين أكثر من قيامها على التشابه. فنحن، أمام معنيين بارزين في تناول مصطلح "المركز والهامش"، وهما الأهمية والبعد عن المركز، وغالبًا ما نلمح توجُّهًا سلبيًا تجاه الهامش، بسبب التداعيات في حال التعامل مع مصطلح "هامش"، وما يترتب عليها من تهميش فكري أو إنساني. ولكن، لو نظرنا بعين الاعتبار إلى أن الهامش قد يصبح مركزًا لدى من يشكل الهامشُ حيزه وفضاءه فقد تختلف النظرة وتتخذ منحًى آخر.

أما من جهة تعريف المركز والهامش اصطلاحًا فهو فضفاض وغير محدد، وورد الحديث عنه من زوايا مختلفة. وعلى الرغم من أن موضوع بحثنا أدبي، فإنّه لا يمكن تجاوز العوامل والمعاني الحضارية على مختلف اتجاهاتها.

ويرى روبرت إسكاربيت (Robert Escarpit) - على سبيل المثال - أن المؤرخ الأدبي لا يستطيع تجاهل الأدب الهامشي كما تجاهلته الكتب التي تناولت الأعمال النبيلة. فالحاصل أن أدبًا

معيَّنًا يمكن أن يصنَّف ضمن طبقة دونية، لكنه ينتقل - لاحقًا - ثم يتلاحم ويندمج في قطاع آخر[9].

وتتشعب المجالات وتتداخل، وتزداد احتمالية وجود أو تطبيق مصطلح المركز والهامش في كل مجال تقريبًا. ومن باب أولى، فإن لكل من هذه المجالات حيثيات خاصة به تتحكم بمقدار مركزيته أو هامشيّته وتُملي عليه صفاته وتطوُّره. وهذا ما أدى إلى كثرة التعريفات وصعوبة تحديدها بدقة[10].

لا يشترَط التوازي المفهومي بين علم الاجتماع والخطاب الأدبي[11]، ولا يُشترط المَدى الدائري ليصح تناول مصطلحي المركز والهامش[12]، ويبدو لنا أن الخيال البشري مبني على هذا التصور، وقد تعوَّد عليه. ومَرد ذلك إلى كون المركز نقطة محدَّدة، وما حولها يترتب وينتظم في حركة أو هيئة دائرية أو شبه دائرية، ومن المنصف أن يكون لمصطلحي القوة الطاردة (النابذة) من المركز والقوة الجاذبة إلى المركز تأثير واضح على هذا المفهوم. فقد نلمح أن المدى الهامشي يترتب في "لانظام" غير دائري، يقوم على وجود مسافات متفاوتة بين المركز وكل من وَحدات الهامش، وتبرز مساحات وقطاعات مختلفة بين وحدات الهامش. وقد يكون من المثالية المفرطة أن نتحدث عن هندسية تامة في التناول الاصطلاحي، وإن وُجدت فهي في العامّ وليست في الخاص.

1.3 العلاقة بين المركز والهامش

إن مجرد طرح ميتافورة المركز والهامش في ضوء سيمياء الثقافة يُبرزِ وجود علاقة قوية بينهما[13]. ومجرد المزاوجة بين المصطلحين (المركز، الهامش) فإنها تنشِئ مصطلحًا واحدًا ذا دلالة بنيوية من جهة، قادرًا على صياغة حقول دلالية واسعة للكلمات المستعملة من جهة ثانية، كالتفتت، والتفكك، والتشظي، والانسحاق، والتهميش[14].

ومن الجدير بالذكر أن ابن خلدون يُعد من أوائل من تحدثوا عن فكرة المركز والهامش، وكان قد أسَّس لهذه الفكرة بالاعتماد على مُعْطَيات المكان (الإقليم) وميزات سكانه، وتعرض إلى العلاقة بين المركز والأطراف بأنها "علاقة تكاملية"[15].

1.4 المركز والهامش في ضوء نظريات الجنس الأدبي

تختلف تصنيفات الإنتاج الأدبي باختلاف معايير التصنيف. وعلى الغالب يحظى الأدب الرسمي بدعم المؤسسة مقابل الادب الهامشي الذي لا يحظى بمثل ذلك[16].

وينظر البعض إلى الأدب الكلاسيكي على أنه أدب مركزي، (أدب السلطة أو أدب البلاط). ويبدي تبرماسين وجيجخ تحفظًا تجاه هذه النظرة، إذ "من الأدب الكلاسيكي ما هو مقاوِم

ورافض، وخير مثال أدب الصعاليك والمتمردين على مختلف النظم القبلية والعشائرية"[17]. وقد يتأثر المركز الأدبي بالدين والسياسة والمجتمع والثقافة بكل مركباتها[18]. أما الهوامش الأدبية، بحسب ما حدَّدتها هويدا صالح، فتعتمد على خمسة مجالات: الديني، والجغرافي، والنسوي، والعرقي، والاجتماعي[19].

2. المحور الثاني: المركز والهامش في شعر الصعاليك - النظرية والتطبيق

يشتمل هذا المحور على جانبين: أولهما النظري المتعلق بالمركز والهامش في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، ومنظومة حياتهم في ضوء سيمياء الثقافة؛ وثانيهما المعالجة التطبيقية لقضايا لها علاقة وثيقة بمصطلح المركز والهامش في ضوء سيمياء الثقافة، كما انعكست في نماذج من نصوص الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي.

2.1 المركز والهامش في شعر الصعاليك

سنتناول ظاهرة الصعلكة والصعاليك في الجاهلية من زاوية المركز والهامش تحت مجهر سيمياء الثقافة، من خلال النظر في نماذج من أشعارهم. ومن المفروض نبش كل سلوك ثقافي يتعلق بتصرفاتهم وممارساتهم، بحيث يمكن الإشارة إليه على أنه سيمياء ثقافة ذات انعكاسات دلالية تتعلق بالمركزية أو الهامشية. والأسئلة التي تطرح نفسها في هذا السياق: هل يمكننا التعامل بواسطة آلية المركز والهامش مع نظام قديم عرفته الجاهلية؟ وما مدى صلاحية هذه الآلية لرصد الشعراء الصعاليك حياتهم وأشعارهم؟ وهل تتجاوب هذه الآلية مع البحث العلمي لظاهرة الصعلكة؟

يُفترض وجود ترابطات وتداخلات بين أفراد كل نظام أو بناء بشري ووَحداته البنائية. فالقبيلة نفسها نظام، والصعلكة أيضًا نظام. فالقبيلة تقوم على نظام هرمي، رأسه شيخ القبيلة وأطرافه رعاة الإبل وموقدو النار والعبيد، والصعلكة نظام قائم بذاته، لكنه نظام يقوم على ظروف وحيثيات تستدعي الخروج عن نظام القبيلة المتعارف عليه. وبطبيعة الحال فإن من الصعاليك مَن تمسك به النظام الهرمي في القبيلة، وهو الصعلوك البائس الكسول المكتفي بطعام بطنه.

وكما يبدو، فإن الصعلكة البنّاءة هي نتيجة مُفْرَزة تكاد تكون حتمية في مجتمع آمنَ بالطبقية وروَّج لها، وآمن بالهرمية الاجتماعية[20]، لاعتبارات النسب والأصل، وآمن بثنائيات العبودية مقابل السيادة، ومصطلحي القادر وغير القادر.

لم يتسنَّ للصعاليك البائسين ذلك التمرد الذي يستدعي البحث عن مكان آخر، وإطار آخر مختلف عن الإطار المعيش الذي يتحرك في نطاقه الصعلوك.

مارس الصعاليك حياة التشرد واللصوصية وملازمة الضواري، وأدركوا دائمًا أنهم في الهامش الاجتماعي، فلم يلتزموا بالقبيلة غالبًا، ولم يكونوا من يدافع عنها، بل عاشوا لذواتهم لأسباب فرضت عليهم مثل هذه الحياة. ورأى الصعاليك أن طرائقهم في الحياة وممارساتهم جعلتهم - بنظرتهم - في قمة المثالية، ليصبحوا في المركز. فباختلاف زاوية النظر إليهم تتقرر هامشيتهم ومركزيتهم. فما داموا موضعًا للإهانة والاستعباد والخلع والخدمة فقط فهم في هامش التركيبة البشرية الاجتماعية. لكن إذا أنعمنا النظر في أشعارهم وسِيَر حياتهم تكشّف لنا جانب آخر من الصورة الحقيقية.

تظل فكرة التهميش غير مفارقة لمن يتناول شعر الصعاليك في الدراسات الأدبية والنقدية، وبمجرد ذكر الصعاليك أو أشعارهم فإنها تطفو على السطح واضحة، وتستدعي إلى الأذهان تصوُر حياة البراري ومغادرة القبيلة الأم. فلو تمعّنّا في البنية الداخلية لنظام الصعلكة لميّزنا تهميشًا داخليًا حقيقيًا يخص حياة الصعلوك الاجتماعية ومنزلته ونمطية التعامل معه قَبولًا ورفضًا. ويرى رحماني وصالحي أن الصعاليك أبطال مهمشون، مغيبون، غايتهم أن يوجِدوا لأنفسهم هوية خاصة بهم لإثبات ذواتهم المهمشة[21].

وربما كان خروج الصعاليك عن النسق العام من أهم ما يلفت النظر. فقد اختاروا العيش في الهامش[22]، وبحسب إرادتهم. وقد ارتبطت الهامشية عند الصعاليك ارتباطًا وثيقًا بالعنف الذي مارسته القبيلة تجاههم[23]، وبممارساتهم من غزو وغارات وقطع طرق. وقد نادى الصعاليك بنبذ المسلَّمات الظالمة القاضية بتهميشهم، وكانوا ذوي "وجدان طبقي واحد عمل على تكافئهم، فإذا هم طبقة ظاهرة مستقلة لها شخصياتها وأسلوبها المعين في الحياة"[24].

يرى مجدي أحمد توفيق في مسألة الصعاليك حالة خاصة، وقد لا تنطبق معظم التعريفات عليها، فمعظم البحوث الاجتماعية تتعارف على أن الهامشية عبارة عن شبه نظام اجتماعي تبعي بعيد عن العملية الإنتاجية، لم تتح له فرصة الاندماج والتكيف، ويعزز توفيق فكرته بقوله: "لم يكن الشعراء الصعاليك في الجاهلية يصدرون في شعرهم وسلوكهم عن مقولة التهميش صدورًا واعيًا"[25]. فالصعلكة، من وُجهة أخرى، نتاج تهميش سياسي[26]، فما النظام القبلي الذي عرفته الجاهلية إلّا نظام سياسي تتجلى فيه الهرمية بأوضح صيَغها.

وبسبب النظرة العامة للصعاليك بأنهم الطرف الآخر الهامشي، وبسبب استيعابهم هامشيتهم ونظرتهم إلى أنفسهم بدت صعوبة اندماجهم وتماهيهم مع المجتمع الجاهلي الذي أعلن سلطة المركز (القبيلة ونظامها)، فالصعلوك هو الرافض وهو صاحب (اللائية) لنظام تم تأسيسه على مدى السنين، ثم تطويره والتشبث به جيلًا بعد جيل.

ومن هنا، وبما أن قسمًا من الصعاليك قد خرج عن المؤسسة (القبيلة)، فإن أتباع هذه الفئة يُعدون خارجين عن المركز إلى الهامش، وهم هامشيون ومهمَّشون، وأدبهم - للوهلة الأولى - هامشي. غير أن هذه المقولة ليست دقيقة ويعتريها الكثير من التعمية والتعميم، وهي بحاجة إلى إعادة نظر، وهذا ما سنعرضه لاحقًا. فأدبهم مغرق في التقليدية. وإذا سلمنا بالفكرة القائلة إن الأدب الهامشي هو "كل أدب ينتج عن خارج المؤسسة سواء أكانت سياسية أم اجتماعية أم أكاديمية"[27] فإن شعر الصعاليك أدب هامشي - وبجدارة - لأنه خرج عن المؤسسة الرسمية. ويعزو سليمة وهنية النظرة العامة إلى شعر الصعاليك على أنه أدب هامشي إلى اعتراض هذه الحركة على السيرورة الاجتماعية[28].

لكن الحقيقة غير ذلك من عدة جوانب؛ ففي حالات معينة دافع الشاعر الصعلوك عن القبيلة ورفع شأنها ولازم مركزها، وفي حالات أخرى، فإن مجرد الخروج عن القبيلة لا يعطي مصداقية تهميش شعر الصعاليك، وإن كان الصعاليك أنفسهم مهمَّشين فعلًا من الناحية الاجتماعية، وهنا نقع في تناقض مؤكَّد. فمن زاوية نلمَح أن الصعاليك مهمشون اجتماعيًا، سواء أكان ذلك التهميش من جهة قبائلهم أم من جهة من جاورهم من الجماعات المعادية التي اعتادوا قتالها، لكن نظرتهم إلى أنفسهم لم تكن كذلك. وصحيح أن الزعم بأن شعر الصعاليك - في أغلبه - حديث ذاتٍ لا حديث جماعي ولا جَمْعِيّ، وأن الصعلوك أدرك أنه المنبوذ المهمش من طرف قبيلته، لكنه من خلال ما أدّاه لمجتمعه، يرفع من شأن ذاته ويبعدها عن الهامشية الاجتماعية ليقربها إلى مركزيتها، وخير مثال على ذلك عروة بن الورد. ولا بد من الكشف عن مركزيات في منظومة الصعلكة ذاتها، من جهة لشخصيات الشعراء الذين مثلوا الصعلكة كعروة، وتأبط شرًا، والشنفرى، وعمرو بن براقة، ومن جهة الدعوة التي نادوا بها والرسالة التي أرادوا إيصالها. وربما أمكننا الأمر أن نعتبر دعوة الصعاليك وحركاتهم، محاولة تطبيع من نوع آخر، أو مشروعًا ثقافيًا للتطبيع من نوع آخر، حاول من خلاله الصعاليك إنشاء نظام سياسي - اجتماعي مغاير وهادم للمألوف، غايته إنصاف المظلوم، ورفض الجور، لذا وجد أن حياة الصحراء أرأف من العيش تحت سطوة القوي.

أول الأمور التي جذبت شعر الصعاليك إلى المركزية هو كونه قد عالج بأمانة ظروف فئات من المهمشين وحاول إنصافهم. وثانيها، كونه قد نُظِم بالطريقة التقليدية التي حافظت على المعايير المتفَق عليها؛ الأمر الذي ضمن له الحياة والاستمرارية والزحف نحو المركزية، من جهة المستوى الشعري، ومن جهة الخطاب الاجتماعي الإنساني الذي عُرض على الناس عامة والمؤسسة السياسية خاصة (القبيلة). وثالثها، أن مركزية الصعاليك تنعكس في البطولات، والحراك الاجتماعي (عروة بن الورد)، والتمرد، والتميز الجسدي (البنية الجسدية وسرعة العدْو). كما أن حركية الهامش عامةً إلى المركز ليست جغرافية أو مَدَوِيّة بحتة، أو حسية تنفيذيًا وإجرائيًا، بل هي معنوية قوامها الإنسانية والعمل الاجتماعي والبطولي.

وهنا يُطرح السؤال: هل "الهامشي" تعني "الضعيف"؟ ومن الواضح أن الإجابة بالإيجاب أو النفي لا تفي السؤال حقه. والجواب الأقرب هو أن "الهامشي" لا تعني بالضرورة "الضعيف". فالصعاليك ضعفهم اجتماعي لأن مَن حولهم أرادوا لهم ذلك الضعف، لذلك سعى الصعاليك إلى أن يصنعوا لأنفسهم مركزًا، فصنعوا من الفوضى نظامًا جعلهم يحظون باهتمام الناس، وربما أخافوهم، فأكدوا لأنفسهم كيانًا وتصورًا مركزيًا من نوع خاص. فالصعلكة، بمنظار وجودي اجتماعي، رحلة بحث عادلة.

أما من زاوية الآخر العام، فيتموقع الصعاليك في الهامش، ومن زاوية نظر البعض الآخر الخاص، فإنهم في المركز. أما توجه البحث الحديث إليهم اليوم فهو مخالف للمألوف عنهم، وعلى الأغلب يُنظر إليهم على أنهم في المركز. لذا فمن غير المنصف الحكم على حركة الصعلكة بلفظة واحدة كالفقر أو التشرد أو اللصوصية، فكل فئة تناوبتها حيثيات اجتماعية قبلية، اقتصادية، وحيثيات شخصية جعلت منها كيانًا مختلفًا - وربما مخالفًا - لفئة أخرى منهم.

ومن ملامح سيمياء الثقافة التي تعكس المركز والهامش في شعر الصعاليك، نعرض بعض الأمور التي تخص حياة الصعاليك، كما تنعكس في أشعارهم.

2.2 المذموم والمحمود من الصعاليك

هناك الصعلوك الشريف صاحب الصفات الفريدة الذي يترفع عن كل شائنة، لدرجة أنه يظلم ذاته ويشرب الماء القراح ويظل جائعًا. وهناك الفارس الشهم الذي ينزو على البخيل والغني، ليقاسمه ماله، ويهب مما يغنم للفقراء والمساكين ليقتاتوا. وعروة، أمير الصعاليك، من هؤلاء، كان همه أن يغزو ويغنم ويوزع ما غنمه على الفقراء. ومنهم النذل اللئيم الذي تعنيه مصلحته فقط، ولا يرعى ذمة ولا صديقًا، ومنهم الفاتك القاتل دون رحمة كالسليك[29].

وقد تعودت مملكة الصعاليك أن تنادي بالمثالية والأنفة وعزة النفس والإباء، ويؤكد عروة وجود نوعين من الصعاليك وهما: الصعلوك المحمود والصعلوك المذموم، فكما أن الصعلوك أراد لنفسه أن يكون في المركز، بطلًا وفارسًا وكريمًا وغازيًا ومدافعًا عن رفاقة، فإن منهم - أيضًا - من هم على درجة بالغة من الدونية. لذلك، يعترض عروة الصعلوك المذموم بقوله:

لَحى اللهُ صُعْلوكًا إذَا جَنَّ لَيْلُهُ مُصافي المُشاشِ آلِفًا كُلَّ مَجْزَرِ

يَعُدُّ الغِنَى مِنْ دَهْرِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ أَصابَ قِراها مِنْ صَديقٍ مُيَسَّرِ

ينامُ عِشاءً ثُمَّ يُصْبِحُ طاوِيًا يَحُتُّ الحَصَى عَنْ جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ

قَليلَ الْتِماسِ الزّادِ إلّا لِنَفْسِهِ إذَا هُوَ أَمْسى كَالعَرِيشِ المُجَوَّرِ

يُعينُ نِساءَ الحَيِّ مَا يَسْتَعِنَّهُ فيُمْسي طَليحًا كَالبَعيرِ المُحَسَّرِ[30]

فهو يلازم مواضع جزر الإبل، للحصول على طعامه، والغنى عنده هو أن يحصل على طعامه، وينام باكرًا، فلا يعنيه الغزو والسير ليلًا، وينهض من نومه طاوي البطن، ينفض الحصى الذي علق بجنبه، وإذا طلب الزاد فإنه يطلبه لنفسه فقط، ويأكل حتى يشبع، لا يعنيه من أمر عَيْلته شيئًا، أما عمله في القبيلة فهو خدمة النساء، حتى يمسي ضعيفًا.

وهناك الصعلوك المحمود البطل الذي لا يقبل بالدون، ويقول فيه عروة:

وَلَكِنَّ صُعْلوكًا صَحيفةُ وَجْهِهِ كَضَوْءِ شِهابِ القابِسِ المُتَنَوِّرِ

مُطِلًّا عَلى أَعْدائِهِ يَزْجُرونَهُ بِساحَتِهِمْ زَجْرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ

فَإِنْ بَعُدوا لا يَأْمَنونَ ٱقْتِرابَهُ تَشَوُّفَ أَهْلِ الْغائِبِ المُتَنَظَّرِ

فَذلِكَ إِنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَها حَميدًا، وَإِنْ يَسْتَغْنِ يَوْمًا فأَجْدِرِ[31]

فهو ذو الوجه المضيء، عمله الغزو، يكره الأعداء منازلته، وهم دائمًا في تشوُّف وتوقع لحضوره حتى وإن بعُد عنهم، أما موته فيجلب الحمد والمدح، لأنه ترك أمجادًا يُفتخر بها، وإن عاش وحصَّل المال فهو منفق له. فهو، إذًا، محمود في حياته وفي مماته.

وكما يبدو، فإن الصعلوك - وإن عدَّه البعض في هامش القبيلة، أو المجتمع البدوي - فإنه في مركز دائرة الحياة خارج القبيلة، فيما يتعلق بالكرم والكرِّ والغزو. لذلك يشير عروة إلى الصعلوك المحمود بصفاته وتميُّزه، بينما ينبه إلى وجود نوع آخر من الصعاليك، وهو الصعلوك المذموم، وهو فعلًا في الهامش.

2.3 السعي إلى المركزية الهامشية (الهامش المركزي)

على الرغم من التوجه العام إلى الصعاليك، بأنهم عاشوا في فوضى عارمة، فإنه - ومن منطلق الإنصاف الخُلقي أولًا، والعلمي ثانيًا - ينبغي إجراء فحص دقيق لهذه الفوضى بما يتعلق بسيمياء الثقافة. فالجوع - مثلًا - ممارسة ميَّزت الصعاليك عامة، فإذا جاع الصعلوك فإنه يطلب الطعام فيكون فارسًا فاتكًا، ومن ينتظر من يهبه الطعام، يكون صعلوكًا ذليلًا.

والجوع بحد ذاته كصفة منبوذة، يدل على الفقر والعدمية والدون، وهو أحد المحرّكات الفاعلة التي ينتقل بسببها الصعلوك إلى الهامش، فهو يعيش ضمن مجتمع ظالم قاسٍ لم يعطه حقه؛ لذلك آثر الفيافي على حياة الذل، فإما أن يخرج من الجوع من نقطة في المركز أو قريبة منه، وإمّا أنه يخرج إلى الهامش مستقبلًا احتمالية الجوع، وهي، في كل حال، أفضل من حياة ملؤها الإهانة والإذلال. فها هو الشنفرى يعلن في اللامية الرحيل عن بني سلامان واللجوء إلى البيداء، يقول في مطلعها:

أَقيموا بَني أُمّي صُدورَ مَطِيِّكُمْ فَإِنّي إِلى قَوْمٍ سِواكُمْ لَأَمْيَلُ[32]

وما يجب التنبُّه إليه هنا هو عدم وجود مكان ثابت للصعلوك في المركز، لذا فهو في الهامش؛ هامش القبيلة والمجتمع، حتى وإن كان قريبًا من أهل المركز، يتعاطى معهم الحياة اليومية، فمركزهم يفرض هامش الصعلوك، وهامشه عبارة عن فجوة نفسية - اجتماعية داخل ذلك المركز. أما "الهامش المركزي" للصعلوك فهو الدائرة الخارجية للقبيلة مكانًا (الحمى) وجماعةً (نظامًا سياسيًا)، وهو هامش القبيلة، لذا فهو المركز من زاوية الصعلوك نفسه. ففي نظرهم "الحياة لا قيمة لها إلّا عندما تتخذ من شيء ذي قيمة هدفًا لها"[33]. فإننا نجد الصعاليك يضحّون بأرواحهم ويتركون قبائلهم لأهداف ذاتِ قيمة بالنسبة إليهم.

ولتوضيح هذه الرؤية، نستشهد بعروة بن الورد، فصحيح أنه صعلوك، والصعلوك في الهامش، في أسهل الاعتبارات، لكن الحقيقة غير ذلك، فهامش عروة هو المركز بذاته، وهل يُشك بإنجاز عروة الاجتماعي، وهل حصل كثيرون على المنزلة العالية التي احتلها عروة بين الصعاليك عامة، أو بين سائر الناس. وهل ينكر أحد مركزية "دعوة عروة" إلى العدل والعطاء والمساواة؟ هل ينكر أحد أن بيت عروة هو مَحَجّ الفقراء والمحتاجين؟ فهم من هامشهم يلِجون في مركز عروة، بنظرهم، وهو في هامش القبيلة والنسق الاجتماعي السياسي القبلي، لكنه في مركز آخر بنظام (هامش - مركز) آخر، يكون عروة وأتباعه فيه مركزًا بينما يشكّل كل ما حولهم هامشًا. وهكذا فإن هناك حركة جدلية ودائبة بين المركز والهامش[34]. وفي خضم هذه الحركة تجدر الإشارة إلى حيثيات مهمّة، فالمركزية ليست عامة، كما الهامشية ليست عامة تامة. فربما نجد في المركز أفرادًا أو فئات (أو فجوات) ترفض المركزية كما هي، وتطمح إلى الخروج إلى الهامش لأسباب وغايات، لكن المركز يمسك بها ولا يعطيها فرصة التملص من تلك المركزية، وإن كانت بغيضة بالنسبة لهم. فالمركز ليس مجرد تخيُّل لحيّز فراغي، بل هو جزء من نظام تام ينبني بحنكة من خلال التعالقية المضمّنة بين أفراد المركز بكونهم أفرادًا (أو مجموعات) من جهة، والمركز نفسه كجزء من النظام، بالإضافة إلى الترابط شبه المحكم بين أفراد المركز وأفراد هامشه. فما يحدث في مركز النظام القبلي هو صراع طبقي بين المجموعات، بالإضافة إلى الصراع بين الأفراد، ومن الطبيعي أن تؤدي حدّة التنافر إلى ميل طرف أو أكثر إلى مغادرة المركز، لكن المستفيدين -

وهنا شيخ القبيلة أو من بأيديهم الحل والعقد - يمسكون بمن يحاول الخروج إلى الهامش لأن هذا الخروج – وفي حالتنا الخروج إلى عالم الصعلكة - إنما يؤدي إلى كشف العيوب الداخلية في نظام القبيلة وبنيتها، ومن ثمّ يتبين تدنّي منزلة القبيلة وتضعضعها في المنظومة القبلية، ومن الطبيعي أن يهتم المستفيدون من صمود هذا النظام بالإمساك بمن يطمح إلى ذلك الخروج من المركز، لأنه خروج حقيقي مادّي ومعنوي، فهو من ناحيةٍ ترْك الحمى القبلي والنظام السياسي ورفضه والتمرّد عليه، ومن ناحية أخرى هو خروج معنوي غايته الإشارة - وبخطوة رهيبة وخطيرة - إلى عطب في البناء الداخلي للقبيلة كوحدة سياسية اجتماعية اقتصادية، أي خروج عن رأي الجماعة، والإيمان الجَمْعي.

ومن زاوية نظر أخرى، فإنّ من التلقائية والميل الطبيعي لمثل هؤلاء الفقراء المتمردين وقطاع الطرق أن يبنوا لأنفسهم إطارًا يشملهم تحت رايته، لذلك فالصعلوك - في أغلب الحالات - يكون صعلوكًا إذا حمل صفة الفقر، وكان مظلومًا، خليعًا طريدًا تعيسًا، بائسًا، بطلًا مُغيرًا... فلكل من هؤلاء حيثيات وملابسات قادته إلى تلك الحركة ليصبح صعلوكًا خارجًا.

وهناك من يفضل العيش دون ذلك الخروج اللافت للنظر، فهو غير خارج من المركز مادّيًا، باق فيه جسدًا، ويلازم أقصى الهامش، وهذا هو الصعلوك الجائع الذي صوره عروة في قصيدة مطلعها:

أَقِلّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرٍ وَنَامي فَإِنْ لَمْ تَشْتَهي النَّوْمَ فَأَسْهَري[35]

فثنائية المركز والهامش لا تصنع ثباتًا ولا توازنًا، بل إنها ملازمة غير مفارقة للتحوُّل الدائم والدائب. فالحياة نفسها لا يمكن لها أن تظل على حال واحد. والصعاليك ومن عاش معهم ومارس نوعية حياتهم اليومية هم في حركة متواصلة بحكم الحاجة إلى التنقل، وربما كان هذا سلوكًا مكتسبًا متأصّلًا في ذات بدوي الصحراء، إذ تنقل بحثًا عن الأمن، الأمن على حياته من العداوات والطبيعة وكوارثها، وأمن توفُّر الماء والكلأ. فبدون هذه العناصر الثلاثة (الأمن، الماء والكلأ) لا يتوفَّر الأمان الحقيقي للمرء. ولكن يمكن الادعاء، أن هذه الحركة تسعى إلى تحقيق وضع ثابت، بالمفهوم الضيق، وبالمفهوم الكوني، ومن ثم تحقيق توازن أو عدل كوني من خلال إعطاء كل ذي حق حقه، إذ لا يعقل أن يظل السيد هو المالك للمال والقوة، بينما سائر الناس حوله خدم عنده. لذا فإن آلية المركز والهامش تساعد في اختبار المجتمع الجاهلي ووصفه وتفكيك بنيته، الأمر الذي يساعدنا في تحقيق فهم أوسع وحقيقي.

2.4 سيمياء الأنا والآخر في شعر الصعاليك في مجهر المركز والهامش

يؤكد شعر الصعاليك دورهم الفردي الذاتي، مقابل الآخر العام. ولتوضيح هذه المسألة يمكن الاستعانة بمداخل، يمكن بواسطتها بناء تصور الأنا والآخر.

أولها: كل من الصعاليك - أو أغلبهم - يعلن في كل مناسبة سنحت له أنه الأحسن، والبطل، والفارس والشجاع. لذا نلاحظ تكرار ضمير المتكلم (أنا)، في أشعار الصعاليك، وغالبًا ما يتكرر ذلك في مواقف إعلان القيادة كقول الشنفرى:

وَظَلْتُ بِفِتْيانٍ مَعي أَتَّقِيهُمُ بِهِنَ قَليلًا ساعةً ثم جَنَّبُوا[36]

والشنفرى في القصيدة نفسها يستعمل ضمير المتكلم أربع مرات في بيت واحد حين يخاطب امرأة، يقول:

دَعيني وَقُولي بَعْدُ ما شِئْتِ، إِنَّني سَيُغْدَى بِنَفْسي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ[37]

وما هذا التكرار إلّا دلالة قاطعة على مقصدية "الأنا" ومركزيتها. ونلمس أن الشنفرى يُمَوْقع نفسه داخل المركز، لكنه يهتم بإنصاف رفاقه، فلا يهمل وجودهم أو يؤثر ذاته عليهم، بل يجعلهم في عداد الأنداد، يقول:

خَرَجْنا فَلَمْ نَعْهَدْ، وَقَلَّتْ وَصاتُنا ثَمانِيَةٌ ما بَعْدَها مُتَعَتَّبُ

سَرَاحِينُ فِتْيانٌ كَأَنَّ وُجوهَهُمْ مَصابيحُ أَوْ لَوْنٌ مِنَ الماءِ مُذْهَبُ[38]

ثانيها: يتصرف أصحاب الصعلوك على أنهم الآخر الهامشيّ، إذ يعلنون الولاء لرئيسهم.

ثالثها: النصر دائما لأبطال الصعاليك، كما قال الشنفرى في هزيمة خثعم:

وَقَدْ خَرَّ مِنْهُمْ راجِلانِ وَفارِسٌ كَمِيٌّ صَرَعْناهُ وَقَرْمٌ مُسَلَّبُ

نَسوقُ بِنَسْرٍ كُلَّ رَيْعٍ وَتَلْعَةٍ ثَمانِيَةً وَالقَوْمُ رَجْلٌ وَمِقْنَبُ

فلما رآه قومنا قيلَ: أَفْلِحوا فقلنا: اسألوا عن قائلٍ لا يُكَذَّبُ[39]

ونلمح هذه الصورة متكررة في شعر الصعاليك، فإن طبيعة حياة الصعلوك تفرض عليه حياة الكر والفر، وإذا لم يحقق الانتصارات، فلماذا كان عليه ترك القبيلة واللجوء إلى حياة الصحراء ومصاحبة الوحوش؟ كما قرر الشنفرى في اللامية:

وَلي دونَكُمْ أَهْلَونَ سِيدُ عَمَلَّسٌ وَأَرْقَطُ زُهْلولٌ وَعَرْفاءُ جَيْأَلُ[40]

وفي موقع ذكر البطولات نلحظ حديث البطولات بضمير المتكلِّم (أنا) مباشرة، قاصدًا مدح ذاته وإعلان بطولاته وقدرته على الإغارة ودحر الخصم، لدرجة أن الصعلوك نفسه يرى أنه يتقمص لباس رفاقه من الضواري، يقول الشنفرى:

أَنا السِّمْعُ الأَزَلُّ فَلا أُبالي وَلَوْ صَعُبَتْ شَناخيبُ العِقابِ

وَلا ظَمَأٌ يُؤَخِّرُني وَحَرٌّ وَلا خَمْصٌ يُقَصِّرُ مِنْ طِلابِ[41]

فمن خلال الأنا والتماهي مع حياة الذئاب والضواري، يفتح لنفسه بابًا من أجل اللجوء إلى عالم القَبول، فهو مقبول لدى وحوش البر، وهذا أفضل من حياة الذل مع من يعادونه ويحقِّرونه. وما أعظم هذه "الأنا" إذ يجعل الصعلوك من نفسه ابنًا للسِّمْعُ (الذئب من الضبع)، فهو هجين، تجتمع فيه صفات الذئب وحذره وصفات الضبع وفتكها. وفي الحالتين تتماهى هذه (الأنا) مع عالم الحيوان حتى يصبح مالكًا صفات الضواري، وإذا امتلكها فهو مثلها، يهابه الإنسان بالتأكيد، ويهابه الحيوان أيضًا.

غير أن هذا لا يلغي مركزيَّته المقصودة. فكما نجد أن هناك ثنائية المركز والهامش فيما يتعلق بالصعلوك وقبيلته (الأصلية أو المتبنِّية أو الحامية)، فإننا نجدها، كذلك، بين الشاعر الصعلوك وأصحابه. ويرى الشنفرى في بعض الحالات أنه مالك لتلك السرية، فهو قائد هذه الجماعة، يقول:

خَرَجْنا مِنَ الوَادِي الَّذِي بَيْنَ مِشْعَلٍ وَبَيْنَ الجَبَا هَيْهاتَ أَنْشَأْتُ سُرْبَتِي[42]

2.5 تحرّك الشعراء الصعاليك في الحيز المكاني أفقيًّا وعموديًّا

يعكس تحرك الصعاليك في حيِّزهم المكاني بين الداخل والخارج سيمياء ثقافة مهمّة. وذلك بالاعتماد على أداة (الداخل والخارج) التي استخدمها لوتمان، باعتبار أن الكون السيميائي هو مجال لتنظيم المعلومات، تقابله الفوضى[43].

وبذلك يمكن تكوين صورة تدمج حركة هؤلاء الصعاليك بمنظورين متقاطعين، وهما المركز والهامش من جهة، والداخل والخارج من جهة ثانية. فلهذا المصطلح علاقة وثيقة مع الفضاء الذي

تحرك فيه الشعراء الصعاليك ومارسوا حياتهم، ويقف وراء هذه المسألة عوامل عديدة منها النفسية والعاطفية التي عاشها هؤلاء، ومنها الاجتماعية، ومنها البيئية، فالصحراء والبراري هي مسرح الصعاليك بفضائها، وخير مثال على ذلك ما قاله الشنفرى في اللامية مفضِّلًا البر بفضائه واتساعه على البشر وعنجهيتهم وجَوْرهم، يقول:

وَفي الأَرْضِ مَنْأًى لِلكَرِيمِ عَنِ الأَذى وَفيها لِمَنْ خافَ القِلى مُتَعَزَّلُ[44]

وكأن الشنفرى - فيما يقول - يحمل الصحراء في ذاته، فطبيعة الصحراء الصامتة توحي له بالانفتاح واللامحدودية، أمّا الظروف الحياتية كالقحط والجفاف والتشرُّد فتكسِب المشهد معانيَ روحية إلى درجة تصبح فيها البيداء كيانًا مألوفًا ومحبَّبًا لديه بل داعمًا وحاميًا. وقد تحرك الشعراء الصعاليك باتجاه أفقي من المركز المتعارف عليه في العصر الجاهلي إلى خارجه (هامشه) تاركين وراءهم قبائلهم، فكان خروجهم إلى الصحراء الواسعة، حيث رافقوا الضواري ولازموا البراري، وهنا تظهر سيمياء الداخل المتمثلة بالمركز (القبيلة) بسيادته الاجتماعية السياسية الاقتصادية القتالية، لكن هذه السيمياء تتحول إلى "ذات مهجورة" لأن الصعلوك يأبى هذا الداخل، بينما ينصب اهتمامه إلى الخارج الأفقي المغاير لواقعه. وهكذا يظهر الزحف من المركزية مادِّيًا ومَدَوِيًّا ومعنويًّا إلى الهامشية نفسها. لكن هذه الهامشية مركزية من زاوية نظر مخالِفة لمنطق القبيلة، فمن زاويتهم شكَّل الصعاليك مركزًا حياتيًّا تجلَّت معالمه من خلال ممارسة حياة الابتعاد والاكتفاء بصحبة الحيوانات المفترسة في الصحراء.

وكان للصعاليك نوع آخر من الخروج كجزء من ممارساتهم الخاصة، فقد تحركوا عموديًّا واتخذوا مراقب[45] في أعالي الجبال أدت خدمة تحقيق الأمن، وعزّزت ما في نفوسهم من إباء وشموخ وعظَمة. ولم ينفرد الشعراء الصعاليك باتخاذ المراقب، فالشعر الجاهلي عرف هذه الظاهرة من بداياته، وامتدت حتى صدر الإسلام[46] .

وما ذاك الخروج إلّا إعلان واضح عن الرفض الشديد والتمرُّد على المنظومة التي وضعتها سلطة القبيلة وجعلتها أحد التابوهات المعلَنة عبر الأجيال. وعلى وجه العموم، فإن مَنْ خرج من هؤلاء فلا عودة له. ومنهم من خرج لغاية إصلاحية اجتماعية، كعروة بن الورد، وكان خروجه إلى مركزه الذي استطاع - مِن خلاله - خدمة الداخل والخارج على حد سواء.

2.6 سيمياء المرأة - هل المرأة في المركز أم في الهامش؟

سنعالج في هذا المحور مسألة مدى المركزية أو الهامشية التي يوليها الشاعر الصعلوك للمرأة في حياته. وعلى وجه العموم، فالإطلاق السائد في أشعار الصعاليك يدور حول تهميش المرأة. لكنّنا نرى أن مسألة الحكم على هامشية المرأة في حياة الشاعر الصعلوك في العصر

الجاهلي ضربٌ من الإجحاف بحقه وبحق المرأة ذاتها كذلك، وفيها شيء من التسرُّع في الحكم. ويبدو لنا أنه من الصعب إطلاق حكم بالإيجاب أو السلب، بالاعتماد على موقف بذاته، أو بالاعتماد على ما تركه لنا أحد الشعراء الصعاليك. لذا، ربما كان الأجدى والأنسب أن نحكم على كل حالة بما تحتويه من حيثيات وملابسات نَصِّيَّة، وبناء على إنتاج كل من الشعراء الصعاليك على حدة، وإن كانت هذه المقولة لا تمنعنا من اللجوء إلى رأي فيه شيء من التعميم ينسحب - في عموميته - على كل شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، أو على معظمه.

وفي حقيقة الأمر، إن الشعراء الصعاليك الجاهليين لم يتجاهلوا المرأة. فلو تناولنا قضية الموقف الطللي - مثلًا - في الشعر الجاهلي عامة لوجدنا أن الشاعر يبرز تجليات المرأة في العصر الجاهلي من خلال الاتكاء على المقدمة الطللية. ففي مثل هذه المواقف بدأ الشعراء في مطالع قصائدهم معبرين عما يجيش في صدورهم جراء الحزن، فذكروا الديار الداثرة، وما آلت إليه من خراب وانسحاق وانهدام مادي للبيت وانهدام نفسي للشاعر إثر فِراق المحبوبة، ووصفوا البقايا المادية للوجود البشري. وقد جعلوا المرأة عنصرًا أساسيًّا فيها، وهي المحبوبة عادة، سواء أكانت شخصية حقيقية أم متخيَّلة. ويشير يوسف خليف إلى وجود القليل من هذا في شعر الصعاليك[47]. ومن القصائد التي توضح هذه المسألة تائية الشنفرى التي يخاطب فيها أمَّ عمروٍ، ومطلعها:

أَلا أُمُّ عَمْروٍ أَجْمَعَتْ فَاسْتَقَلَّتِ وَما وَدَّعَتْ جيرانَها إِذْ تَوَلَّتِ[48]

وفي الواقع ترتكز هذه القصيدة على الحديث عن المرأة ثم الاستفاضة في ذكر مناقبها ومحاسنها الجسدية والخُلُقية. فجعل مطلعها في الغزل والتشبب، وذكر أسفه على رحيلها، ووصف مشيتها وذكر محاسنها. ونراه يتابع وصف القرار من غير أن يصف الديار، وما آل إليه حاله جرّاء رحيلها، لكنه ارتكز على بيان حسن أخلاقها، من عفّة ورزانة وجمال وطيب رائحة. وكما يبدو، فإن هذه المرأة في المركز خُلُقًا وجمالًا واعتبارًا، على الرغم من أن صاحبها هو أحد أهم الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، الذين كثر الحديث عن هامشيتهم. وما نريده هنا هو التوضيح بأن الهامشية الاجتماعية للصعاليك التي أُحيطوا بهالتها لم تكن كافية لجعل أشعارهم هامشية هي الأخرى، على الرغم من الإجماع على هامشية الصعاليك أنفسهم كفئة اجتماعية.

وفي البائية يتوجه الشنفرى إلى امرأة متخيَّلة (وربما كانت صاحبته)، كانت قد نصحته بألّا يخرج في غارة على العَوْص (حي من بَجيلة)، يقول:

دَعيني وَقولي بَعْدَ ما شِئْتِ إِنَّني سَيُغْدى بِنَعْشي مَرَّةً فَأُغَيَّبُ[49]

ومن اللافت أن اللوم الذي يتعرض له الشنفرى - وغيره من الشعراء الصعاليك - صادر عن امرأة، وما هذا إلا دليل على أهمية المرأة في حياة الشاعر الصعلوك، ولو لم تكن لها منزلة عالية لما استمع الشاعر الصعلوك إلى لومها، ولَما جعلها الطرف المُحاور واللائم. فنراه يصورها بأنها الطرف المتخوِّف على مصير الرجل، وقد قَبِل هذا الرجل الصعلوك - وهو صاحب البطولات - من يكون حارسًا معنويًا له. ولا يمكن اعتبار مجرد الاعتراض على رأيها أو اقتراحها، أو مجرد طلب الشنفرى - كما ورد أعلاه - بأن تتركه وشأنه، تهميشًا لها، بل العكس هو الصحيح، لأن الشاعر قد جعلها في مثل هذه المواقف في مركز الخطاب.

ومن جانب آخر، اهتم الشاعر الصعلوك بمقولة المرأة، وخاطبها، سواء أكانت ابنة أم زوجة. ومن خلال محاورتها لاحظنا أنه لم يظهر طاعته لها، بل نراه معترضًا على لومها له رافضًا إياه، كأن يقول عروة في لومٍ وجَّهته له زوجته سلمى (أم حسان):

أَرى أُمَّ حَسّانَ الغَداةَ تَلومُني تُخَوِّفُني الأَعْداءَ وَالنَّفْسُ أَخْوَفُ

تَقولُ سُلَيْمى لَوْ أَقَمْتَ لَسَرَّنا وَلَمْ تَدْرِ أَنّي لِلمُقامِ أُطَوِّفُ

لَعَلَّ الَّذي خَوَّفْتِنا مِنْ أَمامِنا يُصادِفُهُ في أَهْلِهِ المُتَخَلِّفُ

إِذا قُلْتُ قَدْ جاءَ الغِنى حالَ دونَهُ أَبو صِبْيَةٍ يَشْكو المَفاقِرَ أَعْجَفُ

لَهُ خَلَّةٌ لا يَدْخُلُ الحَقُّ دونَها كَريمٌ أَصابَتْهُ خُطوبٌ تُجَرِّفُ

فَإِنّي لَمُسْتافُ البِلادِ بِسُرْبَةٍ فَمُبْلِغُ نَفْسي عُذرَها أَوْ مُطَوِّفُ[50]

فمن خلال ما نلاحظه من لوم تطرحه سلمى على عروة، ومن خلال رفضه طاعتها والعدول عن الخروج يظهر أمران: الأول هو ظهور الإنسان الآخر العام متمثلًا في عباءة عروة، و(أنا) عروة مكرَّسة من أجل الضيوف والفقراء والمحتاجين، وهنا نرى أن "الأنا العُرْوِيّة" تخدم الهامش لتنقلب مركزًا، والثاني هو تهميش لمقولة المرأة لتحقيق المركزية المتوخاة من خلال تضحية عروة في سبيل خدمة الآخر.

ليس هذا فقط، بل نرى أن الأنا ليست غاية بقدْر ما هي وسيلة، وعروة لا يسحق الأنا، بل يرفعها ويعطيها حق الأولوية، وإلّا أصبح كسائر الناس العاديين، فهو صاحب (أنا) خاصة، تطمح إلى الخلود من خلال (أنا) الآخر، فخروج عروة هو ما يحقق الانتقال من الهامش إلى المركز، وإن

بقي ولم يخرج فإنه باقٍ كغيره، عادي، لا يملك، ولا يعطي الآخر ولا يساعده، ويفقد خصوصية دعوته ونهجه، وعندها يُنظر إليه على أنه جانبي وهامشي، فالكريم تشده القوة الجاذبة إلى المركز، أما البخيل أو الرذيل والمتقاعس فإنما تشدهم القوة الجاذبة من الهامش (وهي هنا ليست الطاردة من المركز).

وقد ظهرت المرأة في مواضع كثيرة في شعر الصعاليك على أنها المرأة اللائمة، ولم يكن هذا غريبًا، لأن طبيعة الحياة التي ميزت حياة الصعلوك مليئة بالمخاطر، والمرأة هي من حاول ردع هذا الرجل عن تعريض نفسه للتهلكة. فها هو عروة يخاطب زوجه بكل رقة إذ نهته عن الخروج إلى الغزو، يقول:

أَقِلّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا ابْنَةَ مُنْذِرِ ... وَنَامي فَإِنْ لَمْ تَشْتَهي النَّوْمَ فَٱسْهَري

ذَريني وَنَفْسي أُمَّ حَسّانَ إِنَّني ... بِها قَبْلَ أَلّا أَمْلِكَ البَيْعَ مُشْتَرِي

أَحاديثَ تَبْقى وَالفَتى غَيْرُ خالِدٍ ... إِذا هُوَ أَمْسى هامَةً تَحْتَ صَيِّرِ

تُجاوِبُ أَحْجارَ الكِناسِ وَتَشْتَكي ... إِلى كُلِّ مَعْروفٍ تَراهُ وَمُنْكَرِ

ذَريني أُطَوِّفْ فِي البِلادِ لَعَلَّني ... أُخَلِّيكِ أَوْ أُغْنيكِ عَنْ سوءِ مَحْضَرِ[51]

فهو ليس ضاربًا برأيها عرض الحائط، ولكن قاصدًا الخير لها، وكذلك في نيّته جلب الخير والمجد والذكر الطيِّب وأحاديث المدح الشريفة لنفسه جراء أعماله البطولية تجاه من حوله، وبذلك يُكسب زوجته سمعته الحسنة فترتفع هي بها، كما ويغنيها عن المسألة فلا تضطرّها الحاجة إلى طلب المساعدة من الغير.

وفي موقع آخر يتعرض عروة للَوم زوجهِ، أيضًا، على الخروج إلى الغزو؛ يقول:

تَقولُ أَلا أَقْصِرْ مِنَ الغَزْوِ وَاشْتَكى ... لَها القَوْلَ طَرْفٌ أَحْوَرُ العَيْنِ دامِعُ

سَأُغْنيكِ عَنْ رَجْعِ المَلامِ بِمُزْمِعٍ ... مِنَ الأَمْرِ، لا يَعْشو عَلَيْهِ المُطاوِعُ

لَبوسِ ثِيابِ المَوْتِ حَتّى إِلى الَّذي ... يُوائِمُ إِمّا سائِمٌ، أَوْ مُضارِعُ[52]

ويُظهر لها أنه قد أزمع على الخروج إلى الغزو ولبس ثياب الموت. ولا يُظهر تجاهها أي قدْر من التهميش هنا، ولكن يبدو حقيقة أنه إنسان ماضٍ في سبيل غاية إنسانية عظيمة ومثالية، ومجرد تصميمه على الخروج ولوم زوجه له ليس بحقيق أن يضعه في خانة من يهمش المرأة.

ونُلْفي نوعًا آخر من اللوم، يتعرض له عروة من "سائلة" لم يصرح بهويتها، فهو يُسأل عن الرحيل وإلى أين وجهته، يقول:

وَسائِلةٍ: أَيْنَ الرَّحيلُ؟ وَسائِلٍ ... وَمَنْ يَسأَلُ الصُعْلوكَ أَيْنَ مَذاهِبُهْ

مَذاهِبُهُ أَنَّ الفِجاجَ عَريضةٌ ... إِذا ضَنَّ عَنْهُ، بِالفَعالِ، أَقارِبُهْ

فَلا أَتْرُكُ الإِخْوانَ ما عِشْتُ للرَّدى ... كَما أَنَّهُ لا يَتْرُكُ الماءَ شارِبُهْ

وَلا يُسْتَضامُ، الدَّهْرَ، جاري، وَلا أُرى ... كَمَنْ باتَ تَسْري للصَّديقِ عَقارِبُهْ[53]

أما تعليق عروة فهو أن الصعلوك لا يُسأل عن مذاهبه، وإذا لم يكرمه أقاربه فإن الأرض فيها متسع له، فنهجه ولوج الفجاج ومرافقة الإخوان الصعاليك والإخلاص لهم. أما المرأة هنا فلا يجعل عروة منها عنصرًا مهمشًا. فإن كثرة الأسئلة من النسوة، وتوجيه الأسئلة بحرية، أمران يستدعيان النظر في مركزية المرأة، والأمر ليس مجرد رأي، لكنه يعتمد على الدلائل النصيَّة، والمرأة في مثل هذه النصوص هي "الضابط" لبعض مسالك الشعراء الصعاليك في أمر خروجهم عامة، وخروجهم لجلب الطعام للمحتاجين خاصة.

ويتعاظم دور المرأة وتتسع مركزيتها في مواقف حث الرجل على الخروج والمخاطرة من أجل جلب الغنائم؛ يقول عروة:

قالَتْ تُماضِرُ إِذْ رَأَتْ مالي خَوى ... وَجَفا الأَقارِبُ، فَالفُؤادُ قَريحُ

ما لي رَأَيْتُكَ في النَّدِيِّ مُنَكِّسًا ... وَصِبًا، كَأَنَّكَ في النَّدِيِّ نَطيحُ؟

خاطِرْ بِنَفْسِكَ كَيْ تُصيبَ غَنيمةً ... إِنَّ القُعودَ، مَعَ العِيالِ، قَبيحُ

اَلمالُ فيهِ مَهابةٌ وَتَجِلَّةٌ ... وَالفَقْرُ فيهِ مَذَلَّةٌ وَفُضُوحُ[54]

وما تريده هذه المرأة لعروة هو الإعلاء من منزلته بين الناس من خلال السعي لجلب المال ليعمر المراح بالأنعام، فهي حريصة على ظهوره بأبهى مظاهر الرجولة، وطلبها هذا يعطيه

فرصة ممارسة سلوكات يقف وراءها الكرم على المحتاجين ومساعدتهم، ومن شأنه، كذلك، أن يعلي شأنه في مجلس علية القوم.

وهذه زوجة عمرو بن برّاقة تنصحه بألّا يعرض نفسه للتهلكة، يقول:

تَقولُ سُلَيمى لا تَعَرَّض لِتَلفةٍ وَلَيلُكَ عَن لَيلِ الصَعاليكِ نائِمُ[55]

أما خلفية هذه القصيدة فتلفت نظرنا إلى أمر مهم وهو استشارة المرأة والأخذ برأيها، فقد استشار عمرو بن براقة زوجته سَلْمى في أمر الإغارة على رجل من مراد - واسمه حَرِيم - كان قد أغار على إبل عمرو وخيله، وكانت بنت سيدهم ويُؤخذ برأيها، فشرحت له منزلة حَرِيم وقوته وحذرته منه، وقالت له: "فأَغِرْ ولا تُنْكَعْ" (تُرْدَع). فأغار عمرو على حَرِيم وأخذ منه كل شيء له، فأتاه حَرِيم ليسترد بعض ما أخذ منه عمرو، لكنه رده خائبًا[56].

أوليس هذا شعر يمجِّد المرأة ويجعلها في موقع اتخاذ القرار والحسم والجزم فيه؟ فقد جعل الشاعر الصعلوك، عمرو بن برّاقة، من هذه المرأة شخصية المشير صاحب الرأي السديد في عظام الأمور، وبهذا شكلت شخصية مركزية في حياته في ظروف لا تمجِّد المرأة بل تجعلها ثانيًا بعد الرجل.

ويرى هياجنة أن هناك صوتين في العذل في رائية عروة: صوت العاذلة وصوت الذات البطولية، والعلاقة الضدية تفرض كياناً خاصًّا، فصوت الذات البطولية يحيل إلى ارتهان الذات بالسمو نحو المجد[57]. وفي رأينا، هذا هو الخروج إلى هامش يجسد مركزًا آخر غير مركز القبيلة ممثِّلة السلطة العليا.

وما يجب أن يشار إليه - بشدة متناهية - هو أن المرأة لم تتعرَّض فيما اطّلعنا عليه إلى أي موقف يمكن أن يحسب على أنه توجيه إهانة. وإن لم تكن المرأة - بحسب هذه الملاحظة - في المركز فإنها وبكل تأكيد ليست في الهامش على الإطلاق.

وبعد كل ما قيل، فإن مجال الاشتغال بسيميائيات الثقافة من أشعار الصعاليك في العصر الجاهلي أوسع مما قيل بكثير، لكننا نكتفي بما أوردناه لضيق المقام.

الخاتمة

بدا قِدم مصطلح المركز والهامش واضحًا، وإن لم يكن قد حظي بالزخم الشبيه بالزخم المعاصر في الدرس العلمي والنقدي. كما أنه ليس هناك تعريف محدد للمصطلح بسبب تعدد المجالات التي تم تطبيقه فيها.

يمكن استخدام المصطلح لدراسة ثقافات مختلفة في "الكون السيميائي" وفي أي نص أدبي. ويشكل استخدام المصطلح آلية تسهم في إنشاء فهم للمحيط السيميائي في النص الأدبي عامة.

ويتحدد فضاء المركز وفضاء الهامش بحسب درجة التدرج في الأهمية. ثم إن الجزم بالمركزية أو الهامشية أمر نسبي، ولا يشترط أن يُقطع به بكلمة واحدة أو مجرد فكرة خاطفة.

هناك حاجة إلى اختبار المركزية والهامشية في شعر الصعاليك في العصر الجاهلي، بمنظور سيمياء الثقافة بشكل عميق لتحاشي التعميم المكرَّر المعتمِد على نظرات وأحكام تعميمية تجاه شعر الصعاليك كله، وكأنه وَحدة واحدة دون التمييز بين إنتاج وحيثيات حياة كل شاعر منهم. لذا يجب النظر إلى إنتاجهم من زاوية نظر مخالفة للطرق التقليدية القائمة على مجرد الشرح والبحث عن الدلالات الحرفية وتخريج الروايات.

يتلاحم المركز مع الهامش ويظلِّل كل منهما الآخر على الرغم من علاقة الضدية بينهما، لذا ينشأ المركز الهامشي ويقابله هامش المركز.

صحيح أن ظاهرة الصعلكة مصنفة في الهامش في معظم المقولات الأدبية والنقدية، كون الصعاليك قد مارسوا حياة بعيدة عن قبائلهم في أغلب الحالات، وعاشوا الرفض أكثر من القَبول، وصحيح أن شعرهم هو شعر المهمشين، لكن هذا لا يعني، بالضرورة، أنه شعر هامشي، بل يمكن إدراجه ضمن الشعر التقليدي والأدب الرسمي، ويجب النظر إليه بمعايير الشعر الرسمية واعتبار الصعلكة حالة خاصة، تمرد أصحابها على سلطة المركز.

تنعكس المركزية والهامشية في شعر الصعاليك في عدة جوانب ذات تعالقية مع سيمياء الثقافة، ومن أهمها ما انعكس في ثنائية الداخل والخارج، والحركة الأفقية في تجوالهم دخولًا وخروجًا.

The Center and Margin in the Sa'alik Poetry in the Pre-Islamic Era in the Light of Cultural Semiotics

Zahi Najeeb Salami and Yousef Abuaddous, *Arabic Language Department, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The critical study views the center and the margin dialectic as an important matter to understand the literary text, taking into consideration the suitability of this duality to study most of literary texts. The research attempts to introspect the Sa'alik poetry in the pre-Islamic era through the view of cultural semiotics, with the help of the dual center and the margin as a part of such semiotics.The research is based on two aspects: the first investigates the appearance of the term "Center and Margin" and its indication in the literary and critical domains, and the existing dialectic in the terminological understanding. The second induces the semiotic "center and margin" in Sa'alik poetry in pre-Islam and its implications in this duality. The poetic model of the research is restricted to the poetry of: aŠ-Šanfarā and ʿUrawa bin il-Ward and ʿAmr bin Barrāqa. The research supposes that there are cultural semiotics that distinguish the poetry of these poets, which will explain central aspects of its contents. The old text is viewed through the modern critical lens, away from just displaying the literal indications of the text, to go beyond the cultural indications that distinguish this collection of texts.

Keywords: Center and margin, Sa'alik poets, the pre-islamic era, cultural semiotics.

الهوامش

(1) ينظر: حمداوي جميل: **النظرية الشكلانية في النقد والأدب والفن**، المملكة المغربية، أفريقيا الشرق، ط 1، (د. ت.)، ص 6. وأيضًا: بوزيدة، عبد القادر: "يوري لوتمان... مدرسة "تارتو - موسكو" وسيميائية الثقافة والنظم الدالة"، **عالم الفكر**، مج. 35، ع. 3، 2007، ص 185 – 186. وأيضًا: يوسف، عبد الفتاح: سيميائيات الثقافة وتحليل الخطاب - سيميوزيس السلطة والذات في خطاب الإشادة، **فصول**، ع. 91 – 92، 2014 – 2015، ص 267 - 268. وأيضًا: الأحمر، فيصل: **معجم السيميائيات**، بيروت - لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، الجزائر (العاصمة) – الجزائر، منشورات الاختلاف، 2010، ص 97، نقلا عن رشيد بن مالك، ص 32.

(2) مجناح، جمال: "جدل المفاهيم في موضوعة التهميش والمهمشين - قراءات تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة"، محاضرة إلكترونية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة - الجزائر، آذار 2017، ص 1.

(3) الباح، دليلة: "المركز والهامش مفهومه، أنواعه، جذوره"، **مجلة قراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها**، جامعة بسكرة - الجزائر، ع. 4، 2012، ص 299، ومان، ميشيل: **موسوعة العلوم الاجتماعية**، تر: عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز مصلوح، مصر، دار المعرفة الجامعية، 1999، ص 99.

(4) أمين، سمير: **نحو نظرية للثقافة: نقد التمركز الأوروبي والتمركز الأوروبي المعكوس**، بيروت، معهد الإنماء العربي، ط 1989،1، ص 143، وينظر أيضًا: ص 149.

(5) لوتمان، يوري: **سيمياء الكون**، تر: عبد المجيد نوسي، الدار البيضاء - المغرب وبيروت - لبنان، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2001، ص 26.

(6) حمداوي، جميل: **الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)**، المملكة العربية السعودية، شبكة الألوكة، ط 1، 2015.، ص 315- 316.

(7) بريمي، عبد الله: **السميائيات الثقافية مفاهيمها وآليات اشتغالها - المدخل إلى نظرية يوري لوتمان السميائية**، عمان - الأردن، دار كنوز المعرفة، 2018، ص 117 - 118.

(8) إبراهيم، عبد الله: **المطابقة والاختلاف: بحث في نقد المركزيات الثقافية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2004، ص 322 – 323.

(9) إسكاربيت، روبيرت: **سوسيولوجيا الأدب**، تر: آمال أنطوان عرموني، بيروت - لبنان، عويدات للنشر والطباعة، ط 2، 1983، ص 50 – 51.

(10) لعلي، سعادة: "أدب الهامش... نغمة للغناء وأخرى للبكاء"، **أصوات الشمال**، مجلة عربية ثقافية اجتماعية، استرجع بتاريخ: 4 أغسطس 2018، http://www.aswat-

elchamal.com/ar/?p=98&a=17311، ووَرَد أيضًا في: ندوة أدب الهامش، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة – الجزائر، 22 فبراير 2009.

(11) توفيق، مجدي أحمد: "أدب المهمشين"، ص 7. وقد تم الحصول على البحث من المؤلف مباشَرة (جامعة الفيوم - مصر) بتاريخ 1.12.2018 كنسخة بي. دي. إف.، وقد تمت الإشارة إلى الصفحات بناء على هذه النسخة. ومتوفر أيضًا في **الشبكة، موقع جهة الشعر.** http://www.jehat.com/ar/JanatAltaaweel/drasatnadaryah

(12) تبرماسين، عبد الرحمن؛ جيجخ، صورية: "إشكالية المركز والهامش في الأدب"، **مجلة المَخْبَر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري**، جامعة بسكرة - الجزائر، ع. 10، 2014، ص 27، 30.

(13) Zaidi, Nishat: "Center/Margins Dialectics and the Poetic Form: The Ghazals of Agha Shahid Ali", Paper Originally presented at a seminar on "Margins and Nation Spaces: The Aesthetics of Cultural Expression", University of Rajasthan, Jaipur, India 8-9 February, 2008, p. 55.

(14) الباح، دليلة: **المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح**، (رسالة دكتوراه)، بسكرة – الجزائر، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، 2015 - 2016، ص 13، وتوفيق، مجدي أحمد: المصدر المذكور، ص 4، ولعلي، سعادة: المصدر المذكور.

(15) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: **مقدمة ابن خلدون**، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار يعرب، ط 1، ج 1، 2004، ص 189 – 193، 322، 325، 491.

(16) بحراوي، حسن: "أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية"، **مجلة علامات**، مكناس - المغرب، ع. 18، 2002، ص 9. وأيضًا: الحسين، أحمد: "أدب الفئات الهامشية في العصر العباسي"، **التراث العربي**، ع. 71 - 72، 1 أبريل 1998، ص 69 – 79.

(17) تبرماسين، عبد الرحمن؛ جيجخ صورية: المصدر المذكور، ص 30.

(18) الباح، دليلة: **المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح**، المصدر المذكور، ص 38، 41 - 46.

(19) صالح، هويدا: **الهامش الاجتماعي في الأدب - قراءة سوسيولوجية**، القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2015، ص 8 - 10.

(20) هياجنة، محمود سليم: "خطاب تمرّد الأنا الذات والتسامي القيَمي، تأبّط شرًا، وعروة بن الورد نموذجا – قراءة نصية"، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب**، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد – الأردن، مج. 15، ع. 1، نيسان 2018، ص 35.

(21) رحماني، علي؛ صالحي، ناجي: "الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين"، **مجلة المَخْبَر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري**، جامعة بسكرة – الجزائر، ع. 10، 2014، ص 155 - 156، 164.

(22) لعلي، سعادة: المصدر المذكور.

(23) توفيق، مجدي أحمد: المصدر المذكور، ص 3.

(24) الدليمي، عبد الرزاق خليفة محمود: "المرقبة في الشعر الجاهلي"، **المورد**، ع. 2، 2000، ص 6.

(25) توفيق، مجدي أحمد: المصدر المذكور، ص 4، 6 - 7.

(26) الباح، دليلة: "المركز والهامش مفهومه، أنواعه، جذوره"، المصدر المذكور، ص 304 - 305.

(27) تبرماسين، عبد الرحمن؛ جيجخ، صورية: المصدر المذكور، ص 32.

(28) سليمة، خليل؛ هنية مشقوق: "الأدب النسوي بين المركزية والتهميش"، **مجلة مقاليد**، ع. 2، 2011، ص 113.

(29) الشنفرى: **ديوان الشنفرى، ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن برّاق**، إعداد وتقديم: طلال حرب، بيروت - لبنان، دار صادر للطباعة والنشر، ط 1، 1996، ص 8 – 10.

(30) عروة بن الورد: **ديوان عروة بن الورد**، تح: محمد فؤاد نعناع، الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، والقاهرة، مكتبة الخانجي، ط 1، 1995، ص 46 - 47.

(31) نفسه، ص 47 - 48.

(32) **ديوان الشنفرى**: المصدر المذكور، ص 55.

(33) إبراهيم، عبد الله: المصدر المذكور، ص 267.

(34) حمداوي، جميل: **النظرية الشكلانية في النقد والأدب والفن**، المصدر المذكور، ص 176.

(35) **ديوان عروة بن الورد**: تح: محمد فؤاد نعناع، المصدر المذكور، ص 46 - 47.

(36) فرحات، يوسف شكري: (شرح)، **ديوان الصعاليك**، بيروت، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، 2004، ص 13.

(37) نفسه، ص 11.

(38) نفسه، ص 12.

(39) نفسه، ص 13.

(40) **ديوان الشنفرى**: المصدر المذكور، ص 55.

(41) **ديوان الصعاليك**، المصدر المذكور، ص 14.

(42) **ديوان الشنفرى**: المصدر المذكور، ص 37.

(43) أوسبنسكي، ب. إ.؛ إيفانوف ف. ف.؛ بياتيجورسكي، أ. م.؛ توبوروف، ف. ن.؛ لوتمان، يوري: "نظريات حول الدراسة السيميوطيقية للثقافات (مطبقة على النصوص السلافية)"، تر: نصر حامد أبو زيد، في: **"أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا"**، إشراف

مشترك مع سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد، القاهرة، دار إلياس العصرية، والدار البيضاء، دار عيون، 1987، ص 319، 322.

(44) **ديوان الشنفرى**: المصدر المذكور، ص 55.

(45) **لسان العرب**، مادة (رقب).

(46) يوسف خليف، **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، مصر، دار المعارف، ط 3، 1978، ص 187. وأيضًا: الجهاد، هلال محمد: "ظاهرة المرقبة في الوعي الشعري الجاهلي - دراسة في تطور التشكيل الجمالي والدلالة الرمزية"، **مجلة التربية والعلم**، مج. 14، ع. 2، قسم اللغة العربية، جامعة المرج، ليبيا، 2007، ص 73، 75 – 76.

(47) خليف، يوسف، المصدر المذكور، ص 268. وينظر أيضًا: كفافي، منذر ذيب: **صورة المرأة في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر الأموي**، (رسالة ماجستير)، إربد، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1998، ص 106 - 107.

(48) تراجع القصيدة في: الضبي، المفضل: **المفضليات**، تح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط 6، (د. ت.)، ص 108 - 110، الأبيات 1 – 15، وفي: **ديوان الصعاليك**، المصدر المذكور، ص 15 - 17، الأبيات 1- 12، وفي **ديوان الشنفرى**، المصدر المذكور، ص 35 – 36، الأبيات 1 – 15.

(49) **ديوان الشنفرى**، المصدر المذكور، ص 33.

(50) **ديوان عروة بن الورد**، المصدر المذكور، ص 50 – 51.

(51) نفسه، ص 41 - 42.

(52) نفسه، ص 82.

(53) نفسه، ص 72 - 73.

(54) نفسه، ص 88.

(55) الجبوري، يحيى: **قصائد جاهلية نادرة**، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1982، ص 100.

(56) القالي، إسماعيل بن القاسم: **الأمالي**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975، ج 2، ص 137.

(57) هياجنة، محمود سليم: المصدر المذكور، ص 44 – 46.

المصادر والمراجع

أولًا: الكتب العربية والمترجمة:

إبراهيم، عبد الله: **المطابقة والاختلاف: بحث في نقد المركزيات الثقافية**، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 1، 2004.

الأحمر، فيصل: **معجم السيميائيات**، بيروت - لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر (العاصمة) – الجزائر، منشورات الاختلاف، ط 1، 2010.

إسكاربيت، روبيرت: **سوسيولوجيا الأدب**، تر: آمال أنطوان عرموني، بيروت - لبنان، عويدات للنشر والطباعة، ط 2، 1983.

أمين، سمير: **نحو نظرية للثقافة: نقد التمركز الأوروبي والتمركز الأوروبي المعكوس**، بيروت، معهد الإنماء العربي، ط 1989،1.

بريمي، عبد الله: **السميائيات الثقافية مفاهيمها وآليات اشتغالها - المدخل إلى نظرية يوري لوتمان السميائية**، عمان – الأردن، دار كنوز المعرفة، ط 1، 2018.

الجبوري، يحيى: **قصائد جاهلية نادرة**، بيروت، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1982.

حمـداوي، جميل: **الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)**، المملكة العربية السعودية، شبكة الألوكة، ط 1، 2015.

حمداوي، جميل: **النظرية الشكلانية في النقد والأدب والفن**، المملكة المغربية، أفريقيا الشرق، ط 1، (د. ت.).

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد: **مقدمة ابن خلدون**، تح: عبد الله محمد الدرويش، دمشق، دار يعرب، ط 1، 2004.

خليف، يوسف: **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**، مصر، دار المعارف، ط 3، 1978.

الدخيلي، حسين علي عبد الحسين: **الفضاء الشعري عند الشعراء اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي**، عمان - الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط 1، 2011.

الشنفرى: **ديوان الشنفرى، ويليه ديوانا السليك بن السلكة وعمرو بن برّاق،** إعداد وتقديم: طلال حرب، بيروت - لبنان، دار صادر للطباعة والنشر، ط 1، 1996.

صالح، هويدا: **الهامش الاجتماعي في الأدب - قراءة سوسيولوجية،** القاهرة، رؤية للنشر والتوزيع، 2015.

الضبي، المفضل: **المفضليات،** تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة، دار المعارف، ط 6، (د. ت.).

عروة بن الورد: **ديوان عروة بن الورد،** تح: محمد فؤاد نعناع، الكويت، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، والقاهرة، مكتبة الخانجي، ط 1، 1995.

فرحات، يوسف شكري: (شرح)، **ديوان الصعاليك،** بيروت، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، 2004.

القالي، إسماعيل بن القاسم: **الأمالي،** القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.

لوتمان، يوري: **سيمياء الكون،** تر: عبد المجيد نوسي، الدار البيضاء – المغرب وبيروت - لبنان، المركز الثقافي العربي، ط 1، 2001.

مان، ميشيل: **موسوعة العلوم الاجتماعية،** تر: عادل مختار الهواري، سعد عبد العزيز مصلوح، مصر، دار المعرفة الجامعية، 1999.

ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب،** بيروت، دار صادر، ط 1، 1997.

ثانيًا: الرسائل الجامعية:

الباح، دليلة: **المركز والهامش في أدب عيسى لحيلح،** (أطروحة دكتوراه)، بسكرة – الجزائر، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، 2015 - 2016.

كفافي، منذر ذيب كفافي: **صورة المرأة في شعر الصعاليك واللصوص حتى نهاية العصر الأموي،** (رسالة ماجستير)، إربد، جامعة اليرموك، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1998.

ثالثًا: مقالات في دوريات وكتب:

أوسبنسكي، ب. إ.؛ إيفانوف ف. ف.؛ بياتيجورسكي، أ. م.؛ توبوروف، ف. ن.؛ لوتمان، يوري: "نظريات حول الدراسة السيميوطيقية للثقافات (مطبقة على النصوص السلافية)"، تر: نصر

حامد أبو زيد، في: **"أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا"**، إشراف مشترك مع سيزا قاسم، ونصر حامد أبو زيد، القاهرة، دار إلياس العصرية، والدار البيضاء، دار عيون، 1987، ص 317 - 344.

بحراوي، حسن: "أدب محمد شكري من الهامشية إلى المركزية"، **مجلة علامات**، مكناس - المغرب، ع. 18، 2002، ص 9 - 14.

الباح، دليلة: "المركز والهامش مفهومه، أنواعه، جذوره"، **مجلة قراءات**، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة - الجزائر، ع. 4، 2012، ص 297 - 317.

بوزيدة، عبد القادر: "يوري لوتمان... مدرسة "تارتو – موسكو" وسيميائية الثقافة والنظم الدالة"، **عالم الفكر**، مج. 35، ع. 3، 2007، ص 183 - 200.

تبرماسين، عبد الرحمن؛ جيجخ، صورية: "إشكالية المركز والهامش في الأدب"، **مجلة المَخْبَر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري**، جامعة بسكرة - الجزائر، ع. 10، 2014، ص 27 - 38.

الجهاد، هلال محمد: "ظاهرة المرقبة في الوعي الشعري الجاهلي – دراسة في تطور التشكيل الجمالي والدلالة الرمزية"، **مجلة التربية والعلم**، مج. 14، ع. 2، قسم اللغة العربية، جامعة المرج، ليبيا، 2007، ص 73 - 102.

الحسين، أحمد: "أدب الفئات الهامشية في العصر العباسي"، **التراث العربي**، ع. 71 – 72، أبريل 1998، ص 69 - 79.

الدليمي، عبد الرزاق خليفة محمود: "المرقبة في الشعر الجاهلي". **المورد**، ع. 2، 2000، ص 5 - 16.

رحماني، علي؛ صالحي، ناجي: "الهوية وجدلية المركز والهامش في رواية نجمة لكاتب ياسين"، **مجلة المَخْبَر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري**، جامعة بسكرة - الجزائر، ع. 10، 2014، ص 155 - 167.

سليمة، خليل؛ هنية، مشقوق: "الأدب النسوي بين المركزية والتهميش"، **مجلة مقاليد**، ع. 2، 2011، ص 113 - 116.

هياجنة، محمود سليم: "خطاب تمرّد الأنا الذات والتسامي القيَمي، تأبّط شرًا، وعروة بن الورد نموذجا - قراءة نصية"، **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب**، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد - الأردن، مج. 15، ع. 1، نيسان 2018، ص 31 – 53.

يوسف، عبد الفتاح: سيميائيات الثقافة وتحليل الخطاب – سيميوزيس السلطة والذات في خطاب الإشادة، **فصول**، ع. 91 – 92، 2014 – 2015، ص 266 – 298.

رابعًا: المصادر الأجنبية:

Zaidi, Nishat: "Center/Margins Dialectics and the Poetic Form: The Ghazals of Agha Shahid Ali", Paper originally presented at a seminar on "Margins and Nation Spaces: The Aesthetics of Cultural Expression", University of Rajasthan, Jaipur, India 8-9 February, 2008.

خامسًا: المواقع الإلكترونية:

توفيق، مجدي أحمد: "أدب المهمشين"، **موقع جهة الشعر**، استرجع بتاريخ 10.9.2018، http://www.jehat.com/ar/JanatAltaaweel/drasatnadaryah/Pages/majdai a_tawfeeq.aspx، وقد تم الحصول على البحث من المؤلف مباشرة (جامعة الفيوم – مصر) بتاريخ 1.12.2018 كنسخة بي. دي. إف، وقد تمت الإشارة إلى الصفحات بناء على هذه النسخة.

لعلي، سعادة: "أدب الهامش... نغمة للغناء وأخرى للبكاء"، **أصوات الشمال**، مجلة عربية ثقافية اجتماعية، استرجع بتاريخ: 4 أغسطس 2018، ttp://www.aswat-elchamal.com/ar/?p=98&a=17311

مجناح، جمال: "جدل المفاهيم في موضوعة التهميش والمهمشين - قراءات تحليلية لمصطلح الهامش والمصطلحات المجاورة"، محاضرة إلكترونية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة - الجزائر، آذار 2017، ص ص 1 - 9. http://virtuelcampus.univ-msila.dz/fll/?p=4903

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 16 العدد 2، 2019، ص ص 559- 582

النقود العثمانيّة في لواء القدس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي

زهير غنايم غنايم وعثمان إسماعيل الطل *

تاريخ الاستلام 2019/2/25 تاريخ القبول 2019/3/27

ملخّص

يتناول هذا البحث النقود العثمانية التي كانت متداولة في لواء القدس في القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكانت هذه النقود على ثلاثة أنواع هي: النقود الذهبية التي تسمى السلطاني، والنقود الفضية ومنها الأقجة والبارة، والقطع الفضية السليمانية والدرهم ثم القروش، ومنها القروش العددية والقروش الأسدية.

الكلمات المفتاحية: السلطاني، الأقجة، البارة، الدرهم، القرش.

المقدّمة

أصدر السلاطين العثمانيون منذ قيام الدولة العثمانيّة العديد من النقود الذهبيّة والفضيّة والنحاسيّة، وغالبًا ما كانت هذه النقود تسك على نمط نقود الدول الإسلاميّة السابقة للعثمانيين، وخاصة نقود الدولة السلجوقية والدولة الفارسية والدولة المملوكية، أو على نمط نقود الدول الأوروبيّة، وكانت هذه النقود تتفاوت من حيث وزنها وكمية الذهب والفضة فيها، فقد تصدر بنسبة عالية من الذهب والفضة وبحجم معين ليُعاد صكها بعد ذلك بنسب أقل من هذين المعدنين وبوزن وحجم أقل من الأولى، الأمر الذي سبب إرباكًا في الحركة الاقتصاديّة وارتفاعا في الأسعار، وأدّى إلى الاحتجاجات بين السكان.

وقد انتشرت النقود العثمانية في فلسطين بعد سيطرة السلطان سليم الأول العثماني عليها بعد معركة مرج دابق عام 921 هـ/1516م، حيث كانت فلسطين في القرن الحادي عشر الهجري/ السادس عشر الميلادي تتكون من ألوية هي: القدس، ونابلس، وصفد، واللجون، وغزة، وتتبع جميعها لولاية الشام[1].

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2019.

* دائرة التاريخ، كليّة الآداب، جامعة القدس، القدس، فلسطين.

وقد اعتمدت الدراسة على سجلات محكمة القدس الشرعية التي كان يدون فيها مختلف القضايا الاقتصادية، مثل عمليات البيع والشراء، وتأجير الأراضي وتحصيل عائدات التيمار[2] (الإقطاع العسكري)، وكذلك كانت تسجل فيها الوصايا والإرث وعقود الزواج والطلاق، والمراسيم التي تصدر عن السلاطين وتخص لواء القدس.

أولا. النقود الذهبية (السلطاني)

بدأ العثمانيون بسك النقود الذهبية الخالصة التي أسموها حسنة أو سلطاني سنة 882هـ/1477م في زمن السلطان محمد بن مراد (855-886هـ/1480-1481م)، وقد بقي السلطاني ونقاؤه دون تغير حتى أواخر القرن السابع عشر الميلادي، وقد سك السلطاني على نمط ومقاييس الدوكا الذهبي الذي أصدرته مدينة البندقية الإيطالية في القرن الثالث عشر الميلادي[3].

واستمر سك السلطاني بعد ذلك من لدن السلاطين العثمانيين، فقد سك في زمن السلطان با يزيد الثاني (886-918هـ/1481-1512م)، وفي زمن السلطان سليم الأول (918-926هـ /1512-1520م) وعرف باسم سلطاني، وفي عهد السلطان مراد الرابع 1032هـ/1623م، وإبراهيم الأول 1049هـ/1640م وعرف بالشريفي[4].

وبعد سيطرة السلطان سليم الأول العثماني على مصر عام 922هـ/1517م بدأ بسك النقود الذهبية فيها على نمط النقد الذهبي المملوكي الذي كان يُعرف بالأشرفي[5].

وانتشر التعامل بالسلطاني في فلسطين بعد سيطرة العثمانيين على بلاد الشام عام 921هـ/1516م، واستخدم في المعاملات المالية والتجارية سواء في جباية الضرائب والرسوم أو في دفع الأجور، وفي عمليات البيع والشراء، وفي عمليات وقف النقود.

ذكر السلطاني في سجلات المحكمة الشرعيّة في القدس بتسميات مختلفة منها السلطاني الذهبي، وذكر مقترنًا باسم السلطان الذي أصدره، أو مقترنًا بصفات معينة مثل السلطاني الجديد، والسلطاني الذهب الطيب، والسلطاني التام الوزن والعيار.

1- السلطاني الذهبي

ذكر السلطاني مقرونًا بالذهبي في المعاملات المالية في سجلات المحكمة الشرعيّة في القدس، فقد وقف الشيخ عمر بن شيخ الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي اللطف 200 سلطاني ذهب[6]، وتزوج الحاج مسعود بن أحمد المغربي من زهرة بنت سعيد المغربي على مهر (صداق) قدره 16 سلطاني[7].

بينما اشترى القاضي شمس الدّين محمد بن ربيع بماله من محمد بن محمد المزاهري الجارية المدعوة غزال بنت عبدالله الحبشية بمبلغ 22 سلطاني ذهب[8]، وأمر الحاكم الشرعي تعيين إبراهيم بن محمود حلبي الشهير نسبه بابن ولي في وظيفة قراءة الجزء الشريف في كلّ يوم بالصخرة، بما لها من الأمر في كلّ سنة سلطاني ذهب[9]، وتزوج كريم بن موسى الأزعر ابنة عمه سعد الملوك على مهر قدره 65 سلطاني ذهب [10]، واشترى أحمد بن محمد الصيقلي النابلسي ثلث الدار الواقعة في القدس بمبلغ 13 سلطاني ذهب[11]، واشترى الخواجة غرس الدّين بن شمس الدّين الشهير بابن مجيج الحصة الشائعة وقدرها 5.5 قيراط[12] من المصبنة الواقعة في الرملة[13] بمبلغ 72 سلطاني ذهب[14].

2- السلطاني الجديد

وذكرت السجلات الشرعيّة السلطاني الذهبي الجديد بمعنى الذي سك حديثا ليتميز عن سابقه، فقد وقف فتح الله بن درويش محمد 200 سلطاني من الذهب السلطاني الجديد[15]. واشترى حسين جلبي بن نصوح جاويش الربع ستة قراريط في جميع الدار الواقعة في القدس بمبلغ 32 سلطاني من الذهب السلطاني الجديد[16].

وقد يقرن السلطاني بصفة الطيب بمعنى الكامل النقاء من الذهب، فقد استأجر عبد القادر بن علي المصري نصف المصبنتين في عقبة الظاهرية بالقدس لمدة ثلاث سنوات بأجرة مقدارها 100 سلطاني من الذهب السلطاني الطيب[17]، وفي أخرى وزع قدوة الأكابر محمد المتولي على وقف الوزير رستم باشا[18] 324 سلطاني من الذهب السلطاني الجديد الطيب، وهي أرباح النقود التي وقفها الوزير[19].

ويقرن السلطاني أحيانًا بالجديد معاملة تاريخه أي المتداول عند إصداره، فقد ترتب في ذمة بدر الدّين بن خليل بن عسيلة لجهة وقف محمد بك نائب صفد مبلغ 23 سلطاني من الذهب الجديد معاملة تاريخه[20].

وقد يقرن السلطاني بعبارة السلطاني الجديد التام الوزن؛ وذلك لتميزه عن الأنواع الأخرى من السلطاني الناقصة الوزن، فقد أقر حسن بك بلوك[21] باشي الينكرجيه[22] بدمشق الشام أنه قبض من بيرام جاويش بن مصطفى[23] 63 من الذهب السلطاني الجديد التام الوزن وهو بقية الخراج (الجزية)[24] الذي قبضه بيرام من نصارى القدس عن سنة 960هـ/1552م[25].

وجاء في حجة أخرى أن نصف قرية لفتا[26] الجارية في وقف سيف الدّين عيسى بن أبي القاسم الهكاري أجرت لمدة سنة بمقدار 17.5 من الذهب السلطاني الجديد التام الوزن السالم من العيب[27]. وقد يقرن السلطاني بعبارة السلطاني التام الوزن والعيار، فقد وقفت خديجة بنت

عيسى 20 سلطاني تام الوزن والعيار[28]، ووقف محمود بن نجم الدّين الغزي 50 سلطاني من الذهب السلطاني التام الوزن والعيار[29]، ويظهر من التأكيد على صفة التام الوزن والعيار والسالم من العيب عند ذكر السلطاني أن هناك أنواعا من هذه العملة التي يتداولونها كانت ناقصة الوزن والعيار.

كما ذكر السجل الشرعي السلطاني المرادي نسبة إلى السلطان مراد بن سليم الذي تولى العرش (982 – 1003 هـ/1574 – 1592م)[30] الذي كان يقرن بعبارة التام الوزن والعيار، فقد وقف حسن جلبي بن يوسف بك أحد السباهية[31] بالباب العالي[32] 30 سلطاني من الذهب العثماني المرادي التام الوزن والعيار[33]، ووقف فخر الأماجد أحمد جلبي بن درويش محمد من الزعماء بالباب العالي 30 سلطاني من الذهب السلطاني المرادي[34]، بينما وقفت بلقيس خاتون 170 سلطاني من الذهب السلطاني المرادي التام الوزن والعيار[35]، ووقف محمود بن الشيخ محمود بن نجم الدّين الغزي 50 سلطاني من الذهب السلطاني المرادي التام الوزن والعيار[36].

وكان السلطاني يُعرف أحيانًا باسم البلد الذي صك فيه، نحو: السلطاني المصري[37]، فقد وقف أبو الهدى بن الشيخ تاج الدّين بن داود 20 سلطاني مصري[38]، ووقف درويش بن محمد بن عبد الجبار 15 سلطاني مصري[39].

وفي حجة أخرى ذكر السلطاني الذهبي الإبراهيمي[40] والحلبي والدمشقي[41]، فقد وقف محمد أفندي بن إبراهيم الكاتب بالباب العالي تسعين سلطاني ذهب شريفي ومائة سلطاني من الذهب الإبراهيمي والحلبي والدمشقي[42].

ويظهر أن السلطاني الذهب اتخذ تسميات مختلفة تبعًا للسلطان الذي سك في عهده أو لشكله أو مكان سكه، أو تسميات محلية تبعا لشكله، ففي إحدى الحجج أن الإيرادات التي جمعها عبد الكريم آغا المتولي على أوقاف العمارة العامرة[43] من القرى الجارية في الوقف عليها كانت تتكون من 6205 سلطاني تام الوزن و26 دينار ذهب سليمي و8 دنانير ذهب أبو حلقه و9 دنانير ذهب خداوندكاري[44] شامي و12 دينار ذهب خداوندكاري حلق ودينار سلطاني مصري[45].

واستمر استعمال النقود الذهبية المملوكيّة في فلسطين في العصر العثماني، فيذكر خليل ساحل أن وحدة النقد الذهبي في مصر وسوريا أيام المماليك هي الأشرفية المنسوبة إلى كلّ من يسكها من السلاطين المماليك، كالأشرفية الغورية[46] والأشرفية القايتبانية[47].

وأوضحت السجلات الشرعيّة العملات المملوكيّة التي كانت مستخدمة في فلسطين في العصر العثماني، ففي إحدى الحجج أن عز الدّين بن موسى بن سكري ادعى على حسن بن سالم قرية

دير السد[48] ظاهر القدس أن والده أقرض المدعى عليه دينارين ذهب قايتباي عنها سبعون قطعة[49].

وفي حجة أخرى أن ما جمع من حاصلات أوقاف العمارة العامرة عام 927 هـ/1570م بلغ ستة عشر دينار ذهب طمباي[50] وخمسة عشر دينار ذهب قايتباي ودينار ذهب جقمق[51]، وفي حجة أخرى أن محمد بك السباهي بلواء الشام جمع 436 سلطاني ذهب دينار غوري وهو خراج الذمة بمدينتي الرملة وغزة[52].

وقد يقرن الذهب المملوكي بصفة السالم من العيب، فقد ادعت المرأة قمرا بنت أبي بكر بن الخواجا شمس الدّين محمد العنبوسي زوجة الحاج صلاح الدّين بن أبي اللطف بن داود أنها تستحق من زوجها مبلغًا قدره أربعين دينار ذهب قايتباي السالم من العيب[53].

ومن العملات الذهبية التي أشار إليها السجل الشرعي: القبرصي الذهبي الذي صك في جزيرة قبرص بعد سيطرة العثمانيين عليها، ففي إحدى الحجج أن الخواجا شمس الدّين محمد بن العقاد بن ارغون اشترى من ذياب بن محمد الهلس 5 قراريط من غراس العنب والتين الواقعة ظاهر القدس بمبلغ 7 قبارصة[54]. وفي حجة أخرى أن عبد الكريم خليفة بن حسين أجر لحمزة بن محمود جلبي ما هو بملكه جميع القبو[55] بخط باب الحديد بمبلغ عشرة قبارصة لمدة ثلاثين سنة[56].

بينما قبض إبراهيم بن محمد النقيب من محمد بن إبراهيم ما كان له بذمته مبلغ عشرة قبارصة ذهب[57]، بينما اشترى بيرام جاويش بن مصطفى جميع الدار الواقعة في القدس بمبلغ 250 قبرصي ذهب[58]. وجاء في حجة أخرى أن السلطاني القبرصي يساوي 40 قطعة (بارة) مصرية وهذا ما يظهر من الحجة التالية وفيها أنه استقرت مقاطعة أوقاف الحرم الخليلي في جبل نابلس وبني صعب[59] في عهدة الشيخ عبيد الداجوني عن واجب سنة 1002هـ/1594م بمبلغ 16 ألف قطعة مصرية بحساب 400 قبرصي معاملة مصر[60] وهذا يعني أن الذهب القبرصي يساوي 40 قطعة مصرية.

وورد في حجة أخرى أن المستفيدين من الصرة المصرية[61] في القدس وكلوا الشيخ صالح بن عبد الكريم في قبض علوفتهم (أجورهم) من الصرة المصرية التي قيمتها 883 سلطاني حسابًا عن كلّ سلطاني 40 قطعة مصرية التي كميتها بالقروش الأسدية 1077 قرشًا[62].

ثانيا. العملات الفضية

1- الأقجة

وهي أول نقد فضي عثماني، وقد سك في عهد السلطان عثمان بن أرطغرل عام 729 هـ/ 1301م على نمط الدرهم السلجوقي، وكانت تحتوي على نسبة 95% فضة، ثم صدرت بعد ذلك على شكل قطعة بأقجتين وأخرى بخمس أقجات في عهد السلطان أورخان بن عثمان سنة 727هـ/1326م، وفي عهد السلطان محمد الفاتح سكت الأقجة عام 874 هـ/ 1470م من فئة عشرة أقجات[63].

وقد خفض وزن الأقجة بعد ذلك عندما سكّت في عهد السلاطين العثمانيين الآخرين، ففي زمن السلطان سليم الثاني (974-982 هـ/ 1566-1574م) تم تخفيض الأقجة بعد تقطيع كلّ 100 درهم فضة إلى 490 أقجة، ثم قطع كلّ 100 درهم فضة إلى 533 أقجة، وخلال الفترة (991-993 هـ/ 1584-1586م) تم تقطيع 100 درهم إلى 800 أقجة، وتم تخفيض سعر الأقجة مقابل السلطاني الذهب من 60 أقجة إلى 120 أقجة بهدف زيادة دخل الدولة وذلك لنقص كميات الفضة التي واجهته الدولة، كما أنه يزيد مقدار الأقجة المتداولة بين الناس، ولكن ذلك يخفض القدرة الشرائية للأقجة ويزيد من ارتفاع أسعار السلع بالأقجة.

انتشر استخدام الأقجة في فلسطين منذ بداية الحكم العثماني، فكانت العملة المستخدمة في تقدير الرسوم والضرائب المفروضة في لواء القدس، فمثلاً كانت الرسوم والضرائب المفروضة على قرية برقا[64] سنة 970هـ/1562م تبلغ 4880 أقجة بينما كانت على قرية عين توت[65] في السنة نفسها تبلغ 1978 أقجة[66].

ووفقًا لسجلات المحكمة الشرعيّة في القدس، كانت الأقجة تسمى بالعثمانيّة، وتستخدم عند تحديد أجور العاملين بشكل يومي، فمثلاً كان شهاب الدّين بن القاضي شرف الدّين بن طهبوب يتولى وظيفة الأذان بحرم الخليل بما لها من المعلوم في كلّ يوم ثلاثة عثمانيّة[67]، وكان شهاب الدّين بن عيسى الشعار يتولى وظيفة دق الطبل في كلّ يوم عقب صلاة العصر بباب الخليل بما لها من المعلوم وقدره في كلّ يوم عثماني[68]، بينما كان شرف الدّين يحيى بن الشيخ عز الدّين محمد نسيبة الخزرجي يتولى وظيفة النقابة[69] بالعمارة العامرة بما لها من المعلوم وقدره خمسة عثمانيّة في كل يوم[70]. وكان الشيخ زين الدّين جابر بن شهاب الدّين أحمد الأنصاري يتولى وظيفة البوابة بباب الغوانمة في القدس بما لها من المعلوم عثمانيتان كلّ يوم[71]، وكانَ الشيخ موسى بن محمد العلمي يتولى وظيفة مرتب[72] بالرباط المنصوري[73] بما لها من المعلوم وقدره عثماني كلّ يوم[74].

2- البارة:

وهي من العملات الفضية التي سُكّت في مصر وأصدرها السلطان المملوكي أبو النصر المؤيد شيخ المحمودي في أوائل القرن الخامس عشر، وعُرفت مع مرور الوقت بالمدين أو النصف أو نصف الفضة، وقد أبقى العثمانيون على هذه العملة، وبمرور الوقت أخذت اسم البارة واستمرت في التداول في مصر حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي[75].

وقد عُرّف قانون نامة مصر البارة بأنها نقد فضي يحوي 16% من النحاس[76]. والفرق بين الأقجة والبارة هو كمية الفضة فيهما، فالبارة تحتوي مقدارًا أكبر من الفضة، وبذلك فهي تساوي 1.5 أقجة[77]، وقد تقلّب وزن البارة ونقاؤها خلال القرن السادس عشر الميلادي ومع ذلك فإن التدني في محتواها الفضي بقي محدودًا خلال هذا القرن، بينما تعرضت الأقجة في استانبول إلى تخفيض أساسي بحوالي 44% عام 993هـ/ 1585-1586م[78] وقد عرفت البارة أيضًا بالمصرية[79] واحيانًا بالقطع المصرية[80] ويذكر الصاوي أن البارة تدهورت وفقدت نصف قيمتها في عصر مراد الثاني 9920هـ/1584م نتيجة نقص غنائم الحرب وأدت إلى أزمة اقتصادية خفضت بسببها قيمة العملة الفضية من أجل أن تقوم الدولة بدفع رواتب الجنود والموظفين[81].

وشاع استخدام القطع المصرية (البارة) في القدس وغيرها من مناطق فلسطين، فقد كانَ الشيخ محمد شاهين يتولى وظيفة قراءة الجزء الشريف بما لها من المعلوم وقدره في كلّ سنة 200 مصرية[82]، بينما استأجر مصطفى بن محمد الإسكبلي الناظر على أوقاف المسجد الأقصى والصخرة جميع الربع العلوي من خان الفحم[83] الوقع في القدس لمدة ثلاثين سنة بمبلغ 30 قطعة مصرية عن كلّ سنة[84].

وكانت القطع المصرية تقرن أحيانًا بالديوانية، فقد اشترى الحاج محمد بن عبد القادر بن محمد الدمشقي قيراطين من الدار الواقعة في محلة النصارى في القدس بثمن قدره 320 قطعة من القطع الفضية المصرية الديوانية[85].

وقد تقرن القطع المصرية بحسابها ومقدارها بالسلطاني الذهب، فقد اشترى الخواجة أحمد بن عبد القدوس بن أبي اليسر جميع الحصة من الغراس العنب والتين القائم أصوله بأرض البقعة ظاهر القدس بمبلغ 800 قطعة من القطع الفضية الديوانية الجارية في المعاملة يوم تاريخه عنها بحساب الذهب السلطاني 20 سلطاني[86]، وهذا يعني أن السلطاني يساوي 40 بارة.

بينما استأجر عبد القادر بن شيخ الإسلام شرف الدّين أبي الوفا من سليمان بن محمد الخلوتي جميع قطعة الأرض في البقعة ظاهر القدس بمبلغ 1300 من القطع الفضية المصرية الجارية في المعاملة يوم تاريخه حسابًا عن كلّ سلطاني خمسون قطعة[87].

ويظهر أن التعامل بهذه القطع واختلاف قيمتها بعضها عن بعض سبب إشكاليات في التعامل المالي، فقد اشتكى القرّاء في الربعات المنسوب وقفها للسلطان سليمان القانوني المستقر قراءتها بالصخرة أن السلطان عيّن لهم علوفتهم (أجورهم) كلّ نفر منهم في كلّ يوم قطعة مصرية، وهم معتادون على ذلك منذ زمن الواقف من مدة خمسين سنة، وأن المتولي على الوقف يريد أن ينقص من علوفتهم ويدفع لهم بالقطع الشاميّة الجديدة، فاصدر الحاكم الشرعي أمرًا للمتولي بأن يدفع لهم بالقطع المصرية[88]، هذا يعني أن القطع الشامية أقل قيمة من قطع البارة المصرية؛ وذلك لانخفاض كمية الفضة فيها مقارنة مع البارة.

وجاء في حجة أخرى أن القرّاء في وقف عبد الله أفندي اشتكوا للحاكم الشرعي أن الواقف اشترط لكلّ واحد منهم أربع عثمانيّة، وأن المتولي يدفع لهم في كلّ سنة علوفتهم قطعًا مصرية وحلبية وشاميّة كلّ قطعة منها بعثمانيتين، بينما يدفع لهم الآن قطعًا مشرفية، وأن ذلك سبب سقوط علوفتهم[89].

ب- القطع الفضية السليمانيّة

وهي من العملات الفضية التي سكّت من لدن السلطان سليمان القانوني وعرفت باسمه[90]، واستخدمت في دفع مهور الزواج وتحديد النفقة للقصر، كما استخدمت في معاملات البيع والشراء، فقد تزوج الحاج علي بن محمد المصري بمخطوبته فاطمة بنت يوسف الغزي على مهر قدره 110 قطع فضية سليمانيّة[91]، بينما قرّر الحاكم الشرعي للإخوة القاصرين صلاح الدّين وصالحة وآمنة أولاد خليل بن محيي الدّين الحفار قطعة فضة سليمانيّة برسم نفقتهم وطعامهم[92]، بينما أجرّت الحرمة آمنة بنت الشيخ مناف الدّين أبي العباس أحمد الشهير بابن الفقيه الحنبلي جميع مساحة ظهر البيت السفلي العائد لها لمدة خمسين سنة بمبلغ 250 قطعة من القطع الفضية السليمانيّة عن كلّ سنة[93].

ثمّ إنّ مال الاحتساب[94] كان يتم جبايته بالقطع الفضية السليمانيّة، ففي إحدى الحجج أن جهان آغا بن مصطفى درزدار[95] قلعة القدس قبض من شهاب الدّين بن الزيني بن ميران محتسب القدس مبلغ 2042 قطعة من القطع الفضية السليمانيّة وهو ما في ذمته من مال مقاطعة الاحتساب في مدينة القدس[96].

وشاع في الاستخدام نصف القطعة الفضية السليمانيّة، فقد استأجر الجناب العالي الناصري من الشهابي أحمد العلائي علي الشهير بالكردي جميع الخان المعروف بالقطانيين لمدة سنة بأجرة مقدارها من الأنصاف الفضة السليمانيّة 500 نصف القطعة[97].

3- القطع الفضية الشاميّة

وهي من القطع الفضيّة البارة التي ضربت في دمشق، وتعادل ثلاثة أرباع البارة المصرية[98]، واستخدمت في المعاملات المالية في فلسطين، فقد وقف مصطفى بك بن أمير الأمراء محمود بن الشهيد أمير لواء القدس اثنين وسبعين سلطاني قطعًا شاميّة[99] وكان الشيخ محمد عفيف الدّين بن هبة الله الشهير نسبه بابن الديري يتولى وظيفة التصدير[100] بالمسجد الأقصى بما لها من المعلوم يوميًا أربع قطع شاميّة[101].

وقد استخدمت القطع الشاميّة في جمع ريع بعض أراضي القرى الوقف، ففي سنة 998هـ/1590م كان ريع قرية بيت صفافا[102] الجارية في وقف المدرسة المنجكية[103] 7630 قطعة شاميّة[104]. وقد اقترنت القطع الشاميّة أحيانًا بالشاميات الجدد لتميزها عن القطع الشامية التي سكّت سابقا، فقد قاطع الشيخ صلاح الدّين الجعبي المتولي على وقف البيمارستان (المستشفى) الصلاحي[105]، زكريا بن سيدي علي على ما يتحصل من أجرة خان الزيت[106] مع حكر قيان الزيت الجاري في الوقف المذكور بما جملته 70 سلطاني ذهب شاميات جدد[107]، بينما قاطع محمد جلبي بن عبد الرحمن أمين الخاص الشريف[108] بالقدس المعلم أحمد بن نجم الدّين الشامي على ما يتحصل من حسبة القدس وذمة النصارى (الجزية) لمدة سنة (1000هـ/1592م) بمبلغ 600 سلطاني بحساب القطع الشاميّة الجديدة[109].

وذكرت السجلات الشرعيّة أيضا القطع الشرفية، وفي إحداها أن محمد بن أبي راس من قرية سلوان كرب (حرث) الأرض التي استأجرها حسين بك مير لواء القدس ظاهر القدس بمبلغ 40 قطعة شرفية[110]، بينما باع سليمان جاويش المتولي على أوقاف العمارة العامرة الغلال المحصلة من قرى الوقف والمخزونة بحواصل اللد[111] سنة 999هـ/1591م على أساس أن كلّ سلطاني يساوي بحساب القطع الشرفية 120 قطعة وكلّ قطعة مصرية 120 قطعة شرفية[112].

4- الدرهم الفضي

وهو من العملات التي كانت تُسك في العراق على نمط العملة الفضية الفارسيّة الشاهي[113]، وقد استخدم الدرهم في المعاملات التجارية والمالية تحت اسم الدرهم العثماني، فقد وقفت بيمانة خاتون بنت عبد الله 60000 درهم فضي رائج عثماني[114]، بينما وقف بيرام بن مصطفى جاويش من أعيان الزعماء بلواء القدس 150 ألف درهم من الدراهم الفضية العثمانيّة[115].

وذكر الدرهم الفضي العثماني في عمليات تأجير الأراضي، فقد استأجر أبو العباس أحمد بن سعد الدّين محمد بن المهندس قرية دير السد الجارية في أوقاف الملك المعظم الأشرف عيسى الأيوبي بمبلغ 200 درهم[116] واستأجر مصطفى بن عبد الله اليسقجي[117] ربع قرية بيت

حنينا[118] الجاري في وقف الحرمين (المسجد الأقصى في القدس والمسجد الإبراهيمي في الخليل) بمبلغ 3000 درهم عثماني[119].

كما استخدمت الدراهم الفضية العثمانيّة في تحديد المهور، فقد تزوج ذيب بن حنلس من حليمة بنت أحمد بن حسن المرادي على مهر قدره 4000 درهم عثماني[120]، وتزوج الأمير جان بردي بن والي الدكري[121] السباهي بلواء غزة من ابنة الجمالي يوسف بن يعقوب الدكري على مهر مقداره 10 آلاف درهم عثماني[122].

وقد بقي وزن الشاهي ومحتواه مستقرين، وبعد تخفيض الأقجة عام 1585م-1586م تعرض الدرهم الشاهي لتخفيضات بالنسب نفسها[123].

وذكرت السجلات الشرعيّة عملات فضية أخرى؛ فذكرت المراشل الفضية الكبار والوسط والصغار، فقد جمع لحساب إيرادات التكية العامرة في القدس عام 977 هـ/1570م مراشل كبار ووسط وصغار فضة قيمتها 4057.5 قطعة[124].

ثالثا. العملات الأجنبية

أ- القرش الأسدي:

وهو القرش الفضي الهولندي، وسمي بذلك لأن صورة لأسد منقوشة على أحد وجهيه، واستخدم في الدولة العثمانية مع ازدياد التبادل التجاري مع هولندا في القرن السادس عشر الميلادي، واستخدم في المعاملات المالية في لواء القدس، فقد وقف محمد باشا المحافظ في القدس ألف قرش من القروش الأسدية الجارية في المعاملة يوم تاريخه كلّ قرش يعدل 30 قطعة فضية مصرية[125] ووقف استقامتي أحمد باشا 320 قرشًا أسديًا[126] ووقف الشيخ عطا الكوراني 100 قرش فضة أسدية[127].

وفي حجة أخرى أن علي آغا محضر باشي[128] في مدينة القدس قاطع[129] فخر أقرانه محمد بك بن مصطفى آغا الزعيم بمدينة القدس على ما يتحصل من قرية الولجة بمبلغ 600 قرش أسدي[130]. وتنازل عبد الله بك بن عبد الله عن التيمار الجاري في تصرفه لعبد الله بن عبد الكريم جوربجي مقابل 100 قرش أسدي[131].

وفي حجة أخرى ادعى سليمان بن محمد الطرابلسي أن له في ذمة عبد الله وإبراهيم مائة قرش أسدي، يعدل كلّ قرش منها 30 قطعة فضة مصرية[132]. وقد يقرن القرش الأسدي بالسلطاني؛ فقد وقف يحيى بن محمد أفندي الدفتردار بدمشق مبلغ 292.5 قرش بحساب

المعاملة الجارية يومئذ بدمشق الشام تعدل من الذهب المسبوك 150 سلطانيًا ومن القروش 225 قرشًا رائجًا[133].

ب- القرش العددي:

وهو من القروش الفضية الأجنبية التي استخدمت في التعامل في لواء القدس، ولم تحدد المصادر المتوفرة أصله وسبب التسمية، فمثلاً وقف الخواجة رجب شاه بندر بن الخواجة عوض مبلغ 170 قرشًا عددية[134]، ووقف سليمان بن حسين بن عبد الغني 50 قرشًا عدديّة[135]، بينما استأجر الشيخ محمد الخليلي[136] من عبد الكريم آغا المتولي على وقف المسجد الأقصى والصخرة جميع أرض قرية أريحا[137] لمدة تسعين سنة عن كلّ سنة 30 قرش عددية[138]. وتنازل يوسف بك بن عبد الله السباهي المقيم في القدس عمّا هو جار في تيماره في قرية إشوع[139] وقبض مقابل ذلك 800 قرش عددي[140].

وقاطع عقل بك متسلّم القدس محمد بك صوباشي[141] الوصي على أيتام علي بك على ما يتحصل من تيمارهما عن مدة ثلاث سنوات ببدل قدره 361 قرشًا عدديًا[142].

رابعا. النقود النحاسيّة

ضرب العثمانيون في عهد السلطان مراد الأول نقودا نحاسية لاستخدامها في عمليات الشراء المنخفضة القيمة، وعرفت باسم فلس ومنقور، وفي عام 1687م ضرب المنقور وطرح للتداول، وكان يزن نصف درهم[143].

وقد أوضحت السجلات الشرعيّة أنواع الفلوس النحاسيّة ومشكلات التعامل بها، وفي إحدى هذه الحجج أنه حضر إلى المحكمة الشرعيّة عدد من سكان القدس، ومعهم محتسب المدينة شهاب الدّين بن ميران واشتكوا من الفلوس المتعامل بها في المدينة؛ كونها تغيرت عن حالتها المتعامل بها سابقًا؛ لأنّ بعضها رصاص وحديد ومقصعة لا يمكن ضبطها لصغرها وخروجها عن حالتها الأولى، وأنّ بعض السوقة (عامة الناس) يتوقف عن أخذها والتبايع بها[144].

وورد في حجة أخرى أن علي جاويش المندوب من قبل أمير الأمراء قيطاس بك مير لواء القدس حضر إلى المحكمة الشرعيّة وصحبته نحاس مقصب[145] وسحاتيت[146] وأخبر أن الرعيّة تضرروا من المعاملة بهذه السحاتيت، فأحضر الحاكم الشرعي المحتسب أبو اليسر وأبلغه أنه من اليوم لا يتعامل إلا بالفلوس الحمر والسود المختومة، وأن النحاس والرصاص والسحاتيت باطله ولا يتعامل بها ويشهر النداء بذلك في الأسواق[147].

وكانت الدولة ممثلة بالحاكم الشرعي تحاول الحد من استخدام النقود النحاسيّة المزورة، وتحدد أسعار المستخدم لها، فقد جاء في إحدى الحجج الشرعيّة أنه لدى الحاكم الشرعي

وبحضور شهاب الدّين بن ميران محتسب القدس استقر سعر الفلوس الحمرا والسودا المختومة السالمة من الرصاص.... السحاتيت والمقطعات كلّ خمس جدد نصف درهم، ومن خالف ذلك وتعامل بالفلوس السحاتيت والرصاص والمقطعات كان مستحقًا التأديب[148].

الخاتمة

أصدر العثمانيون منذ قيام الدولة العثمانية العديد من النقود الذهبية والفضية والنحاسية، وقد سكّت هذه النقود على نمط النقود التي كانت متداولة في الدولتين السلجوقية والفارسية، كما أن العثمانيين سكوا نقودا على نمط النقود التي كانت متداولة في بعض الدول الأوروبية، لا سيما البندقية الإيطالية التي كانت ترتبط بعلاقات تجارية مع الدولة العثمانية، وبعد أن فتح العثمانيون مصر سكوا نقودا على نمط النقود التي كانت متداولة في الدولة المملوكية.

ويتميز نظام النقد العثماني المستخدم في لواء القدس بالتنوع وتعدد النقود التي أصدرها العثمانيون، سواء النقود الذهبية أو الفضية أو النحاسية، وكانت هذه النقود تختلف في وزنها وكميات الذهب والفضة فيها، فما كان يسك منها في إستانبول أو القاهرة كان يختلف عن تلك التي كانت تسك في دمشق أو حلب أو بغداد وغيرها من مناطق الدولة العثمانية، هذا إضافة إلى النقود الأوروبية التي انتشر استخدامها في مناطق الدولة.

إن اختلاف كمية الذهب والفضة في النقود المتداولة وتخفيض وزنها كانا يؤدّيان إلى انخفاض قيمتها الشرائية، وهذا ما كان يثير الاحتجاجات والاضطرابات بين السكان، وهو ما يفسر في أحيان كثيرة رفض البعض تلقي أجورهم ببعض أنواع العملات المتداولة، ومن ذلك أن القراء في الربعة المنسوب وقفها للسلطان سليمان القانوني في قبة الصخرة قد رفضوا قبض أجورهم بالقطع الشامية بدلا من البارة.

إن التنوع في النقود المتداولة في لواء القدس واختلاف وزنها والذهب فيها، لا سيما السلطاني، يظهر من خلال تأكيد صفاته، مثل السلطاني الجديد، والسلطاني التام الوزن والعيار، والسلطاني الخالي من العيب، وهذا يوضح بشكل أكيد أن السلطاني كان يختلف في وزنه وكمية الذهب فيه من سلطاني لآخر.

كما أن النقود الفضية المتداولة في اللواء مثل الأقجة والبارة والدرهم كانت تختلف في وزنها وكمية الفضة فيها؛ فتلك المسكوكة في مصر تختلف عن تلك التي تسك في حلب ودمشق وإستانبول، ولذلك فإن البعض لم يكن يقبل التعامل ببعض هذه النقود.

إن كل ذلك أثر على الأوضاع الاقتصادية للسكان في لواء القدس، وفي غيره من مناطق فلسطين، كما كان يؤثر سلبا على الأوضاع الاقتصادية والمالية للدولة العثمانية.

Ottoman Coins in the Jerusalem District in the Tenth Century AH / 16th Century AD 921-1111 AH/ 1516-1700 AD

Zuhear Ghanaiem and **Othman Al-Taal,** *Department of History, Faculty of Arts, Al-Quds University, Jerusalem, Palestine.*

Abstract

The paper deals with the Ottoman coins that were traded in Jerusalem Brigade in the 11th century AH / AD 16th century. This money was based on three types: the gold coin, which is called the Sultany and the silver coins which containes the Uqja, Barra, the silver Sulaimany coins, Dirham, Qurush which containes Al-Qurush Al-`Adaidiyay w Al-Qurush Al-Asadiyah.

Keywords. Al-Sultand, Al-Uqja, Al-Barra, Al-Dirahm, Al-Qirsh.

الهوامش

(1) بيات، فاضل، الدولة العثمانية في المجال العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1427 هـ/2007م، ص 220-226، عوض، عبد العزيز، الإدارة العثمانية في ولاية سورية. 1864-1914، القاهرة، ص 61-66.

(2) التيمار (الإقطاع العسكري). نظام جباية الرسوم والضرائب في الدولة العثمانية بحيث يعطى الجنود السباهية جباية الموارد المالية من الأراضي الزراعية بدل دفع الرواتب لهم. أنظر. لواء القدس الشريف من دفتر تحرير TD 131، دراسة وترجمة البخيت، محمد عدنان، السوارية، نوفان رجا، عمان، 1428هـ/2007م، ص 25-46؛ لواء القدس الشريف من دفتر مفصل لواء صفد والغزة (غزة) والقدس الشريف، من دفتر تحرير T.D 427؛ 923-934هـ/1525-1528م، دراسة وترجمة البخيت، محمد عدنان، السوارية، نوفان رجا، عمان، 1426هـ/2005م، ص 80-85، 159-328؛ صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانيّة، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1421هـ/2000م، ص 76.

(3) باموك، شوكت، التاريخ المالي للدولة العثمانيّة، ترجمة عبد اللطيف الحارس، بيروت، دار المدار الإسلاميّ، الطبعة الأولى، 1426 هـ/ 2005م، ص123؛ محمود، سيد محمد، النقود العثمانيّة، تاريخها، تطورها، مشكلاتها، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى 2003م، ص116؛ دونالد كواترت، إينالجك، خليل، (محرران)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانيّة (جزآن)، ترجمة عبد اللطيف الحارس، بيروت دار المدار الإسلاميّ، الطبعة الأولى 1428 هـ/ 2007م، ج2، ص747، 748.

(4) محمود، النقود العثمانيّة، ص116، الصاوي، أحمد السيد، نقود مصر العثمانيّة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421 هـ/ 2001م، ص22-50.

(5) محمود، النقود العثمانيّة، ص117، الصاوي، نقود، ص21، وص140، باموك، التاريخ المالي، ص121.

(6) سجلات محكمة القدس الشرعيّة، سجل16، ص417، أواسط ربيع الأول 995هـ/22 شباط 1587م.

(7) س ش ق، س27، ص201، رمضان 960هـ/25 آب 1553م.

(8) س ش ق، س27، ص130، 9 جمادي الأولى 960هـ/ 22 نيسان 1553م.

(9) س ش ق، س151، ص54، 15 محرم 1066هـ/ 13 تشرين الثاني 1655م.

(10) س ش ق، س27، ص61، 15 ربيع الثاني 960هـ/ 30 آذار 1553م.

(11) س ش ق، س27، ص50، 13 رجب 960هـ/ 24 حزيران 1553م.

(12) القيراط: وحدة مساحة استخدمها العثمانيون في حساب مساحة الأراضي والدور والمصابن والدكاكين وغيرها من الأبنية، حيث كانت تقسم بغض النظر عن مساحتها إلى 24 قيراطاً، هنتس، فالتر، المكاييل والأوزان الإسلاميّة، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، عمان، الجامعة الأردنيّة، 1970م، ص68.

(13) الرملة. مدينة تقع في وسط فلسطين، بنيت من قبل الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك عام 96 هـ/715م، وكانت في نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي مركزًا لناحية الرملة التي تتبع لواء غزة. Hutteroth, Historical, P. 151-156؛ لوباني، معجم، ص 120، 121.

(14) س ش ق، س27، ص81، 17 ربيع الثاني 960هـ/ 1 نيسان 1553م.

(15) س ش ق، س40، ص48، 17 شعبان 968هـ/ 20 أيار 1561م.

(16) س ش ق، س53، ص60، 26 رجب 977هـ/ 30 كانون الثاني 1570م.

(17) س ش ق، س53، ص543، 13 جمادى الأولى 978هـ/ 12 تشرين الأول 1570م.

(18) الوزير رستم باشا: (1500-1560م) من وزراء السلطان سليمان القانوني وتزوج ابنته، شيد مساجد عديدة في مناطق مختلفة من الدولة العثمانيّة، تاريخ وحضارة، نقله إلى العربية صالح سعداوي، إستانبول، 1999م/1419 هـ، ألف كتاب (تواريخ آل عثمان). أوغلي، كمال الدين إحسان، الدولة العثمانيّة، م2، ص713.

(19) س ش ق، س53، ص151، أواسط رمضان 977هـ/ 20 شباط 1570م.

(20) س ش ق، س53، ص341، 12 محرم 978هـ/ 15 حزيران 1570م.

(21) بلوك باشي: وهو قائد مجموعة من الجنود الإنكشارية يصل عددهم إلى حوالي سبعة جنود، الأنسي محمد علي، الدراري، اللامعات في منتخبات اللامعات، بيروت، الطبعة الأولى 1320هـ/ 1902م،

ص117. اليعقوب، محمد سليم، ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، عمان، منشورات البنك الأهلي، الطبعة الأولى 1419هـ/1999م، ج1، ص220.

(22) الينكجرية: الينكجري: وهو ضابط في الجيش الإنكشاري، أوغلي، الدولة العثمانيّة، ج1، ص385.؛ حلاق، حسان، صباغ، عباس، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1999م، ص 226، 237.

(23) بيرام جاويش بن مصطفى: من زعماء السباهية بلواء القدس، كان يمتلك أراضي قرى صبحان وطفا وحصة من أراضي قرية دير بني شجاع التابعة جميعها لمدينة غزة ووقف هذه الأراضي على نفسه وذريته، س ش ق، س53، ص549، 550، ربيع الآخر 978هـ/ أيلول، 1570م؛ العسلي جميل كامل، وثائق مقدسيّة تاريخيّة، مجلد3، عمان، الطبعة الأولى 1989م، ص122، وثيقة 90.

(24) استخدمت السجلات الشرعية في محكمة القدس في الفترة العثمانية مصطلح الخراج بدلا من مصطلح الجزية.

(25) س ش ق، س27، ص252، 3 محرم 961هـ/ 8 كانون الأول 961هـ.

(26) لفتا: من القرى الواقعة إلى الشمال الغربي من القدس، كانت تضم في أوائل القرن السادس عشر 21 خانة، كانت 6 قراريط من أراضيها وقفًا على الفقيه المجاهد ضياء الدّين أبو محمد عيسى بن محمد الهكاري أحد المقربين من صلاح الدّين الأيوبي، لواء القدس الشريف، من دفتر مفصل لواء صفد والغزة (غزة) والقدس الشريف، من دفتر 427، ص184، 183؛ اليعقوب، ناحية، ج1، ص31.

(27) س ش ق، س53، ص224، 5 ذي القعدة 977هـ/ 10 نيسان 1570م.

(28) س ش ق، س72، ص376، أوائل ذي القعدة 999هـ/ 20 آب 1591م.

(29) س ش ق، س75، ص46، أوائل ربيع الثاني 1000هـ/ 15 كانون الثاني 1592م.

(30) السلطاني المرادي: وهو السلطاني الذي سك في حكم السلطان مراد بن سليم (982-1003هـ/1574-1595م)، الصاوي، نقود مصر العثمانية، ص33-36.

(31) السباهية: الجنود الفرسان في الدولة العثمانيّة، وكانوا يقطعون الأراضي الزراعيّة تيمارات لهم يقومون بجباية الرسوم والضرائب منها بدلاً من دفع الرواتب لهم وكانوا على فئتين: السباهي الذي تصل موارده من أقطاعه 19,999 أقجة، والزعيم الذي تتراوح موارده ما بين 2000 أقجة إلى 19999 أقجة، أوغلي، الدولة العثمانيّة، ج1، ص399، صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانيّة، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1421هـ/2000م، ص132؛ صباغ، حلاق، المعجم الجامع، ص111.

(32) الباب العالي: وهو مصطلح أطلق على مقر الحكومة العثمانيّة (الصدر الأعظم)، أوغلي، الدولة العثمانيّة، ج1، ص206-210؛ صباغ، حلاق، المعجم الجامع، ص 31.

(33) س ش ق، س72، ص372، 11 شوال 991هـ/ 27 تشرين الأول 1583م.

(34) س ش ق، س72، ص347، 11 شوال 999هـ/ 22 تموز 1591م.

(35) س ش ق، س72، ص426، 7 محرم 1000هـ/ 4 كانون الثاني 1592م.

(36) س ش ق، س75، ص46، أوائل ربيع الثاني 1000هـ/ 15 كانون الثاني 1592م.

(37) سك السلاطين العثمانيون بعد فتح مصر عام 922 هـ/ 1517م السلطاني فيها على نفس نمط النقود الذهبية التي أصدرها السلاطين المماليك والتي سكت على أساس دوكا البندقية الإيطالية، وقد عُرف السلطاني الذي تم سكه في مصر باسم الشريفي، والذي أطلق على النقود الذهبية التي كانت تصدر في مصر أيام المماليك. الصاوي، نقود، ص140، 60، 61، محمود، النقود العثمانية، ص21.

(38) س ش ق، س77، ص557، أواسط رجب 1004هـ/ 13 آذار 1596م.

(39) س ش ق، س80، ص389، أوائل ذي الحجة 1010هـ/ 22 أيار 1602م.

(40) الإبراهيمي: وهو السلطاني الذي صك في زمن السلطان إبراهيم بن أحمد (1049-1058هـ/1639-1648م)، الصاوي، نقود، ص41-42.

(41) وقد أطلقت تسمية السلطاني الحلبي أو الدمشقي على السلطاني الذي كان يسك في حلب ودمشق، وسكّت مثل هذه النقود في زمن السلطان سليم الأول 924هـ/1518م، وفي زمن السلطان سليمان القانوني سنة 925هـ/1519م. محمود، النقود، ص117.

(42) س ش ق، س127، ص606، أواخر ذي القعدة 1048هـ/30 نيسان 1639م.

(43) العمارة العامرة. تكية خاصكي سلطان، أمرت ببنائها روكسلانة زوجة السلطان سليمان القانوني في القدس عام 964 هـ/1556م لتقديم المأوى والطعام لفقراء المدينة، اليعقوب، ج 1، ص 294، 250، المهتدي، عبلة، أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني، دار مجدلاوي، 2005م، ص 323-383.

(44) الخداوندكار: ولقب خداوندكار أطلق على السلطان مراد الأول (مراد خداوندكار). الخداوندكار: الآمر أو الحاكم. الأنسي، ص230؛ صباغ، حلاق، المعجم الجامع، ص 80.

(45) س ش ق، س53، ص225، 6 ذي القعدة 977هـ/11 نيسان 1570م.

(46) النقود الذهبية التي أصدرها السلطان قانصورة المملوكي الغوري بين عامي 906هـ-922 هـ/1501-1516م، وقتل في معركة مرج دابق؛ الصاوي، نقود، ص143؛ الغزي، محمد بن محمد، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418 هـ/ 1991م، مج 3، ص 295-298.

(47) باموك، التاريخ المالي، ص121، إينالجك، التاريخ الاقتصادي، ج2، ص751، 752. الأشرفية القايتبانية: النقود الذهبية التي سكت في عهد السلطان المملوكي الأشرف قايتباي (872-901هـ/ 1467 - 1496م)، الصاوي، نقود، ص142.

(48) دير السد. تقع إلى الشمال الشرقي من القدس، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 23، وقفها المعظم عيسى الأيوبي على المدرسة المعظمية في القدس، دفتر 427، ص 270.

(49) س ش ق، س53، ص559، 8 جمادي الثاني 978هـ/4 تشرين الثاني 1571م.

(50) ذهب طمباي: نسبة إلى السلطان طومان باي المملوكي الذي حكم مرتين: الأولى 906 هـ/1501م لمدة مئة يوم، والثانية في الفترة ما بين عامي 922-923 هـ/1516-1517م بعد مقتل السلطان قانصوة بن إياس، محمد بن أحمد الغوري، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1404 هـ/1984م، ج 5، ص 102-174.

(51) س ش ق، س53، ص225، 6 ذي القعدة 977هـ/11 نيسان 1570م. ذهب جقمق: النقد الذهبي الذي سكه السلطان المملوكي الظاهر أبي سعيد جقمق الذي ضرب بين عامي 842-857هـ، الصاوي، نقود، ص142.

(52) س ش ق، س27، ص1، 3 رجب 966هـ/10 نيسان 1559م.

(53) س ش ق، س27، ص113، 9 جمادي الأولى 960هـ/20 حزيران 1553م.

(54) س ش، س27، ص168، 16 جمادي الثانية 960هـ/29 أيار 1553م.

(55) القبو. البناء المعقود بعضه ويكون عادة تحت البناية، البرغوثي، عبد اللطيف، القاموس الشعبي الفلسطيني، 3 أجزاء، البيرة، مركز التراث الفلسطيني، ج3، ص 40.

(56) س ش، س27، ص36، 6 رجب 960هـ/ 17 حزيران 1553م.

(57) س ش، س27، ص25، 10 رجب 960هـ/ 21 حزيران 1553م.

(58) س ش ق، س27، ص5، 6، أواخر رجب 960هـ/ 10 أيار 1553م.

(59) بني صعب: وهو أحد الأقضية التي كانت تتبع لواء نابلس. سجلات محكمة نابلس الشرعية، سجل، 3، ص 416، 25 جمادى الأولى 1100 هـ/ 6 أذار 1688م، النمر، إحسان، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، الطبعة الثانية، 1395 هـ/ 1975م، ج 2، ص 42؛ Hutteroth, Historical, P. 139, 140

(60) س ش ق، س75، ص526، شهر رمضان 1002هـ/أيار 1594م.

(61) الصرة المصرية: مبلغ مالي كان يأتي من مصر ليُنفق على أهالي القدس.

س ش ق، س160، ص130، ختام رمضان 1071هـ/ختام نيسان 1661م.

(62) س ش ق، س160، ص130، ختام رمضان 1071هـ/20 أيار 1594م.

(63) باموك، التاريخ المالي، ص102، 103 وص104-113، الصاوي، نقود، ص13، إينالجك، التاريخ، ج2، ص743-744، محمود، النقود، ص31-36.

(64) برقا: تقع إلى الشمال من القدس، وكانت في عام 1005هـ/1596م تضم 28 خانة (منزل)، لواء القدس الشريف، دفتر مفصل T.D515 ، (1005هـ/1596-1597م)، دراسة وتحليل وترجمة البخيت، محمد عدنان، السوارية، نوفان رجا، عمان، 1433هـ/2012م، ص284.

(65) عين توت، تقع إلى الغرب من القدس، كانت في عام 1005هـ/1596م، تضم 7 خانات. دفتر515، ص304، اليعقوب، ناحية، ص28.

(66) لواء القدس الشريف من دفتر مفصل 516 أ سT.D، دراسة وتحقيق البخيت، محمد عدنان، السوارية، نوفان، عمان، 1432هـ/2011 م، ص248، وص264.

(67) س ش ق، س53، ص608، 5 رجب 978هـ/ 2 كانون الأول 1570م.

(68) س ش ق، س53، ص599، 19 جمادي الأولى 978هـ/ 18 تشرين الأول 1570م.

(69) النقابة (النقيب). مصطلح أطلق على من يشرف على الخدمات التي تقدم في التكية العامرة، فقد كان فيها مثلا نقيب للحم والطعام وآخر للخبز. س ش ق، س 270، ص 18-24؛ أواسط شعبان 964-هـ/ أواسط حزيران 1557م.

(70) س ش ق، س53، ص165، 12 رمضان 977هـ/ 17 شباط 1570م.

(71) س ش ق، س37، ص151، 9 صفر 997هـ/ 23 تموز 1569م.

(72) المرتب.

(73) الرباط المنصور. يقع في باب الناظر وقد وقفه الملك المنصور قلاوون الأيوبي الصالحي سنة 681 هـ/1284م. اليعقوب، ناحية القدس، ص 354.

(74) س ش ق، س53، ص72، غاية رجب 977هـ/7 كانون الثاني 1570م.

(75) إينالجك، التاريخ، ج2، ص753، أوغلي، الدولة العثمانيّة، ج1، ص663، باموك، التاريخ المالي، ص183، خليل ساحلي أوغلو، النقود في البلاد العربيّة في العهد العثماني من كتاب (من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني (إستانبول، 2000م)، ص 219؛ باموك، التاريخ المالي، ص183 وص190.

(76) أوغلي، النقود، ص220.

(77) أوغلي، النقود، ص221، باموك، التاريخ المالي، ص184.

(78) باموك، التاريخ المالي، ص185.

(79) الكرملي، النقود، ص211، 212.

(80) س ش ق، س91، ص308، غرة محرم 1019هـ/ 25 آذار 1610م.

(81) الصاوي، نقود، ص86.

(82) س ش ق، س91، ص308، غرة محرم 1019هـ/ 25 آذار 1610م.

(83) خان الفحم. يقع في باب سوق القطانين، وهو من الأبنية الموقوفة على المسجد الأقصى. اليعقوب، ناحية القدس، ج 12، ص 452.

(84) س ش ق، س191، ص431، 5 ربيع الأول 1020هـ /17 أيار 1611م.

(85) س ش ق، س75، ص3، 14 محرم 1000هـ/ 31 تشرين الأول 1591م.

(86) س ش ق، س75، ص83، 20 رمضان 1000هـ/ 11 حزيران 1592م.

(87) س ش ق، س75، ص17، 20 ربيع الأول 1000هـ/ 4 كانون الثاني 1592م.

(88) الوثائق الوقفية والإدارية للحرم الشريف، إعداد زهير غنايم، ومحمود الأشقر، منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، عمان، 1427 هـ/ 2006م)، ج1، ص28، 29.

(89) س ش ق، س71، ص160، 10 جمادي الأولى 997هـ/ 28 آذار 1589م.

(90) الصاوي، نقود، ص87.

(91) س ش ق، س53، ص224، أوائل ذي القعدة 977هـ/ 10 أيلول 1589م.

(92) س ش ق، س53، ص289، 7 ذي الحجة 977هـ/ 16 تشرين الأول 1589.

(93) س ش ق، س53، ص12، 13، 14 جمادي الأولى 977هـ/ 24 تشرين الأول 1569م.

(94) مال الاحتساب. رسوم الاحتساب التي كانت تجبى على الرسوم والسلع التي تباع في الأسواق مثل الخضار والزيت والحبوب، س ش ق، س 75، ص 413، أوائل ذي الحجة 1001 هـ/ 29 تموز 1591 م، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 139، 140؛ صباغ، حلاق، المعجم الجامع، ص 16.

(95) الدرزدار: وهو من يتولى شؤون القلعة في القدس. اليعقوب، ج1، ص219.

(96) س ش ق، س53، 491، 20 ربيع الأول 978هـ/ 21 آب 1570م.

(97) س ش ق، س53، ص81، 4 رجب 977هـ/ 12 كانون الأول 1569م.

(98) بامكوك، التاريخ المالي، ص 183-187 وص 192.

(99) س ش ق، س71، ص65، غرة محرم 995هـ/ 11 أيلول 1586م.

(100) التصدير. من الوظائف الدينية في المسجد الأقصى في العصر العثماني، حيث يتصدر صاحبها التدريس وغيرها من الوظائف مثل الخطابة والإمامة. س ش ق، س 67، ص 105، 13 ذي الحجة 995 هـ/ 15 تشرين الأول 1587م؛ س ش ق، س 104؛ ص 544، 11 ربيع الأول 1030 هـ/ 25 كانون الثاني 1622م.

(101) س ش ق، س151، ص37، غرة محرم 1066هـ/ 30 تشرين الأول 1655م.

(102) بيت صفافا. تقع إلى الشرق من القدس.، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 18.

(103) المدرسة المنجكية. تنسب إلى واقفها الأمير سيف الدين منجك اليوسفي الناصري المتوفي سنة 776 هـ/ 1374م، وتقع في القدس في باب الناظر. العليمي الخليلي، مدير الدين، الأنس الجليل

بتاريخ القدس والخليل (منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1430 هـ/2009م)، ج 2 ص 377؛ عبد المهدي، عبد الجليل، المدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكي، عمان، مكتبة الأقصى، 1981م،، ج 2، ص 76-82.

(104) س ش ق، س75، ص181، أوائل ربيع الأول 1001هـ/5 كانون الأول 1592م.

(105) البيمارستان الصلاحي. شيده صلاح الدين الأيوبي في القدس إلى الجنوب من كنيسة القيامة في حارة النصارى سنة 585 هـ/1192م، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 247، 248، عبد المهدي، المدارس، ج 2، ص 343-350.

(106) خان الزيت. يقع في خط سوق الزيت إلى الغرب من عقبة الست في خط وادي الطواحين، اليعقوب، ناحية القدس، ج 2، ص 451.

(107) س ش ق، س75، ص208، 19 ربيع الثاني 1001هـ/ 23 كانون الأول 1592م.

(108) أمين الخاص الشريف. من يتولى جباية الرسوم والضرائب في القرى والمزارع الجارية في الخاص السلطاني (الهمايوني)، س ش ق، س 53، ص 212، 15 شعبان 978 هـ/ 12 كانون الثاني 1571م.

(109) س ش ق، س75، ص8، 20 ذي الحجة 1000هـ/ 26 أيلول 1592م.

(110) اللد. تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة يافا، كانت تضم في نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي 498 خانة، لوباني، معجم ص 242، 243؛ Hutteroth, Historical, P. 154

(111) س ش ق، س151، ص37، غرة محرم 1066هـ/ 30 تشرين الأول 1655م.

(112) س ش ق، س75، ص260، 5 شعبان 1001هـ/ 6 أيار 1593م.

(113) إينالجك، التاريخ، ج2، ص753، 765، 766، باموك، التاريخ المالي، 195-200.

(114) س ش ق، س46، ص471، أوائل محرم 994هـ/ 22 كانون الأول 1585م.

(115) س ش ق، س17، ص127، 15 جمادي الأولى 950هـ/ 15 آب 1583م.

(116) س ش ق، س27، ص10، 19 محرم 950هـ/ 23 نيسان 1543م.

(117) اليسقجي. القواس الذي يقدم خدماته للولاة والحكام. صباغ، حلاق، المعجم الجامع، ص 235.

(118) بيت حنينا. تقع إلى الشمال الغربي من القدس على مسافة 7 كم، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 17؛ لوباني، معجم، ص 34.

(119) س ش ق، س27، ص35، 15 ربيع الأول 960هـ/ 28 شباط 1553م.

(120) س ش ق، س27، ص196، 12 ذي القعدة 960هـ/ 19 تشرين الأول 1553م.

(121) الأمير جان بردي بن والي الدكري. ابن الأمير والي بن نصر الدكري توفي 940 هـ/1533م ودفن في تربة الساهرة، كانت حصص مختلفة من أراضي قرية بيت سوسين وكفر مالك والبيرة وقلنديا

والرام وجبع وحزما وبيت ساحور النصارى وقف عليه وعلى أسرته. لواء القدس الشريف من دفتر تحرير T.D 1015، 945 هـ/1538-1539م، دراسة وتحقيق البخيت، محمد عثمان، السوارية، نوفان رجا، عمان 1432 هـ/2011م، ص 205-206، ودفتر 427، ص 263؛ لواء القدس الشريف من دفتر مفصل 516 أ سT.D، دراسة وتحقيق البخيت، محمد عدنان، السوارية، نوفان رجا، عمان، 1432هـ/2011 م، ص 300.

(122) س ش ق، س27، ص184، 8 ذي القعدة 960هـ/ 15 تشرين الأول 1553م.

(123 باموك، التاريخ المالي، ص199.

(124) س ش ق، س53، ص225، 6 ذي القعدة 977هـ/ 11 نيسان 1570م.

(125) س ش ق، س131، ص232-236، سنة 1045هـ/ 16 حزيران 1635م.

(126) س ش ق، س113، ص639، 640، 15 شعبان 1037هـ/ 1 كانون الثاني 1638م.

(127) س ش ق، س94، ص193، 3 صفر 1022هـ/ 24 آذار 1613م.

(128) محضر باشي. هو رئيس المحضرين في المحكمة ومهمتهم إحضار المطلوبين إلى المحكمة بتاء على طلب القاضي. اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 234.

(129) قاطع (مقاطعة). وهي اتفاق بين صاحب التيمار وأحد الأشخاص على أن يقوم المقطع له بجباية مال الرسوم والضرائب من التيمار نيابة عنه، س ش ق 53، ص 417، 18 صفر 978 هـ/ 22 تموز 1570م. صابان، المعجم، ص 35، أوغلي، الدولة العثمانية، ج 1، ص 270-272.

(130) س ش ق، س155، ص83، 20 ربيع الأول 1068هـ/ 25 كانون الأول 1657م.

(131) س ش ق، س113، ص133، ذي القعدة 1103هـ/ حزيران 1692م.

(132) س ش ق، س103، ص439، 9 جمادي الأولى 1030هـ/ 31 آذار 1621م.

(133) س ش ق، س75، ص520، 521، 3 محرم 1002هـ/ 28 كانون الأول 1593م.

(134) س ش ق، س193، ص302، 14 ربيع الثاني 1103هـ/ 3 كانون الثاني 1692م.

(135) س ش ق، س187، ص131، 15 رمضان 1066هـ/ 6 تموز 1656م.

(136) الشيخ محمد الخليلي. ولد في مدينة الخليل ودرس على عدد من العلماء فيها وفي القدس، أقام في القدس ودرس عليه عدد من الفقهاء والشيوخ، وله العديد من الفتاوى ومكتبة باسمه في القدس (ت. 1147 هـ./1734م). انظر ترجمة حياته في كتاب تاريخ القدس والخليل، الخليلي، ص 3-44.

(137) أريحا: تقع على مسافة 35 كم إلى الشرق من القدس في منطقة الغور. اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 15.

(138) س ش ق، س208، ص15، 16، غرة ربيع الثاني 1125هـ/ 26 نيسان 1713م.

(139) إشوع : (بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح ثالثه)، تقع على بعد 21 كم إلى الغرب من القدس، وقوم على مدينة (اشتأول) الكنعانية، انظر: الدباغ، بلادنا، ج **8**، ق **2**، ص **140–141**.

(140) س ش ق، س114، ص104، 2 جمادي الأولى 1104هـ/ 9 كانون الثاني 1690م.

(141) الصوباشي. يتولى المحافظة على الأمن والتحقيق في الجرائم إلى جانب أمير اللواء. س ش ق، س 37، ص 5 رجب 966 هـ/ 13 نيسان 1559م، اليعقوب، ناحية، ج 1، ص 203-216.

(142) س ش ق، س53، ص417، 18 صفر 978هـ/ 22 تموز 1571م.

(143) أوغلي، الدولة العثمانيّة، ج1، ص665.

(144) س ش ق، س53، ص14، 24 جمادي الأولى 977هـ/ 9 نيسان 1589م.

(145) المقصب. لم تعَرف به المصادر التاريخية.

(146) السحتوت. ذكر أن قيمته كانت تساوي 5 بارات ولكن فقد قيمته. الكرملي، النقود، ص 106، 193.

(147) س ش ق، س37، ص 121، جمادي الثاني 996هـ/ 1 أيار 1588م.

(148) س ش ق، س53، ص289، 7 ذي الحجة 977هـ/ س ش ق، س37، ص227، 11 رجب 966هـ.

المصادر والمراجع

أولا: السجلات الشرعية:

1- سجلات محكمة القدس الشرعية: سجل. 1، 2، 17، 20، 27، 37، 40، 46، 53، 71، 72، 75، 77، 80، 91، 103، 104، 113، 114، 131، 151، 155، 187، 193، 208، 270، 273.

2- سجلات محكمة نابلس الشرعية: سجل 2، سجل 3.

ثانيا: دفاتر التحرير العثمانية:

- دفتر مفصل لواء صفد والغزة (غزة) والقدس الشريف، من دفتر تحرير T.D 427؛ 923-934هـ/1525-1528م، وترجمة البخيت، محمد عدنان، السوارية، نوفان رجا، عمان، 1426هـ/2005 م.
- لواء القدس الشريف من دفتر مفصل T.D515، (1005هـ/1596-1597م)، دراسة وتحقيق البخيت، محمد عدنان، السوارية، نوفان رجا، عمان، 1433هـ/ 2012 م.

- لواء القدس الشريف من دفتر مفصل 516 أ سT.D، دراسة وتحقيق البخيت، محمد عدنان، السوارية، نوفان رجا، عمان، 1432هـ/2011 م.
- لواء القدس الشريف من دفتر تحرير 1015 T.D، 945هـ/ 1538-1539م، دراسة وتحقيق البخيت، محمد عدنان، السوارية، نوفان رجا، عمان 1432 هـ/ 2011 م.

ثالثا: المصادر والمراجع:

الأنسي، محمد علي، **الدراري اللامعات في منتخبات اللامعات**، بيروت، الطبعة الأولى 1320هـ/ 1902م.

أوغلي، كمال الدين إحسان، **الدولة العثمانيّة، تاريخ وحضارة**، نقله إلى العربية صالح سعداوي، إستانبول، 1999م/ 1419 هـ، م2.

أوغلي، خليل ساحلي، **النقود في البلاد العربيّة في العهد العثماني من كتاب من تاريخ الأقطار العربية في العهد العثماني**، إستانبول، 2000م.

ابن إياس، محمد بن أحمد الغوري، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1404 هـ/ 1984م.

باموك، شوكت، **التاريخ المالي للدولة العثمانيّة**، ترجمة عبد اللطيف الحارس، بيروت، دار المدار الإسلاميّ، الطبعة الأولى، 1426 هـ/ 2005 م.

البرغوثي، عبد اللطيف، **القاموس الشعبي الفلسطيني**، البيرة، مركز التراث الفلسطيني.

بيات، فاضل، **الدولة العثمانية في المجال العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1427 هـ/2007 م.

حلاق، حسان، صباغ عباس، **المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية**، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1999م.

الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، في ديار بيت المقدس، دار الهدى، كفر قرع، الجزء الثامن – القسم الثاني، 1991م.

دونالد كواترت، إينالجك، خليل، (محرران)، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانيّة**، ترجمة عبد اللطيف الحارس، بيروت، دار المدار الإسلاميّ، الطبعة الأولى 1428هـ/ 2007م.

الصاوي، أحمد السيد، **نقود مصر العثمانيّة**، القاهرة، الطبعة الأولى، 1421هـ/ 2001م.

صابان، سهيل، **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانيّة**، مراجعة عبد الرزاق محمد حسن بركات، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، 1421هـ/2000م.

عبد المهدي، عبد الجليل، **الدارس في بيت المدارس في العصرين الأيوبي والمملوكي**، عمان، مكتبة الأقصى، 1981م.

العسلي، جميل كامل، **وثائق مقدسيّة تاريخيّة**، مجلد3، عمان، الطبعة الأولى 1989م.

العليمي، مجير الدين الحنبلي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1430هـ/ 2009م.

عوض، عبد العزيز، **الإدارة العثمانية في ولاية سورية**. 1864 - 1914، القاهرة.

الغزي، محمد بن محمد، **الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، تحقيق خليل المنصور، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1418 هـ/ 1991م.

غنايم، زهير والأشقر، محمود، **الوثائق الوقفية والإدارية للحرم الشريف**، منشورات اللجنة الملكية لشؤون القدس، عمان، 1427 هـ/ 2006 م.

النمر، إحسان، **تاريخ جبل نابلس والبلقاء**، الطبعة الثانية، 1395هـ/ 1975م.

محمود، سيد محمد، **النقود العثمانيّة، تاريخها، تطورها، مشكلاتها**، القاهرة، مكتبة الآداب، الطبعة الأولى 2003 م.

المهتدي، عبلة، **أوقاف القدس في زمن الانتداب البريطاني**، دار مجدلاوي، 2005م.

هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلاميّة**، ترجمه عن الألمانية كامل العسلي، عمان، الجامعة الأردنيّة، 1970 م.

اليعقوب، محمد سليم، **ناحية القدس الشريف في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي**، عمان، منشورات البنك الأهلي، الطبعة الأولى، 1999هـ/ 1591م.

رابعا: المراجع الأجنبية:

Hutteroth, Wolf-Dieter. Abdulfattah, Kamal. *Historical Geography of Palestine, Transajordan and Southern Syria in the Late 16th Century*, Erlangen 1977.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 16 العدد 2، 2019، ص ص 583- 600

الحياة الاقتصادية لليهود في مدينة القدس في ضوء سجلات المحكمة الشرعية/ السجل رقم (397) تاريخه (1319– 1324هـ/1901– 1906م)

"الوكالات نموذجاً"

حنان ملكاوي*

تاريخ الاستلام 2019/2/28 تاريخ القبول 2019/7/9

ملخّص

تسلط هذه الدراسة الضوء على جانب اقتصادي مهمّ من حياة اليهود في مدينة القدس، والمتمثل في الوكالات، حيث تعرّف الدراسة بمفهوم الوكالة وهي تفويض بالتصرف بأملاك الموكل، وتخضع لشروط يتفق عليها الطرفان، بحيث يتم تحديد تلك الشروط والصلاحيات التي يحق للوكيل التصرف بموجبها.

وفي هذه الدراسة جمعت حجج الوكالات الواردة في السجل رقم (397) أحد سجلات محكمة القدس الشرعية خلال الفترة (**1321هـ - 1322 هـ/ 1904 م - 1905 م**)، والتي تعطي صورة عن ممتلكات اليهود، سواء في مدينة القدس أو خارجها، بالإضافة إلى تعرّف أماكن إقامة الموكلين، كما توضح الكيفية التي وثقت من خلالها عقود وكالاتهم، سواء كانوا داخل مدينة القدس أو خارجها.

المقدّمة

تعد سجلات المحاكم الشرعية مصدراً لا ينضب في تقديم معلومات مهمّة عن جوانب الحياة العامة للمجتمع، ومنها النشاطات الاقتصادية المختلفة، وسيكون التركيز في هذا البحث على دراسة حجج الوكالات الخاصة باليهود في مدينة القدس، وذلك بتعريف الوكالة قانوناً، وذكر الموكِّل، والوكيل والعقارات المراد التوكيل عليها .

ومن جانب آخر ستبحث الدراسة في طبيعة أماكن وجود العقارات ونوعيتها، ومساحتها وحدودها، وعمليات البيع والشراء والرهن الموكول بها من قبل صاحب الأملاك، واستلام المبالغ المالية المتحصلة من العمليات السابقة، وتسليمها للموكِّل، وأوردت الحجج الخاصة بالوكالات

*استاذ مشارك – قسم التاريخ – الجامعة الاردنية

ضرورة وجود معرّفين، وهم الأشخاص الذين لديهم معرفة شخصية بالموكِّل والوكيل، بمعنى آخر فإن مهمة المعرّف تكون بمثابة شاهد بأهلية الطرفين للقيام بإجراء عقد الوكالة.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة من خلال معالجة جانب اقتصادي كان رائجًا في مدينة القدس لدى مختلف السكان، وبما أنّ اليهود يشكلون أقلية عاشت في مدينة القدس تحت الحكم العثماني ضمن قانون خاص بأهل الذمة، فقد اُسهموا بنسبة قليلة في الاقتصاد نظرًا لقلة أعدادهم بالنسبة لبقية السكان من مسيحيين ومسلمين وطوائف أخرى، وتضيف الدراسة معلومات مصدرها سجلات المحكمة الشرعية في القدس عن معاملات الوكالات الخاصة باليهود، وذلك لتوضيح ما اشتملت عليه الوكالات وطبيعة الأملاك وتوزعها وأسباب إبرام عقود التوكيلات.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية :

- ما الأسباب التي دفعت اليهود لعقد التوكيلات؟
- هل انحصرت أملاكهم فقط في مدينة القدس؟
- هل كانت التوكيلات تعقد بين اليهود أنفسهم فقط أم تم توكيل أشخاص من غير اليهود -خاصّة- كالمسلمين لبيع الأملاك والتصرف فيها؟
- ما نوعية الممتلكات التي خضعت للتوكيل بالبيع، وما مساحتها، وما هي أماكن وجودها؟

التعريف بالسجل الشرعي رقم (397):

يحمل هذا السجل تاريخ (**1321 هـ/1904م – 1322 هـ/1905م**)، تتضمن سجلات المحكمة الشرعية في القدس عددًا كبيرًا من المواضيع الاقتصادية ومواضيع أخرى بشكل عام، وعادة ما يتكون السجل من عدد من الصفحات يتراوح ما بين 400 – 900 صفحة، وفي بعض السجلات يكون عدد الصفحات أقل من ذلك، وهذا السجل الذي يحمل رقم 397، يوجد في قاعة المصغرات الفلمية في مكتبة الجامعة الأردنية، وتم الاطلاع عليه هناك، وتزيد صفحاته على 400 صفحة، واستخلص موضوع الدراسة من حججه.

تمهيد

عمل اليهود على شراء الأراضي والعقارات في مدينة القدس، خاصة في المناطق المحيطة بسور القدس، وقد ساعدت الهجرة اليهودية أواخر القرن التاسع عشر الميلادي في زيادة أعداد اليهود في فلسطين عامة، ومدينة القدس خاصة[1].

وقد تبنت جمعية الإليانس[2] وبعض الأغنياء اليهود مثل الفرنسي روتشيلد (Rothschild) الذي قدّم أموالاً ضخمة لدعم المستعمرات في فلسطين[3]، بهدف توطين اليهود.

وفي هذه الدراسة سيكون التركيز على الوكالات اليهودية التي وثقت في سجلات محكمة القدس الشرعية، والتي تضمنت عدة جوانب من النشاط الاقتصادي لليهود، كالتوكيل بالبيع والرهن والتأجير، وكشفت عن طبيعة الممتلكات اليهودية في القدس أو خارجها.

تعريف الوكالة:

الوكالة هي تفويض أحد لآخر وإقامته مقامة[4]، وتقوم على علاقة بين طرفين أحدهما الأصيل وهو الموكل، والطرف الآخر هو الوكيل[5].

لقد كان اليهود يقيمون في القدس سواء من كانوا مواطنين عثمانيين أو من يتبعون دولة أخرى، وغالباً ما تكون دولاً أوروبية أو من أمريكا. وكانت الوكالات تتم بأن يذهب الموكل والشخص المراد توكيله إلى المحكمة الشرعية في مدينة القدس، وتوثق الوكالة في سجلات المحكمة بحضور المعرفين، وهم من يقومون بالتعريف بالموكل، هذا بالإضافة إلى الشهود كما هي العادة في جميع السجلات الشرعية.

فقد حضر إلى محكمة القدس الشرعية الرجل المدعو الحاخام شاول ولد الحاخام إلياهو ولد شاول فالوحي الدويك الموسوي العثماني من سكان محلة اليهود[6]، وقد عرّف عليه كل من الخواجة ميكائيل أفندي ولد إلياهو ولد سليمان بانيو وشمويل ولد نتان ولد شلومو كرنكات الموسويين وكلاهما من أهالي القدس، وأنه وكّل زوجته راحيل بنت إبراهيم كوهين الموسوية العثمانية من أهالي حلب والغائبة عن المجلس والمقيمة فيها الآن، وتضمنت الوكالة وضع يدها على أملاك شاول المعروفة في حلب، على أن تتصرف فيها كيفما تشاء من البيع باتاً[7]ووفاءً[8]، كما وكلها برهن وتأجير مَنْ تشاء بالثمن والبدل الذي تراه مناسباً، وفي قبض ذلك من المشتري والمرتهن والمستأجر كائناً من كان وإيصاله إلى الموكل، وتسليم المبيع والمؤجر للمشتري والمرتهن والمستأجر عند حلول مدته، وفي إجراء التقرير بذلك كله بمحله الرسمي، وإعطاء المشتري والمرتهن السندات النظامية والعادية في ذلك، وفي فك الرهن من المرتهن واستلامه منه وفي كل دعوى تصدر من الموكل أو عليه من أي شخص كان بأي وجه كان بأي محكمة كانت

بدايةً، واستئنافًا، وتمييزًا وإعادة المحاكمة، وفي الأخذ والقبض والصلح والإبراء والإقرار والتصديق، وفي طلب التحليف إذا اقتضى الحال، وفي طلب الأجل والتنفيذ وفي التبلغ والتبليغ، وفي تقديم سائر الاستدعاءات واللوائح وإمضائها باسمها عن الموكل، وفي جميع أموره الكلية والجزئية فيما يجوز التوكيل به شرعاً، وقد أذن الموكل زوجته بأن توكل عنها من شاءت، فيما ذكر كله أو بعضه، وتعزله متى شاءت؛ وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأيها وقولها وفعلها[9].

ونلاحظ من هذه الوكالة أنّ ممتلكات المُوَكل موجودة في مدينة حلب حيث تقيم زوجته هناك، وقام بتوكيلها وكالة عامة وشاملة، فيحق لها البيع والرهن والتأجير، كما أنها مخولة بقبض ثمن جميع المعاملات السابقة.

وفي حالة أخرى يذهب موظّفو المحكمة المسؤولون عن توثيق الوكالة إلى بيت الموكل في حال وجود عذر شرعي يمنعه من القدوم إلى المحكمة، ومثال ذلك: ذهب حافظ أفندي الخالدي من كتبة المحكمة الشرعية في القدس الشريف، هو والأمناء المبعوثون معه إلى دار سكن الوكيل الحاخام زلمن ولد نحوم ليوي الشكنازي الكائن بمحلة اليهود، ولما وصل المأذون المدعى إليه والأمناء المبعوثون معه إلى هناك، عقد بأحد بيوتها مجلساً شرعياً للوكيل الحاخام زلمن وقرر طائعاً مختاراً حال صحته وسلامته ونفوذ تصرفاته الشرعية بحضور ومواجهة ولده البالغ العاقل إسرائيل حاييم قائلاً في تقريره إنّه وكل حاييم الحاضر المذكور بوضع يده على أملاكه الكائنة داخل القدس وخارجها المعلومة فيما بينهما والمستغنى عن تحديدها وتوصيفها لشهرتها في محلها حسب السندات النظامية التي بيد (زلمن)، على أن يتصرف فيها كيفما شاء ويختار من البيع المباشر أو الرهن أو الإيجار[10].

ويحق للموكل تحديد الثمن والبدل الذي يراه مناسباً، وقبض ذلك من المشتري والمرتهن والمستأجر عند حلول مدته، وفي إجراء التقرير بذلك كله بمحله الرسمي وإعطاء السندات النظامية والعادية في ذلك وفي كل دعوى تتصدر من (زلمن) أو عليه، من أي شخص كان في أي وجه كان بأي محكمة كانت، سواء كانت شرعية أو نظامية وفي الاستئناف والتمييز وإعادة المحاكمة، وفي الأخذ والقبض والصلح والإبراء والإقرار والتصديق، وفي طلب تحليف اليمين إذا اقتضى الحال، وفي طلب الإجراء والتنفيذ وفي التبلغ والتبليغ وفي تقديم سائر الاستدعاءات واللوائح وإمضائها عني به وفي كافة أموري الكلية والجزئية، وفي كل ما يجوز التوكيل به شرعاً وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأيه وقوله وفعله. فقبل ولده إسرائيل حاييم الحاضر المذكور منه هذه الوكالة لنفسه بالمجلس المذكور القبول الشرعي، فحرر المأذون المدعي إليه هذا التوكيل بمحله، وعاد هو والأمناء المبعوثون معه إلى المجلس الشرعي بمحكمة القدس الشرعية وأنهوا واقعة الحال للحاكم الشرعي[11].

ونلاحظ أنّ الموكل (زلمن) قد وكّل ابنه إسرائيل حاييم وكالة عامة يستطيع بموجبها التصرف التام بأموال والده، وأنّه لم يتم تسمية الممتلكات التي تمت الوكالة لأجلها، ويعزى ذلك إلى صلة القرابة بين الموكل ومن منحه الوكالة؛ كونهما أفراد عائلة واحدة.

وفي حجة أخرى حضر إلى المحكمة الشرعية المدعو ميخائيل كاش الملاك المقيم بالقدس ومن تبعة دولة النمسا، وقرر بحضور عثمان أفندي ابن علي راتب أفندي الخالدي الكاتب العثماني المقيم بالقدس الشريف، قائلاً في تقريره : "إنني وكلت وأقمت مقام نفسي وعوضا عن شخصي السيد عثمان أفندي الحاضر الموصى إليه، بوضع يده على جميع الحصة الشائعة وقدرها النصف، اثني عشر قيراطاً[12]من أصل أربعة وعشرين قيراطاً في جميع الدار القائمة المقامة خارج سور القدس الشريف بجهة باب الخليل الكائنة في قومبانية زخيرن طوبيا[13]"، وتشتمل على صهريج ماء، ومخزن سفلي، وغرفة علوية، وساحة مساحتها مائة وثلاثون ذراعاً[14]مربّعاً، وحدودها من الجهة الجنوبية غرفة مشتركة الملكية بين الموكل وبين رجل يدعى موسى بصليل، وشرقاً وشمالاً وغرباً الطريق، بجميع حقوقها الشرعية المقيّدة بموجب سند نظامي موسوم بعدد (203) من آخر شهر أيلول سنة 1316هـ/1899م، وفي بيعها بيعاً باتاً إلى حاييم بن بنسيون كرين الموسوي العثماني المقيم بالقدس، بثمن قدره ألفا قرش[15]، وفي الإقرار والاعتراف على لسان الموكل بقبض الثمن المذكور من المشتري وتسليم المبيع للمشتري، وفي إجراء التقرير الرسمي على لسان الموكل بقومسيون المبايعات، وفي جميع الدار القائمة البناء بالقدس بمحلة باب حطة[16]المحدودة قبلة دار داود ليون سابقاً والآن بيد محمود الشرفا، وشرقاً دار شريت الكرجي[17]، وشمالاً طريق الزقاق، وغرباً دار البرادعي بيد ورثة عوينة بنت العوني وشركائهم، لأسهمي المطروحة بالمزايدة العلنية من دائرة مأمورية الدفتر الخاقاني، بالثمن الذي يراه مناسباً ويدفع الثمن من حاله وبالرجوع عليّ به بالغاً ما بلغ وفي أخذ السند النظامي بذلك باسمي، وفي تقديم الاستدعاءات ومراجعة محكمة القدس الشريف الشرعية، ومحكمة بداية حقوق القدس الشريف، ويافا وسائر المحاكم النظامية والدوائر الرسمية، وفي الدعوى والمخاصمة ورد الجواب على كل من يوسف أمزلق بن حاييم أمزلق التاجر الإنكليزي من أهالي مدينة يافا الوكيل الشرعي عن يوسف بك بن إلياهو أفندي نابون الملاك العثماني من أهالي القدس الشريف، ويعقوب بن إبراهيم حزقيل كرون الشكنازي الخياط من أهالي القدس الشريف، بخصوص جميع الحصة الشائعة وقدرها خمسمائة واثنين وخمسين سهماً من أصل ثمانية آلاف وستمائة وأربعين سهماً في جميع الأرض الملكية الواقعة خارج سور القدس الشريف خارج باب العامود قبلة أرض وقف الدنف وشرقاً أرض قومبانية نسيم باق[18]، وشمالاً أرض جودة الأطرش وغرباً أرض ورثة الشيخ عبد القادر الخليلي سابقاً، والآن بيد ورثة المرحوم موسى بك عقل وفيض الله أفندي العلي والدكتور فخنت فنكاز المباعة لي بيعاً باتاً من طرف الخواجة يوسف أمزلق بوكالة شرعية عند يوسف بك،

بموجب سند عادي بثمن قدره مائة ليرة فرنساوية[19]وبخصوص جميع الحصة الشائعة وقدرها عشر حصص ونصف حصة من أربع وعشرين حصة في جميع الدار القائمة البناء بالقدس بمحلة باب العامود المذكورة، والمشتملة على تسعة بيوت سفلية وعلوية ومخزن وبئر ماء ودكان وساحة، والمحدودة من جهاتها الثلاث ومن الجهة الرابعة دارين لرهبان دير الروم المباعة لي بيعاً باتاً من طرف يعقوب المذكور بثمن قدره مائة ليرة فرنساوية أيضاً، وفي كل دعوى تتصدر مني على من يكون خصماً لي في ذلك وفي رد الجواب عني بكل دعوى تتصدر عليّ من أي شخص كان يتعرض لي بخصوص الحصتين المذكورتين، وبالمحاماة والمدافعة من حقوقي الكلية والجزئية، وإعطاء الجواب على لساني بخصوص الحصتين المذكورتين وكالة مطلقة لنهاية تفهم الحكم والقرار وبأخذ إعلام وقرار الحكم، وطلب الإجراء والتنفيذ وطلب الحجز وباستحصال سندات نظامية باسمي بالحصتين المذكورتين، وبإمضاء الاستدعاءات واللوائح والإخطارات والسندات والتعهدات المقتضية وتصديقها من الموقع الرسمي، وتقديمها وتبليغها للحكومة السنية[20]وفي طلب الاستئناف والتمييز والاعتراض على الحكم وإعادة المحاكمة وفي إقامة دعوى الاشتكاء على الحكام إذا اقتضى الحال وفي التحلف والتحليف؛ وكالة مطلقة صحيحة شرعية مفوضة لرأيه وقوله فقبل السيد عثمان أفندي الموصى إليه هذه الوكالة لنفسه قبولًا شرعيًا[21].

وتبدو ملكية الموكل كبيرة، فهو يمتلك أرضًا مساحتها 130 ذراعًا، ودارًا في باب العامود تتكون من 9 غرف موزعة بين طابقين، إضافة إلى ذلك وجود بئر ماء ومخزن وساحة ودكان، وقد وكّل اليهودي شخصاً مسلماً.

وفي حالة أخرى تناط الوكالة بالحفيد، ومن الأمثلة على ذلك: حضر إلى المحكمة الرجل المدعو مندل هاسون ولد يعقوب ليندر الموسوي الشكنازي من أهالي القدس الشريف، المعروف ذاته بتعريف كل واحد من إبرام ولد ليب ولد موسى الشكنازي، ويهودا ولد إبرام ولد ليوي سلانكس الشكنازي؛ كلاهما من أهالي القدس التعريف الشرعي، وقرر طائعًا مختارًا حال صحته وسلامته ونفوذ تصرفاته الشرعية بحضور ومواجهة ابن ابنه البالغ العاقل شمويل هارون ولد آيشر ولد مندل الموسوي الشكنازي من أهالي القدس المعروف ذاته أيضاً بتعريف المعرفين المذكورين قائلاً : "إني وكلت وأنبت وأقمت مقام نفسي وعوضاً شخصي ابن ابني شمويل هارون الحاضر المذكور بوضع يده على ما هو لي وجار بملكي وتحت تصرفي وحيازتي الشرعية بموجب سند نظامي موسوم بعدد (215) من دفتر تموز سنة 1318هـ/1901م جميع الدار الواقعة في باب العامود المعلومة الحدود والمحتويات فيما بيني وبينه على أن يتصرف فيها كيفما يشاء ويختار من البيع الباتّ والرهن والإيجار لمن يشاء بالثمن والبدل الذي يراه مناسبًا[22].

ويحق للوكيل قبض الثمن من المشتري والمرتهن والمستأجر كائنًا من كان، وبتسليم المبيع والمؤجر للمشتري والمرتهن والمستأجر عند حلول مدته، وفي إجراء التقرير بذلك كله بمحله

الرسمي وإعطاء السندات النظامية والعادية في ذلك، وفي فك الرهن من المرتهن من أي شخص كان بأي وجه كان[23]، وكذلك في كل دعوى تتصدر من الوكيل أو عليه من أي شخص كان بأي وجه كان بأي محكمة كانت، وفي الاستئناف والتمييز وإعادة المحاكمة وفي الأخذ والقبض والصلح والإقرار والتصديق، وفي طلب تحليف اليمين إذا اقتضى الحال، وفي طلب الإجراء والتنفيذ[24]، وفي التبلغ والتبليغ وفي تقديم سائر الاستدعاءات واللوائح وإمضائها باسمه عن الموكل وفي جميع أموري الكلية والجزئية فيما يجوز التوكيل به شرعًا، وقد أذن له الموكل بأن يوكل عنه من شاء فيما ذكر كله أو بعضه، وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأي الوكيل وقوله وفعله فقبل شمويل هارون الحاضر المذكور ذلك لنفسه القبول الشرعي[25].

وورد في السجل أنّ المرأة المدعوة مريم بنت هرش كوهين الموسوية من تبعة دولة إنكلترا، ومن سكان محلة اليهود بالقدس، المعروفة ذاتها وعرّف عليها كل واحد من جركادو أفندي ولد ماير ولد إسحق راقيب وطودروس ولد إلتر ولد طودروس الموسويين العثمانيين كلاهما من سكان المحلة المذكورة التعريف الشرعي[26].

وقررت طائعة مختارة حال صحتها وسلامتها ونفوذ تصرفاتها الشرعية قائلة في تقريرها المرقوم إنه قبل هذا بتاريخ الرابع من رجب سنة 1320هـ/1903م، حضرت كل من ابنتيها الكبيرتين البالغتين راحيل وحنة بنتي داود ولد ليب ليوي تبعة الدولة المشار إليها، ومن سكان المحلة المذكورة، الغائبتين الآن عن المجلس ووكلتاني بهذه المحكمة الشرعية بوضع يدي على أملاكهما وأراضيهما وعقاراتهما الكائنة خارج القدس المعلومة الحدود والأطراف الآيلة إليهما إرثًا عن والدهما المرحوم بموجب سندات طابو محفوظة بيدي وبأن أتصرف فيها كيفما تشاء وتريد وحسبما تحب وترغب، من البيع البات والرهن والإيجار لمن أشاء، بالثمن والبدل الذي أراه مناسباً، وفي قبض ذلك من المشتري والمرتهن والمستأجر كائناً من كان، وتسيلم العقار وفي استلام المرهون والمأجور عند حلول مدته، وفي إجراء التقرير في ذلك كله بمحله الرسمي وإعطاء السندات النظامية والعادية بذلك(27)، وفي قسمتها مع الشركاء بها، قسمة تراضٍ أو قضاء وفي كل دعوى تتصدر منهما أو عليهما من أي شخص كان بأي وجه كان في أي محكمة كانت، وفي الاستئناف والتمييز وإعادة المحاكمة، وفي الأخذ والقبض والصلح والإبراء والإقرار والتصديق، وفي طلب تحليف اليمين إذا اقتضى الحال. وفي طلب الأجل والتنفيذ وفي التبلغ والتبليغ، وفي تقديم الاستدعاءات واللوائح وجميع الأوراق المقتضية وإمضائها عنهما وفي جميع أمورهما الكلية والجزئية فيما يجوز به التوكيل شرعًا وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأيي وقولي وفعلي وآذنتاني بأن أوكل عنهما من أشاء فيما ذكر كله أو بعضه، وأعزله متى أشاء توكيلاً شرعياً بذلك بموجب حجة الوكالة الصادرة من هذه المحكمة الشرعية المؤرخة بالتاريخ المذكور، والآن لي الإذن من بنتيّ المذكورتين بالتوكيل لمن أشاء وأرغب، قد وكلت وأنبت وأقمت

هذا الحاضر معي بالمجلس المشار إليه شقيقي الرجل المدعو مارقص ولد هرش كوهين ليب قديح الموسوي من تبعة دولة النمسا ومن سكان المحلة المذكورة، بوضع يده على أملاك بنتيّ راحيل وحنة المذكورتين، وبأن يتصرف بها كيفما يشاء على الوجه المشروح وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأيه وقوله، فقبل مارقص المذكور ذلك لنفسه القبول الشرعي[28].

وحضر الحاخام هورشن بن هرش بن إبراهيم إسحاق تحتنبرك الموسوي الشكنازي العثماني من سكان محلة اليهود بالقدس الشريف وكيل طائفة الشكناز المسميين كدليل رايسن البروشيم المقيمين بالقدس والقادمين إليها، وقرر طائعاً مختاراً حال صحته وسلامته ونفوذ تصرفاته الشرعية قائلاً في تقريره المقدم إنه وكل وأقام مقام نفسه وعوضاً عن شخصه الشيخ موسى أفندي بن عبد المعطي أفندي القطب، وهو من سكان محلة الواد بالقدس الحاضرين بالمجلس الشرعي، بالدعوى والمخاصمة ورد الجواب عني بخصوص الدعوى المصدرة من المحكمة الشرعية على الحاخام يوسف ولد العيزر ولد ليب باك الموسوي الشكنازي، من سكان محلة اليهود المذكورة، وبكل دعوى تتصدر من الموكل أو عليه، مع من يكون خصماً له كائناً من كان لنهاية الدرجة الأخيرة من المحاكمة بداية واستئنافاً وتمييزاً واعتراضاً، وفي إعادة المحاكمة وتقديم سائر الاستدعاءات واللوائح وكافة الأوراق المقتضية وإمضائها عن الموكل باسمه، وفي الأخذ والقبض والصلح والإبراء والإقرار والتصديق وفي التبلغ والتبليغ، وطلب التحلف والتحليف إذا اقتضى الحال وفي جميع ما يتعلق ويتوقف على ذلك، وهي وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأي المتوكل وقوله وفعله، فقبل الشيخ موسى أفندي القطب الحاضر المذكور ذلك لنفسه القبول الشرعي[29].

وتقتصر حجة الوكالة التالية على حصر الوكالة في البيع فقط، حيث حضر إبراهيم ولد يوسف منصوري الموسوي العثماني الحلبي المتوطن الآن بالقدس بمحلة اليهود، وبعد التعريف بذاته من موسى ولد إلياو الساسي وموسى ولد شاعيا ولد إسحاق يوسف شاعيا، وقرر طائعاً مختاراً حال صحته وسلامته ونفوذ تصرفاته الشرعية توكيل إسحاق بن شميص الموسوي العثماني الغائب عن المجلس والموجود الآن في مدينة حلب ببيع وفراغ ما هو لي وجار بملك وتصرف الموكل ومتصل إليه بموجب سند نظامي موسوم بعدد اثنين وسبعين من دفتر شهر مارس سنة 1312هـ/1895م، وذلك جميع الحصة الشائعة وقدرها عشرة قراريط وربع قيراط من أصل أربعة وعشرين قيراطاً في جميع الدار القائمة البناء بمدينة حلب، المحدودة قبلة وغرباً الطريق السالك وشرقاً دار ورثة يس يواس وشمالاً دار ورثة إبراهيم أنكوله، بجميع حقوقها الشرعية بيعاً باتاً وفراغاً قطعياً لمن يشاء ويرغب الوكيل المذكور بالثمن الذي يراه مناسباً، وفي قبض الثمن بالغاً ما بلغ من المشتري كائناً من كان وإيصاله للموكل، وفي تسليم المبيع المذكور للمشتري وإجراء التنفيذ في ذلك كله بمحله الرسمي في جميع ما يتعلق ويتوقف عليه وكالة مطلقة صحيحة شرعية

مفوضة لرأي وقول وفعل الوكيل، موقوفة على قبول التوكيل المذكور توكيلاً شرعياً[30]. ويظهر من الحجة السابقة أنّ الموكل ليس من سكان القدس أصلاً لكنه مقيم في المدينة، كما أنه وكّل شخصاً مقيماً في حلب لبيع أملاكه الواردة في الحجة.

وفي حجة "حضر مندل ولد هارون ولد يعقوب ليندر الموسوي العثماني الشكنازي من أهالي القدس الشريف المعروف ذاته بتعريف كل واحد من إبرام ولد ليب ولد موسى الشكنازي ويودا ولد إبرام ولد ليوي أسلاتكي الشكنازي كلاهما من أهالي القدس التعريف الشرعي وقرر طائعاً مختاراً حال صحته وسلامته ونفوذ تصرفاته الشرعية بحضور ومواجهة إيداني شمويل هارون ولد آشير ولد مندل الموسوي الشكنازي من أهالي القدس، المعروف ذاته أيضاً بتعريف المعرفين المذكورين، أنه وكّل إيداني شمويل هارون الحاضر المذكور، بوضع يده على ما هو له وجار في ملكه وتحت طلق تصرفه وحيازته الشرعية، بموجب سند نظامي موسوم بعدد مائتين وخمسة عشر من دفتر تموز سنة 1318هـ/1901م، وذلك جميع الدار الواقعة في باب العامود الموسومة الحدود والمحتويات فيما بينها وبيني على أن يتصرف فيها كيفما يشاء ويختار من البيع البات والرهن والإيجار لمن يشاء بالثمن والبدل الذي يراه مناسباً، وفي قبض ذلك من المشتري والمرتهن والمستأجر كائناً من كان وبتسليم المبيع والمؤجر للمشتري والمرتهن والمستأجر عند حلول مدته، وفي إجراء التقرير بذلك كله بمحله الرسمي وإعطاء السندات النظامية والعادية في ذلك، وفي فك الرهن من المرتهن من أي شخص كان بأي وجه كان وفي كل دعوى تتصدر من الموكل أو عليه، من أي شخص كان بأي وجه كان بأي محكمة كانت، وفي الاستئناف والتمييز وإعادة المحاكمة، وفي الأخذ والقبض والصلح والإقرار والتصديق، وفي طلب تحليف اليمين إذا اقتضى الحال، وفي طلب الإجراء والتنفيذ وفي التبلغ والتبليغ وفي تقديم سائر الاستدعاءات واللوائح وإمضائها باسمه عن الموكل، وفي جميع أموره الكلية والجزئية فيما يجوز التوكيل به شرعاً. وقد آذن الموكل الوكيل بأن يوكّل عنه من يشاء فيما ذكر كله أو بعضه وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأيه وقوله وفعله فقبل شمويل هارون الحاضر المذكور ذلك لنفسه القبول الشرعي"[31].

ووكّل الحاخام سلمون داويد ولد ألعيزر بيدرمان الموسوي العثماني من سكان محلة اليهود إحدى محلات القدس الشريف إسحاق ولد هرش ولد داويد يعقوب ولف الشكنازي المعروف ذاتهما بتعريف كل واحد من مندل ولد موسى ولد مندل ومردخاي ولد هرش كلاهما من طائفة الشكناز[32] ومن سكان المحلة المذكورة التعريف الشرعي، بوضع يده على ما هو لي وجار بملك الموكل وتحت مطلق تصرفه وحيازته الشرعية، وبموجب سند نظامي موسوم بعدد مائة وعشر من دفتر كانون أول سنة 1317هـ/1900م وذلك جميع الدار الواقعة بمحلة المنسية من محلات قصبة يافا المعلومة الحدود والمحتويات فيما بيننا وبينه على أن يتصرف فيها كيفما يشاء ويختار من

البيع البات والرهن والإيجار لمن يشاء بالثمن والبدل الذي يراه مناساً وفي قبض ذلك من المشتري والمرتهن والمستأجر كائناً من كان، وبتسليم المبيع والمؤجر للمشتري والمرتهن والمستأجر عند حلول مدتها، وفي إجراء التقرير بذلك كله بمحله الرسمي وإعطاء السندات النظامية والعادية في ذلك، وفي فك الرهن من المرتهن من أي شخص كان بأي وجه كان وفي كل دعوى تتصدر من الموكل أو عليه من أي شخص كان بأي وجه كان بأي محكمة كانت بداية واستئنافاً وتمييزاً، وفي إعادة المحاكمة وفي الأخذ والقبض والصلح والإبراء والإقرار والتصديق، وفي طلب تحليف اليمين إذا اقتضى الحال في طلب الإجراء والتنفيذ وفي التبلغ والتبليغ وفي تقديم سائر الاستدعاءات واللوائح وإمضائها باسم الوكيل عن الموكل، وقد آذنه بأن يوكل عنه من شاء فيما ذكر كله أو بعضه ويعزله متى شاء وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأيه وقوله وفعله، فقبل إسحاق الحاضر المذكور ذلك لنفسه القبول الشرعي[33].

وأظهر السجل وكالة الورثة فقد "حضرت لمحكمة القدس الشريف الشرعية من الملة الموسوية كل من المرأتين بخورة سارة بنت شعيا حمو وسارة بنت مراد ليوي الموسويتين وكلتاهما من سكان محلة اليهود، المعروفة ذاتهما بتعريف كل من حاييم ولد إسحاق ولد موسى، وإبراهيم ولد موسى ولد إسحاق الموسويين كلاهما من سكان المحلة المذكورة التعريف الشرعي وقررتا كلتاهما وعبرتا عن مرادهما طائعتين مختارتين حال صحتهما وسلامتهما ونفوذ تصرفاتهما الشرعية بحضور ميكائيل أفندي ولد إلياهو ماني الموسوي العثماني من سكان المحلة المذكورة قائلتين إنه قبل هذا من مدة أربع سنين مات زوجنا الحاخام موسى مالكل الموسوي المغربي في مدينة القدس الشريف، وانحصر إرثه الشرعي فينا بحق الثمن مناصفة بيننا لكوننا زوجتيه، وفي أولاده يهودا المتولد من زوجته المتوفية رفقة، وفي سلتانة المتولدة من مطلقته مريم، وفي سمحا المتولدة من أحدنا سارة بنت مراد، وصبورة ومريم ومزتوتة المتولدات من أُختنا الثانية بخورة سارخ بنت شعيا، وإنه مخلف ومتروك لنا ولبقية الورثة المذكورين عنه عقارات وأملاك كائنة بيافا المعلومة الحدود والاشتمالات في محلها وبين الجيران العلم الشرعي الثابت شرعاً[34]".

وقد وكلتا ميكائيل أفندي بوضع يده على الحصة الإرثية المذكورة وهي الثمن من الأملاك والعقارات، وبأن يتصرف بها كيفما أحب وأراد من البيع البات والرهن والإيجار كائناً من كان وبتسليم المبيع والمرهون للمشتري والمرتهن والمستأجر، وفي فك الرهن عند حلول مدته واستلامه ودفع بدله، وفي إجراء القسمة في ذلك مع الشركاء، وفي إجراء التقرير بذلك كله بمحله الرسمي، وبإعطاء السندات النظامية والعادية في ذلك وإمضائها باسم الوكيل عن الموكلتين، وفي استيفاء الدين الذي بذمة الزوجتين من جهة القرض للوكيل ميكائيل المذكور وقدره مائتا ليرة فرنساوية ذهباً مناصفةً بينهما، وفي طلب كل حق لنا من قبل أي شخص كان وفي أي دعوى

تتصدر منهن أو عليهن من أي شخص كان بأي وجه كان في أي محكمة كانت لنهاية الدرجة الأخيرة من المحاكمة، وفي الاستئناف والتمييز وإعادة المحاكمة، وفي الأخذ والقبض والصلح والإبراء والتصديق وفي تقديم سائر الاستدعاءات واللوائح وإمضائها باسم الوكيل عنهما، وفي جميع الأوراق المقتضية لأي محل كان وفي طلب الإجراء والتنفيذ وتحليف اليمين إذا اقتضى الحال وفي التبلغ والتبليغ وفي جميع أمورهما الكلية والجزئية فيما يجوز التوكيل به شرعاً وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأيه وقوله وفعله فقبل ميكائيل أفندي الحاضر المذكور ذلك لنفسه القبول الشرعي[35].

وتعرض الحجة التالية توكيلاً من المرأة (حنا روبين) بنت فيهم ولد يوسف يوضالي اليهودية العثمانية من أهالي وسكان مدينة رودوس، والمتوطنة الآن بمحلة اليهود بالقدس الشريف المعرفة الذات من قبل إلياهو كوهين ولد رخولا ولد داحدور وخليل مزراحي ولد إسحاق مزراحي الموسويين العثمانيين كلاهما من سكان محلة اليهود، التعريف الشرعي وحضر معها ابنها أورام ولد إسحاق لتحديفي اليهودي العثماني، والموجود الآن مؤقتاً في القدس الشريف فقررت طائعة مختارة حال صحتها وسلامتها ونفوذ تصرفاتها الشرعية أنّ جميع الحصة الشائعة وقدرها سهم واحد من ثلاثة أسهم في جميع الدار القائمة البناء من محلات مدينة رودوس[36] المذكورة المحدودة أطرافها الأربعة بدار بنيوتي جنابي ولد موشوني وبدار مينح صنان ولد داويد وبدار بار داويد والزقاق بجميع حقوق ذلك، كل ما هو ملك وتحت تصرف الموكلة بالإرث الشرعي، وقد وكلت أورام المباشي المذكور بأن يضع يده على الحصة الشائعة المذكورة ويتصرّف فيها كيفما أحب وأراد من البيع البات والرهن والإيجار لمن يشاء ويرغب بالثمن والبدل الذي يراه مناسباً، وفي قبضه ثمن المبيع وبدل الرهن والإيجار، وفي قبض الثمن من المشتري والمرتهن والمستأجر كائناً من كان، وفي إجراء التقرير في ذلك كله أو بعضه بمحله الرسمي من إعطاء السندات النظامية والعادية في ذلك وفي دفع بدل الرهن للمرتهن وذلك المرهون، واستلامه عند حلول مدته وفي كل دعوى تتصدر مني أو علي من أي شخص كان بأي وجه كان في أي محكمة كانت من محاكم مدينة رودوس الشرعية والنظامية، وفي الاستئناف والتمييز وإعادة المحاكمة، وفي الأخذ والقبض والصلح والإبراء والإقرار والتصديق، وفي طلب الإجراء والتنفيذ وتحليف اليمين إذا اقتضى الحال وفي جميع أمور الموكلة العامة والجزئية فيما يجوز التوكيل به شرعاً، وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية مفوضة لرأي وقول وفعل الموكل أورام إسحاق الوكيل الحاضر[37].

وقيّدت وكالة من قبل يوسف أفندي ولد عيزرا ولد حاييم نيفد من طائفة اليهود ومن تبعة دولة النمسا ومن سكان مدينة أدرنة[38] المقيم الآن في القدس وقرر طائعاً مختاراً حال صحته وسلامته ونفوذ تصرفاته الشرعية أنّه وكّل الخواجه إبراهيم أفندي ولد يوسف أفندي عنيفن الموسوي العثماني رئيس مدرسة الإليانس بالقدس، الغائب عن المجلس بوضع يده على جميع

أملاكه وعقاراته الكائنة في قصبة يافا وملحقاتها المعلومة الحدود والأطراف فيما بيني وبينه وبين الجيران العلم الشرعي بأن يتصرف بها كيفما أحب وأراد من البيع الباتّ والرهن والإيجار لمن يشاء ويرغب بالثمن والبدل الذي يراه مناسباً، وفي قبض ثمن المبيع وبدل الرهن والإيجار بالغاً ما بلغ من المشتري والمرتهن والمستأجر كائناً من كان، وفي إجراء التقرير بذلك كله أو بعضه بمحله الرسمي، وإعطاء السندات المقتضية لذلك وفي استلام الرهن والمستأجر عند حلول مدته من المرتهن والمستأجر، وفي دفع بدل الرهن للمرتهن، وبأن يشتري لي من الأرض والأملاك التي توجد للبيع كيفما يحب ويريد بالثمن والبدل الذي يراه مناسباً، ويدفع الثمن والبدل من ماله ويرجع به عليّ بالغاً ما بلغ، وفي طلب كل حق للموكل من قبل أي شخص كان وفي الدعوى والمخاصمة ورد الجواب عن الوكيل بكل دعوى تتصدر منه أو عليه من أي شخص كان ومع أي شخص كان بأي وجه كان، في أي محكمة كانت من محاكم الدولة العلية العثمانية بداية واستئنافاً وتمييزاً وإعادة واعتراضاً، وفي الأخذ والقبض والصلح والإبراء والإقرار والتصديق، وفي طلب الإجراء والتنفيذ والتبلغ والتبليغ، وفي طلب تحليف اليمين إذا اقتضى الحال، وفي تقديم سائر الاستدعاءات واللوائح وجميع الأوراق المقتضية وإمضائها عن الموكل باسمه، وفي جميع أموره الكلية والجزئية حيثما يجوز التوكيل به شرعاً، وقد آذنه أن يوكل عنه من يشاء فيما ذكر كله أو بعضه ويعزله متى شاء ويوكل غيره وكالة مطلقة عامة صحيحة شرعية[39]، ويمثل الشكل الآتي الأملاك اليهودية التي تمت حولها الوكالات، وكانت النسبة الأعلى في مدينة القدس.

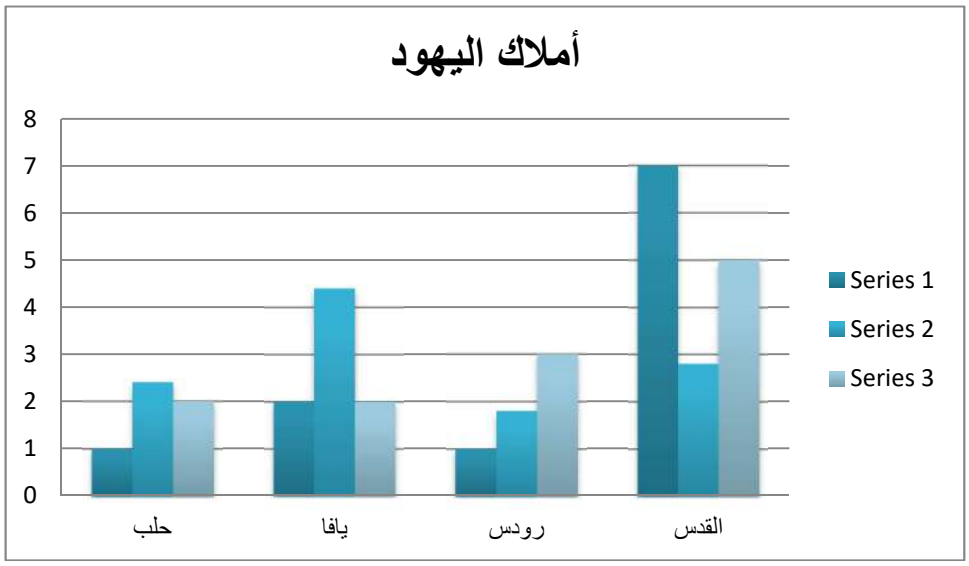

الخاتمة:

بحثت الدراسة موضوع الوكالات الخاصة باليهود في مدينة القدس، وذلك من خلال حجج الوكالات المثبتة في السجل رقم (397) من سجلات المحكمة الشرعية في القدس، وقد أجابت الدراسة عن الأسئلة التي طرحت في بدايتها، فكانت الإجابة بخصوص الأسباب المؤدية إلى عقد الوكالات أنّ غياب الموكل عن منطقة وجود الأملاك هو السبب الأساسي للتوكيل، مع وجود أسباب ثانوية أخرى مثل الحاجة إلى المال وبيع الأملاك البعيدة عن محل إقامة الموكل، ولوحظ أن بعض ممتلكات اليهود لم تكن في مدينة القدس وحدها بل في أماكن أخرى مثل يافا وحلب وأدرنة ورودوس، كما لم تنحصر التوكيلات فقط بين اليهود؛ إنما تم توكيل أشخاصٍ مسلمين من قبل اليهود المعنيين، وقد كانت الممتلكات الخاضعة للبيع عن طريق الوكالة متنوعة مثل الأراضي، والدور، والدكاكين.

وتوصلت الدراسة إلى أنّ الوكالات شكل من أشكال النشاط الاقتصادي لليهود في المدينة، ومن أبرز النتائج أيضاً:

- كان المُلّاك يوكلون أقرب الناس إليهم كالابن والحفيد والزوجة.
- كان أغلب الممتلكات التي وكّل بها في القدس.
- تمتع الوكيل بحرية التصرف في الممتلكات من بيع وشراء ورهن وتأجير.
- قُيّد الوكيل في بعض الحالات بحرية التصرف.
- كانت العقارات دُوراً في الغالب.
- كانت بعض العقارات الموكل عليها تقع خارج مدينة القدس.

The Economic Life of Jews in the City of Jerusalem in the Light of Records of the Sharia Court Register No. (397) Date (1319-1324AH / 1901-1906AD) Agencies as a Model

Hanan Malkawi, *History Department, The University of Jordan, Amman, Jordan.*

Abstract

This study sheds light on an important aspect of the Jewish life in the city of Jerusalem, which is the agencies. These agencies are to give the authorization of a specific person to act on the property of the client as agreed between the parties, so as to determine the nature of the powers to which the agent is entitled to act. This study focuses on the arguments of the agencies listed in record no. 397, one of the records of the Shari'a Court of Jerusalem during the period (1321 H / 1904-1322 AH / 1905), which gives a picture of Jewish property both in Jerusalem and abroad. The study also attempts to identify the residency of the clients and to show how the contracts of their agencies were documented either in the city of Jerusalem or outside the city of Jerusalem.

الهوامش

(1) المدني، زياد، **مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني (1246 – 1336هـ/1831-1918م)**، عمان،2004م، ص123. وسيشار إليه فيما بعد: المدني، مدينة القدس.

(2) هي جمعية يهودية نشأت في فرنسا سنة 1860م، وكان هدفها ثقافياً ومساعدة يهود العالم. تلمي، أفرايم ومناحيم، **معجم المصطلحات الصهيونية**، ترجمة: أحمد العجرمي، دار الجليل، عمان، 1988م، ص236.

(3) المدني، **مدينة القدس**، ص123.

(4) **مجلة الأحكام العدلية** (فقه المعاملات في المذهب الحنفي معها قرار حقوق العائلة في النكاح المدني والطلاق: النكاح - الافتراق)، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، بيروت، ط1، 2004م، ص385. وسيشار إليه فيما بعد: مجلة الأحكام العدلية.

(5) صبرة، محمود محمد، **ترجمة العقود التجارية**، الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1997م، ص135.

(6) **سجل شرعي محكمة القدس**، رقم (397)، حجة (389)، ربيع الأول 1321هـ/1904م، ص148. وسيشار إليه فيما بعد: س ش القدس.

(7) البيع البات : وقد عرف هذا النوع من البيع بأنه البيع القطعي الذي لا رجعة عنه. انظر: **مجلة الأحكام العدلية**، ص102.

(8) البيع الوفاء : وهو بيع فيه عهد بالوفاء من المشتري بأن يرد البيع على البائع حين رد الثمن، ويسمى بالبيع الجائز، أو بيع المعاملة، أو بيع الأمانة أو بيع الإطاعة. ابن عابدين، محمد أمين، **رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م، ج 5، ص545-546.

(9) **سجل شرعي محكمة القدس**، رقم (397)، حجة (389)، 13 ربيع الأول 1321هـ/1094م، ص148. وسيشار إليه فيما بعد: س ش القدس.

(10) **سجل شرعي محكمة القدس**، رقم (397)، حجة (400)، 11 ربيع الأول 1321هـ/1904م، ص149.

(11) **سجل شرعي محكمة القدس**، رقم (397)، حجة (400)، 11 ربيع الأول 1321هـ/1904م، ص150.

(12) **اليقراط :** هو جزء من 24 جزءاً. هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970م، ص 68. وسيشار إليه فيما بعد: هنتس، المكاييل والأوزان.

(13) **قومبانية زخيرن طوبيا :** مستعمرة يهودية تقع عند باب الخليل أحد أبواب مدينة القدس. انظر: س ش القدس، رقم (397)، 25ربيع الأول1321هـ/1904م، ص 154.

(14) **الذراع :** وحدة قياس طول كانت تساوي في مدينة القدس ½ 25 أنش (بوصة) أي ما يعادل 77 ,64 سم. هنتس، **المكاييل والأوزان**، ص 86.

(15) القرش: وحدة نقدية تعادل 40 مصرية ضربت في عهد السلطان مصطفى الثاني سنة 1694م. انظر: Artuk,Ibrahim **Islam Sikkeler Katalogu**, Milli Eğitim Baslmevi,Istanbul,1970,p.607.

(16) هو أحد أبواب القدس. انظر: **س ش القدس رقم (82)**، حجة (1)، أواخر صفر 1009هـ/1600م، ص64.

(17) نسبة إلى بلاد الكرج وهي جورجيا إحدى دول روسيا. انظر: مرقة، جميل، **سكان القدس وفلسطين**، مجلة القدس الشريف، أمانة القدس – عمان، ع 22، كانون الثاني 1987م،ص42.

(18) مستعمرة تقع عند باب العامود. انظر: **س ش القدس رقم (373)**، حجة (1)، 25 ذي الحجة 1302هـ/1885م، ص14.

(19) هي عملة أجنبية راجت في مدينة القدس منذ القرن التاسع عشر وهي من الذهب. انظر: المدني، **مدينة القدس**، ص 181.

(20) المقصود الحكومة العثمانية.

(21) **سجل شرعي محكمة القدس**، رقم (397)، حجة (141)، 25 ربيع الأول 1321هـ/1904م، ص153-154.

(22) **س ش القدس رقم (393)**، حجة (579)، 15 ذي القعدة 1321هـ/1904م، ص 205.

(23) المصدر السابق نفسه.

(24) المصدر السابق نفسه.

(25) **س ش القدس رقم (393)**، حجة (579)، 15 ذي القعدة 1321هـ/1904م، ص 206.

(26) **س ش القدس رقم (397)**، حجة (636)، 25 محرم 1322هـ/1905م، ص 223- 224.

(27) **المصدر السابق نفسه.**

(28) **المصدر السابق نفسه.**

(29) **س ش القدس رقم (397)**، حجة (579)، 13 رجب 1321هـ/1904م، ص 205.

(30) **س ش القدس رقم (397)**، حجة (580)، 14 رجب 1321هـ/1904م، ص 205.

(31) **س ش القدس رقم (397)**، حجة (د.ن)،15 ذي القعدة 1321هـ/1904م، (د.ص).

(32) الإشكناز (الأشكانزيم Ashkenazim)**:** هم اليهود المهاجرون من ألمانيا وفرنسا منذ القرن الخامس عشر الميلادي. انظر: المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، القاهرة، 1999م، ج4، ص251. Cohen,Amnon,**Jewish life under Islam, Jerusalem inthe sixteenth century**, Harvard University press, Cambridge, Massachsetts and London, England, 1984, p.6.

(33) **س ش القدس رقم (397)**، حجة (د.ن)، 7 ذي الحجة 1321هـ/1904م، (د.ص).

(34) **س ش القدس رقم (397)**، حجة (د.ن)، 10 صفر 1322هـ/1905م، (د.ص).

(35) **المصدر السابق نفسه.**

(36) رودوس (Radoss)**:** مدينة يونانية تقع شمال الجزيرة التي تحمل الاسم نفسه واشتهرت بتمثال كبير ويعد من عجائب الدنيا السبع وقد دمرته الزلازل. موستراس، س، **المعجم الجغرافي للإمبراطورية**

العثمانية، ترجمة وتعليق: عصام الشحادات، دار ابن حزم، 2002م، ص279. وسيشار إليه فيما بعد: موستراس، المعجم الجغرافي.

(37) **س ش القدس رقم (397)**، حجة (د.ن)، 29 ربيع الأول 1322هـ/1905م، (د.ص).

(38) أدرنة (Adirné) : مدينة في تركية الأوروبية وهي مركز ولاية أدرنة وتقع عند ملتقى نهري مريج وطونجه، موستراس، **المعجم الجغرافي**، ص 35 -36.

(39) **س ش القدس رقم (397)**، حجة (د.ن)، 8 ربيع الثاني 1322هـ/1905م، (د.ص).

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر المخطوطة:

- سجلات المحكمة الشرعية في القدس:

- سجل رقم (82) 1009هـ/1600م.

- سجل رقم (373) 1301 – 1303هـ/1883–1885م.

- سجل رقم (393) 1316 – 1318هـ/1898– 1899م.

- سجل رقم (397) 1319 – 1324هـ/1901– 1906م.

ثانيًا: المصادر والمراجع العربية:

صبرة، محمود محمد، **ترجمة العقود التجارية**، الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1997م.

ابن عابدين، محمد أمين، **رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، دراسة وتحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (9 أجزاء)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.

المدني، زياد، **مدينة القدس وجوارها في أواخر العهد العثماني (1246 – 1336هـ/1831-1918م)**، عمان، 2004م.

مجلة الأحكام العدلية (فقه المعاملات في المذهب الحنفي معها قرار حقوق العائلة في النكاح المدني والطلاق: النكاح ـ الافتراق)، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، بيروت، ط1، 2004م.

المسيري، عبد الوهاب، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، القاهرة، 1999م.

ثالثًا: الكتب المترجمة:

تلمي، أفرايم ومناحيم، **معجم المصطلحات الصهيونية**، ترجمة: أحمد العجرمي، دار الجليل، عمان، 1988م.

موستراس، س، **المعجم الجغرافي للأمبراطورية العثمانية**، ترجمة وتعليق: عصام الشحادات، دار ابن حزم، 2002م.

هنتس، فالتر، **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، 1970م.

رابعًا: الدوريات:

مرقة، جميل، **سكان القدس وفلسطين**، مجلة القدس الشريف، أمانة القدس – عمان، ع 22، كانون الثاني 1987م.

خامسًا: الكتب الأجنبية:

Artuk, Ibrahim**,** *Islam Sikkeler Katalogu*, Milli Eğitim Baslmevi, Istanbul,1970.

Cohen, Amnon, *Jewish life under Islam, Jerusalem inthe sixteenth century*, Harvard University press, Cambridge, Massachsetts and London, England, 1984.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 16 العدد 2، 2019، ص ص 601- 640

بين العربية والعبرية:

الخيارات اللغوية للأدباء اليهود العراقيين بَعد هِجرتهم إلى "إسرائيل"

محمود العمرات* ومحمد نصيرات**

تاريخ الاستلام 2019/3/28 تاريخ القبول 2019/7/4

ملخص

تَكوَّن المجتمَع الإسرائيليّ منذ نشْأته مِن خليطٍ غريبٍ وغيْر متجانسٍ مِن مجموعات مِن المهاجِرين مِن بلدانٍ مختلفة. وتُعتبر طائفة اليهود العراقيين واحدة مِن أهمّ مكوِّنات هذا المجتَمع. وقد ضَمّت هذه الطائفة عَدَدًا لا بأس به مِن الأدباء والشعراء، الذين بدأوا، بَعْد هِجرتهم إلى "إسرائيل"، يعانون جملةً مِن القضايا، كان مِن بيْنها ما تَعرضتْ له اللغة العربية مِن محاربة ومحاوَلة إقصاء؛ ممّا اضطرّ الغالبية العظمى منهم إلى التخلي عن الكتابة بها واستخدام الكتابة العبريّة بدلًا منها. لكن المُلاحَظ هو أنه حتى بَعْد انتقال هؤلاء الأدباء والشّعراء إلى الكتابة بالعبرية ظَلّت روح العربية وثقافتها حاضرتيْن في نتاجاتهم الأدبية. وقد جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على معاناة أولئك الأدباء والشعراء في عملية اختيار الوسيط اللغويّ عند كتابة أعمالهم الأدبية والشعرية. كما حاولتْ هذه الدراسة أنْ تُبيِّن مَن مِن بَيْنهم واصَل كتابته بالعربية، ومَن منهم اتخذ العبرية لغة لنتاجه الأدبيّ؟ وما هي الصعوبات التي واجَهَها أولئك الأدباء في عملية اختيار لغة الكتابة؟ وما هي مبرِّرات مَن تَحوّل منهم إلى الكتابة بالعبرية؟

الكلمات المفتاحية: يهود العراق، هجرة، "إسرائيل"، لغة، الكتابة الأدبية.

المقدمة:

تُعَد اللغة القاعدة الثقافية، وهي الأداة التي تُستخدم لإنتاج الفكر والأدب. ومنذ نهاية القرن التاسع عَشَر وبداية القرن العشرين، بَدأتْ تتشكّل لغة عبريّة ذات نَمط جديد، ثم بَدأتْ تزدهر مستمِدةً عناصرها ومكوّناتها مِن التوراة ومِن المشناه ومِن مصادر الثقافة العبرية الوسيطة

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2019.

* أستاذ مشارك، قسم اللغات الساميّة والشرقية، جامعة اليرموك، الأردن.

** أستاذ مساعد، قسم اللغات الساميّة والشرقية، جامعة اليرموك، الأردن.

والقديمة، بالإضافة إلى تجديد هذه اللغة وتطويرها. واستطاعت هذه اللغة تطوير مستويات أسلوبية كتابية وكلامية عديدة، جعلَتْها قادرة على إنتاج أدب عبريّ غنيّ ومركَّب؛ أدب لاقى نجاحات داخلية وخارجية كثيرة، وتُرجمتْ آثاره إلى عشرات اللغات. وقد أسهَم في كتابة هذا الأدب أدباء يهود ممّن هاجروا إلى فلسطين، سواء قبْل قيام ما يُسمّى "دولة إسرائيل" أو بعْده[1]، وكذلك أدباء يهود عرب هاجَروا مِن بلدان عربية، بالإضافة إلى أدباء عرب فلسطينيين[2] ممّن أجبرتْهم ظروفهم الحياتية داخل "إسرائيل" على تَعلُّم اللغة العبرية ليبدعوا، بَعْد ذلك، أدبًا بهذه اللّغة.

ولعلّ المتابع للأعمال الأدبية التي تَصْدر في "إسرائيل" يجدُها تتوزّع على مجموعات كبيرة مِن الكُتّاب الإسرائيليين، مِن أجيال ومرجعيّات ثقافية وجغرافية وإيديولوجية مختلفة إلى حَدّ التناقض. وتقدِّم أعمال هؤلاء الأدباء رؤية يُمْكن مِن خلالها قراءة المشهد الإسرائيليّ بتفاصيله الصغيرة التي رآها الكُتّاب وتَركتْ فيهم أثرًا دَفَعهم إلى كتابتها نصوصًا أدبية.

بَعْد قيام الكيان الصهيونيّ، والظروف السياسية التي سادت خلال تلك الفترة، اتّجهتْ الحركة الصهيونية إلى تهجير يهود البلاد العربية والإسلامية إلى هذا الكيان الناشئ حديثًا. ومِن بَيْن أكبر وأهم الطوائف اليهودية التي تم تهجيرها، خلال تلك الفترة، الطائفة اليهودية العراقية، تلك الطائفة التي تُعدّ واحدة مِن أقدم الطوائف اليهودية وأعرقها في العالَم؛ إذ يُرجع بعض الباحثين تاريخ وجودها في العراق إلى القرن السادس قبْل الميلاد[3]. وقد هاجَر ما بَين عامي 1950م و1951م ما يقارب 120.000 يهوديّ عراقيّ إلى "إسرائيل" ضِمن عملية هجرة كبيرة أُطلق عليها عملية "عزرا ونحميا - עזרא ונחמיה"[4]، ولَم يَبقَ في العراق، بَعْد هذه الهجرة، سوى بضعة آلاف هاجَروا هُم أيضًا خلال ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، حيث تَوجّه أغلبهم إلى كندا وبريطانيا، والقليل منهم تَوجّه إلى "إسرائيل".

والمعلوم أنّ التركيبة السكانية لما يُسمّى بـ "دولة إسرائيل" هي تركيبة غريبة تختلف عن تركيبة سكان أيّة دولة أخرى؛ فقد تكوّن النسيج السكانيّ لهذه "الدولة" مِن خليطٍ مِن المهاجرين الذين جاءوا مِن بلدانٍ مختلفة مِن الشرق ومِن الغرب، وجاءوا مِن خلفياتٍ تاريخيةٍ وثقافيةٍ متباينة. ومِن ثَمَّ فقد تكوّن داخل هذه "الدولة" مَشهد ثقافيّ غريب، كما أَكّد ذلك الكاتب والباحث جودت السعد في كتابه الموسوم بـ "رموز تحت الرحى"، حيث يقول واصفًا هذا المشهد إنّه: "مشهدٌ غريب، وذو ألوان قزحيّة باهتة ومتداخلة يَغيب فيها التميّز إلى درجةٍ يبدو رماديًّا أو ضاربًا إلى هذا اللّون... فالتركيبة الفسيفسائية للمجتَمَع الصهيونيّ على أرض فلسطين المغتصَبة لَم يَصِل إلى حدود المجتَمَع الطبيعيّ، بل هو تجميع اصطناعيّ اصطفافيّ تكوّن مِن أكثر مِن ثمانين قومية يتحدثون بلغاتٍ على عَدَد تلك القوميات، ومِن ثَمَّ فالوحدة المادية مستعصية مِن الناحية الديموغرافية والفكرية"[5]. كما أشارت إلى ذلك "عاديا مندلسون - ماعوز"، أستاذة الأدب

الإسرائيليّ ورئيسة قِسم اللّغة والأدب العبرييْن في الجامعة المفتوحة في "إسرائيل"، حيث تقول: "إنّ تاريخ دولة إسرائيل وطابعِها قد وَلّدا نسيجًا اجتماعيًا وثقافيًا غيْر متجانس إلى حَدّ كبير"[6].

لا يعبأ المرء في إيجاد العديد مِن الدراسات التي تناولتْ أوضاع يهود البلدان العربية، وخصوصًا يهود العراق، عَبْر تاريخ تواجُدهم في هذه البلدان. وناقشتْ دراسات عديدة الظروف التي أحاطت بعملية هجرة يهود البلدان العربية، سواء قبل قيام ما يُسمّى بـ "دولة إسرائيل" أو بَعْده، كما أَسهبَ الباحثون في الحديث عن الأوضاع الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية لهؤلاء اليهود في المجتمَع الإسرائيليّ، وكذلك داخل المجتمعات العربية التي عاشوا فيها قَبْل هِجرتهم، لكن الدراسات التي تناولتْ أوضاع الأدباء مِن بَيْن هؤلاء اليهود هي قليلة نسبيًا. ومِن هنا جاء اختيار هذه الدراسة، التي اتبعتْ المنهج الوصفيّ، وذلك لتسليط الضوء على واحدة مِن أهم المشاكل التي لاقاها الأدباء اليهود العراقيون بَعْد هِجرتهم إلى "إسرائيل"- اللغة التي كان ينبغي عليهم تبنّيها وكتابة أعمالهم الأدبية بها في "إسرائيل"، وذلك مِن خلال محاولة الإجابة عن بعض الأسئلة، مِثل: بأيّ لغةٍ كَتَب أدباء يهود العراق أعمالهم الأدبية في "إسرائيل"؟ وما سبَب اختيار هذه اللغة؟ ومَن مِنهم حَقّق النجاح الأدبيّ سواء داخل "إسرائيل" أو خارجها؟ وما الأسباب والمبرِّرات التي دَفعتْ هؤلاء الأدباء لاختيار لغة دون أُخرى لتكون لغة كتاباتهم الأدبية؟

الأدب العبري الحديث والخيارات اللغوية:

شَهِد الأدب العبريّ الحديث، خلال مراحل تطوُّره، فترات كان اختيار اللغة العبرية خلالها كأداة للتعبير الأدبيّ غيْر واضح على الإطلاق، واختار العديد مِن الكُتّاب اليهود اللغات المنافسة مِثل العربية أو لغة "اليديش - ייִדיש"[7]، أو بَعض اللغات الأوروبية. ومِن المعلوم أنّ اليهود عاشوا، خلال الفترة التي يُسمّيها الفكر الصهيونيّ بفترة "الشتات - גלות"[8]، بيْن شعوب مختلِفة، وقد طَوّروا، خلال تلك الفترة، ثقافة ثنائية اللغة أو متعدّدة اللغات[9]، وهذا ما عَبَّر عنه العديد مِن الدارسين والباحثين في تاريخ اللغة العبرية، ومِن بيْنهم أستاذ اللغة العبرية والباحث في اللغات السامية، "حاييم رابين - חיים רבין"، الذي يقول: "سادت لدى اليهود، منذ التوقُّف عن التكلم بالعبرية، حالة الازدواجية اللغوية..."[10]. وقد كانت العبرية، خلال هذه الفترة، تُستخدَم للصلاة والطقوس الدينية، وتمّ تبني اللغات المحلية، حيث وُجِدَ اليهود، للوظائف والحياة اليومية والبيروقراطية والتجارية وغيْرها.

وخلال فترة العصور الوسطى، تأثّر اليهود الذين عاشوا في ظِلّ الحُكم الإسلاميّ المنصِف، والتسامح الدينيّ، والتعاون المشترَك، وشهدتْ العربية والعبرية تفاعلًا لُغويًا فيما بينهما، وتأثّر اليهود أيّما تأثُّر باللغة العربية، واعتَمدوا العربية الفصحى لكتابة النثر والشّعر وكُتُب الفلسفة، وقد

أُطلق على ذلك العصر اسم "العصر الذهبيّ للغة العبرية". وبفضل العرب والعربية استطاع اليهود إنشاء ثقافة عبرية مزدهرة في تلك الفترة. وقد تطرّقت أستاذة الدراسات الثقافية في جامعة نيويورك، "إيلا شوحط - אילה שוחט" في مقالتها التي جاءت تحت عنوان "هويات ممزّقة... تأمُّلات (امرأة) يهودية عربية" إلى اندماج اليهود بالثقافة العربية أثناء وجودهم بَيْن المسلمين، حيث تقول: "إنّ الجاليات اليهودية التي عاشت في المنطقة منذ القِدم... مرّت بالتدريج، منذ قدوم الحضارة الإسلامية العربية، في عملية اندماج في الثقافة العربية، ومِن هنا أتى كيانها اليهوديّ - العربيّ"[11].

أمّا الأدباء الذين كَتَبوا أعمالهم الأدبية خلال الفترة التي أُطلِق عليها "فترة إحياء اللغة العبرية"[12] فَهُم أيضًا نتاج لخلفيات وتقاليد ثنائيّة اللغة، أو متعدِّدة اللغات، في بعض الأحيان. فقَد كَتَب العديد مِن الأدباء والشُعراء البارزين في مجال الأدب العبريّ في نهاية القرن التاسع عَشَر وبداية القرن العشرين أعمالهم باللغتين العبرية و"اليديش"[13]. وتجدر الإشارة هنا ألى أنه، وخلال تلك العقود التي شَهدتْ عملية إحياء اللغة العبرية، كانت "اليديش" هي اللغة الأم للغالبية العظمى مِن المهاجرين إلى فلسطين، وقد أشارت أستاذة اللغة العبرية والأدب المقارن في جامعة واشنطن، "نانسي بيرغ - Nancy Berg" إلى ذلك بقولها "في حين أنّه كان للغة العبرية تراث أدبيّ غنيّ، إلا أنها افتقرتْ إلى الجمهور الذي يُمْكن العثور عليه مقارنةً بجمهور اليديش... ولَم تَكن أيّ مِن اللغتين خيارًا طبيعيًا... فقد افتقرتْ العبرية إلى المرونة في اللغة المحكية، وافتقرتْ اليديش إلى الأساليب والصيغ التي تتطلّبها اللغة الأدبية ..."[14].

وقد أَحدثتْ الهجرات المتتالية إلى فلسطين منذ نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، واقعًا جديدًا على المستويَيْن الديموغرافيّ واللغويّ. فعلى المستوى الديموغرافيّ، أَخَذ التعداد السكانيّ اليهوديّ في ازدياد مُطرِد؛ وعلى المستوى اللغويّ، أصبح النطق بالعبرية جزءاً مِن الحيّز اللغويّ في فلسطين. فالعبرية كانت في طَوْر الإحياء، وأصبحتْ لغة مستقلة تفي باحتياجات الناطقين بها[15]. ومع نهاية الحُكْم العثمانيّ في فلسطين عام 1917م، واحتلال القوات البريطانية لفلسطين، حَدثتْ تغييرات بعيدة المدى في جميع مناحي الحياة، ومِن ضِمْنها المشهد اللغويّ، حيث عَزّز الانتداب البريطانيّ في فلسطين مكانة اللغة العبرية التي ترسّختْ آنذاك كلغة، تم إحياؤها للمجتمَع اليهوديّ، وتحوّلتْ إلى لغة رسميّة إلى جانب العربية والإنجليزية[16]. وقد عزّز تعريف "إسرائيل" كدولة يهودية مِن مكانة اللغة العبرية، التي أصبحتْ بدورها الرّمز أو الشّعار للكيان الصهيونيّ في توحيد اليهود وفي تقوية هويّتهم[17]. مِن هذا المنطلَق، اكتسبتْ اللغة العبرية مكانة اللغة القومية المسيطرة في "الدولة" الناشئة. ويشير عبد الرحمن مرعي، رئيس قِسم اللغة العبرية وآدابها في المعهد الأكاديميّ لإعداد المعلِّمين العرب في "بيت بيرل"، إلى أنّه "على الرغم مِن كون إسرائيل دولة مهاجرين، وتركيبتها السكّانية مزيج مِن شعوب مختلِفة، تتحدث على الأقل

72 لغة مِن اللغات العالمية الدارجة، فقد عَمِل صُنّاع القرار في "الدولة"، مِن دوافع إيديولوجية، لأنْ يَنسى كل مهاجرٍ لغته الأم، ويتعلّم العبرية ويتقنها محادثةً وكتابةً. هذه السياسة المبرمَجة، الناجمة عن دوافع إيديولوجية - قومية، ساهمتْ في انتشار العبرية في جميع ميادين الحياة المهنية والعلمية، وهناك مَن يُسمي العبرية بلغة الدولة، أيْ اللغة المهيمنة"[18].

ومنذ بدية العقد الثالث مِن القرن العشرين وَصلتْ نسبة اليهود المولودين في فلسطين - أولئك الذين تُطلِق عليهم الأدبيات الإسرائيليّة الصهيونيّة تسمية "جيل الصابرا" أو "الصباريم - הצברים "[19] - إلى نسبة 42% مِن مجموع اليهود في فلسطين، وكان معظمهم يتحدث العبرية ويقرأها لغة أساسية ووحيدة[20]. وأَخذت هذه النسبة تزداد، وبَدأت اللغة العبرية تترسّخ لغة للحياة اليومية والثقافية والسياسية. وبذلك، ومع وصول المهاجرين مِن الدول العربية، ومِن ضِمنهم أولئك المهاجرون مِن العراق، أصبحت اللغة العبرية لُغةً أدبيّة راسخةً، وأصبحت هي اللّغة الرسميّة للكيان الناشئ، وظَهرتْ أمام المهاجرين الجُدد مِن الدول العربية والإسلامية مسألة اختيار لُغة الكتابة مَرّة أُخرى. ووَقَع هؤلاء المهاجرون بَيْن مطرقة التأقلم مع الواقع اللغويّ الجديد، وسندان سياسة تهميش اللغة العربية وثقافتها، التي أَخَذ صُنّاع القرار في "إسرائيل" بممارَستها.

تهميش الثقافة العربية واللغة العربية في "إسرائيل":

بدايةً لا بُدّ مِن الإشارة إلى أنّ قِسمًا كبيرًا مِن اليهود العراقيين دَرَس العبرية في المدارس اليهودية في العراق قَبْل هِجرتهم إلى فلسطين، إلا أنّهم لَم يتمكنوا مِن التواصل مع اليهود الذين وُلِدوا في فلسطين (الصباريم) وعاشوا فيها قَبْل قدوم المهاجرين العراقيين، ففي تلك الفترة كانت اللّغة العبريّة المحكيّة المعاصِرة مختلفة كلّيًا عمّا تَعَلّمه اليهود العراقيون في المدارس اليهودية في العراق؛ لذلك كان ينبغي على الأدباء والشعراء والكُتّاب مِن بينهم تَعلُّم العبرية لغةً ثانية في "إسرائيل"؛ وذلك مِن أجْل الاستمرار في حياتهم المعيشية والأدبية في "إسرائيل"، وهذا ما خَلَق صعوبة أُخرى أمامهم. أمّا الأدباء مِن أبناء الجيلين الثاني والثالث فَلَمَ يواجِهوا هذه المشكلة؛ فقد أصبحتْ العبريّة بالنسبة لَهم اللّغة الأم، ونَشَأوا في الحيِّز اللّغويّ الذي مكّنهم بسهولة مِن تَعلُّم هذه اللّغة وإتقانها والإبداع الكتابيّ بها. وترى "سيجال جورجي - סיגל ג'ורג'י"، المحاضِرة في قِسم اللغة العربية بجامعة "بن غوريون" في النقب، أنّ "حالة الحرب بَيْن "إسرائيل" والدول العربية المجاورة أدّت إلى إزاحة اللغة العربية جانبًا بالنسبة لليهود القادمين مِن البلاد العربية، وفي بعض الأحيان تَنشأ حالة تشبّه العِداء بَيْن اللغتين والثقافتين. نتيجةً لذلك أصبَح الكثيرون يَتجاهلون التشابه والتقارب بيْن اللّغتين"[21]. كما يَعكس الشاعر "روني سوميك - רוני סומק" (1951م)، وهو واحد مِن أَبرَز الشعراء الإسرائيليّين المعاصِرين مِن ذوي الأصول العراقية، الظروف التي أحاطت بالكُتّاب اليهود العراقيين لدى وصولهم إلى "إسرائيل"، حيث يقول: "على

امتداد سنوات، اعتبرت اللغة العربية في "إسرائيل" لغة العدو[22]. هذه اللغة العظيمة اضطرت إلى الانعطاف عن الشارع الرئيسيّ إلى طريق ترابيّ"[23]. والمعنى نَفْسه تؤكّده "نانسي بيرغ"، حيث تقول: "... تضمَّن تحقيق الحلم الصهيونيّ تأسيس وطن أم ولغة أُم لتحل محل لغة المهاجرين الأصلية... لذلك، فقد كان اختيار وسيط لغويّ، بالنسبة للكُتّاب اليهود الذين جاءوا إلى "إسرائيل"، تحدّيًا آخَر مقارَنةً مع كُتّاب آخَرين حَوْل العالَم. وبالنسبة للكُتّاب الذين جاءوا مِن خلفيّة عربية، فقد اعتبرت العربية لغة العدوّ"[24].

وقد تحدثتْ "إيلا شوحط" عن محارَبة الصهيونية للثقافة الشرقية ومحاوَلتها إلغاء هذه الثقافة المتجذِّرة مِن المشهد الإسرائيليّ بَعْد هِجرة يهود البلاد العربية والإسلامية إلى فلسطين، حيث تقول في هذا الصدد: "كانت الصهيونية، مِن نواحٍ عدة، خدعة كبيرة لُعِبتْ على "المزراحيم"، وهي مجزرة ثقافية... ومحاوَلة ناجحة جزئيًا لإلغاء آلاف الأعوام مِن الحضارة الشرقية المتجذِّرة، والموحَّدة حتى في تَنوُّعها، خلال جيل أو جيلين"[25]. وفي إطار النظرة العنصرية الصهيونية تجاه كُلّ ما هو شرقيّ، اعتبَر اليهود الغربيون المهاجرون إلى فلسطين أنّ اليهود المهاجرين إليها مِن الدول العربية والإسلامية (متخلّفين وغيْر متحضِّرين ومحدودي القدرات الذهنية والفكرية)، ولذلك لا يَصلحون شركاء لهم في أيّ شيء[26]. كما تَبنّى قادة "إسرائيل" منذ البدايات محارَبة كل ما هو عربيّ وشرقيّ، ويكفي الاستشهاد، في هذا المقام، بما قاله أوّل رئيس وزراء لـ"إسرائيل"، "دافيد بن غوريون - דוד בן גוריון": "لا نريد أنْ يتحوّل الإسرائيليون إلى عرب. إننا ملزَمون بأنْ نَعمل ضِدّ الفكر الشرقيّ الذي أَفسد أفرادًا وجماعات، وعلينا المحافَظة على القيم اليهودية الأصيلة"؛ وكذلك ما قاله "أبا إيبان- אבא איבן"، ممثِّل "إسرائيل" في الأمم المتحدة ووزير الخارجية الإسرائيليّ في السبعينيات: "أمّا بالنسبة إلى نظرتنا للمهاجرين مِن دول الشّرق كجسر مع العالَم الناطق بالعربية فإنّ هدفنا المعلَن هو أنْ نَصبّ فيهم الفكر الغربيّ، ولن نعطيهم الفرصة لجرِّنا إلى داخل حياة شرقية غيْر طبيعية"[27].

ويقول أستاذ اللغة والأدب العربيّين في جامعة حيفا، "رؤوبين سنير - ראובן שניר": "... إنّ الجهاز الحكوميّ جَنَّدَ كل الإمكانات لكي يُهمِّش الثقافة العربية ونَجح في ذلك"[28]. ويتابع "سنير" حديثه حَول إنجازات الحركة الصهيونية، ويرى أنّ الإنجاز الأكبر لهذه الحركة هو أنها استطاعت أنْ تمحو، بَعْد أكثر مِن ألف وخمسمائة عام، الثقافة اليهودية العربية. وفي مكانٍ آخَر يضيف "سنير" واصفًا العربية كلغة إنتاج أدبيّ في "إسرائيل"، حيث يقول: "أمّا في عَصْرنا... أصبحت العربية الآن تتلاشى كلغة يتقنها اليهود... وليس هناك، مثلًا، ولو أديب يهوديّ واحد وُلِد بَعْد 1948م ويَكتب بالعربية. هكذا يتلاشى تدريجيًّا تراث حضاريّ نَشَأ قبْل أكثَر مِن ألف وخمسمائة عام"[29].

كما تحدث الشاعر "الإسرائيليّ" "ألموج بيهار - אלמוג בהר"، الذي وُلِد عام 1978م، وهو شاعر وقاص وناقد أدبيّ "إسرائيليّ" بارِز، وذلك في مقال له نَشره في صحيفة "معريف - מעריב" الإسرائيلية تحت عنوان "بيان رسميّ أدبيّ شرقيّ: طريق الكمال وطريق النقص - מניפסט ספרותי מזרחי: מסלול המלאות ומסלול החוסר"، عن دور المؤسَّسة التعليمية الإسرائيلية في تهميش الثقافة العربية لليهود الشرقيين، حيث يقول: "حاوَلت المنظومة التعليمية الإسرائيلية، بل ونَجَحتْ إلى حدٍّ كبير، في تربية جيل لا يستطيع التعرُّف على أدب آبائه، سواءً ذلك الأدب المكتوب باللادينو، أو بالييديش، أو بالعربية، أو بالفارسية واللغات الأخرى. كما نَجحتْ هذه المنظومة التعليمية في فَصْل غالبية خرّيجيها عن الكتب اليهودية التي كُتبتْ بَعْد التناخ (العهد القديم) وقَبْل "بياليك"، وكذلك عن الأشكال الأدبية التي كانت مألوفةً في العالَم العربيّ"[30].

حاوَلَ الأدباء والشعراء المهاجرون مِن العراق، في بداية الأمر، التمسُّك بلغتهم العربية وبثقافتهم التي أَلِفوها في العراق قَبْل هِجرتهم، ومنهم مَن واصَل، كما ستُبيِّن الصفحات اللاحقة مِن هذه الدراسة، تَمسّكه هذا، لكن الغالبية العظمى رضختْ، في نهاية المطاف، إلى تلك السياسة مِن التهميش والإقصاء، إلى الحدّ الذي جَعَلهم يتبنّون الرواية الصهيونية، ويتبنّون لغتها وثقافتها.

وقد حاولت المؤسَّسة الأدبية الإسرائيلية، وبشتى الوسائل والأساليب، إبعاد الأدباء والكُتّاب اليهود العراقيين، بَعْد هِجرتهم إلى فلسطين، عن كل ما هو شرقيّ أو عربيّ، بما في ذلك الماضي الذي عاشوه هناك قَبْل عملية الهجرة، ويُمكن الاستدلال هنا بما قاله الأديب "سامي ميخائيل - סמי מיכאל" الذي يقول: "أردنا أنْ نَكتب عن الماضي. لكن ذلك كان أمرًا غيْر مُرَحبٍ به مِن قِبل المؤسَّسة المسيطرة، التي أرادت أنْ يَكتب الأدباء الإسرائيليون عن التجربة الإسرائيلية فقط"[31].

الأدباء اليهود العراقيون بَعد هِجرتهم إلى "إسرائيل": بين العربية والعبرية:

تَركتْ حرب عام 1948م أثرًا بعيدًا في مجال الهوية والانتماء بالنسبة ليهود الدول العربية، وبخاصة يهود العراق. ففي بداية الأمر، توجّهتْ مجموعة مِن الشبيبة اليهودية العراقية، بَعْد أنْ حَطتْ رحالهم في فلسطين مع قيام ما يُسمى بـ "دولة إسرائيل"، إلى الكتابة الأدبية والصحفية باللغة العربية؛ وذلك لتَمكُّنهم مِن أدوات هذه اللّغة وآدابها، التي كانت تشكِّل بالنسبة لهم اللغة الأم. غيْر أنّ جمهور القُرّاء كان محدودًا ومقتصرًا على العرب في فلسطين. وخلال فترة وجيزة، انتقلَتْ غالبية اليهود العراقيين، الذين كان أغلبهم مِن ذوي الميول الشيوعية، إلى الكتابة بالعبرية بدلًا مِن العربية؛ وذلك، كما ترى مستشارة الإعلام الرقميّ في الخارجية الإسرائيلية، والإعلامية مِن أصول عراقية "ليندا منوحن - לינדה מנוחן، "بهدف الوصول إلى جمهور أكبر للتأثير فيه وتثقيفه. ومِن

أبْرز هؤلاء الأديب "سامي ميخائيل" و"شمعون بلاص". في حين انطلقَ الجيل الأكثر حداثة إلى الكتابة باللغة العبرية مباشرة مثل "إيلي عامير"، الذي قَلَّما كَتَب عنه النقّاد العرب، على الرغم مِن نجاحه في" إسرائيل" وحصوله على جوائز تقديرية عديدة"[32].

وقد واجَهَ الكُتّاب اليهود العراقيون الذين هاجَروا إلى "إسرائيل" خيارًا صعبًا حوْل اللغة التي سيَكتبون أعمالهم الأدبية بها ويتواصلون بها؛ فكانت هذه القضية واحدة مِن القضايا الأولى التي واجهتْهم: إمّا الكتابة بلغتهم الأم، لغة ثقافتهم السابقة، أيْ العربية، وإمّا الكتابة بلغة الموطن الجديد والثقافة الجديدة - أيْ العبرية. ولعل أسباب اختيار الكاتب لغة على أخرى هي أسباب معقّدة وغالبًا ما تَكون فردية. ومع ذلك، فهناك، كما أشارت "نانسي بيرغ"، "أوْجه تشابُه بين أولئك الكتاب الذين اتخذوا الخيار نَفسه فيما يتعلق بلغة الكتابة"[33]. وترى "بيرغ" أنّ الكُتّاب الذين اختاروا العربية لغة لكتاباتهم الأدبية يبدو أنّهم قد فَعَلوا ذلك بسبب "ارتباطهم الوثيق بلغتهم الأم وبسبب ما يَراه الكُتّاب عجزًا عن تكرار هذه العلاقات، أمّا بالنسبة لأولئك الذين يَكتبون أعمالهم الأدبية باللغة العبرية فإنّ علاقتهم بالعالَم المحيط باختيارات موضوعاتهم وجمهورهم المستهدَف هي المسيطرة"[34]. وهنا لا بُدّ مِن الإشارة إلى أنّ تصوُّرات الكُتّاب عن الماضي الذي عاشوه في العراق وعملية انتقالهم إلى "إسرائيل" تؤثّران في اختيارهم للمواضيع التي يعالِجونها في أعمالهم الأدبية، وتؤثّران كذلك في عملية اختيار لغة الكتابة.

ومنذ ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، بَدأ جيل مِن الأدباء والشعراء مِن بَيْن أولئك المهاجرين العراقيّين، بالتعبير عن تلك المعاناة والصعوبات التي واجهتْها هذا الطائفة بَعْد هِجرتها، حيث بَدأوا مرحلةً جديدة في مسيرتهم الأدبية؛ وذلك بَعْد أنْ تمكّن أكثَرهم مِن إتقان العبرية، وبَدأ الكتابة بها. وكانت رواية "المعبرة - המעברה" للأديب "شمعون بلاص - שמעון בלס" أوّل عَمَل أدبيّ يُنشَر في هذا الإطار، وكان ذلك عام 1964م. وكان هناك عَدَد مِن هؤلاء الأدباء والشعراء قد بَدأ الكتابة باللغة العبرية في العراق قَبْل هِجرته. وبَعْد الهجرة والوصول إلى "إسرائيل" كان عليهم أنْ يختاروا ما إذا كانوا سيواصِلون الكتابة باللغة العربية أو أنْ يتخذوا مِن اللغة العبرية لغةً لكتاباتهم الأدبية، لكنهم اختاروا مواصَلة كتابتهم بالعربية رافضين التخلي عنها باعتبارها جزءاً مِن هويّتهم الثقافية[35]، حيث كان العديد منهم على مَعرفة قويّة بالعربية وبأدبها، ورَأوا أنفسهم مرتبطِين باللغة العربية وبالثقافة العربية ارتباطًا وثيقًا، وهذا ما عَبّرتْ عنه "سيجال جورجي"، حيث قالت: "يُمكِن القول إنّ اللغة العربية هي جُزْء لا يتجزأ مِن هويّة اليهود المهاجرين مِن الدول العربية ووعيهم الثقافيّ"[36]. وتؤكّد "نانسي بيرغ" المعنى نَفْسه، مشيرةً إلى المستوى الثقافيّ الذي تمتّع به اليهود العراقيون وتَمكّنهم مِن اللغة العربية، حيث تقول: "كان اليهود العراقيون على مستوى عالٍ في اللغة العربية والثقافة العربية، وهذا ما يَظهر بوضوح مِن خلال مساهَمتهم الهامة في تطوير الأدب العراقيّ الحديث قَبْل هِجرتهم"[37].

هؤلاء الأدباء والشعراء الذين أصَرّوا على البقاء مخلصين لأصولهم الثقافية العربية، وواصَلوا الكتابة باللغة العربية، سرعان ما بَدأوا بمواجهة المأزق اللغويّ؛ فلغتهم الأم - العربية، أصبحتْ في ظِلّ الظروف التي أعقبتْ هجْرتهم إلى "إسرائيل"، لغة "العدو"؛ وكانت اللغة العبرية هي لغة "الدولة" الناشئة حديثًا، وهي لغة الصهيونية. ومِن هنا تشير "نانسي بيرغ" إلى أنّه "كان على أولئك الذين قَرّروا مواصَلة الكتابة التكيّف مع اللغة الجديدة أو البقاء في المنفى، مستخدِمين لغتهم الأصلية في بيئة أجنبية"[38].

وهناك مجموعة أُخرى اضطرت إلى هَجْر العربية لغةً للكتابة الأدبية مفضلةً التحوُّل إلى الكتابة بالعبرية، ورغم تحوُّل أولئك إلى الكتابة بالعبرية فإنهم ظلوا متأثرين بالمناخات الثقافية العربية التي انعكستْ في أعمالهم الأدبية المكتوبة بالعبرية، حيث شَكّلوا، قَبْل هِجرتهم مِن العراق، جزءًا مِن النسيج الاجتماعيّ العراقيّ، واندمَجوا في الحياة الثقافية الأدبية هناك؛ وهناك مجموعة أُخرى واصلتْ كتابة أعمالها الأدبية باللغة العربية وقامت، بَعْد ذلك، بترجمة تلك الأعمال إلى العبرية؛ وقرّرتْ مجموعة أُخرى مِن هؤلاء الأدباء والشعراء مغادَرة مجال الكتابة الأدبية، وتحوّل قِسم منهم، مِثل "ساسون سوميخ - ססון סומך" (1933م)، و"شموئيل موريه - שמואל מורה" (1932م - 2017م)، و"ديفيد تصيمح - דוד צמח" (1933م - 1997م) إلى القطاع الأكاديميّ.

وهناك بعض الشباب اليهود العراقيّين الذين غادَروا العراق وأصبَحوا أدباء وشُعراء في "إسرائيل"، وظَلّوا يَكتبون أعمالهم الأدبيّة والشّعريّة بالعربية فترة طويلة مِن الزمن، وكانوا يُعرِّفون أنفسهم بأنّهم "يهود عراقيون مقيمون في إسرائيل"، حتى إنّ بعضهم لَم يُطِق البقاء في "إسرائيل" وكان لا يستطيع العودة إلى العراق، فآثَر الرحيل مِن "إسرائيل" إلى بريطانيا، مثل "سمير نقاش - סמיר נקש" (1938م-2004م)، و"حزقيال قوجمان - יחזקאל קוגמן" (1931م-2018م)، وتوجّه بعضهم إلى كندا، أمثال الروائيّ "نعيم قطان - נעים קטן" (1928م)، والمؤرِّخ "مير بصري - מאיר בצרי" (1911م - 2011م)[39].

وهناك تيار آخَر ضَمّ الأدباء الذين قَدِموا إلى "إسرائيل" في سِنّ الطفولة وأنهوا دراستهم الثانوية ثم الجامعية فيها، واستطاعوا بسهولة نسبية الاندماج في الحياة الإسرائيلية والأدب العبريّ الحديث. ومِن أبرز ممثِّلي هذا التيار الأديب "إيلي عامير - אלי עמיר" (1937م)؛ فقد كانت الطريق التي سَلَكها "عامير" أقصر بكثير مِن تلك الطريق التي سَلَكها "ميخائيل" و"بلاص". وُلِد "عامير" عام 1937م في بغداد، وهاجَر مع عائلته إلى "إسرائيل" عام 1950م، وهو في الثانية عشرة مِن عُمره. دَرَس اللغة والأدب العربيّيْن وتاريخ الشرق الأوسط في الجامعة العبرية في القدس. وشَغَل مناصب متعدِّدة في وزارة الهجرة والاستيعاب في "إسرائيل"، وعَمِل مبعوثًا للوكالة "السفارادية" في الولايات المتحدة الأمريكية، وعُيِّن، في وقتٍ لاحِق، مديرًا لـ

"هجرة الشباب - עליית הנוער"، في الوكالة اليهودية، وأصبح بعْد ذلك فاعلًا في وزارة التربية والتعليم. هذا المسار الصهيونيّ، الذي أصبح فيه "عامير"، كمهاجر جديد مسؤولاً عن مصير المهاجرين الشباب، حَثّه على تبني الرواية الصهيونية بحماس، والتي تَعتبر خروج اليهود مِن العراق بمثابة خروج جديد لأبناء إسرائيل[40]. ورغْم معرفة "عامير" للغة العربية، فإنه كَتَب جميع أعماله بالعبرية.

أمّا المجموعة الأخيرة فتَضم أولئك الأدباء اليهود العراقيين الذين وُلِدوا في "إسرائيل" مِن أبناء الجيلين الثاني والثالث، وقد كَتبوا أعمالهم باللغة العبرية بَعْد أنْ شَكّلتْ هذه اللغة بالنسبة لأبناء هذين الجيلين اللغة الأم، وكانت ثقافتهم هي الثقافة الإسرائيلية التي يتلقاها كل طفلٍ إسرائيليّ في المدارس الإسرائيلية، ويتحدث الكاتب والمفكّر اليهوديّ العراقيّ "حزقيل قوجمان" حَوْل هؤلاء الأطفال، حيث يقول: "وقد تحقّق اليوم مِن هؤلاء الأطفال جيلين أو ثلاثة. وكلّما ابتعدَ الطفل عن آبائه الذين جاءوا مِن العراق فَقَدَ شعوره بالتبعية أو بالتقاليد العراقية بحيث إنّ مَن تبقّى حتى الآن مِن اليهود المهاجرين أصبحتْ أعمارهم تزيد على التسعين عامًا وأصبحَ أبناؤهم وأحفادهم بعيدين عن الشعور بالانتماء العراقيّ"[41]. ورغم أنّ الأعمال الأدبية لهذه المجموعة مِن الأدباء تُصوِّر، في كثيرٍ مِن الأحيان، ذكريات العراق والحنين إليه، وتتطرّق إلى الصعوبات والمشاكل التي يواجهها اليهود العراقيون في "إسرائيل"، فإنهم جميعًا كَتَبوا بالعبرية مباشرةً، ولم يعانوا مّا عاناه أبناء الجيل الأول، سواء في تعُلم العبرية أو الكتابة والنشر بها.

ومِن المعلوم أنّه تجتمع لدى الكاتِب، الذي يُولَد ويَنشأ في بيئة ثقافيّة ولغويّة معيّنة ثم يَنتقل، في سِنّ معيّنة، إلى بيئة أُخرى جديدة، هويّتان لا تنفصلان أبدًا: الهويّة الأصلية والهويّة المكتسَبة، وبطبيعة الحال لا بُدّ لهذه الازدواجية اللغوية - الثقافية، كما أشار الأديب اليهوديّ العراقيّ "شمعون بلاص"، أنْ "تنعكس في إنتاجه. ويبقى كاتِب كهذا بمثابة مغترِب بهذا القدر أو ذاك، ومختلِف عن نظرائه الأدباء في البلد الذي نَزح إليه"[42]. وهذا ما جَعَل الأديب "سامي ميخائيل" يقارِن نفْسه بأولئك الكُتّاب الذين نَشَأوا وعاشوا في بيئة واحدة، وكَتَبوا أعمالهم الأدبيّة بلغتهم الأم، حيث يقول: "إنّني أَحسد أولئك الكُتّاب الذين يَختبرون طفولتهم، وسنوات رياض الأطفال، وحُبُهم الأول وخيبات أمله، وكتابة خطوطهم الأدبية الأولى... في البلد نفْسه، وباللغة نفْسها، وبالثقافة نفْسها"[43]. وهذه هي الحالة التي مَرّ بها الأدباء اليهود العراقيون الذين هاجَروا إلى "إسرائيل" وعانَوها. ومِن أبرز الأمثلة والتجارب، تلك التي مَرّ بها "شمعون بلاص" حيث يقول في هذا الصدد: "لَم أَعْرف العبرية عندما نَزحتُ إلى إسرائيل، ولَم يَخطر ببالي في السنوات الأولى أنني سأَكتب ذات مرة بهذه اللغة. آمنتُ آنذاك أنّ الأديب لا يستطيع الإبداع إلا بلغته الطبيعية... وحتى بَعْد أنْ أصبحتْ العبرية لغتي اليومية... لَم أجرؤ على كتابة نَصّ أدبيّ بالعبرية"[44].

وترى "عاديا مندلسون - ماعوز" أنّ الأدباء اليهود العراقيين رَفضوا خلال الخمسينيات مِن القرن العشرين الكتابة باللغة العبرية، وكانوا يَعتقدون أنّ اللغة العربية كانت تُشكِّل جانبًا محوريًّا في هويّتهم، لكنهم بَعْد أنْ بَدأوا يواجِهون صعوبات في النشر باللغة العربية، تحوّلوا إلى الكتابة باللغة العبرية[45]. فبَعْد أنْ وَجَد هؤلاء الأدباء والشعراء أَنفسهم معزولين عن الجمهور اليهوديّ الواسع الذي لا يُمكِنه القراءة بالعربية، بل يَقرأ العبرية وحدها، آثَروا الانتقال إلى الكتابة بالعبرية، وكان ذلك، كما يرى الباحث صلاح احمد فاخوري، "نوعًا مِن قَمْع الذات الثقافية"[46]، ومِن أَبرز الأمثلة على ذلك الأديبان "سامي ميخائيل" و"شمعون بلاص" وغيْرهما، ممَن أصبحوا، بشكلٍ تدريجيّ، أدباء مزدوجي الثقافة.

المألوف أنْ يَكتُب الأديب أعماله الأدبية بلُغَته الأم، وأنْ نَجد أدباء يَكتبون بلغة أُخرى غيْر لغتهم الأم، سواء كانت هذه اللغة لغة ثانية أو لغة مكتسَبة، وهذا الأمر ليس بالغريب، وخصوصًا في عَصْر العولمة الذي نعيشه، فقد باتت عملية الكتابة بلغة أخرى ظاهرة مألوفة في العالَم، ولا تقتصر على فئة عرقيّة أو أقليّة معيَّنة، وتَكون هذه الكتابة إمّا وليدة الاغتراب واللجوء في أعقاب انتقال الكُتّاب مِن وطنهم إلى مواطن أخرى؛ وإمّا وليدة هيمنة لغة الأغلبية في الدولة نفْسها[47]. وإذا قمنا بقياس ذلك على الأدباء والشّعراء اليهود العراقيين في "إسرائيل" فإنّ هذين الادعائين ينطبقان عليهم[48]؛ فَقَد عانوا ما عانوا مِن الشعور بالاغتراب والتهميش الثقافيّ في أعقاب هِجرتهم مِن العراق إلى "إسرائيل" مِن جهة، ومِن جهة أُخرى، فإنّ العبرية، كما ذُكِرَ آنفًا، هي اللغة الرسمية للدولة التي باتوا يعيشون فيها، وهي لغة الأغلبية؛ ولذلك اتّخَذ معظمهم مِن العبرية لغة لكتاباتهم الأدبية.

وتجدر الإشارة إلى أنّ غالبية الشباب اليهود مِن الأصول الشرقية فَقدوا لغتهم الأم - العربية - ويَردّ عبد الرحمن مرعي ذلك إلى الأسباب الآتية[49]:

- وقوعهم تحت ضغوط الصّفوة "الأشكنازية"، التي ألزمَتْهم اكتساب الثقافة الغربية، عَبْر هَجْر اللغة العربية.
- الإيديولوجية الصهيونية التي تؤكِّد انفراديّة اللغة العبرية.
- الصراع العربيّ - الإسرائيليّ.

بَدأ الاهتمام بالأدب العربي الحديث يتلاشى، تدريجيًّا، عند اليهود العرب، وذلك بَعْد مغادَرة غالبية الطوائف اليهودية العالَم العربيّ خلال العقدين اللذين أعقبا قيام الكيان الصهيونيّ، وتوقّف قِسم كبير منهم عن الكتابة بَعْد انتقاله إلى "إسرائيل"، في حين تَحوّل قِسم آخر منهم، تدريجيًّا، إلى الكتابة بالعبرية، لكن رغم ذلك واصَل قِسم مِن الأدباء اليهود العرب، والعراقيين على وَجْه الخصوص، نَشْر أعمالهم الأدبية باللغة العربية، وذلك عَبْر الصحف والمجلات الأدبية العربية التي

كانت تَصْدر في "إسرائيل" في ذلك الوقت، والتي كان يشرف على تحريرها، في الغالب، يهود عراقيون. فقد رَفَض هذا القِسم مِن الأدباء والشعراء العراقيين التخلي عن ثقافتهم الأصلية ولغتهم الأم وواصَلوا الكتابة بها، ومِن أهم أولئك الأدباء سمير نقاش.

سمير نقاش ومواصلته الكتابة بالعربية:

وُلِد سمير نقاش في بغداد عام 1938، ودخل المدرسة في سِنٍّ مبكرة وهو في الرابعة مِن عُمره. وفي العاشرة مِن عُمره كانت لديه محاوَلات مبكرة في الكتابة، بَعْد أنْ قَرأ "ألف ليلة وليلة" وهو في الثامنة مِن عُمره[50]. هاجَر "نقاش" إلى "إسرائيل" في سِنٍّ الثالثة عشرة، وتوفي عام 2004م، وهو واحد مِن الأدباء القلائل الذين واصَلوا الكتابة الأدبية بالعربية فقط؛ وهذا ما جَعَل الكثير مِن الباحثين والنُقّاد، ومِن بينهم نجم والي[51]، و"ساسون سوميخ"[52]، يَعتبرونه استثناءً كبيرًا مِن جيله؛ لأنّه، ورغم مغادَرَته للعراق وله مِن العمر ثلاثة عَشَر عامًا، ظلّ متعصبًا للكتابة بالعربية ومخلصًا لجذوره الثقافيّة، وأبدى موهبة استثنائية بإتقانه اللهجة البغدادية[53]، كما أنّه كان يَحفظ عددًا كبيرًا مِن الأمثال الشعبية العراقية التي يُمْكن ملاحظَتها في قِصَصه ورواياته ومسرحياته، حتى إنّ بعضها حوت هوامش وحواشي لتفسير الأمثال والكلمات البغدادية الدارجة تلك.

عام 1967م عَمِل "نقاش" لمدة عام محرِّرًا بالقِسم العربيّ في الإذاعة الإسرائيليّة، ثم دَخَل الجامعة العبرية عام 1972م - 1975م وحَصَل فيها على درجة البكالوريوس في الأدبين العربيّ والفارسيّ، ونال، عام 1978م، شهادة الماجستير في اللغة العربية من الجامعة نفسها، وقَدَّم أطروحته عن "الأدباء والشعراء اليهود في العراق"[54]. وقد بَدأتْ أعماله الأدبية بالظهور منذ عام 1971م، وواصَل نَشْر هذه الأعمال حتى عام 1991م، وكُتبتْ جميعها بالعربية، حيث ضَمَّت خَمْس مجموعات قصصية، وثلاث مسرحيات، وأربع روايات[55]. وقد حَصَل "نقاش" على جائزة رئيس الوزراء للأدب العربي مرتين: الأولى، عام 1981م عن كتابه "يوم حبلتْ وأجهضت الدنيا"، والثانية، عام 1985م عن كتابه "عندما تَسقط أضلاع المثلثات"، كما حَصَل عام 1988م على جائزة التفرغ الأدبيّ لمدة عام واحد للإبداع العربيّ مِن وزير المعارف الإسرائيليّ "إسحاق نافون - יצחק נבון"[56].

ومِن خلال هذه الغزارة في الإنتاج الأدبيّ المنوَّع يتّضح أنّ "نقاش" كان كاتبًا متعدِّد المواهب؛ فقد كان قاصًّا وروائيًّا وكاتبًا مسرحيًّا وباحثًا في التراث اليهوديّ. وكانت العربية جزءًا مِن هويّته العراقية التي لَم يُفرِّط فيها. وقد وَصَفه الأديب المصريّ نجيب محفوظ بأنه "واحدٌ مِن أعظم الكُتّاب الذين يَكتبون بالعربية"[57]، وأكَّد "ساسون سوميخ - ססון סומך" ذلك المعنى

بقوله: "نقاش هو الأديب الأهم والأكثر غزارة في إنتاجه الأدبيّ مِن بَيْن كُلّ الأدباء اليهود الذين كَتَبوا بالعربية"[58].

ورغم أنّ الكثيرين مِن نقاد الأدب الإسرائيليّ مَدَحوا "نقاش" بسبب غزارة إنتاجه الأدبيّ، ولغته الغنية بالتعابير الأدبية وعُمقها الأدبيّ الرفيع، بالإضافة إلى كتاباته المتكاملة واستعماله مختلَف اللهجات العامية، فإنّه ظَلّ طوال حياته أديبًا غيْر مشهور، ويُرْجع أبو جابر، ذلك إلى أنّ "نقاش" ظَلّ متمسكًا وبشِدّة باللغة العربية والكتابة بها دون استعمال اللغة العبرية، على الرغم مِن أنه هاجَر إلى فلسطين في سِنّ مبكرة، وانتقال الغالبية العظمى مِن الأدباء والشعراء اليهود العراقيين إلى الكتابة بالعبرية[59]. كما عَبّرتْ "ليندا منوحين" عن ذلك بقولها: "بقي غائبًا عن فضاء الثقافة العربية كما أنّ كُتُبه لَم تَكن متوفرة في أسواقها. ولَم يَكُن وضعه في "إسرائيل" أفْضل لأنّ معظم كُتُبه لَم تُترجَم إلى اللغة العبرية وظَلّ فيها غريب الوجه واليد واللسان"[60]. وتُؤكّد "نيري لفنه - Neri Livneh " ذلك المعنى، حيث تقول: "نقاش كان يهوديًّا عراقيًّا كَتَب باللغة العربية، وهو أديب لامع يَشهد له الباحثون والمختصّون في الشأن الأدبيّ، لكنه كان يمتلك عَدَدًا قليلًا مِن القراء"[61]. أمّا الشّاعر الإسرائيليّ "ألموج بيهار - אלמוג בהר" فيَصف "نقاش" بأنه "أهم أديب يهوديّ نَشِط في الأدب العربيّ خلال القرن العشرين، وأنه أحد الأدباء العرب المهمّين خلال القرن العشرين، رغم أنه قضى معظم حياته في عُزلة أدبية...". إذًا، نتيجة لتَمسُّك "نقاش" باللغة العربية والكتابة بها بقيتْ مؤلَّفاته الأدبية والمسرحية شِبه معزولة، والجمهور الذي يقرأها أيضًا محدود العَدد؛ فجمهور القُرّاء العرب في "إسرائيل" لم يعتنِ بمؤلَّفات "نقاش"؛ لأنها بعيدة عن آلامه ومحيطه الذي يعيشه، كما أن هذه المؤلَّفات لَم تلقَ اهتمام يهود العراق في "إسرائيل"؛ لأنهم ابتَعَدوا عن اللغة العربية وحضارتها وأخذوا يندمجون في دائرة النشاط الاجتماعيّ الإسرائيليّ[62]. ويؤكّد "بيهار" هذا المعنى بقوله: "في إسرائيل، تمّ تجاهُله على مَرِّ السنين بسبب قلة الاهتمام بيهوديّ يَكتب بالعربية، وفي الأدب العربيّ تمّ تجاهُله على مَرِّ السنين بسبب كونه مواطنًا إسرائيليًّا"[63].

ويبدو أنّ هذه الحالة التي عاناها "نقاش"، وأطلِق عليها "ساسون سوميخ": "أدب بلا جمهور"[64]، قد أثّرت في نتاجات "نقاش"، الذي كتَب، في بداية الأمر، بالعربية الفصحى، وبَعْد فترة مِن الزمن، عندما اتّضحَ له أنه حتى مِن خلال هذه اللغة، القابلة للقراءة في جميع أنحاء العالَم العربيّ، لَم تُقرأ أعماله، بَدأ، وبشكلٍ متزايد، بدمج اللهجة اليهودية البغدادية في أعماله الأدبية (وكذلك اللهجات العراقية الأُخرى - لهجة المسلمين ولهجة المسيحيين)[65]. وقد أشارت أستاذة الأدب المقارَن في جامعة "برينستون" في الولايات المتحدة الأمريكية، "ليتال ليفي - Lital Levy"، إلى أنّ "نقاش" هو الكاتب الوحيد الذي استخدَم اللهجة البغدادية اليهودية مطوّلًا في نصوصه النثريّة. ومِن أجل التغلُّب على الصعوبات التي تطرحها هذه اللهجة على القارئ العربيّ

العام، تَرجَم "نقاش" المقاطع المكتوبة بالعاميّة إلى العربية الفصحى في الهوامش السفليةً للصّفحة[66]. وتَرى "ليفي أنّ هذا "يُنتج نوعًا مِن "النّص المزدَوَج، وهو عبارة عن ترجمة تلقائيّة تتوسّط بَيْن عالَم السَّرد وعالَم القارئ"[67].

وظَلّ "نقاش" يَرى نَفْسه عراقيًّا، الأمر الذي انعكسَ بوضوح في أعماله الأدبية التي تنبض بالحياة العراقية وباللهجة العراقية. وقد قال "نقاش" في الكتابة بالحرف العربيّ دون الحرف العبريّ: "إنني أعشق هذه اللغة التي نَطقتُ بها أوّل ما نطقتْ، وأستطيع بواسطتها التعبير عن دواخلي بشكلٍ أفضل، فلماذا أُقيِّد نفْسي بلغة أَعرف عنها أقل، وهي العبرية؟ ثم إنها تؤكِّد انتمائي العضويّ إلى أصلي العراقيّ"[68]. ويقول "نقاش" مباهيًا بقيّة الأدباء الذين غادَروا العراق: "اللغة هي أقوى أدوات الكتابة، وأنا أَكتب باللغة التي أَشمّ وأَتذوق وأَشْعر بها. ومهما تعلّمتُ مِن لغات أخرى فليس بمقدوري استحضار الكلمات مثلما استحضرها مِن لغتي العربية، ولهذا أنا وَصلتُ إلى ما لَم يكن بمقدورهم الوصول إليه"[69].

ويقول الأديب "سامي ميخائيل" حَوْل قرار نقاش الاستمرار في الكتابة بالعربية وعدَم تأقلمه مع الكتابة الأدبية بالعبرية: "ليس هناك أدنى شَكّ أنه كان شخصًا لديه آلية تدمير ذاتيّ ... يُمْكن أنْ نلاحِظ ذلك مِن خلال قراره الكتابة بالعربية. خلافًا لي ولبلاص، اللذين أتينا مِن العراق في سَنٍّ أكثر نضوجًا، وكنّا قد أصبحنا كُتّابًا، وبالرغم مِن ذلك فقد تأقلمنا مع الكتابة بالعبرية، في حين أنّ نقاش قَدِم إلى إسرائيل طفلًا، وكان بمقدوره وبسهولة أنْ يعتاد على الكتابة بالعبرية. ولَم يَكُن، السبب في ذلك عدم مَعْرفته العبرية، فقد تحدّثها بشكلٍ جيد، وقَرأها كذلك جيدًا، لكنه لَم يَرغب في الكتابة بها"[70]. ويقول "ميخائيل" أيضًا حَوْل معاناة "نقاش" في إيجاد قراء له: "لقد عانى طوال حياته في إيجاد قُرّاء له... بسبب عناده وإصراره على الاستمرار في الكتابة باللغة العربية"، أمّا "شموئيل موريه - שמואל מורה" فيقول حَوْل ذلك: "لقد اعتاد سمير على إرسال كُتُبه - بالبريد المسجّل، وبالطبع بدون أيّ مقابل ماديّ - لأيّ شَخْصٍ عربيّ يُلقي عليه السلام في الشارع، وبهذه الطريقة كان يَجِد قُرّاءً لأعماله"[71].

ويَعتقد "رؤوبين سنير" أنّ الأديب اليهوديّ الذي يَكتب أعماله باللغة العربية يجعله عُرضةً ليَكون العرب واليهود، على حَدٍ سواء، يَعتبرونه عدوًّا لهم، فيقول: "الكاتب اليهوديّ الذي يَنشر أعماله باللغة العربية يصبح محرومًا مِن الجانبين: اليهود يعتبرونه عربيًّا والعرب يعتبرونه يهوديًّا، فهو ليس مقروءاً تمامًا. فمثلاً، "سمير نقاش" مِن أكبر الكُتّاب العرب في عصْرنا، لكنه توفيَ دون أنْ يَملك الأشياء الضرورية للحياة الكريمة، وتستطيعين أنْ تجدي في شقته الصغيرة في مدينة "بتاح تكفا" مئات النُسخ مِن كُتبه التي نَشَرها على حسابه الشخصيّ دون أنْ تدُر عليه أيّ أرباح"[72].

لَم يَكُن قرار "نقاش" في الاستمرار في الكتابة بالعربية قرارًا سهلًا، فقد كان يَشعر بالاغتراب في المجتمَع الإسرائيليّ، وهذا ما يتضح مِن قوله: "لا أستطيع المصالَحة مع هذا المجتمَع... أنا أقيم هنا، لكنني لا أشعر أنني بداخل روحي أعيش هنا"[73]. ويُعبِّر "نقاش" في غَيْر مَوْقع عن شعوره بالغربة اللغوية والثقافية بَعْد هِجرته مِن العراق إلى "إسرائيل"، ومِمّا قاله: "لا وجود لي في هذا البلد (إسرائيل)، ليس ككاتب، أو مواطن، أو حتى كانسان. أنا أشعر أنني لا أنتمي إلى أيِّ مكان، ليس منذ أنْ اقتُلِعتْ جذوري مِن الأرض (العراق)"[74].

وقد كان "سمير نقاش" آخِر يهوديّ عراقيّ يَكتب باللغة العربية، وقد أشارت "ليتال ليفي"، إلى أنه مع وفاة "نقاش" عام 2004م "وصلتْ فترة المشارَكة اليهودية في الأدب العربيّ إلى نهايتها... اكتسبَ "نقاش" معرفة قوية باللغة العبرية، لكنه اختار العربية لغة لكتاباته الأدبية. وقد أصرَّ على هويته العراقية، واصفًا نفْسه بأنه يهوديّ عراقيّ في المنفى"[75].

أدباء يهود عراقيون انتقلوا من الكتابة بالعربية إلى الكتابة بالعبرية:

هناك مجموعة مِن الأدباء اليهود العراقيّين الذين بَدأوا مَسيرتهم الأدبية في "إسرائيل" بالعربية لينتقلوا، بَعْد ذلك، إلى العبرية لغةً لنتاجاتهم الأدبية، وذلك في محاولةٍ منهم للتعبير عن تجربتهم ومعاناتهم ومعاناة أبناء جيلهم خلال هِجرتهم مِن العراق إلى "إسرائيل"، سواء كانت تلك الظروف والمعاناة التي سبقتْ عملية الهجرة أو رافقتْها، أو تلك التي صادَفوها بَعْد وصولهم إلى فلسطين. ومِن أوائل الأدباء الذين ساروا في ذلك الاتّجاه الأديب "شمعون بلاص - שמעון בלס"، الذي وُلِد في بغداد عام 1930م. وأنهى دراسته الثانوية في مدرسة اليانس البغدادية (AIU)، حيث أَتقنَ العربية والفرنسية، وشكّلت الفرنسية له نافذة على الأدب العالميّ. ثم تابَع دراسته في مجال الصحافة، وأثناء ذلك أَخَذ يَنشر القصص والمقالات باللغة العربية[76].

بَعْد إنهاء خدمته العسكرية دَرَس "بلاص" الأدب العربيّ في جامعة تل أبيب، وقضى سنوات طويلة في تدريس اللغة العربية والأدب العربيّ في جامعة حيفا[77]. أَخَذ يَنشر في الصحافة العربية المحلية، ثم انتقلَ تدريجيًّا الى الكتابة باللغة العبرية. بَعْد نَشْر روايته العبرية الأولى "المعبراه - המעברה" (1964م)، لَم يَعُد إلى الكتابة الأدبية باللغة العربية. كما كان نشيطًا في الحزب الشيوعيّ الإسرائيليّ، فعَمِل في السنوات 1956م-1961م مراسلاً للشؤون العربية في الصحيفة الشيوعية "קול העם" (صوت الشعب)، ونَشَر بعض القصص العربية القصيرة والعديد مِن المقالات. وفي عام 1961م تَرَك "بلاص" الحزب الشيوعيّ، وكَرَّس نفْسه للكتابة الأدبية والأبحاث الأكاديمية والترجمة[78]. وفي عام 1970م سافَر إلى باريس، وهناك قَدَّم، في جامعة السوربون، أطروحة الدكتوراه، التي تناوَلَ فيها انعكاس الصراع العربيّ - الاسرائيليّ في الأدب العربيّ وكان

عنوانها "النكسة في الرواية والمسرح والقصة القصيرة العربية بيْن حزيران/ يونيو 1967 وتشرين أول/ أكتوبر 1972"[79].

وقد نَشَر "بلاص" أعماله العربية في مجلة "الجديد" (1953م-2001م) تحت اسم مستعار هو "اديب القاص"، الصادرة عن الحزب الشيوعيّ الإسرائيليّ. ولم يَكُن في ذلك وحيدًا، فإلى جانبه، نَشَر في هذه المجلة خلال الخمسينيات مِن القرن الماضي أدباء يهود آخَرون قَدِموا مِن العراق أمثال "دافيد تصيمح"، و"ساسون سوميخ"، و"سامي ميخائيل"[80].

وقد اعتبَر "بلاص" نَفْسه ربيب الثقافة العربية، حتى إنّه في السنوات الأولى لإقامته في "إسرائيل" استمرّ في الكتابة باللغة العربية: "في سنواتي الأولى في البلاد لَم يَكُن في داخلي أدنى شَكّ بأنّ اللغة العربية ستبقى لغة كتابتي. هذا الرأي عَبَّرتُ عنه كتابيًّا وشفويًّا"[81]. كما كان لـ "بلاص" نشاطًا واضحًا في ترجمة الأدب العربيّ إلى اللغة العبرية، لا سيّما ترجماته مِن الأدب الفلسطينيّ، كما قام بتشجيع مترجَمين آخَرين ودعْمهم مِن أجل تعزيز حركة الترجمة العبرية. وقد شَمِل نشاطه ترجمة أعمال قصصية مختلفة[82] لأدباء مصريين وفلسطينيين إلى اللغة العبرية[83].

بعد هجرة هؤلاء الأدباء مِن العراق إلى "إسرائيل" كَتبوا أعمالهم الأدبية، في بداية الأمر، بلغتهم الأصلية - العربية. وتجدر الإشارة إلى أنّ هنالك أعمالًا أدبية كُتبتْ بالعربية ولَم تُنشر إلّا بَعْد أعوامٍ عديدة مِن كتابتها، ولكن بَعْد أنْ أُعيدت كتابتها باللغة العبرية، وذلك بَعْد أنْ أتقنَ كُتّابها العبرية وأصبح هؤلاء الكُتّاب ملمّين بها وبثقافتها. ومِن الأمثلة على ذلك، روايته "المعبراه- המעברה"، التي نُشَرتْ " بالعبرية عام 1964م. وقد كُتبتْ في الأصل بالعربية، وكان ذلك في أوائل خمسينيات القرن العشرين، وكان عنوانها "مذكرات خادمة"[84]، لكن "بلاص" قَرَّر، بَعْد انقضاء أكثر مِن عَشْر سنوات على هِجرته، أنْ يتحوّل إلى الكتابة بالعبرية، وعندما وَجَد نَفْسه مؤهَّلًا لذلك، بَدأ بإعادة كتابة هذه الرواية بالعبرية وأصبحَ اسمها "المعبراه"؛ وذلك لكي يُوجِّه خطابه إلى الجمهور الإسرائيليّ بلُغَته، واستغرَقه ذلك، كما يقول: "أكثر مِن سنتين، انتهيتُ في ختامها مِن كتابةٍ جديدةٍ للرواية، صَدَرتْ عام 1964م"[85]. وقَبْل أنْ يتحوّل إلى كتابة هذه الرواية بالعبرية كَرّس "بلاص" نَفْسه لقراءةٍ شاملةٍ للكتاب المقدّس والمشناه، وبَدأ كذلك بقراءة كتابات الأديب الإسرائيليّ "شموئيل يوسف عجنون - שמואל יוסף עגנון" (1888م - 1970م) وغيْره مِن الأدباء الإسرائيليّين. وعند انتقاله مِن العربية إلى العبرية شَعَر "بلاص" أنه مُجبَر على إلغاء الكتابة بالعربية وإعادة تشكيل هويته مِن جديد[86].

وقد تَحدّث"بلاص" في غيْر مَوقع عن الصعوبات التي واجَهها عند انتقاله إلى الكتابة بالعبرية، حيث يقول: "لَم تَكن هذه التجربة سهلة ألبتّة، بل لا أبالغ إنْ قُلتُ: مؤلمة ومحبِطة. فقد اضطررتُ لتنويم العربية التي في داخلي، ونسيانها"[87]. وفي مكان آخَر يقول: "لَم يُشكِّل انتقالي

مِن العراق إلى إسرائيل الأزمة الكبرى بالنسبة لي، رغْم أنّ ذلك كان مخيبًا للآمال... أزمتي الكبرى كانت انتقالي مِن الكتابة بالعربية إلى الكتابة العبرية"[88].

ومِن أهمّ الأدباء اليهود العراقيين الذين انتقَلوا في كتابتهم الأدبية مِن العربية إلى العبرية الأديب "سامي ميخائيل -סמי מיכאל"، الذي وُلِدَ في بغداد عام 1926م. وتَلقّى تعليمه الابتدائيّ والثانويّ فيها. وفي بداية خمسينيات القرن العشرين حاوَل "ميخائيل"، في الوقت الذي ما زال يَنشر باللغة العربية فقط، أنْ يجرِّب الكتابة باللغة العبرية، وبالفعل بَدأ بكتابة رواية جَرت أحداثها في "معبراه". وفي عام 1954م نَشَر ميخائيل فصلًا مِن هذه الرواية تحت عنوان "حريق"، ولكن فقط بترجمةٍ عربية[89]. توقّف "ميخائيل" بَعْد ذلك عن الكتابة الأدبية، وفي عام 1974م، وبعد أنْ أتمّ الثامنة والأربعين مِن عمره، أنهى حالة الصمت الأدبيّ، وذلك مِن خلال نَشْره أوّل رواية له باللغة العبرية جاءت تحت عنوان "متساوون ومتساوون أكثر- שווים ושווים יותר"، وكانت هذه الرواية مبنية على النصّ العربيّ الذي كَتَبه في الخمسينيات مِن القرن الماضي.

وقد واجَه "ميخائيل" صعوبات كثيرة عند تحوُّله إلى الكتابة بالعبرية بدلًا مِن العربية، وأشار إلى ذلك في كثيرٍ مِن لقاءاته ومقابَلاته الصحفية، التي يقول في إحداها: "بَعْد قدومي إلى إسرائيل جابهْتُ وضعًا لا يُطاق. قرأتُ الإنجليزية وتحدثتُ العبرية، وفكرتُ وكتبتُ بالعربية. استمرت هذه الفترة ستّ سنوات. في تلك الأيام عملتُ في هيئة تحرير إحدى المجلات الأسبوعية العربية، لقد تطورتْ لغتي العربية الأدبية في إسرائيل، على وَجْه الخصوص، إلا أنه كلما ازددتُ غوصًا في اللغة العربية، أدركتُ أنني أتحول إلى نبتة غريبة في إسرائيل... وقد كان للانتقال النهائيّ مِن العربية للعبرية أبعاد عميقة بالنسبة لي، وعندما اتّخذتُ القرار أدركتُ أنّ هذه هي الهجرة الحقيقيّة لإسرائيل"[90]. كما وَصَف هذا التحوُّل بأنه كان "أصعب مِن تغيير الجنس... أجِد صعوبةً مع اللغة العبرية؛ إنها ليست لغتي الأم. عندما أحتاج إلى كلمة معيَّنة، تأتيني بالعربية أو بالإنجليزية. أما بالعبرية فيجب عليَّ أنْ أُفكِّر حتى تأتيني هذه الكلمة"[91].

وقد لا تُشكِّل اللغة بحدّ ذاتها عقبةً كبيرةً أمام الكاتب، كما ترى "نانسي بيرغ" "فإنّ مجموعة التحديات لا تنتهي عند هذا الحدّ. فبَعْد اكتساب اللغة، تأتي صعوبة أُخرى تنطوي على عملية نَقْل نكهة الثقافة القديمة بهذه اللغة الجديدة المكتَسبة. فتحدي الترجمة الثقافية هو أنْ تَستعمل لغة الجمهور المستهدَف لتقديم وَصْف غنيّ يَرسم صورة لأهل اللغة الأصل ولثقافتهم"[92].

وهناك أيضًا العديد مِن الشعراء الذين بَدأوا مسيرتهم الشعرية بالكتابة بالعربية لينتقلوا بعْد ذلك إلى العبرية متَّخذين منها وسيلة لنتاجاتهم الشعرية، ومِن بيْن هؤلاء: "سالم الكاتب - שלום כתב"، الذي وُلِد في بغداد عام 1931م، وبَدأ مشواره الشِّعريّ في العراق باللغة العربية، وواصَل

ذلك بعد هجرته إلى "إسرائيل" عام 1950م، وذلك مِن خلال نَشْره لديواني "مواكب الحرمان" في بيروت عام 1949م، و"وَشْوشات الفجر" في تل أبيب عام 1959م. ثم انتقلَ إلى الكتابة باللغة العبرية ونَشَر عدة دواوين بها[93]، تَحدّث فيها بأسى عن ماضيه في العراق وعن طفولته الضائعة وعن حاضِره في "إسرائيل". وهناك أيضًا الشاعرة "ليليان دبي جوري - לילי‌אן דבי גורי" التي وُلدتْ في بغداد عام 1945م، وكان والدها مِن أطباء بغداد المعروفين خلال الأربعينيات مِن القرن المنصرِم. وبَعْد هِجرتها إلى "إسرائيل" عام 1951م، دَرَستْ الأدبيْن العبريّ والعربيّ في جامعة "بار - إيلان"، ونَشرتْ عدة كُتُب ومقالات باللغة العبرية عن الشعر العبريّ الحديث، وحاضرتْ عنه في جامعات أوروبية وإسرائيلية مختلفة، ثم تفرغتْ لدراسة الأدب العربيّ الذي كَتَبه أدباء مِن يهود العراق، وخاصةً أعمال الأديبين "يعقوب بلبل" و"سمير نقاش". وقد أهدت ديوانها الأخير "على الأنهار وعلى البحار - על נהרות ועל ימים" إلى أنهار طفولتها حيث تقول[94]:

وُلدتُ في وادي الرافدين
وقطفتُ في بساتينها نرجسًا وياسمينا
والآن أمام البحر يكسو الملح شفتيّ اليابستين
أطأ الرمال بقدميّ الحافيتين
أشقُ الأمواج بجرأة
فعن شمالي ويميني
ضفاف تلك الأنهار التي ترافقني دائمًا
بمياهها العذبة الفرات

مبرِّرات الانتقال مِن العربية إلى العبرية مِن وجهة نَظَر الأدباء اليهود العراقيين:

منذ بداية القرن التاسع عَشَر، تَركَّز الإنتاج الأدبيّ بين الطوائف اليهودية في العالَم العربيّ على لغتين: "اللغة المقدسة" (العبرية الربانية التي شملتْ الآرامية أيضًا)؛ والثانية اللغة العربية - اليهودية (Judaeo - Arabic) سواء في مصر وشمال أفريقيا، أو في الشرق الأوسط، أو في اليمن. وخلال العقود الأخيرة مِن القرن التاسع عَشَر والنصف الأول مِن القرن العشرين، انضمت إلى هاتين اللغتين لغات الاستعمار (الفرنسية والإنجليزية، وبشكلٍ أقلّ الإيطالية والإسبانية)، وكذلك اللغة العبرية التي تمّ إحياؤها في فلسطين، لكن رَغْم ذلك ظَلّت العربية - اليهودية لغة مركزية بَيْن يهود العالَم العربيّ، سواء كلغةٍ مستخدَمة في الحياة اليومية، أو كلغة إنتاج أدبيّ. ويتحدث الشاعر "ألموج بيهار - אלמוג בהר" عن بداية كَسْر العلاقة بيْن اليهود العرب واللغة العربية، ويُرجع ذلك إلى مجموعة مِن الأسباب، أهمّها: "الصراع العربيّ - الإسرائيليّ، وسياسة

"بوتقة الصَهْر"[95] في إسرائيل، ومعارَضة المؤسسة الثقافية الإسرائيلية لاستخدام اللغة العربية، والموقف العنصريّ تجاه الثقافة العربية واللغة العربية"[96].

وفي ردِّه على سؤال حوْل سَبَب ابتعاده عن الكتابة بالعربية في وقتٍ مُبكِّر مِن حياته، يقول الأديب "سامي ميخائيل": "في السنوات الستّ الأولى في إسرائيل كتبتُ باللغة العربية... نشرتُ مقالاتٍ عديدة، وقصصًا بقلم "سمير المارد"، ثم تحوّلتُ إلى الكتابة باللغة العبرية إيمانًا منّي بانّ على الكاتب الكتابة باللغة التي يعيش فيها. فلو انتقلتُ للعيش في إنجلترا لكتبتُ باللغة الإنجليزية، ولو بقيتُ في العراق لكتبتُ باللغة العربية... ولذلك عليه (الكاتب) أنْ يَكتب باللغة التي يَنطق بها الأشخاص الساكنون على مقربة منه"[97].

وفي مكانٍ آخَر يقول "ميخائيل": "أنا أعيش في الواقع الإسرائيليّ الذي تُشكِّل اللغة فيه جزءًا أساسيًّا. الناس هنا يتحدثون بالعبرية، ويُفكرون، ويَحلمون بها. هناك كُتّاب مِن العراق واصَلوا الكتابة باللغة العربية حتى اليوم. كانت نوعية مميَّزة عندما كانوا يَكتبون حوْل العرب في العراق. لكن عندما يَكتبون حوْل الواقع الإسرائيليّ، يُمْكن أنْ نَشعر بالتفوُّق. هذا يعني أنْ تَكتب كمنفي في بلاد شخْص آخَر"[98]. وفي مقابَلةٍ له مع "كلوديا دي مارتينو" (Claudia De Martino) نُشرتْ في يناير/ كانون الثاني مِن عام 2010م، وبَعْد سؤاله عن عوْدته إلى الكتابة الأدبية بَعْد انقطاع دام 25 عامًا، قال "ميخائيل": "وُلدتُ في العراق وهاجرتُ إلى إسرائيل في سِنِّ الحادية والعشرين، كنتُ أَكتبُ باللغة العربية واستغرقَ الأمر خمسة عَشَر عامًا للانتقال مِن الكتابة العربية إلى العبرية. وخلال تلك السنوات، لَم أقَم بنشر روايات باللغة العربية أبدًا، ولكني قمتُ بنشر العديد مِن القصص القصيرة والطويلة. كَتبتُ أيضًا لصحيفة لمدة خَمْس سنوات. كنتُ في هيئة تحرير بعض الصحف العربية. ولكن السبب في عدَم نشْري أي رواية باللغة العربية هي أنّ الكُتّاب في المنفى عليهم أنْ يَكتبوا بلغة البلد الذي يعيشون فيه، وإلا فإنّهم لا يَجدون القُرّاء ويصاب معظمهم بالإحباط "[99].

وقد أصبح "ميخائيل"، بَعْد قبوله الهويّةَ الإسرائيلية ورَغبَته في الاندماج والكتابة في المجتمَع الذي يعيش فيه، يعاني حالة اضطراب لغويّ وتعبيريّ، ويقول في ذلك: "أنا الآن أفكر بالعبرية وأكتب فقط بالعبرية، ولكني ما زلت أشعر أنني لم أولد باللغة العبرية وأحيانًا كثيرة يتوقف القلم عن الكتابة والعقل عن التفكير من أجل البحث عن الكلمة الملائمة"[100].

أمّا الأستاذ اليهوديّ العراقيّ "شموئيل موريه" فيقول، في حوار أجراه معه سمير حاج، حوْل أولئك الكُتّاب اليهود العراقيين الذين بَدأوا كتاباتهم الأدبية في "إسرائيل" بالعربية، ثم انتقَلوا إلى الكتابة بالعبرية: "هذا أمْر طبيعيّ، مَن قام بهذه الخطوة له نظرة بعيدة للمستقبَل، مثل الأديب سامي ميخائيل والبروفيسور شمعون بلاص. فقد رَأوا أنّ الجمهور الذي يستطيع أنْ يشتري

كُتُبهم ويَقرأها هُم قُرّاء العبرية. أما القُرّاء العرب، فإنّ أغلبهم مِن القرى ولهم آمال واتجاهات وطنية قومية تختلف عن اتجاهات اليهود القادمين مِن الدول العربية"[101].

ويُعلِّل "بلاص" قراره الانتقال إلى الكتابة بالعبرية بدلًا مِن العربية لكي لا يَعزل نفْسه عن المحيط الجديد الذي أصبح يعيش فيه، حيث يقول: "فَرَض الواقع الجديد عليَّ الانتقال إلى الكتابة بالعبرية. في السنوات الأولى كنتُ أعتقِد أنّ الأديب لا يستطيع الكتابة إلا بلُغته الطبيعية، وواصلتُ الكتابة والنشر بالعربية...لكن بمرور الوقت أدركتُ أنني أَعزل نفْسي وقرَّرتُ الانتقال للكتابة بالعبرية"[102]. وفي مكانٍ آخَر يتحدث "بلاص" عن سَبَب هذا الانتقال قائلًا: "انتقلتُ إلى الكتابة بالعبرية لأنّني تحققتُ مِن كوني كاتبًا يُحاوِل إيصال رسالته إلى جمهور مِن القُرّاء يُشاركه تجاربه الحياتية، فيجب عليَّ أنْ أَكتب بلغة هذا الجمهور الذي لا يَقرأ العربية"[103]. وفي موضعٍ آخَر، يُرْجع "بلاص" سَبَب انتقاله هذا إلى نظرة المجتمَع الإسرائيليّ إلى العالَم العربيّ والثقافة العربية، حيث يقول: "إسرائيل بلد هجرة، وفي تجربة انتقالي مِن لغة لأُخرى، لَم أكُن حالة استثنائية بيْن الأدباء. لكنني قدِمتُ مِن العراق، مِن عالَم اعتبرتْه المؤسَّسة السياسيّة والثقافيّة ليس مجردَ عالَم العدو، بل عالَمًا متخلفًا ليس فيه قِيم يُمكِن الاستفادة منها. حرَّكني هذا الرأي، كما حَرَّك مجموعة مِن الأصدقاء مِن مهاجري العراق، لبذل ما في إمكانياتنا المتواضعة لتقديم صورة أُخرى عن حياة الثقافة العربية"[104]. كما يرى "بلاص" أنّ عملية الكتابة بالعبرية ضروريّة لمن انتقلَ إلى العيش في مجتمَع يهوديّ لغة الكتابة والخطابة فيه هي العبرية، ويؤكد أنّ الاستمرار في الكتابة بالعربية بالنسبة له وللأدباء العراقيين عزلة لهم: "فلو واصلتُ الكتابة بالعربية لفرضتُ على نفْسي العزلة. وهذا ما حَدَث لبعض الأدباء النازحين مِن العراق كـ "سمير نقاش" و"إسحاق بار موشيه"، قُرّاؤهما محدودون، وإنتاجهما يكاد يَكون غيْر معروف إطلاقًا لا في إسرائيل ولا في البلاد العربية. ويؤسفني أنْ أرى أديبًا ذا إنتاج متميز كـ "سمير نقاش"، يعيش في عزلةٍ كهذه مع كُتُبه"[105].

رغْم كل ما تمّ ذِكره فإنّ الظروف الاقتصادية الصعبة التي عانى منها المهاجرون العراقيون، وصعوبات التكيّف مع المجتَمع الاسرائيليّ الجديد، والعلاقات المضطربة بيْن اليهود والعرب على خلفية الصراع العربيّ - الإسرائيليّ، والإحساس بالاغتراب في الثقافة الإسرائيلية، كلّ هذه العوامل أقنعتْ هؤلاء الأدباء، وبشكلٍ تدريجيّ، بالتخلي عن الكتابة باللغة العربية وتبني العبرية بدلاً منها.

تمسُّك يهود العراق بثقافتهم العربية بَعد هِجرتهم إلى "إسرائيل":

كما ذُكِر آنفًا، كان هناك العديد مِن الأدباء اليهود الذين وُلِدوا في العراق وهاجَروا فيما بعْد إلى "إسرائيل"، واتَّجَهوا إلى الكتابة باللغة العبرية، لكنهم ظَلّوا، رغْم هذا التحوُّل في لغة الكتابة، متعلِّقين باللغة العربية وبثقافتها بالرغم مِن عَدَم استعمالهم لها لغةً لكتابة أعمالهم الأدبية. ويَرى

الكثير منهم أنّ اللغة العبرية فُرضتْ عليهم لأسباب عديدة، وفي هذا الصدد يقول "رؤوبين سنير": "والديّ كانا عراقيَّيْن ولغة أبي ولغة أمي كانت عربية. أما أنا فولدتُ في إسرائيل ولغتي هي العبرية، أمّا العربية بالنسبة لي فهي لغةٌ مكتسَبة؛ ولذلك هويتي ليست عربية أو عراقية، بل هوية إسرائيلية فرضَتْها عليَّ الصهيونية دون أنْ يَكون لي خيار آخَر ورسَّخها الصراع الدمويّ في الشرق الأوسط..."[106].

أمّا "شمعون بلاص" فرغم تَحوُّله إلى الكتابة باللغة العبرية ظَلّ متصلًا بثقافته العربية التي نَشأ في كنفها وأَلِفها في العراق قَبْل هِجرته إلى "إسرائيل"، وحَوْل ذلك يقول: "لقد تَحوَّلتُ للكتابة بالعبرية، منذ بداية الستينيات، ولكني لَم أَقطَع صلتي بالأدب العربيّ، بل ارتأيتُ أنّ مِن واجبي إطلاع القارئ العبريّ على هذا الأدب عن طريق الترجمة ونَشْر المقالات في الصحف. كما وَجَّهت اهتمامًا خاصًا بالأدب الفلسطيني وأَصدرتُ سنة 1969م مجموعة "قصص فلسطينية"، وهي أوّل مجموعة قصصية صَدرتْ بالعبرية مع مقدمة عن مسيرة القصة الفلسطينية منذ بداية القرن حتى ما بَعْد حرب 1967م. وقد قادني اهتمامي هذا في نهاية المطاف إلى التخصّص بالأدب العربيّ المعاصِر، وهكذا قيّض لي أنْ أَجمع بَيْن الدراسة الأكاديمية والكتابة الإبداعية. وممّا لا شكَّ فيه أنّ هذه الثنائية في المصادر الثقافية واضحة في إنتاجي الأدبيّ، كما هي واضحة في إنتاج أدباء آخَرين تثقَّفوا بالثقافة العربية كسامي ميخائيل"[107]. ويرى أستاذ الدراسات الإسرائيلية، محمد جلاء إدريس، أنّ "شمعون بلاص" "ما زال محافظًا على "شرقية" عناصره التي اكتسَبها مِن العالَم العربيّ، وأنّه لَم يَدخل إلى العالَم الجديد إلاّ مِن باب اللغة فقط، حيث هَجَر اللغة العربية إلى اللغة العبرية"[108].

ويُقرّ الأديب "سامي ميخائيل"، هو الآخَر، بقوة التأثير العربيّ عليه، وصعوبة الانسلاخ منه، فهو عراقيّ يَحمل في داخله ثقافته وجذوره، فيقول: "أوقعتُ (الطلاق) بيني وبَيْن اللغة العربية، إلا أنّ طابعها وتأثيرها لا يزالان باديَيْن في أسلوب كتابتي، وإذا كنتُ قد تمكنتُ مِن أسلوب خاص بي، فإنّ أساس هذا الأسلوب هو الدمج بَيْن العربية التصويرية، وبَيْن العبرية الحديثة الجوهرية، وأنا أميل شخصيًا إلى هاتين الميزتين المتناقضتين"[109].

ومِن الأمثلة على تعلُّق هؤلاء الأدباء بالثقافة العربية ما يقوله الأديب "إيلي عامير - אלי עמיר" (1937م): "تَركتُ العراق وأنا في الثانية عشرة مِن عمري قَبْل أنْ أستقي مِن منهل الأدب والشعر العربيّ لحدّ الارتواء... غَيْر أنّ حبّي وتعلقي بجذوري العراقية منعني مِن التفريط باهتمامي وتَعلُّمي اللغة العربية وآدابها ودراسة تاريخ الشرق الأوسط في الجامعة العبرية. وفي حياتي اليومية استخدمتُ اللغة العربية اليهودية الدارجة وطالعتُ باللغة العربية واحتفظتُ بعادة الاستماع إلى الموسيقى العربية، مَصْدر إلهامي"[110].

وفيما يتعلق بطريقة اندماج العبرية والعربية في رواية "مطير الحمام - מפריח היונים" (1992)، يقول كاتبها، "إيلي عامير": "عندما كَتبتُ هذه الرواية العبرية، تخيّلتُ أبي يقصُّها عليَّ باللغة العربية"[111]. والأمثلة والشواهد على مدى تأثير اللغة العربية والثقافة العربية على تكوين شخصية الأدباء اليهود الذين هاجَروا مِن العراق إلى "إسرائيل" كثيرةٌ جدًا. والجدير بالإشارة في هذا السياق أنّ أبناء الجيلين الثاني والثالث مِن أبناء المهاجرين العراقيّين، رغم عدَم معرفتهم باللغة العربية، ورغم أنهم لَم يعيشوا في البيئة الثقافية العربية مطلقًا، ورغم كل محاوَلات المؤسّسة الإسرائيليّة الصهيونيّة إبعادهم عن روح هذه الثقافة وطَمْس معالمها عند هؤلاء الأدباء والشعراء، فإنّ أعمالهم الأدبية التي كُتبتْ بالعبرية خلال العقود القليلة الماضية تنبض بروح هذه الثقافة.

وقد تَبنّى هؤلاء الأدباء، وعلى رأسِهم "سامي ميخائيل"، ممّن نجَحوا في التكيُّف مع الكتابة الأدبية باللغة العبرية، في كثير مِن الأحيان، وبشكلٍ تدريجيّ، الرواية الصهيونية[112]، رغْم أنهم ظلّوا محتفظِين بعلاقتهم بالثقافة العربية[113]. وقد أشار "رؤوبين سنير"، إلى "أنّ الفجوة الكبيرة بَيْن كتابات ميخائيل باللغة العربية في خمسينيات القرن العشرين وكتاباته بالعبرية منذ سبعينيات القرن نفْسه يُمكِن أنْ توضِّح التحوُّل الذي مَرَّ به المؤلِّف بَعْد أنْ كان يهوديًّا عربيًّا ملتزمًا بالشيوعية ليصبح متبنيًا للرواية الصهيونية الرئيسية". ولأنّ هؤلاء الكُتّاب توجّهوا مِن خلال كتاباتهم الأدبية إلى جمهور يتحدث العبرية، ذلك الجمهور الذي تُفضِّل غالبيته الثقافة الغربية، فقد فَرَض ذلك عليهم بعض التغيّرات في الاختيارات الأدبية. وقد كان الأديب "شمعون بالاص"، أثناء تكيّفه مع الكتابة باللغة العبرية، واحدًا من أوائل أولئك الذين حاوَلوا التمسّك بالخيارات الثقافية الأصلية كـ "عربيّ يهوديّ". وفي تفسيره لعملية انتقاله إلى الكتابة بالعبرية يقول "بالاص":"إنني أشْعر أنني أَعزل نفْسي عن المجتمَع الذي أعيش فيه مِن خلال كتابتي بالعربية، ومع ذلك، فهذا لا يعني، أنني تخليتُ عن أصولي الثقافية"[114].

ويُمكِن التساؤل، في هذا السياق، هل كتابة الأديب لأعماله الأدبية باللغة الجديدة التي فرضَتها عليه الظروف، تلك اللغة التي تعلَّمها في سِنٍّ متقدمة مِن العمر، وبَدأ يَكتب أعماله بها متوجهًا إلى جمهور الناطقين بهذه اللغة، قد تختلف عما كان يُمكِنه أنْ يَكتب فيما لو واصَل كتابته الأدبية بلغته الأم؟ وهنا يُمكِن الإجابة مِن خلال ما قاله الأديب اليهودي العراقي "شمعون بلاص"، "ثمة حقيقة في المقولة: إنّ الظروف تُوجِّه خطوات المرء، وهي، كما يتّضح، تصوغ عالَم الأديب"[115]. إذًا يُمكِن القول وبوضوح إنّ اللغة الجديدة التي اكتسَبها الأدباء اليهود العراقيون بَعْد هِجرتهم إلى "إسرائيل"، أيْ العبرية، فَرضتْ عليهم مضامين جديدة لأعمالهم الأدبية، وجَعلتْهم يتبنون الرواية الصهيونية في أعمالهم الأدبية، وفَرضتْ كذلك رؤية جديدة تختلف كل الاختلاف عمّا أَلِفوه قَبْل هِجرتهم.

الخاتمة:

هناك العديد مِن الأدباء والشعراء اليهود العراقيين الذين ينشطون اليوم على خارطة الأدب الإسرائيليّ، وقد بَدأوا كتابتهم الأدبية باللغة العربية وانتقلوا، فيما بعْد، إلى الكتابة بالعبرية، ومِن أهمّ هؤلاء الأدباء "سامي ميخائيل" و"شمعون بالاص"، كما أنّ هنالك أدباء لَم يَكتبوا بالعربية نهائيًا، لكنّ الثقافة العربية واللغة العربية قائمة في أساس تعليمهم وتربيتهم، ومِن بينهم "إيلي عامير". وقد وَصَل هؤلاء الأدباء إلى "إسرائيل" قادمين مِن العراق خلال الهجرة التي أعقبتْ قيام ما يُسمّى بـ"دولة إسرائيل"، تلك الهجرة التي جَلبتْ إلى فلسطين آلاف الشباب الذين كانوا على مَعْرفة قويّة بالعربية وبأدبها، وقد رَأى العديد مِنهم أنفسهم مرتبطين ارتباطًا وثيقًا باللغة العربية وبالثقافة العربية، اللتين شَكّلتا جُزءًا لا يتجزأ مِن هويّتهم ووعيهم الثقافيّ.

وقد واجَه الأدباء والشعراء اليهود العراقيون صعوبة في التأقلُم مع المحيط اللغويّ الجديد الذي بَدأ يَفرض عليهم استخدام اللغة العبرية مِن أجل استمرار مسيرتهم الأدبية، فلغتهم الأم - العربية، أصبحتْ في ظِلّ الظروف التي أعقبتْ هجْرتهم إلى "إسرائيل"، لغة "العدو"؛ وكانت اللغة العبرية هي لغة الدولة الناشئة حديثًا، وهي لغة الصهيونية. وبَعدما بَدأوا بمواجهة هذا المأزق اللغويّ، تَوجّهت الغالبية العظمى منهم إلى الكتابة باللغة العبرية بدلًا مِن اللغة العربية التي شَكّلتْ بالنسبة لهم اللغة الأم ولغة الثقافة التي ألفوها في العراق قَبْل هِجرتهم إلى الكيان الصهيونيّ.

ومِن أَبرز الملامح التي يُمكِن ملاحظَتها في الكتابات الأدبية لليهود العراقيّين بَعْد هِجرتهم مِن العراق إلى "إسرائيل" تنوّع أدوات التعبير التي استخدَموها وتعدُدها؛ فمنهم مَن واصَل الكتابة الإبداعية بالعربية رافضًا التخلي عن الموروث الحضاريّ والثقافيّ الذي عايشه في العراق، مِثل "سمير نقاش"، ومنهم مَن بَدأ مشواره الأدبيّ مستخدمًا العربية لينتقل بَعْد ذلك إلى الكتابة بالعبرية، مِثل "ميخائيل" و"بلاص"، ومنهم مَن بَدأ بالعربية لينتقل بَعْد ذلك إلى الفرنسية، مِثل "نعيم قطان". وهناك مجموعة أُخرى تَكتب أعمالها الأدبية بالعربية لتُترجمها بَعْد ذلك إلى العبرية. أمّا أبناء الجيلين الثاني والثالث فَقد انطلَقوا في كتاباتهم الأدبية مباشرةً بالعبرية؛ وذلك لأنّ العبرية أصبحتْ بالنسبة لهم اللغة الأم، بالإضافة إلى ذلك فَهُم لا يجيدون العربية نتيجةً لسياسات التعليم التي انتهَجها الكيان الصهيونيّ ومحاربته للغة العربية ولثقافتها.

يُعتبر الأديب والمسرحيّ "سمير نقاش" إحدى الشخصيات البارزة بَيْن أولئك اليهود العراقيّين الذين هاجَروا إلى فلسطين في مَطلع خمسينيات القرن العشرين. وقد كان لامعًا في مجال الأدب والمسرح الذي كُتِب بالعربية في "إسرائيل" خلال النصف الثاني مِن القرن العشرين؛ حيث كان غزير الإنتاج، ولعلّ مِن أهم ما ميّزه عن بقية الأدباء والكُتّاب اليهود العراقيين، الذين هاجَروا إلى فلسطين، أنه اتّخذ مِن العربية وحْدها لغة لكتابة نتاجاته الأدبيّة، رافضًا التخلي عن

تمسكّه بها كخياره اللغويّ الوحيد، رغْم معاناته الماديّة وعدَم إيجاد قُرّاء لهذه النتاجات. ولذلك فقد شَكّل "نقاش" حالةً يشار إليها مِن حيث إصراره على عدم التخلي عن الكتابة بالعربية رغم معْرفته بالعبرية. وقد ظَلّ يَشعر بالغربة في المجتمع الإسرائيليّ إلى أنْ غادَر الدنيا عام 2004 رافضًا التخلي عن موروثه الثقافي الأصيل وعن عربيته. وقد استطاع "نقاش"، مِن خلال استخدامه العربية وسيلةً للتعبير الأدبيّ في انتاجاته، المحافَظة على ارتباطه بماضيه في العراق، وبهويته الذاتية، رغم تهميشه في المجتمَع الإسرائيليّ.

ومِن الجدير بالذّكر في هذا الصّدد أنّ بعض هؤلاء الأدباء، وعلى رأسهم "سامي ميخائيل" و"شمعون بالاص"، قد توقّفوا عن الكتابة بالعربية بَعد وصولهم إلى فلسطين بعشرة أعوام، لكنهم لَم يبتعدوا عن الأدب العربيّ حتى بعْد انتقالهم إلى الكتابة بالعبرية، ففي ثمانينيات القرن العشرين تَرجَم "ميخائيل" ثلاثية نجيب محفوظ إلى العبرية، كذلك قام "بالاص"، لفترة طويلة، بتدريس اللّغة العربية والأدب العربي في جامعة حيفا، ونَشَر دراسات كثيرة تُعنى بالأدب العربي المُعاصِر. كما ظل تأثير الثقافة العربية قائمًا حتى في أعمال الجيلين الثاني والثالث مِن أبناء يهود العراق في "إسرائيل"، واليوم هناك العديد مِن الأعمال الأدبية التي تُبرهِن ذلك.

شَكّلتْ تجربة أولئك اليهود العراقيّين الذين هاجَروا إلى "إسرائيل" وواصَلوا الكتابة بالعربية، وعلى رأسهم الأديب "سمير نقاش"، ولَم يَجدوا ناشِرين أو قُرّاءً لأعمالهم الأدبية التي كَتَبوها بالعربية، عاملاً محفزًا للعديد مِن الكُتّاب الآخَرين، مثل "بلاص" و"ميخائيل"، للانتقال إلى الكتابة بالعبرية.

Between Arabic and Hebrew: Language Choices for Iraqi-Jewish writers after their immigration to Israel

Mahmoud Amarat, *Dept. of Semitic and Oriental Languages, Yarmouk University, Jordan.*

Mohammad Nusairat, *Dept. of Semitic and Oriental Languages, Yarmouk University, Jordan.*

Abstract

Since its inception, the Israeli society has been a strange and heterogenous mixture of immigrants from different countries. The Iraqi-Jewish stratum is among the main social strata of the society. It has included a considerable number of fiction writers and poets facing serious issues after their immigration to Israel. Among these issues are attempts to marginalize and wipe out Arabic from Jewish literature. Hence, these attempts force many writers to abandon writing in Arabic and replacing it with Hebrew. It is noticeable, however, that even after the transfer of those writers and poets to write in Hebrew, the spirit of Arabic and its culture remain present in their literary production. This study comes to discuss the fiction writers' and poets' suffering to choose a mediation between Arabic and Hebrew while writing their literature. The study also examines those who have continued to write in Arabic and those who have used Hebrew to write their literary texts. Moreover, it attempts to study the barriers some have met in their choice of the language and the justifications proposed by others who have opted for Hebrew in their literary production.

Keywords: Iraqi-Jewish; immigration; "Israel"; Language; literary writing.

الهوامش

(1) أخذتْ هجرة اليهود إلى فلسطين، بَعْد إقامة "دولة إسرائيل"، شَكْل موجات متعاقبة مِن الهجرة، كانت أولاها موجة الهجرة الكبرى 1948م – 1951م، ثم موجة هجرة 1952م – 1954م، وموجة هجرة 1955م – 1957م، وموجة هجرة 1958م – 1964م، وكانت آخِر هذه الهجرات تلك الهجرة المكثّفة ليهود الاتحاد السوفياتي سابقًا، والتي ما زالت مستمرّة حتى الآن. انظر: (فهمي، 1974: 22)

(2) للاطّلاع على تفاصيل أوفى حوْل أدباء عرب 48 وكتاباتهم الأدبية، يُمكِن الرجوع إلى: (العمرات ومطالقة، 2016: 2307-2324).

(3) Rejwan, N., *The Jews of Iraq, 3000 Years of History and Culture*, London: Weindenfeld and Nicolson, 1985, p. 335.

(4) للاطّلاع على تفاصيل أوفى حَوْل هذه العملية يُمكِن الرجوع إلى: (הן-פורת، 1996؛ הכהן، 1994: 47-71؛ צמחוני، 1991: 404-379).

(5) جودت السعد، رموز تحت الرحى، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004، ص 27.

(6) Mendelson-Maoz, A., Multiculturalism in Israel: Literary Perspectives, Purdue University Press,2014 , p. 2. ProQuest Ebook Central, *http://ebookcentral.proquest.com/lib/yarmouku-ebooks/detail.action?docID=2039075*

(7) "البيدش" أو "الإيدش" (היידיש): هي لغة ألمانية في أصْلها، ممزوجة بكلمات عبرية وآرامية مِن التلمود والأسطورة، تحدَّث بها اليهود "الأشكناز" في وسط أوروبا ودوَّنوها بحروف عبرية. هذه اللغة حديثة العهد، وكُتِبتْ بها المؤلَّفات النثرية والشعرية، واستخدَمها اليهود لغةً محكية في مجمَعاتهم السكنية. وما زالت هذا اللغة حيّة حتى اليوم، ويَنطق بها حوالي 5% مِن اليهود في "إسرائيل"، وبخاصة كبار السِّن المتدينون المتزمتون، إذ تتم جميع التعاليم الدينية والطقوس الرسمية عندهم بلغة البيدش (مرعي، 2010: 71).

(8) مصطلَح دينيّ صهيونيّ يُشير إلى وجود اليهود خارج فلسطين. وقد وظَّفتْه الصهيونية بما يَخدم فِكرها، فيؤكِّدون في هذا السياق على أنّ "الشتات" فُرض على اليهود على امتداد التاريخ مثل: "شتات مصر"، الذي ارتبَط بوجود يعقوب وبنيه في مصر، و"شتات بابل" في عهد الملك "صدقياهو"، و"شتات روما" وغيْر ذلك. ويشير هذا المصطلَح الصهيونيّ إلى أنّ الهجرة إلى فلسطين تنهي حالة الشتات. وطالما أنّ اليهود خارج فلسطين فهُم معرضون دائما للاضطهاد والقهر والإبادة. انظر: (أوريان، 2000: 202).

(9) خلال الفترة التي توقَّف فيها استخدام العبرية لغةً منطوقة، أوجَد اليهود لغات بديلة في أماكن تجمّعاتهم السكنية، ومِن أهمّ هذه اللغات: العربية - اليهودية، و"اللادينو"، و"البيدش".

(10) רבין، ח'. "מהותו של הדיבור העברי שלפני התחייה"، **לשוננו לעם**، כו، 1975، עמ' 227.

(11) شوحط، إ. "هويات ممزقة... تأملات امرأة يهودية عربية"، **قضايا إسرائيلية**، العدد 2، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 2001، ص 69.

(12) تُعَد ظاهرة إحياء اللغة العبرية ظاهرةً لغويةً فريدة مِن نوْعها في عِلم اللسانيات، فقد شَهدتْ هذا اللغة أطوارًا متناقضة بيْن حياة وموت، أو بيْن صعود وهبوط في فلسطين وخارجها، إلى أنْ وَصَلتْ مرحلة اللغة المكتوبة والمحكية في أيامنا (مرعي، 2010: 88). وتُعَد مسألة إحياء هذه اللغة ظاهرة فريدة مِن نوْعها لسببين: الأول أنّ طبيعة اللغات تكون في البداية محكية ومِن ثم تتحول إلى لغة مكتوبة، والعبرية الحديثة المحكية تطوّرتْ باتجاه معاكِس؛ والثاني أنه لا يوجَد في تاريخ اللغات لغة اندثرتْ مِن حيث الاستعمال اللغويّ المحكيّ، وتحوّلتْ إلى لغة محكية لدى الناس باعتبارها اللغة الأُمّ (مرعي، 2010: 88).

(13) للاطلاع على تفاصيل أوفى بخصوص الأدب الذي كُتِب بـ "اليِيدش"، انظر مثلًا: (Miron 1973 ; Feldman, 1986 ; שקד، 1977: 48-40)

(14) Berg, N. E. *Exile from Exile: Israeli writers from Iraq*, NewYork: State University of New York Press, 1996, p. 47.

(15) مرعي، ع. "النظرة إلى العربية في المجتمع اليهودي"، **المجلة**، عدد 5، 2014، حيفا: مجمع اللغة العربية، ص 45.

(16) أمارة، م. (2010). **اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات**. ط 1، الأردن: دار الفكر، 2010، ص 15.

(17) مرعي، ع. "الدخيل العبري في اللسان الفلسطيني: أسبابه وأبعاده". يوسف تيسير جبارين (محرر)، **كتاب دراسات**، العدد (6)، الناصرة: المركز العربي للحقوق والسياسات، 2013، ص 40-41.

(18) المصدر نفسه، ص 41-42.

(19) "الصابرا - הצברים": مصطلَح بَدأ تداوُله في أعقاب الحرب العالمية الأولى. وقد ظَهَر للمرة الأولى في مدرسة "هرتسيليا - הרצילִיה" الثانوية في تل أبيب. كانت تلك المدرسة تَضم بيْن تلاميذها شبانًا مِن مواليد فلسطين إلى جانب آخَرين مِن أولئك الذين نزحوا مع آبائهم مِن أوروبا إلى فلسطين. وغالبًا ما كان أولئك الأوربيون يتفوقون في الدراسة على زملائهم مِن مواليد فلسطين، الذين يَشعرون بالنقص حيال أقرانهم الأوربيين اللامعين دراسيًا. ومِن ثم فقَد كانوا يلجأون لتعويض شعورهم بالنقص إلى تحدي أولئك الأقران المتفوقين دراسيًا في نوْع مِن النشاط الخشن يَرُدّ لهم اعتبارهم. وقد تمثل ذلك النشاط في الإمساك بثمرات الصبّار وتقشيرها بالأيدي العارية، وكان التلاميذ اليهود مِن مواليد فلسطين يَكسبون التحدي في ذلك المضمار عادةً. ومِن هنا التصقتْ تسمية "الصابرا" بأولئك الذين كانوا يتفوّقون في تقشيره في مدرسة "هرتسيليا" ومِن هنا أيضًا انتشرتْ هذه التسمية. ومِن الأجيال الأولى لـ "الصابرا": "موشيه ديان"، و"يجال ألون"، و"شمعون بيريز" و"إسحق رابين" وغيْرهم. لمزيد مِن التفاصيل انظر: (حفني، د.ت.: 7-8؛ الشامي، 1986: 99). ولتفاصيل أوفى حوْل أدب ذلك الجيل، انظر، مثلًا: (الشامي، 1972؛ Yudkin, 1974.)

(20) שביט, ז' וי'. **הבלש העברי חוזר - מבחר הסיפור הבלשי מפלשתינה**. תל אביב: ספרי מוניטין, 1983, עמ' 1.

(21) جورجي، س. (2013). "بين لغة أمي العربية وشقيقتها العبرية: لغتان متكاملتان غير متخاصمتين". بداخل يوسف تيسير جبارين (محرر)، **كتاب دراسات**، العدد (6)، الناصرة: المركز العربي للحقوق والسياسات، 2013، ص 101 – 102.

(22) تجدر الإشارة هنا إلى إنّ عَدَد المهتمين بتعلّم اللغة العربية من الإسرائيليين قليل جدًا. وهناك العديد مِن الدراسات التي تناولتْ مكانة اللغة العربية في المدارس العبرية، وقد أظهرتْ نتائج هذه الدراسات أنّ قِسمًا كبيرًا مِن الأهالي يَرفضون أنْ يتعلم أبناؤهم العربية. وادعى التلاميذ أنّ هذه اللغة لغة العدو، وأنهم يحَبِّذون تعلُّم لغة أوروبية، كالفرنسية أو الإنجليزية، واكتساب القيم الغربية (ברוש، ובן-רפאל، 1994: 351-335).

(23) مقتبس لدى: منوحين، ل. (2010). "الكُتّاب اليهود العراقيون في إسرائيل: مشاعر الحنين إلى بلاد الرافدين وجسور التواصل اللغوي"، مراجعة: أحمد حسو، **دويتشه فيله** 2010/9/17 https://www.dw.com/ar

(24) Berg, Ibid, p. 46.

(25) شوحط، إ. "هويات ممزقة... تأملات امرأة يهودية عربية"، ص 105.

(26) أبو غدير، م. م. "المسرح العبري والصراع الطائفي في إسرائيل"، **إبداع**، العدد 3 (مارس 1995)، ص 101-111، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 101.

(27) مقتنس لدى: مرعي، "النظرة إلى العربية في المجتمع اليهودي"، ص 52.

(28) سنير، ر. "الأدب العربي في إسرائيل جزء من الأدب العربي ككل" حوار مع كاتارينا لاك، إيلاف، 2005/1/15، 2009/3/23: https://elaph.com/Interview/2005/1/34156.html

(29) سنير، ر. "اليهود العرب: اللغة والشعر والهوية المتفردة"، فكر وفن، العدد 91، 2009، (يونيو 2009)، ص 42.

(30) בהר، א'. "מניפסט ספרותי מזרחי: מסלול המלאות ומסלול החוסר"، באתר: מעריב, 9/9/2008,17/03/2019:

https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/47/ART1/784/779.html

(31) مقتبس لدى: Mendelson-Maoz, op.cit. p. 80

(32) منوحين، ل. المصدر السابق.

(33) Berg, op. cit. p. 151.

(34) Ibid, p. 151.

(35) Ibid, p. 43.

(36) جورجي، س. "بين لغة أمي العربية وشقيقتها العبرية: لغتان متكاملتان غير متخاصمتين"، ص 102.

(37) Berg, Ibid, xv.

(38) Berg, Ibid, p. 43.

(39) فاخوري، ص. أ. (2012). "أدباء عرب يهود معادون للصهيونية"، ملحق "فلسطين"، صحيفة "**السفير**" اللبنانية، 17 نيسان (أبريل) 2012، 2019/2/7: http://almawqef.com/spip.php?article5394&lang=ar

(40) Snir, R. "Religion is for God, the Fatherland is for Everyone": Arab-Jewish Writers in Modern Iraq and the Clash", *Journal of the American Oriental Society* 126. 3.2006, p. 396.

(41) قوجمان، ح.. "ظروف اليهود العراقيين في إسرائيل"، **الحوار المتمدن**، العدد 1243، 2005/6/29، 2019/2/24: http://www.m.ahewar.org

(42) بلاص، ش. "أنْ تَكون كاتبًا (بالعبرية) من أصل عراقي: الطائر المهاجر والأديب"، **قضايا إسرائيلية**، العدد 6-7، 2002، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، 2002، ص 79.

(43) Michael, S. "On Being an Iraqi-Jewish Writer in Israel", *Prooftexts*, vol. 4, no. 1. 1984, p. 23.

(44) بلاص، ش. المصدر السابق، ص 79-80.

(45) Mendelson-Maoz, A., op. cit. p. 77-78.

(46) فاخوري، ص. أ. المصدر نفسه.

(47) مرعي، ع. "النظرة إلى العربية في المجتمع اليهودي"، ص 91.

(48) يمكن قياس ذلك أيضًا على معظم الأدباء العرب الذين يعيشون داخل "إسرائيل"، أو مَن يُطلق عليهم تسمية أدباء عرب 48. وقد تناول الباحثان محمود العمرات ويحيى مطالقة، في دراسة لهما تحت عنوان "عرب 48 وأدباؤهم الذين يَكتبون بالعبرية - أنطون شماس وسيد قشوع ومساهَمتهما في الأدب العبريّ المعاصِر"، ظاهرة كتابة أدباء مِن عرب 48 باللغة العبرية، وبيَّنا في دراستهما أنّ عَدَد هؤلاء الأدباء آخِذ في الازدياد، وأنّ أهميّة النتاج الأدبيّ العبريّ لهؤلاء الأدباء تَكمن في إتاحة الفرصة الكافية للقارئ اليهوديّ للتعرّف على نمط حياة العربيّ في "إسرائيل" وتقاليده، ويَكشف للقارئ العربيّ، في الوقت نفْسه، السياسة الإسرائيلية المتَّبَعة ضدّ الفلسطينيين بشكلٍ عام، وعرب 48 بشكلٍ خاص، الرافضة لفكرة اندماج العربيّ في الحياة الإسرائيلية مِن خلال وَضع الحواجز والعقبات أمامه. وبينتْ الدراسة أنّ النتاج الأدبيّ الذي يَكتبه عرب 48 إذا كان يُعَد أدبًا عبريًّا مِن حيث اللغة التي يَستخدمها، و"إسرائيليًّا" مِن حيث المكان الذي يُكتب فيه، فإنّه يُعَد أدبًا فلسطينيًّا خالصًا مِن حيث المضامين والأفكار والتوجهات التي يَحملها بين ثناياه، أيْ يُمكِن أنْ نطلِق عليه تسمية "الأدب الفلسطينيّ المكتوب بالعبرية". كما بينتْ الدراسة الأسباب التي دَفعتْ أدباء عرب 48 إلى كتابة أعمالهم الأدبية باللغة العبرية، وأهم الأعمال الأدبية التي كتبوها بالعبرية، بالإضافة إلى مدى قبول هذه الأعمال، سواء مِن قِبَل الإسرائيليين أو العرب. (العمرات ومطالقة، 2016: 2307-2324).

(49) مرعي، ع. "النظرة إلى العربية في المجتمع اليهودي"، ص 58.

(50) أبو جابر، س. "المسرح عند يهود العراق وإسهام سمير نقاش في الحركة الأدبية في إسرائيل"، **الرسالة**، العدد 9، 2009، ص 599.

(51) والي، ن. **بغداد: سيرة مدينة**، بيروت: دار الساقي، 2015.

(52) סומך، ס' (2004). "ספרות ללא קהל - סופרים יהודים כותבי ערבית בישראל"، **הכיוון מזרח** 7، עמ' 13.

(53) اللهجات العراقية ليست لهجات إقليمية فقط، وإنّما عرقية أيضًا. فاللهجة العربية العراقية التي تَحدَّثها اليهود إبان تواجدهم في العراق تختلف عن اللهجات التي تَحدَّث بها المسلمون والمسيحيون. ولعل أهم الخصائص المميِّزة لهذه اللهجة استخدام مفردات مِن اللغة العبرية، وهي في الغالب أسماء (أشخاص وعائلات وألقاب)، وكلمات تُستخدم للأغراض الدينية، وأسماء المعابد اليهودية وغيرها مِن المؤسَّسات اليهودية. يضاف إلى ذلك أنّ هذه اللهجات قد تنوعتْ أيضًا فيما يتعلق بالتركيب والصوت والبناء. للمزيد من التفاصيل حول هذه اللهجات ومميزاتها، انظر: (חוגי،2017؛ Blank, 1964: chap. 1. ;Rabi, 1978: 51)

(54) أبو جابر، س. "المسرح عند يهود العراق وإسهام سمير نقاش في الحركة الأدبية في إسرائيل"، ص 560-561.

(55) مؤلَّفات "نقاش" هي كالآتي: مجموعات قصصية ضمّت: "الخطأ" (1971م)، و"أنا وهو والفصام" (1978م)، و"حكاية كل زمان ومكان" (1978م)، و"يوم حبلتْ وأجهضت الدنيا" (1980م)، و"عندما تَسقط أضلاع المثلثات" (1984م)؛ وأربع روايات وهي: "نزولة وخيط الشيطان" (1986م)، و"فوه يا دم" (1987م)، و"عودة الملائكة" (1987م)، و"الرجس" (1987م)؛ وثلاثة أعمال مسرحية هي: "الجنوح والأنساب" (1981م)، و"في غيابه" (1981م)، و"المقرورون" (1991م). يضاف إلى ذلك أنّ "نقاش" ترجَم كتاب "بلادي" للسياسيّ الإسرائيليّ "أبار- إبين"، وقد صَدَرتْ هذه الترجمة عام 1978م عن دار النشر العربي في تل أبيب.

(56) أبو جابر، س. "المسرح عند يهود العراق وإسهام سمير نقاش في الحركة الأدبية في إسرائيل"، ص 561.

(57) Livneh, N. (2004). "Exiled From Babylon", *HAARETZ*, Aug 05, 2004, Retrieved 12/2/2019, from https://www.haaretz.com/1.4776005

(58) סומך، ס'، שם، עמ' 14.

(59) أبو جابر، س. المصدر السابق، ص 568.

(60) منوحين، ل. المصدر نفسه.

(61) Livneh, N. Ibid.

(62) أبو جابر، س. المصدر السابق، ص 569.

(63) בהר، א'. (2018). "הערבית כשפה יהודית"، **הבלוג של אלמוג בהר**، פורסם בתאריך: 09/10/2018، 15/3/2019، מתוך האתר:
https://almogbehar.wordpress.com/2016/12/08

(64) סומך، ס'، שם.

(65) בהר، א'. שם.

(66) Levy, L. (2006). "Self and the City: Literary Representations of Jewish Baghdad". *Prooftexts*, Vol. 26, No. 1-2, p. 191.

(67) Ibid, p. 192.

(68) الخيون، ر. (2004). "سمير نقاش يا حامل العراق بين جنبيك: الجاسوس من هجرك وفرهد دارك!"، **إيلاف**، 7 يوليو 2004، 2019/3/23:
https://elaph.com/Web/Archive/1089181441161325600.html

(69) المحسن، ف. (2004). "سمير نقاش العائد إلى بغداد دائمًا"، **المدى الثقافي**، العدد (202)، 14 أيلول 2004، ص 8.

(70) Livneh, N. Ibid.

(71) Ibid.

(72) سنير، ر. "الأدب العربي في إسرائيل جزء من الأدب العربي ككل" حوار مع كاتارينا لاك، إيلاف، 2005/1/15، 2009/3/23: https://elaph.com/Interview/2005/1/34156.html

(73) Alcalay, A. (1996). *Keys to the Garden: New Israeli Writing*, San Francisco: City Lights Books. 1996, 108.

(74) نقاش، مقتبس لدى: Berg, Ibid, p. 3.

(75) Levy, op. cit. p. 190.

(76) كيال، م. "شمعون بلاص مترجما للادب الفلسطيني"، **الكرمل ابحاث في اللغة والادب**، العددان 32-33 (2011-2012)،ص 236.

(77) هيكل، أ. **يهود المغرب في الأدب العبري الحديث وأوهام الخلاص الزائف**. سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، العدد (21)، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية، 2007، ص 29.

(78) Snir, R. "Religion is for God, the Fatherland is for Everyone": Arab-Jewish Writers in Modern Iraq and the Clash". p. 391.

(79) الكردي، ش. "يهود العراق وإسهامهم في الرواية الإسرائيلية"، **إبداع**، العدد 3 (مارس 1995)، ص 73-80. الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995، ص 74؛ Mendelson-Maoz, Ibid, pp. 77-78

(80) שניר, ר'. "מעגלים נחתכים בין הספרות העברית לבין הספרות הערבית"، בתוך: יוסף טובי (עורך), **בין עבר לערב, המגעים בין הספרות הערבית לבין הספרות היהודית בימי הביניים ובזמן החדש**, תל-אביב: אפיקים, 1998, עמ' 177.

(81) בלס, ש'. **בגוף ראשון**, בני ברק: הוצאת בקיבוץ המאוחד, 2009, עמ' 45-43.

(82) مِن أهم ما تَرجَمه "شمعون بلاص" في هذا الإطار مجموعة قصصية مِن الأدب الفلسطينيّ تَحمِل اسم "قصص فلسطينية - סיפורים פלשתיניים "، وصَدَرتْ عام 1970م عن دار النشر "عيكد - עקד".

(83) كيال، م. "شمعون بلاص مترجما للادب الفلسطيني"، ص 241.

(84) بلاص، ش. "أنْ تَكون كاتبًا (بالعبرية) من أصل عراقي: الطائر المهاجر والأديب"، ص 80؛ Mendelson-Maoz, op. cit. p. 77-78

(85) بلاص، ش. المصدر السابق، ص 80.

(86) Smadar, L. "Blowups in the Borderzones: Third World Israeli Authors' Groping for Home," in: Smadar Lavie and Ted Swedenborg (eds.), *Displacement, Diaspora and Geographies of Identity*. Durham, NC: Duke Univ. Press, p. 73.

(87) بلاص، ش. المصدر السابق، ص 80.

(88) Smadar, L. Ibid. p. 73.

(89) Snir, R. "Religion is for God, the Fatherland is for Everyone": Arab-Jewish Writers in Modern Iraq and the Clash", p. 394.

(90) سليمان، ع. س. **إسرائيل بين الفناء والوجود ودعم الشتات اليهودي**، ط 1، القاهرة: مطبعة جزيرة الورد، 2013، ص 2؛ מיכאל, ס'. "המעבר משפה לשפה"، **מפגש**, גליון 2 (7), אביב 1986, עמ' 2.

(91) Berg, N. E. *More And More Equal: The Literary Works of Sami Michael*, Lanham, MD: Lexington Books, 2005, p. 48.

(92) Berg, Ibid, p. 48.

(93) חקק, ל'. פרקים בספרות יהודי המזרח, ירושלים: קריית ספר, 1985, עמ' 42-41.

(94) حمزة، إ. (2008). "هل انتهى عهد الغرام اليهودي باللغة العربية؟"، **إيلاف**، 20 يوليو 2008، https://elaph.com/Web/Culture/2008/7/348128.html :2019/3/23

(95) كان أمرًا طبيعيًا أنْ يَحمل يهود البلاد العربية والإسلامية معهم، بعد هِجرتهم إلى "إسرائيل"، ثقافة بلدانهم، وهي ثقافة عربية بألوانها الفنية والأدبية، إضافة إلى ثقافتهم التقليدية العبرية (قاسم، 2015: 491). وكانت "بوتقة الصهر" تعني، في العقود الأولى مِن قيام "إسرائيل"، صَهْر اليهود الشرقيين في الثقافة الغربية (الإشكنازية)، التي تنتمي إليها النخبة، ومِن ثمّ العمل على تخليص المجتمَع مِن ثقافة البلاد العربية.

(96) בהר، א'. "הערבית כשפה יהודית"، **הבלוג של אלמוג בהר**، פורסם בתאריך: 14/02/2019، 15/3/2019، מתוך האתר:

https://almogbehar.wordpress.com/2019/02/14/68052

(97) علي، م. ل.، "سامي ميخائيل: فكتوريا عادت لزيارة موطنها"، الحوار المتمدن، العدد: 3727، الأدب والفن، 2012/5/14،

http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=307648&r=0

(98) Berg, Ibid, p. 47.

(99) Michael, S. Interview. Claudia De Martino. *Perspectives*. January 10, 2010.

(100) الكردي، ش. "يهود العراق وإسهامهم في الرواية الإسرائيلية"، ص77.

(101) حاج، س. "حوار مع البروفيسور الإسرائيلي (العراقي الأصل) شموئيل موريه"، **إيلاف**، 20 أكتوبر 2006م، 25/3/2019: https://elaph.com/Web/Interview/2006/10/185026.html

(102) ורד, ל'. (2009). "חמש שאלות לשמעון בלס / כמו עוף נודד שלומד גיאוגרפיה"، באתר **הארץ**، 19 באוגוסט 2009، 7/3/2019،

https://www.haaretz.co.il/literature/1.1276477

(103) الكردي، ش. "يهود العراق وإسهامهم في الرواية الإسرائيلية"، ص76.

(104) بلاص، ش. المصدر السابق، ص 79.

(105) قاسم، خ. **يهود البلاد العربية**، ص 515؛ الجنابي، ع. (1996). "شمعون بالاص: هويتي عربية وأنا واعٍ لثنائيتي الثقافية"، **الحياة**، 1996/6/4.

(106) سنير، ر. "الأدب العربي في إسرائيل جزء من الأدب العربي ككل"، 2005.

(107) بلاص، ش. "من الآخر؟"، **مشارف**، العدد 10، (أغسطس 1996)، ص 117.

(108) إدريس، م. ج. "التأثير العربي والإسلامي في الأدب العبري المعاصر"، **ابداع**، العدد 3 (مارس 1995)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995.

(109) سليمان، ع. س. **إسرائيل بين الفناء والوجود ودعم الشتات اليهودي**، ص 86؛ מיכאל، ס'. "המעבר משפה לשפה"، עמ' 2.

(110) إيلي عامير، مقابلة: لطيف، حوار لايلي عامير مع مازن لطيف، "الروائي اليهودي إيلي عامير: بغداد لا تفارقني وتعشعش في ذاكرتي ومخيلتي"، **الحوار المتمدن**، 2012/8/6، 12 /2019/2: http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=318764&r=0

(111) שניר، ר'. **ערביות، יהדות، ציונות: מאבק זהויות ביצירתם של יהודי עיראק**. ירושלים: מכון בן-צבי לחקר קהילות ישראל במזרח، 2005، עמ' 388.

(112) كان بين أبناء اليهود الشرقيين عَدَد كبير ممّن تبنى توجّهات الحركة الصهيونية الأوروبية، ويُرْجع المؤرِّخ والأستاذ الجامعيّ الإسرائيليّ "هليل كوهن - הלל כהן"، ذلك إلى واحد مِن ثلاثة أسباب: إمّا لأنهم وَجَدوا فيها ما يُلبّي طموحاتهم ومعتقداتهم؛ وإمّا لأنهم كانوا يَشعرون بالنقص حيال المهاجرين مِن أوروبا؛ وإمّا لأنهم حلّلوا موازين القوى فاستنتجوا بأنّ هذا هو الأفق الوحيد لتحسين أوضاعهم ومكانتهم الاجتماعية (كوهن، 2015: 95).

(113) Snir, R. "Religion is for God, the Fatherland is for Everyone". p. 391.

(114) Snir, R. Ibid, pp. 394-395.

(115) بلاص، ش. "أنْ تَكون كاتبًا (بالعبرية) من أصل عراقي: الطائر المهاجر والأديب"، ص 80.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا - بالعربية:

إدريس، م. ج. (1995). "التأثير العربي والإسلامي في الأدب العبري المعاصر"، **إبداع**، العدد 3 (مارس 1995)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أمارة، م. (2010). **اللغة العربية في إسرائيل: سياقات وتحديات**. ط 1، الأردن: دار الفكر.

أوريان، د. (2000). **شخصية العربي في المسرح الإسرائيليّ**. ترجمة محمد أحمد صالح، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

إيلي عامير، مقابلة: لطيف، (2012). حوار لإيلي عامير مع مازن لطيف، "الروائي اليهودي إيلي عامير: بغداد لا تفارقني وتعشعش في ذاكرتي ومخيلتي"، **الحوار المتمدن**، 2012/8/6، 12 /2019/2: http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=318764&r=0

بلاص، ش. (1996). "من الآخر؟"، **مشارف**، العدد 10، (أغسطس 1996)، ص 116-122.

بلاص، ش. (2002). "أنْ تَكون كاتبًا (بالعبرية) من أصل عراقي: الطائر المهاجر والأديب"، **قضايا إسرائيلية**، العدد 6-7،2002، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار". ص 79-81.

أبو جابر، س. (2009). "المسرح عند يهود العراق وإسهام سمير نقاش في الحركة الأدبية في إسرائيل"، **الرسالة**، العدد 9، ص 547-574.

الجنابي، ع. (1996). "شمعون بالاص: هويتي عربية وأنا واعٍ لثنائيتي الثقافية"، **الحياة**، 1996/6/4.

جورجي، س. (2013). "بين لغة أمي العربية وشقيقتها العبرية: لغتان متكاملتان غير متخاصمتين". بداخل يوسف تيسير جبارين (محرر)، **كتاب دراسات**، العدد (6)، الناصرة: المركز العربي للحقوق والسياسات، ص 98 – 103).

حاج، س. (2006). "حوار مع البروفيسور الإسرائيلي (العراقي الأصل) شموئيل موريه"، **إيلاف**، 20 أكتوبر 2006م، 25/3/2019 https://elaph.com/Web/Interview/2006/10/185026.html

حفني، ق. **شباب عجوز: دراسة في سيكولوجية الصابرا**، القاهرة، د.ن، د.ت.

حمزة، إ. (2008). "هل انتهى عهد الغرام اليهودي باللغة العربية؟"، **ايلاف**، 20 يوليو 2008، 2019/3/23: https://elaph.com/Web/Culture/2008/7/348128.html

الخيون، ر. (2004). "سمير نقاش يا حامل العراق بين جنبيك: الجاسوس من هجرك وفرهد دارك!"، **إيلاف**، 7 يوليو 2004، 2019/3/23: https://elaph.com/Web/Archive/1089181441161325600.html

السعد، ج. (2004). **رموز تحت الرحى**، دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

سليمان، ع. س. (2003). **إسرائيل بين الفناء والوجود ودعم الشتات اليهودي**، ط 1، القاهرة: مطبعة جزيرة الورد.

سنير، ر. (2005). "الأدب العربي في إسرائيل جزء من الأدب العربي ككل" حوار مع كاتارينا لاك، إيلاف، 2005/1/15، 2009/3/23: https://elaph.com/Interview/2005/1/34156.html

سنير، ر. (2009). "اليهود العرب: اللغة والشعر والهوية المتفردة"، **فكر وفن**، العدد 91 (يونيو 2009)، ص 39-49.

الشاذلي، ج.؛ وسالم، ن. (2008). **القصة العبرية الحديثة**، مراحلها وقضاياها، ط 3، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

الشامي، ر. (1972). "الأدب الإسرائيلي لجيل حرب 1948 بين الالتزام الصهيوني والبحث عن الذات"، **مجلة شؤون فلسطينية**، العدد 9 (أيار 1972).

الشامي، ر. (1986). **الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية**، عالم المعرفة 102، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

شبلاق، ع. (2015). **هجرة أو تهجير - ظروف وملابسات هجرة يهود العراق**، ط 1، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

شوحط، إ. (1996). "هويات ممزقة... تأملات امرأة يهودية عربية"، **قضايا إسرائيلية**، العدد 2، 2001، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"، ص 66-71.

شوحط، إ. (1998). "اليهود الشرقيون في إسرائيل: الصهيونية من وجهة نظر ضحاياها اليهود"، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، المجلد 9، العدد 36 (خريف 1998).

عبد الرازق س. س. (2013) **إسرائيل بين الفناء والوجود ودعم الشتات اليهودي**، ط 1، القاهرة: مطبعة جزيرة الورد.

علي، م. ل. (2012). "سامي ميخائيل: فكتوريا عادت لزيارة موطنها"، الحوار المتمدن، العدد: 3727، الأدب والفن، 2012/5/14،
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=307648&r=0

العمرات، م.؛ والمطالقة، ي. (2016). "عرب 48 وأدباؤهم الذين يكتبون بالعبرية - أنطون شماس وسيد قشوع ومساهمتهما في الأدب العبري المعاصر"، **دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد 43، العدد 3، 2016، ص 2307-2324.

أبو غدير، م. م. (1995). "المسرح العبري والصراع الطائفي في إسرائيل"، **إبداع**، العدد 3 (مارس 1995)، ص 101-111، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

غنايم، ه. (2016). "رواية متساوون ومتساوون أكثر لسامي ميخائيل"، **قضايا إسرائيلية**، عدد 62، ص: 131-134.

فاخوري، ص. أ. (2012). "أدباء عرب يهود معادون للصهيونية"، ملحق "فلسطين"، صحيفة "**السفير**" اللبنانية، 17 نيسان (أبريل) 2012، 2019/2/7: http://almawqef.com/spip.php?article5394&lang=ar

فهمي، و. (1974). **الهجرة اليهودية إلى فلسطين**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

قاسم، خ. (2015). **يهود البلاد العربية**، ط 1، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

قوجمان، ح. (2005). "ظروف اليهود العراقيين في إسرائيل"، **الحوار المتمدن**، العدد 1243، 2005/6/29، 2019/2/24: http://www.m.ahewar.org

الكردي، ش. (1995). "يهود العراق وإسهامهم في الرواية الإسرائيلية"، **إبداع**، العدد 3 (مارس 1995)، ص 73-80. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

كوهن، ه. (2015). "حياة وموت اليهودي العربي: أرض إسرائيل وما وراءها" ترجمة سليم سلامة، **قضايا إسرائيلية**، العدد 58، رام الله: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار". ص 85-100)

كيال، م. (2012). "شمعون بلاص مترجما للأدب الفلسطيني"، **الكرمل أبحاث في اللغة والأدب**، العددان 32-33 (2011-2012)،ص 236

المحسن، ف. (2004). "سمير نقاش العائد إلى بغداد دائمًا"، **المدى الثقافي**، العدد (202)، 14 أيلول 2004.

مرعي، ع. (2010). **العربية والعبرية في الماضي والحاضر - دراسة مقارنة في تطوّر اللغتين والتفاعل بينهما**، ط 1، باقة الغربية: أكاديمية القاسمي.

مرعي، ع. (2013). "الدخيل العبري في اللسان الفلسطيني: أسبابه وأبعاده". يوسف تيسير جبارين (محرر)، **كتاب دراسات**، العدد (6)، الناصرة: المركز العربي للحقوق والسياسات، ص 40-54.

مرعي، ع. (2014). "النظرة إلى العربية في المجتمع اليهودي"، **المجلة**، عدد 5، 2014، حيفا: مجمع اللغة العربية، ص 45 - 75.

منوحين، ل. (2010). "الكُتّاب اليهود العراقيون في إسرائيل: مشاعر الحنين إلى بلاد الرافدين وجسور التواصل اللغوي"، مراجعة: أحمد حسو، **دويتشه فيله** 2010/9/17 https://www.dw.com/ar

هيكل، أ. (2007). **يهود المغرب في الأدب العبري الحديث وأوهام الخلاص الزائف**. سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، العدد (21)، جامعة القاهرة: مركز الدراسات الشرقية.

والي، ن. (2015). **بغداد: سيرة مدينة**، بيروت: دار الساقي.

ثانيًا - بغير العربية:

Alcalay, A. (1996)**.** *Keys to the Garden: New Israeli Writing*, San Francisco: City Lights Books.

Berg, N. E. (1996) *Exile from Exile: Israeli writers from Iraq*, New York: State University of New York Press.

Berg, N. E. (2005). *More And More Equal: The Literary Works of Sami Michael*, Lanham, MD: Lexington Books.

Blank, H.(1964). *Communal Dialect in Baghdad***,** Cambridge: Harvard University Press, chap. 1.

Feldman, Y. (1986). *Modernism and Cultural Transfer*, Cincinnati: Hebrew Union College Press.

Levy, L. (2006). "Self and the City: Literary Representations of Jewish Baghdad". *Prooftexts*, Vol. 26, No. 1-2, pp. 163-211.

Livneh, N. (2004). "Exiled From Babylon", *HAARETZ*, Aug 05, 2004, Retrieved 12/2/2019, from https://www.haaretz.com/1.4776005

Mendelson-Maoz, A. (2014) Multiculturalism in Israel: Literary Perspectives, Purdue University Press, ProQuest EBook Central, *http://ebookcentral.proquest.com/lib/yarmouku-ebooks/detail.action?docID=2039075*

Michael, S. (1984). "On Being an Iraqi-Jewish Writer in Israel", *Prooftexts*, vol. 4, no. 1. pp. 23-33.

Michael, S. Interview. Claudia De Martino. *Perspectives*. January 10, 2010.

Miron, D. (1973) *A Traveler Disguised: The Rise of Modern Yiddish Fiction in the Nineteenth Century*, New York: Schocken.

Rabi, D. (1978). "A Preliminary Study of Hebrew Forms in the Arabic Dialect of the Jews of Baghdad", *Gratz college of Jewish Studies* 7 (1978): 51.

Rejwan, N. (1985). *The Jews of Iraq, 3000 Years of History and Culture*, London: Weindenfeld and Nicolson.

Sadok Masliyah, (2003). "Selections from Samir Naqqash, Tenants and Cobwebs (Nzulah u-Khait el-Shitan)", *Edebiyat*, Vol. 13, No.1, pp. 49-67.

Shaked, H. (1979). Experience into Fiction: Israeli Writers on Jewish-Arab Relation (The Case of Hasut by Sami Michael). In: Stien G., Stienbach U. (eds) *The Contemporary Middle Eastern Scene*. Opladen: Laske und Budrich, pp. 138-149.

Shohat, E. (1988). "Sphardim in Israel: Zionism from the standpoint of its Jewish Victims", *Social Text*, NO. 19/20 (Autumn, 1988), Duke University Press, pp. 1-35.

Smadar L. (1996). "Blowups in the Borderzones: Third World Israeli Authors' Groping for Home," in: Smadar Lavie and Ted Swedenborg (eds.), *Displacement, Diaspora and Geographies of Identity*. Durham, NC: Duke Univ. Press.

Snir, R. (2006). "Religion is for God, the Fatherland is for Everyone": Arab-Jewish Writers in Modern Iraq and the Clash", *Journal of the American Oriental Society* 126. 3. pp. 379-399.

Yudkin, L. I. (1974). *Escape into Siege: A Survey of Israeli Literature Today*, London: Routledge & Kegan Paul, Limited.

בהר، א'. (2008). "מניפסט ספרותי מזרחי: מסלול המלאות ומסלול החוסר"، באתר: **מעריב**، 9/9/2008. 17/03/2019: https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/47/ART1/784/779.html

בהר، א'. (2019). "הערבית כשפה יהודית"، **הבלוג של אלמוג בהר**. פורסם בתאריך: 14/02/2019، 15/3/2019، מתוך האתר: https://almogbehar.wordpress.com/2019/02/14/68052/

בלס، ש'. (1964). **המעברה**. תל אביב: עם עובד.

בלס، ש'. (2009). **בגוף ראשון**. בני ברק: הוצאת בקיבוץ המאוחד.

בן-פורת، מ'. (1996). **לבגדאד וחזרה: סיפורו של מבצע עזרא ונחמיה**. אור יהודה: ספריית מעריב.

ברוש، ח' ובן-רפאל، א'. (1994). "מדיניות לשונית מול מציאות חברתית: הערבית בבית הספר העברי"، עיונים בחינוך 5، 60-59، עמ' 351-335.

גרונית، מ'. (2007). **שיחות עם סופרים**. תל-אביב: קווים הוצאה לאור.

הכהן، ד'. (1994). "עולים בסערה، העלייה הגדוחה והקליטה בישראל، 1953-1948"، ירושלים: יד יצחק בן צבי، 1994، עמ' 71-47.

ורד، ל'. (2009). "חמש שאלות לשמעון בלס / כמו עוף נודד שלומד גיאוגרפיה"، באתר **הארץ**، 19 באוגוסט 2009، 7/3/2019.
https://www.haaretz.co.il/literature/1.1276477

חוגי، ג'. (2017). "לפני שהיא נעלמת، לשמר את השפה העיראקית-היהודית"، 31/3/2017.
23/3/2019 מתוך האתר: http://www.al-monitor.com/pulse/iw/originals/2017/03/israel-iraq-baghdad-babylon-language-heritage.html#ixzz5bix28WC4

חקק، ל'. (1985). **פרקים בספרות יהודי המזרח**. ירושלים: קריית ספר.

מיכאל، ס'. (1974). **שוים ושוים יותר**. תל אביב: הוצאת בוסתן.

מיכאל، ס'. (1986). "המעבר משפה לשפה"، **מפגש**، גליון 2 (7)، אביב 1986.

סומך، ס' (2004). "ספרות ללא קהל - סופרים יהודים כותבי ערבית בישראל"، **הכיוון מזרח** 7، עמ' 14-9.

צמחוני، ד'. (1991). "מגוע עלו רוב יהודי עיראק לישראל במבצע עזרא ונחמיה"، **עיונים בתולדות ישראל**، כרך 1، 1991، מכון בן-גוריון לחקר ישראל והציונות، אוניברסיטת בן גוריון בנגב، עמ' 404-379.

רבין، ח'. (1975). "מהותו של הדיבור העברי שלפני התחיהה"، **לשוננו לעם**، כו: 233-227.

שביט، ז' וי'. (1983). **הבלש העברי חוזר - מבחר הסיפור הבלשי מפלשתינה**. תל אביב: ספרי מוניטין.

שניר، ר'. (1998). "מעגלים נחתכים בין הספרות העברית לבין הספרות הערבית"، בתוך: יוסף טובי (עורך)، **בין עבר לערב، המגעים בין הספרות הערבית לבין הספרות היהודית בימי הביניים ובזמן החדש**. תל-אביב: אפיקים.

שניר، ר'. (2005). **ערביות، יהדות، ציונות: מאבק זהויות ביצירתם של יהודי עיראק**. ירושלים: מכון בן-צבי לחקר קהילות ישראל במזרח.

שקד، ג'. (1977). **הסיפורת העברית 1880-1970**، כרך א'، ירושלים: הקיבוץ המאוחד.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد 16 العدد 2، 2019، ص ص 641- 660

الوطن خارج المكان:

دراسة في السيرة الذاتية لإدوارد سعيد

أحلام مسعد*

تاريخ الاستلام 2019/5/30 تاريخ القبول 2019/7/22

ملخّص

يسعى هذا البحث إلى قراءة الأسباب الكامنة وراء عدم تعلق إدوارد سعيد بمكان محدد للهوية، أو بمكان يحرص على استعادته بوصفه المكان المفقود المثير للحس النوستالجي لديه، استنادا إلى التصورات التي تضمنتها سيرته الذاتية "خارج المكان"، والتي تمثل نموذجا متفردا في التعامل مع الظاهرة المكانية، إذ ظهرت فيها صورة مفارقة على نحو حاد للصورة القارة في الأدبيات التقليدية في مختلف الثقافات حول علاقة الإنسان بالمكان – الوطن - خاصة في حالة الإنسان المنفي، فقد قدم سعيد صورة جديدة لعلاقته بالمكان تنسجم مع الأطر المكانية المختلفة التي عاش فيها، بكل مكوناتها الثقافية والاجتماعية، والتي افتقد فيه الألفة والهوية والإحساس بالأمن، ورسخت لديه الشعور الواعي بأنه دائما في غير مكانه، ودفعته للبحث عن خلاص يتعالى على فكرة الارتباط بالمكان، ويمكنه من الانعتاق من الماضي في الوقت نفسه.

الكلمات المفتاحية: إدوارد سعيد، الوطن، الهوية، النوستالجيا، المكان.

المقدّمة

تؤكد الأدبيات في الثقافات المختلفة وعبر تاريخ الوجود الإنساني العلاقة الوجودية بين الإنسان والمكان، ويركز علماء النفس والاجتماع على هذه العلاقة انطلاقا من كون الإنسان يعرف بمكانه، ومسقط الرأس ومرابع الحياة؛ مما يعني أنه ليس ضائعا في الكون، بل لا بد أن يملك مكانا ينتمي إليه، فهو "كائن مكاني، في المكان يعيش ويتشكل وجدانيا وثقافيا واجتماعيا، وبالمكان يتعرف، فهو الذي يمنحه مغزى وجوده، ويشبع حاجاته إلى الطمأنينة والألفة والانتماء، فهويات البشر هويات مكانية"[1].

© جميع الحقوق محفوظة لجمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية 2019.

* مركز اللغات، جامعة اليرموك.

ولقد شكلت تجربة النفي من المكان العنصر الأكثر قسوة ومرارة في كتابة السير الذاتية عند المنفيين، سواء أكان النفي قسريا أم اختياريا، وبصورة خاصة المنفيين الفلسطينيين حيث يشكل الوطن قيمة عليا ومجموعة من الأحاسيس التي مثلت جزءا ومحورا مهما في سيرهم الذاتية، كما هي الحال في "دروب المنفى" لفيصل الحوراني، و"صور الماضي" لهشام شرابي، و"غربة الراعي" لإحسان عباس، وهي تجارب تشخص الحس النوستالجي على نحو واضح، وتعبر عن الشعور الممض بالفقد والتيه.

لكننا نقف في "خارج المكان"، السيرة الذاتية لإدوارد سعيد على ذات "لامكانية" تخالف ما تعورف عليه في علم النفس والاجتماع، وتسعى بصورة مستمرة إلى نفي المكان الذي تسكنه، فإذا كان الوطن في أحد معانيه أن تكون في المكان الصحيح حيث الانسجام بين المكان والهوية والذات، فإن إحساس سعيد الدائم أنه (out of place) أي في غير محله، أو في المكان الخطأ في كل مكان وجد فيه، أدى به إلى صياغة تصوره الخاص للوطن الحقيقي في هذه السيرة، وذلك وفق خطة محكمة، ومدروسة تسعى لنفي الوطن بل المكان بكل مسمياته، ابتداء بالقدس مسقط رأسه، مرورا بالقاهرة وضهور الشوير وانتهاء بالولايات المتحدة. وإذا كانت الهوية تتشكل ضمن حدود المكان "الوطن" الذي ننتمي إليه بكل مكوناته السياسية والثقافية والاجتماعية، التي تجعلنا رهينة هذا المكان وجزءا من روحه، فإن سعيد ينشق على هذه القاعدة، ويخبرنا أنه كان دوما خارج المكان وفي غير محله حتى فيما يفترض أنه موطنه. وهو ما يفسر الحضور الباهت لمفردة "الوطن" في سيرة يعد المكان مفصلا رئيسيا فيها. وقد أكد سعيد تصوراته الفكرية تلك في كتابه "تأملات حول المنفى" حيث يستعير نصاً لفيكتور هوغو يصف علاقة الإنسان بالمكان:

"إنه لمصدر عظيم من مصادر الفضيلة لدى العقل المتمرس أن يتعلم في البداية شيئا فشيئا تغيير نظرته إلى الأشياء الظاهرية والعابرة، كيما يتمكن بعدئذ من تركها وراءه إلى الأبد. فمن يجد وطنه عزيزاً وأثيراً لا يزال غراً طرياً، أما الذي يجد موطنه في كل أرض فقد بلغ القوة، غير أن المرء لا يبلغ الكمال قبل أن يعتبر العالم أجمع أرضا غريبة. فالنفس الغضة تركز حبها على بقعة واحدة من العالم، والرجل القوي يشمل بحبه كل الأماكن، أما الرجل الكامل فهو الذي يطفئ جذوة الحب لدي"[2].

يقدم هيرمان عدة تعاريف لمصطلح الوطن، منها: "هو مكان يتصل به الإنسان اتصالا خاصا، إما لولادته فيه، وإما لطول إقامته هناك، وبكلام أكثر تحديدا، الموطن علاقة مكانية اجتماعية يطول أمدها عموما، وتتصف بقدر عال من الميل إلى المكان والانتساب إليه، سواء أكان مكان الميلاد، أم السكنى، أو بيت الوالدين، أو بيت الفلاح وأرضه."[3] فكلمة الموطن كانت

أول الأمر مصطلحا قانونيا محددا تحديدا موضوعيا، لكن ذلك لا ينفي أنه كانت له في الوقت نفسه أبعاد عاطفية"[4] إلا أن تغييرا طرأ على هذا المصطلح في القرن التاسع عشر ليكتسب مفهوما جديدا حيث يصبح الوطن "وسيلة تقدم واقعا رومانسيا يقابل الواقع الاجتماعي"[5]، ثم ظهر فهم جديد للوطن، يرتبط بمدى فاعلية المرء "فالموطن لا يكون إلا بقدر محدود لمن نشأ فيه أو انحدر منه، إنما هو لمن يعمل على تشكيله والتغيير فيه"[6]. فإذا كان الموطن حسب تعريف هيرمان يؤشر على أنحاء كثيرة تتعلق بدلالات متعددة مكانية واجتماعية وعاطفية تمنح الفرد الهوية والحماية والقدرة على الفعل، فما هو الوطن بالنسبة لسعيد؟

1- القدس: النفي

على الرغم من ولادة سعيد في القدس، وعيشه سنواته الأولى فيها، فإنّ صورة الوطن مكان الولادة يغيب في حديثه عن تلك المرحلة؛ فهو لا يقدم القدس بوصفها الفردوس المفقود، أو مكانا يشتاق إليه، بل "كانت فلسطين مكانا أسلم به تسليما، بما هو الوطن الذي أنتمي إليه، يعيش فيه أقرباء وأصدقاء بطمأنينة لا تحتاج إلى تفكر (أو هكذا يبدو الأمر اليوم في نظرة استرجاعية)"[7].

إذا كان الوطن في أحد معانيه، كما يتكرر في المرجعيات الخاصة بدراسته، يعني الألفة في الإطار الاجتماعي والثقافي، فإن سعيد في حقيقة الأمر كان فاقدا لهذه الألفة، وقد عبر في الصفحات الأولى من سيرته عن حالة الارتباك والقلق الوجودي التي لازمته منذ لحظة ولادته، وأفقدته القدرة على الانسجام والائتلاف مع محيطه حتى في موطنه ومسقط رأسه: "وقع خطأ في الطريقة التي تم بها اختراعي وتركيبي في عالم والدي وشقيقاتي الأربع، فخلال القسط الأوفر من حياتي المبكرة لم أستطع أن أتبين ما إذا كان ذلك ناجماً عن خطئي المستمر في تمثيل دوري، أو عن عطب كبير في كياني ذاته. وقد تصرفت أحياناً تجاه الأمر بمعاندة وفخر. وأحياناً أخرى وجدت نفسي كائناً يكاد أن يكون عديم الشخصية وخجولاً ومتردداً وفاقداً للإرادة غير أن الغالب كان شعوري الدائم أني في غير مكاني"[8].

وقد ارتبط هذا الارتباك بالمكان بشكل مباشر، وبصورة أساسية بفلسطين فعلى الرغم من كونها موطنه ومسقط رأسه، فإنّ والده الذي يحمل تاريخا غامضا وملتبسا، عمل على تغييب المكان – فلسطين - بشكل كامل من حياته وحياة الأسرة، فالأب يعرف نفسه بنبرة توكيدية يصفها سعيد بالوقحة، بأنه مواطن أمريكي، ولم يكن الوضع أفضل حالا مع أمه، يقول: "خلال نشأتي لم تفصح أمي إلا القليل عن أصلها وماضيها، مثلها في ذلك مثل أبي"[9]. ويكرر أنها كانت تحدثه بالعربية والإنجليزية معا، حتى إنه لا يعرف أيهما لهج به لسانه أولا، وهو ما أورثه قلقا بقي ملازما له؛ إذ عجز عن استيعاب هوية واضحة المعالم وثابتة. فإذا كانت الهوية بمعناها

الاصطلاحي هي "ما يجعل شيئا ما متشابها مع شيء آخر"[10] فتلك إشكالية عانى سعيد منها منذ أن كان صغيرا، ذلك أنه لم يكن يوما كلي الشبه، بل كان مجموعة مختلطة من المحددات اللغوية والوطنية والاجتماعية والدينية"، فالاسم نصفه عربي ونصفه الآخر غربي، واللسان كذلك، أما الوطن فهو فلسطيني المولد، لكنه يحمل الجنسية الأمريكية، حتى حياته الاجتماعية والثقافية زخرت بمثل هذه الاختلاطات، التي أفقدته القدرة على امتلاك هوية محددة تميزه عن الآخر، وحين كان يواجه بسؤال الهوية وهو طفل صغير كان عليه أن يخترع في كل مرة هوية تتسق مع السياق المكاني الذي يكون فيه:

"تقول إنك أمريكي مع أن اسمك ليس أمريكيا وأنت لم تزر أمريكا قط، لا يبدو شكلك أمريكيا، كيف يعقل أن تكون ولدت في القدس وأنت تعيش هنا؟ أنت عربي. في نهاية المطاف، ولكن من أي نوع؟ هل أنت بروتستانتي؟ لا أذكر أن أيا من الأجوبة التي جاهرت بها ردا على تلك الاستجوابات كانت مقنعة أو حتى جديرة بأن تعلق في الذاكرة، وكان علي أن ابتكر خياراتي بمفردي، فأحدها قد يصلح في المدرسة مثلا، ولا يصلح في الكنيسة أو في الشارع مع الأصدقاء"[11].

هذا الإدراك المبكر الذي يربط الهوية بالمكان، والقناعة بزيف الهوية التي اكتسبها من والديه صغيرا، أكسبه إحساسا شبه يقيني أنه في غير مكانه؛ وحين يحدد المرء مكانه إنما يحدد نفسه وهويته، إذ "يرمز المكان إلى مجموعة من الصفات الثقافية المميزة، ويقول شيئا ليس عن أين تقطن، أو من أين أنت، وإنما من أنت"[12].

لقد ظل حضور القدس باهتا في حياته بعد أن غادرها إلى القاهرة، والأصل أن يكون اغترابه واقتلاعه من الأرض سببا في إحساسه بالفقد والحنين، لأننا "لا نعرف ما نملك في الموطن حتى تعرفنا ذلك الغربة"[13]، وهذا ما عجب له سعيد وعجز عن تفسيره، كما يظهر في قوله:

"وما يستعصي علي تفسيره الآن هو كيف اتفق أن مسألة فلسطين وخسارتها الفاجعة، التي هيمنت على حياتنا أجيالا، وأثرت عمليا في جميع معارفنا، محدثة تغييرات عميقة في عالمنا، تعرضت لقمع نسبي من قبل والديّ: فلا هي مدار نقاش ولا تستحق منهما تعليقا"[14].

ويبدو أن تغييب فلسطين كان نتيجة حتمية لموقف والده الذي لم يكن يحبها؛ لأنها تذكره بالموت؛ فعمل على إسقاطها من حياته وحياة أسرته. فهل هي طبيعة الأب الصارمة والمنشغلة بحاضرها عن ماضيها، حيث كان يردد دائما: "ما مضى مضى وانقضى يكفي الرجل الحكيم أن ينشغل بالحاضر والآتي"[15]، أم هي مبادئه الماسونية التي يؤمن بها، والتي يعد الوصول إلى الأممية العالمية واحدا من أهم مقاصدها، وهو ما كشف عنه سعيد في سيرته بقوله: "لقد اعتاد

أبي ارتداء زي التاكسيدو في الأماسي التي يذهب فيها إلى اجتماعات المحفل الماسوني البالغة السرية"[16].

ويشير سعيد إلى أنه لم يختبر فلسطين تاريخا وقضية إلا من خلال أحاديث عمته التي كانت تساعد اللاجئين الفلسطينيين في مصر، وتراقبهم وتشاهد عذاباتهم ومعاناتهم اليومية. وهو ما يفسر غياب مصطلح الوطن من سيرته الذاتية إلا في مواضع محدودة جدا، وحين يذكر الوطن يذكره بحيادية كاملة، "نادرا ما ذكرت فلسطين، الوطن الضائع، مجددا إلا مرة واحدة خلال عامي الأخير في المدرسة الأمريكية" [17].

وقد عبر عن حالة من الفصام الفكري التي عانى منها صغيرا تجاه فلسطين، و تعامل مع المكان بتجرد كامل من أي ارتباط به، فكان ينظر إلى الفلسطينيين واليهود باعتبارهم ضحيتين تتساويان في الحق؛ فهو يستشعر معاناة الفلسطينيين وتشردهم بعدما سلبوا أرضهم، لكنه من جهة أخرى ينظر إلى فلسطين باعتبارها بلدا مناسبا لليهود كما يعتقدون، انطلاقا من رؤيته للقراءة الطباقية، والطباق (contrapuntal) مصطلح موسيقي ويعني: "الاستعمال المتزامن لِلَحنيْن (ميلودي) أو أكثر لإنتاج المعنى الموسيقي، بما يسمح بالقول عن أحد الألحان إنه النقطة المضادة،أو في حالة تضاد مع لحن آخر، قابلين لتبادل موقعيهما: ومثل ذلك التضاد الثلاثي والرباعي[18]. وقد استفاد سعيد من هذا المصطلح في قراءته للتاريخ الاستعماري المروي، وهي قراءة جديدة تدخل في حسابها العملية الإمبريالية، والعملية المقاومة لها، لتشتمل على ما تم إقصاؤه بالقوة، ولتتجاوز الفكر الإقصائي المنغلق على نفسه.

والقراءة الطباقية هي أداته التي وظفها في معركته الثقافية فيما يتعلق بالصراع العربي الإسرائيلي، وهذا ما جرّ عليه الكثير من الهجوم والاعتداءات:

"كنت أعاني أنا نفسي فصاما تجاه فلسطين، ولم أنجح في محاولاتي تجاوزه ولا أنا أدركته تمام الإدراك إلا مؤخرا عندما أقلعت عن المحاولة. وحتى هذا الوقت الحاضر، فإن ذلك الازدواج المستمر في نظرتي إلى المكان وإلى خسارته المحزنة بالاقتلاع المركب والتمزيق (كما يعبر عنها العديد من الحيوات المشوهة، بما فيها حياتي) ونظرتي إلى موقع فلسطين بما هي بلد رائع لهم هم (وطبعا ليس لنا) يوجعني على الدوام ويورثني شعورا محبطا بأني وحيد وأعزل ومعرض لاعتداءات أشياء تافهة، تبدو مع ذلك هامة وخطيرة، ولا أملك تجاهها أي سلاح"[19].

وقد لازمته هذه الحال من غياب الإحساس بالوطن بعد انتقال العائلة إلى نيويورك: "كانت فلسطين تلوح كلمح البصر ثم تختفي سريعا من حياتنا النيويوركية"[20]. وحين قرر العودة إلى أصوله الفلسطينية بعد غياب طويل بعيد حرب 1967، وصف عودته إلى العالم العربي بأنها عودة

سياسية ثقافية، ومحاولة لتجسير الهوة بين عالمين متباعدين: عالم بيئته الأصلية العربية، وعالم تربيته الأمريكية، فاختار أن ينشق مرة أخرى على هويته التي فرضت عليه من قبل والديه، ليعود بمحض إرادته إلى هويته العربية، ولكنها عودة فكرية إنسانية سياسية غير مرتبطة بالمكان – الوطن بالمعنى العاطفي. لقد كان اختياره الانتماء "للوطنية الفلسطينية حلا لما تنازعه من حيرة تعدد الهويات المتصارعة، وهو ما انجلى عن إرادة أن يكون فلسطينيا، فلقد كانت حرب يونيو/ حزيران 1967، وما تلاها من حوادث، بمثابة فرصة سانحة له لكي يحسم أمره ويعلن ولاءه السياسي للهوية الفلسطينية دون أية من الهويات الأخرى، فيما أنه يؤمن أن الهوية بناء ثقافي، ومثلها في ذلك مثل أي بناء ثقافي آخر، هي إعراب عن إرادة قوة ما، فإنه رأى أن للمثقف إرادة واعية يمكن الإعراب عنها من خلال الدور الذي يلعبه، وهو كمثقف شاء أن يكون فلسطيني الهوية والولاء"[21].

لقد وجد سعيد طريقه إلى التعالي على الأمكنة والانتماء إليها أو الارتباط بها من خلال رؤيته التي تشخص المعرفة الأكاديمية، بوصفها العنصر الذي يمكنه من ذلك، يقول: "علينا أن نعد المعرفة شيئا نخاطر من أجله بالهوية، وعلينا أن ننظر إلى الحرية الأكاديمية على أنها دعوة إلى التخلي عن الهوية على أمل أن نفهم، بل ربما، نتخذ أكثر من هوية واحدة. علينا أن نرى إلى الأكاديمية على الدوام بوصفها مكانا نرتحل فيه دون أن نمتلك منه أي شيء، لكننا نشعر أننا في موطننا أنى ذهبنا"[22].

إن مثل هذا التصور، الذي يستند سعيد إليه، يمثل طريقا للخلاص من ازدواج الهوية، ومن ضياع المكان الذي يمكن أن تتحدد به ومن خلاله، ويمثل في الوقت نفسه انتصارا على ما يسميه السعي إلى تحقيق فكرة طوباوية، أرض الواقع كما يقول: "من منظاري الجديد بوصفي عربيا بالاختيار، أعدت قراءة حياتي المبكرة بما هي حياة من البحث عن الانعتاق والتحرر من القوالب الجامدة للعائلة والدين والقومية واللغة أيضا - قراءة تعيد إلي ما كنت أرغب فيه من تكيف أفضل وأكثر تناغما بين ذاتي العربية وذاتي الأمريكية، وكلما أوغلت في ذلك الجهد ازددت اقتناعا بأني إنما أسعى إلى تحقيق فكرة طوباوية"[23]. وكان من الواضح مبكرا أن سعيد لا يدافع عن الوطنية الفلسطينية قدر دفاعه عن الانفتاح الثقافي البعيد عن التحيز الإيديولوجي أو العرقي.

لعل عدم تعلق سعيد بمكان محدد للهوية، أو بمكان يمكن استعادته، ارتبط بتكوينه منذ طفولته في إطار الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعي، فقد عاش في أطر متنافرة أو حالة تجمع المتناقضات التي صعب عليه أن يوفق بينها، ولذا فقد سعى إلى إيجاد مخارج خاصة به للتغلب على هذه الحال الشاذة، فلجأ منذ مرحلة مبكرة، في طفولته، إلى الخيال من أجل خلاصه منها

يقول: "ومن تخيلاتي المتكررة في هذا المضمار، وهي أيضا موضوع إنشاء مدرسي كتبته عندما كنت في الثانية عشرة، أني تخيلتني وقد أضحيت كتابا، ظنا مني أن الكتاب ذو مصير سعيد لانعتاقه من التغيرات غير المستحبة، ومن التشويهات في الشكل، ومن النقد لمظهره. وكان الكلام المطبوع يتكون في رأيي من مزيج نادر من التعبير، من حيث أسلوبه ومضامينه، ومن الثبات المطلق والكمال من حيث المظهر، وإذ أنتقل من يد إلى يد ومن مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان، أستطيع المحافظة على كياني الذاتي الحقيقي (بما أنا كتاب) على الرغم من احتمال أن يرميني أحدهم في السيارة أو أن ينساني في قعر درج من الأدراج"[24].

تكمن أهمية هذه الأمنية في أنها تصور قناعات سعيد بضرورة تحرر الذات لتتشكل، وأنه لا بد لها من الانعتاق الكلي والمطلق من اشتراطات المكان والزمان للحفاظ على نقائها الحقيقي. فالمكان يصير قيدا للإنسان بمجموعة الأنماط السلوكية والفكرية المرتبطة به. وحالة الانعتاق الكلي للكتاب، أشبه ما تكون بحالة النفي والتشرد التي أشار إليها، والتي تجعل صورة المنفي صورة نموذجية للمثقف: "إذا فكرت بالمنفى كحالة دائمة، بالمعنيين الحرفي والثقافي، فإن الأمر سيبدو واعدا رغم صعوبته، إنك تتحدث هنا عن الحركة، عن التشرد، بالمعنى الذي تحدث عنه لوكاش في "نظرية الرواية" التشرد الذي يؤدي إلى نوع من التصعيد، وهو ما يمكن أن يؤدي نوعا من الرحلة الثقافية التي أربطها بالنقد...، التشرد وافتقاد البيت هي العلمانية التي تعني من بين ما تعني اندراج المرء في العصور والأزمنة والتاريخ لا في عالم اللاهوت. أو نظام اللاهوت المتعالي الذي ينجذب إليه العديد من مثقفي اليسار الآن"[25].

وهذا تصور بقي ملازما لسعيد في سيرته، فإذا بهويته تتشكل من خلال تعدد الأمكنة وتوزعها بين الشرق والغرب، وليس من خلال الثبات والاستقرار. "يعلم المنفي أن الأوطان في عالم علماني وعارض، مؤقتة وعابرة على الدوام. بل إن الحدود والحواجز، التي تسيجنا بأمان المنطقة المألوفة يمكن أن تغدو سجونا ومعازل، غالبا ما يدافع عنها وتحمى بلا مبرر أو ضرورة، أما المنفيون فيعبرون الحدود ويحطمون حواجز الفكر والتجربة"[26].

إن هذا التصور الذي يقدمه سعيد يخالف على نحو حاد الصورة القارة في الأدبيات التقليدية في مختلف الثقافات عن جدل العلاقة بين الوطن والمنفى، ويمثل هذا التصور طرحا جديدا ينسجم مع الأطر المكانية والثقافية والاجتماعية التي وجد نفسه فيها، والتي لم تمنحه الألفة أو الإحساس بالأمن، كما لم تتشكل فيها ألفته بالناس واللغة والأمكنة. وقد كانت شخصيته العالمية المسندة بسلطة المعرفة العامل الحاسم في تجاوزه الصور المألوفة للتعلق بالمكان - الوطن - أو بالهوية الضيقة الآفاق.

إن ارتباط سعيد بالعالم العربي ارتباط سياسي ثقافي بالدرجة الأولى، وليس عاطفيا. ولما كانت "كل الأحاسيس مكانية"[27]، والموطن كلمة و"قيمة تحمل الكثير من الأحاسيس"[28] يجد النقاد صعوبة في تصنيف سعيد أو حصره في اتجاه واحد. فالحنين إلى المكان بالمعنى النوستالجي يغيب من حياته، ولم يظهر إلا عقب مرضه، وعلى نحو عابر ملتبس، فقد قرر العودة إلى فلسطين في 1992 في أول زيارة له بعد غياب خمس وأربعين سنة مع زوجته وولديه، حيث زار منزل عائلته في القدس الغربية، والمنزل الذي سكنته أمه في الناصرة، ومنزل خاله في صفد، ثم عاود زيارة القدس عقب الفراغ من تأليف سيرته عام 1998، إلا أنه منع من دخول منازل أهله، ولو لمجرد إلقاء نظرة، ليسلب المكان والزمان معا. ولكن، لماذا لم يفكر سعيد بزيارة القدس إلا بعد مرضه؟ هل لأن المرض يعود بالنفس البشرية إلى ضعفها الفطري وتعلقها الأولي بالمكان؟ أم هو نتيجة لإحساسه بغبن الرواية الإسرائيلية التي تحاول تجذير الهوية اليهودية مقابل اقتلاع الآخر؟ وإن كان المرجح أن مجموعة من العوامل دفعته إلى العودة إلى مسقط رأسه، لكنها ليست بدافع الحنين بقدر ما كانت لتأكيد الموقف الفكري المنتصر لقضيته. وهو ما ذكره في أحد حواراته: "ورغم ولادتي في القدس، فإن إحساسي بفلسطين ظل يدور حول فلسطين الفكرة لا المكان الفعلي. وحين زرت فلسطين بعد غياب طويل، في عام 1992، وجدت نفسي في حال من النزاع معها أيضا"[29].

والطريف أن إحساس فقد الوطن الذي استشعره لأول مرة في زيارته الأخيرة للقدس كان مفاجأة بالنسبة له، لمنافاته التصورات الفكرية وحالة اللاانتماء التي يؤمن بها، فلم يكن يعتقد أنه سيختبر يوما هذا الحس، ما دام أن ارتباطه بفلسطين ارتباط موضوعي فكري: "وكان أحد الأسئلة الروتينية التي وجهها إلي الموظفون الإسرائيليون (لما كان جواز سفري الأمريكي يشير إلى أني ولدت في القدس) ما هو الموعد المحدد الذي غادرت فيه إسرائيل بعد الولادة. فكنت أجيب أني غادرت فلسطين في كانون الأول/ ديسمبر 1947 مشددا على كلمة فلسطين. "هل لديك أنسباء هنا؟ كان السؤال التالي الذي أجبت عليه بـ "لا أحد" وقد امتلكني شعور من الحزن والخسران لم أكن أتصور أني سوف اختبره"[30].

هذا التشديد اللفظي على فلسطين والإجابة التي تنفي أن يكون بقي في القدس أحد يعرفه يشي بإحساس مرير بالفقد والاستلاب، "إحساس بالضياع الناجم عن حالتي الغياب والإحلال المتلازمتين يستشعره في هذا الموقف الشاذ والغريب[31].

القاهرة: الطرد

تشغل القاهرة حيزا واسعا ومهما في "خارج المكان"، ويصرح سعيد غير مرة أنها المدينة الوحيدة التي يشعر فيها أنه في بيته، وعلى الرغم من طول إقامته فيها فإنّه لم يشعر يوما بالانتماء إليها: "إننا ندرك في الوقت ذاته أن القاهرة لا يمكنها أن تكون على المدى البعيد وطن المستقبل كما نتخيله"[32] فقد كانت على الدوام بيئة غير آمنة وطاردة له وللأسرة. ولكنها تحضر بوصفها مكانا لتجلي المركزية الغربية، والهيمنة الكولونيالية، "إذ هي صورة بارزة لفسيفساء بشرية عجيبة أفرزتها الممارسات الكولونيالية، التي عملت على انتزاع أية علاقة للفلسطيني إدوارد سعيد بالقاهرة بوصفها مكانا من شأنه أن يغني عقل ووجدان سعيد الطفل والشاب بالعناصر اللازمة لتشكل الوعي بالهوية"[33].

لقد كانت هذه التجربة القاسية سببا في تشكل هويته العربية، وذلك بوضعها في موضع التضاد مع الهوية الأجنبية، وبوصفها فعل مقاومة للكولونيالية، وهو ما عبر عنه في إحدى مقابلاته الصحفية: "الهوية هي الشيء الذي يتأسس على إحساس بعدم السماح له بالوجود. وأزعم أنها تصاغ بعد، كرد فعل لشعور بخطر الإبادة. فلا يعني الأمر أنني أملك هوية ما [أن] يأتي شيء معين ليهددها، بل إن شيئا يحدث كمصدر تهديد، ليدفعني إلى تشكيل نفسي بطريقة دفاعية ككيان أو كجزء من كيان جماعي منظم لمكافحة الخطر. إن حالة العداء بمعنى ما، هي بالضبط ما يجمع عناصر مشتتة في ذات الفرد أو الجماعة لتشكيل وحدة سياسية القاسم المشترك بين عناصرها في ضرورة الدفاع عن نفسها أمام حالة العداء"[34]. فبعد انتساب سعيد إلى كلية فيكتوريا وهي مدرسة معدة لتكون "إيتون"[35] الشرق الأوسط وجد نفسه في مواجه سلطة كولونيالية، تعمل على فرض لغتها وثقافتها على الطلاب كونها الثقافة السائدة في مصر: "فجأة حولنا كراس صغير بعنوان دليل المدرسة إلى سكان أصليين". تقول القاعدة رقم واحد فيه: "الإنكليزية هي لغة المدرسة، كل من يقبض عليه متكلما لغات أخرى يتعرض لعقاب صارم، فصارت العربية ملاذنا، لغة مجرمة نلجأ إليها من عالم الأسياد ومساعدي الأساتذة المتواطئين ومن زملائنا المتأنكليزين الأكبر سنا الذين يتجبرون علينا باسم فرض التراتب المدرسي وتطبيق قوانينه. وبسبب القاعدة رقم واحد صرنا نتكلم العربية أكثر، بدلا من أن نتكلمها أقل، تحديا لما اعتبرناه، وأعتبره الآن أكثر من ذي قبل، رمزا اعتباطيا لسلطتهم يبلغ درجة من السخف تثير السخرية"[36].

وفي القاهرة تشكلت أولى تصوراته عن الوطن من خلال حضور الآخر الإنجليزي في "مدرسة الجزيرة الإعدادية" التابعة للمجلس الثقافي البريطاني: "لم تكن لي علاقات متصلة

بأولاد الإنجليز خارج المدرسة؛ ذلك أن حبل سرّة سريّا كان يجمعهم ويخفيهم في عالم آخر مغلق علي، فأدركت تمام الإدراك كيف أن أسماءهم صحيحة تماما، وملابسهم ولكناتهم ومعاشراتهم مختلفة كليا عن ملابسي ولكنتي ومعاشراتي، ولا أذكر أني سمعت أيا منهم يشير مرة إلى الوطن، غير أني ربطت فكرة الوطن بهم، وإذا الوطن بمعناه العميق، هو ما أنا مستبعد عنه"[37]. لقد ترسخت لدى سعيد فكرة أن تكون في المكان الصحيح يعنى أنك في وطنك، المكان الذي سيحدد بالتالي هويتك بمكوناتها الدينية واللغوية والثقافية، وأي خلل أو ارتباك في هذه المكونات يعني أنك في غير مكانك. إن ضياع الذات وارتباكها واقتران ذلك بضياع المكان سمة عامة في أدب ما بعد الاستعمار، وذلك نتيجة "تآكل الإحساس بجدوى الذات وفاعليتها من خلال عملية الإبعاد الناتجة عن الهجرة أو تجربة العبودية، أو الترحيل، أو الحركة الطوعية للعمال الملتزمين بعقود عملهم، أو ربما تدمير هذا الإحساس بجدوى الذات وفاعليتها من خلال عملية التشويه الثقافي، أي القمع الواعي وغير الواعي للشخصية والثقافة الوطنيتين، من خلال ما يفترض أنه نموذج ثقافي وعرقي متفوق"[38].

وعلى الرغم من أن القاهرة هي من أكثر الأمكنة التي أحبها، كما صرح سعيد في غير مكان من سيرته: "المدينة التي أحببتها على الدوام دون أن أشعر مرة بانتمائي إليها"[39] فإنها كانت مكانا طاردا له؛ حيث تعرض غير مرة إلى الطرد: أما الأولى فكانت الأشد والأكثر قسوة، وهي التي كشفت له تهافت ادعاء أهله أنه مواطن أمريكي ودونيتهم كشرقيين، حين اعترض ذات يوم إنكليزي طريقه في النادي، وطرده لأنه عربي: "يا ولد غادر المكان فقط، وغادره بسرعة، ممنوع على العرب ارتياد هذا المكان، وأنت عربي"[40].

أما عملية الطرد الثانية، فهي التي تعرف بها على أخطر تجاربه في مقاومة السلطة والانتماء، حين طرده مدير الكلية من قاعة الدرس، وعلم حينها معنى أن يكون خارج المكان، يقول:

"وجدتني فجأة قد خرجت من كل دائرة سكنتها من قبل، معزولا معيبا مذهولا مرفوضا في المدرسة خائفا من العودة إلى البيت ... اختبرت إحساسا عائما وطوباويا بالمعنى الحرفي للكلمة بأني خارج المكان، وقد تحررت من جسدي، وانعتقت من كل الارتهانات والواجبات والقيود المعتادة. لم أشعر قط أني حر بمنأى عن أي توجيه على النحو الخطير الذي شعرت به حينها. كنت ببساطة أمشي باتجاه البيت دونما هدى غير معرفتي بأني سوف أنتهي إليه عاجلا أم آجلا"[41]؛ وهي تجربة تعرف خلالها على أول أشكال القوة التي طالما تحدث عنها في كتاباته فيما بعد؛ وهي حالة اللاانتماء، والخروج على المكان حيث مسؤولية الحرية الخطرة، وقد تحررت الذات من المكان واشتراطاته الماحية لوعيها، وهو ما بينه في كتابه "صور المثقف": "الذي

يحدد المسار للمثقف كغير منتم هو وضع المنفى، تلك الحالة من اللاتكيف أبدا على نحو تام، والشعور دائما أنك خارج العالم المهذار الذي يقطنه سكان أصليون"[42].

والثالثة حين منع من دخول القاهرة بسبب خطأ قانوني وقع مصادفة أثناء عمله مع والده، فكانت النتيجة أن طرد منها: "منعت لخمس عشرة سنة من دخول المدينة الوحيدة في العالم التي أشعر فيها أني في بيتي، إلى هذا الحد أو ذاك"[43]. ومع تصاعد موجة العداء لكل ما هو أجنبي، بعد تولي جمال عبد الناصر الرئاسة، أصبح بقاؤهم في القاهرة يهدد أمن الأسرة ومستقبلها، وهو ما اضطرهم إلى مغادرتها نهائيا.

أما تجربة الطرد الأخيرة التي ختم بها المرحلة القاهرية في سيرته، فكانت بعد ثمان وثلاثين سنة من خروجه من القاهرة، حين قام بزيارة أكاديمية إلى القاهرة بصحبة أسرته، وكان يوم عطلة، فأتى بأسرته ليريهم المدرسة التي طرد منها سابقا، وبعد دخوله قاعة الدرس القديمة التي طرد منها، داهمتهم مديرة المدرسة التي كانت ترتدي المنديل والجلباب، ورفضت مصافحته، ونظرت إليه بعداء قومي طالبة منهم المغادرة فورا لدخولهم المدرسة بطريقة غير مشروعة. وليتكرر مشهد الطرد في المكان ذاته ولكن بصبغة إسلامية هذه المرة.

2- ضهور الشوير اللبنانية: العزلة

ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مفهوم جديد يعرف الوطن باعتباره وسيلة تقدم واقعا رومانسيا يقابل الواقع الصناعي الجديد، وهو مفهوم يلبس الوطن صورة إيجابية مشرقة حيث الطبيعة الوادعة، والخالية من كل عيب، وهي صورة حلمية وهمية تشعر المرء بالرضا والأمان، ولكنها في حقيقة الأمر تغفل الواقع المعيش. وقد كان بإمكان سعيد أن يجعل من قرية ضهور الشوير في لبنان موطنا يسكنه ويتغنى به ولو على سبيل الحلم، فعلى مدى سبع وعشرين صيفية متتالية كانت الضهور مصيف العائلة المفضل، وهي قرية أحبها أبوه، وكان يعتبرها أجمل بقاع الأرض، وادعت أمه كراهيتها مع أنها مسقط رأس أهلها، وفيها اختبر سعيد حبه الأول، لكننا نجده يتحدث عن هذا المكان بكثير من النفور والعدائية: "وإذ ندخل الضهور أخيرا، عبر ضاحية الدوار الصغيرة ينتابني شعور يثيره المكان باستمرار، وهو مزيج من الأسى والرعب الداهم"[44]. حتى الطبيعة الرعوية الجميلة في هذه القرية تصبح مصدر إزعاج وضيق له:

"اذهب والعب بالغابة" كانوا يقولون لي كأنما أشجار الصنوبر المهزولة وأجمات العليق الشائكة ملعب طبيعي مليء بالتسليات المبهجة أو حتى بما ينور الأذهان"[45].

ويعود هذا النفور لأسباب عدة، بدءا بحياة التقشف البدائية التي لم يعتد عليها في القاهرة، ويصر الأب عليها في هذه القرية، والفراغ الكبير الذي كان يستشعره فيها، ثم حالة الجفاء والانقطاع التي كانت تعتري والدته في تعاملها معه في الضهور وسلسلة المهمات الشاقة التي كانت تبتكرها لتبعده عن البيت ومشاكسة أخواته أكبر وقت ممكن، إضافة إلى الشعور الطائفي المضمر الذي استشعره مبكرا في الاجتماعات العائلية هناك، وتأكد له فيما بعد، عند وفاة والده الذي أحبها وأقام فيها لفترات طويلة جعلته يظن أنه من أهاليها، فكان أن أعرب عن أمنيته بأن يدفن فيها، ولكن الوصية لم تتحقق؛ "لأنه لم يكن أي من أهالي البلدة مستعداً لبيعنا قطعة أرض صغيرة نحقق عليها رغبته. فعلى الرغم من سنوات من إخلاصه للبلدة، والعديد من الإسهامات في حياتها المشتركة، وحبه لأهلها وللمكان ذاته، كان لا يزال يعتبر غريباً، في موته فلم يسمح له بالدخول إليها؛ ذلك أن الحياة الرعوية التي ظننا أننا ننعم بها، ورفعناها إلى مستوى المثال لم يكن لها من موقع في ذاكرة البلدة الجمعية"[46].

والمفارقة الطريفة أنه قابل هذه العزلة والجفاف البيئي والنفسي بالارتواء الفكري والعاطفي؛ فعلى الصعيد الفكري استطاع قطع رتابة العيش في القرية بمجموعة فواصل ثقافية، كان لها أثر كبير في حياته الفكرية فيما بعد، فقد توثقت صلته بأحد أبناء جيرانه خلال أيام دراسته الثانوية: "لا شك أن الموضوعات الرفيعة التي كان منير يثيرها خلال مناقشتنا من الوزن الثقيل - معنى الحياة والفن والموسيقى - قد أسهمت في بلورة شخصيتي الفكرية"[47] فبدأ باستعارة كتبه الحاوية مقتطفات من أعمال كبار الفلاسفة الغربيين من أجل ترسيخ معرفته بهم، وهو ما أكسبه فكرا معقدا: "لازمني هذا الشعور بالتعقد بما يتجاوز الضهور المروعة، وظل ينمو في داخلي بعد مغادرتي إلى الولايات المتحدة عام 1951. والمفارقة في الأمر أن بذور ذلك التعقد بذرت في زمن حرماني الأكبر. عندما كنت أتجول في طرقات المصيف الجرداء لا يشغلني سطحيا غير الحر وشعور عميم بالاستياء"[48]، وعزز رقيه الفكري تعرفه على اثنين من أبناء معارفه يعترف سعيد بحضورهما الثمين في حياته حيث فتحا له عالما غنيا من المعرفة.

أما على الصعيد العاطفي فقد انحصر معنى الضهور عنده شابا بامرأة أحبها وكانت تكبره بسبع سنوات، ورغم تعلقه الشديد بها عدة سنوات، إلا أنه كان يدرك أن لا مكان لها في مستقبله، وقد تمكنت والدته أن تصرفها عنه بذكاء ودبلوماسية مما خلصه من عبء الزواج والالتزام الذي كان يقلقه.

3- الولايات المتحدة: الارتحال القهري

قدم هيرمان تعريفا لمفهوم الموطن في أحد معانيه الجديدة قائلا: "الموطن لا يكون إلا بقدر محدود لمن نشأ فيه أو انحدر منه، إنما هو لمن يعمل على تشكيله والتغيير فيه"[49]. ولقد قضى سعيد في الولايات المتحدة سبعة وثلاثين عاما نجح خلالها في فرض اسمه على الساحة الأكاديمية والثقافية، متجاوزا الطروحات السابقة، ومؤسسا لدراسات ثقافية جديدة نجح في جعلها مفصلا مهما في الدراسات الثقافية والاستشراقية، حتى وسمت هذه الدراسات بما قبل إدوارد سعيد وما بعده. فكان من أبرز منظري الدراسات الاستشراقية والثقافية، لكن وعلى الرغم من هذا الإنجاز وطول إقامته في الولايات المتحدة فإنّ إحساسا عارما كان يتملكه أنه في غير مكانه، وكان أشد ما يؤلمه محاولات أمركته ولو صوريا: "أحزنني كثيرا أني في مطلع كانون الأول/ ديسمبر 1951 صار الجميع يؤمركني بصفتي "إد سعيد" وهو ما دفعه إلى مقاومة محاولات دمجه بمزيد من الإصرار "أخذت أشق طريقي بالنضال ساعيا، بنجاح متزايد إلى التمسك بحساسية خاصة، بل إلى تنميتها، حساسية غرضها مقاومة التسويد والسوس الإيديولوجي الأمريكيين، وقد فعلا فعلهما في العديد من زملائي في الصف"[50] ورغم عيشه الطويل في الولايات المتحدة، فإنّ حالة اللامنتمي تحولت إلى صفة ملازمة له على مدى سبعة وثلاثين عاما لم يفارقه فيها إحساس متوقع بالرحيل، وهو ما أورثه رغبة مستمرة بالارتحال على نحو مرضي، جعله يخترع المناسبات اختراعا كي يغادر، لذا "يقدر سعيد الحركة من حيث ارتباطها بذاته، لأنه يستطيع من خلال الحركة أن يفلت من الجمود ومن إحساسه العارم بأنه خارج المكان"[51] فأن يكون هنا يعني أنه خارج المكان، والأفضل له أن يكون هناك.

والمفارقة الطريفة هنا أن هذه الرغبة المستمرة في الارتحال والمقرونة بخوف سري من عدم تمكنه من العودة، كانت تمنحه شعورا عارما بالنشوة. وقد تفاقمت لديه هذه الرغبة مع مرضه الذي كان من المفترض أن يضع حدا لارتحالاته المتكررة، ولكن إحساس سعيد بهذا المأزق الوجودي حفزه لإحداث تغيير في حياته، وكان أول ما خطط له بعد مضي شهر على تشخيص مرضه هو الارتحال: "فكرت في إجراء عدة تغييرات في حياتي وقد أدركت دونما خوف ظاهر، أنها سوف تكون أقصر وأصعب من الآن فصاعدا. وخطرت لي فكرة الانتقال إلى بوسطن للعودة إلى مدينة عشت واستمتعت بالحياة فيها عندما كنت طالبا، ولكن سرعان ما اعترفت لنفسي بأني إنما أفكر على نحو استرجاعي في إيجاد مكان لأدفن نفسي فيه، لأن بوسطن مدينة هادئة قياسا إلى نيويورك فتخليت عن الفكرة"[52].

فسعيد يرفض المكان الثابت حتى إن كان قبرا يضمه. لذا سرعان ما تخلى سعيد عن فكرة الارتحال الفيزيائي التي ستقوده حتما إلى مكان لا مكان بعده، واستعاض عنها بنوع جديد من الارتحال التخيلي جمع له مع رغبته الكامنة في السرد، متعة الانتقال والارتحال عبر ذاكرته المعطاءة التي قادته إلى البدايات حيث مراتع الطفولة والشباب، في القدس والقاهرة: "كان جوابي الثابت على مشقات مرضي المتزايدة هو الإكثار من الاستذكارات ومحاولات إحياء نتف من حياة عشتها أو استحضار بشر غابوا. في عام 1992، ذهبت مع زوجتي وولدي إلى فلسطين في أول زيارة لي منذ45 سنة، وكانت تلك زيارتهم الأولى. وفي تموز زرت القاهرة بمفردي متقصدا خلال إحدى المهمات الصحفية أن أزور مطارحي القديمة"[53].

هذا النص يكشف لنا أن عودة سعيد إلى القدس والقاهرة كانت عودة مدروسة وموضوعية ولغاية خدمة ذاكرته في كتابة سيرة تكاد تخلو من الحس النوستالجي. بل يعترف أنه حتى الستين من عمره لم يكن يطيق مجرد التفكير في ماضيه في القدس والقاهرة. حتى القاهرة التي قضى فيها ميعة شبابه لم يشعر بأي حماسة لإعادة امتلاك شقتهم التي تركتها أسرته قبل أربعين عاما. والحالة الفريدة التي اعترف فيها بتفوق الحس النوستالجي على تصوراته الفكرية كانت بعد قدومه إلى الولايات المتحدة؛ لإتمام دراسته الثانوية في مدرسة ماونت هيرمون الداخلية وهو ما زال غضا طريا، وكان ذلك بسبب أمه التي جعلت عملية الانفصال عنها صعبة وشاقة بما كانت تغمره من عاطفة: "كنت أتشوق للعودة إلى القاهرة، وأظل أحسب الفارق في الوقت بيننا وبينها (تاركا الساعة المزودة بجهاز الإنذار قرب سريري بحسب توقيت القاهرة، وأفتقد طعام أهلي القاهري خلال وجبات الأكل المدرسية ... والأهم من ذلك كله أني كنت أفتقد أمي، وإذا كل رسالة من رسائلها تعمق جرح الهجران والفراق الذي ينز في داخلي، أحيانا أسحب حقيبة ضخمة من تحت السرير وأروح أقلب في ألبومات الصور أو الرسائل ثم أروح أبكي بصمت"[54]. ويعترف سعيد أنها التجربة الوحيدة المريرة التي كان يشعر بها وتورثه الحزن: "ففي كل سنة كانت عودتي إلى الولايات المتحدة في آخر الصيف تنكأ الجراح القديمة، فأعيد اختبار انفصالي عنها كأنه الانفصال الأول؛ وهو ما يورثني الحزن الذي لا يبرأ، والالتفات اليائس إلى الماضي، والتعاسة في الحاضر". هذه العاطفة المشبوبة بالحنين إلى الأم، والرهبة من الانفصال عنها أورثته ضعفا وتعاسة. إلا أنه تمكن في العام التالي من التخلص من تلك العاطفة التي يصفها بالكتلة الشالة من مركز الاهتمام، واستبدل بها أمورًا أكثر نفعا ومتعة حين أسلم أمره لذات أقل عاطفية، وأقل إعاقة حسب تعريفه. فالذات القوية تتشكل عند سعيد بالتخلص من كل التعلقات النوستاليجية التي من شأنها تشويش المرء وإعاقته عن الحركة. وهو ما مكنه، ولأول مرة، من اكتشاف ذاته الجوانية، ولأول مرة يشعر سعيد بشيء من الانتماء على الصعيد الفكري وأنه ليس خارج المكان: "وإذا مسار الاكتشاف

الفكري المعقد (واكتشاف الذات أيضا) لم يتوقف منذ ذلك الحين. ولأني في البيت أو في ماونت هيرمون على الأقل. لم أكن خارج مكاني من جميع النواحي، فقد حفزني ذلك على البحث عن مداي الخاص، إن لم يكن على الصعيد الاجتماعي، فعلى الصعيد الفكري على الأقل"[55] وذلك بفضل نظام التعليم الذي يعتمد على النقد والتخيل. وليس الحفظ والاستظهار، إلا أنه لم يكن جزءا من حياة المدرسة المشتركة وبقي يلازمه الإحساس أنه خارج المكان، وأنه ينقصه "الموقف السوي" على الرغم من تفوقه الأكاديمي، وتميزه في النشاطات الثقافية، وقد تكرس عنده هذا الشعور حين حرم من حقه في إلقاء كلمة الخريجين، ليلقيها من هو دونه مرتبة: "فأدركت أنه قد حكم علي أن أبقى اللامنتمي"[56]، وأن وطنه الحقيقي هو اللامكان، وهو ما ذكره في إحدى كتاباته "من أولى الذكريات لدي ذكرى الحنين إلى الوطن، تلك الرغبة في الوجود في مكان آخر سوى الذي أشغله، ولكنني مع مرور الوقت أصبحت أرى فكرة الوطن فكرة مبالغا في تقديرها، إذ يرتبط بالأوطان الكثير من العاطفة المفرطة مما لا أكترث له، أما الترحال فهو أحب الأعمال إليّ"[57].

وقد وثق تلك الرؤية بأن أوصى وهو المقيم في نيويورك، بحرق جثته وحمل رمادها في رحلة أخيرة إلى لبنان بتلونه الطائفي والمذهبي، حيث تشكل بدءا فكره المعقد، وليمارس آخر طقوسه في نفي المكان، فلا قبر يضم جسده ولا أرض تحتويه أو مكان يأويه.

الخاتمة:

وقد خلص البحث إلى ما يأتي:

1- أن فكرة الوطن عند إدوارد سعيد فكرة مبالغ فيها، حيث يرتبط بالأوطان الكثير من العاطفة التي لا يبالي بها.
2- أن الوطن الحقيقي عند إدوارد سعيد مرتبط باللامكان، وأن سيرته الذاتية "خارج المكان" نص معبر بعمق ووضوح عن تصوره هذا.
3- لم يرتبط إدوارد سعيد بالأمكنة التي حل فيها ارتباطا وجدانيا، وقد استعاض عن ذلك بالأكاديميا العلمية.
4- معظم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع درسته على أنحاء متعددة ومختلفة، في حين ركز البحث الحالي على تأمل معنى (الوطن خارج المكان).

Motherland is out of place
A Study of Said's Autobiography

Ahlam Masad, *Languages Center, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

Based on analyzing the images and conceptions perceived in Edward Said's Out of Place, this paper attempts to explore the reasons why Said does not attach himself to a specific place of identity or to a nostalgic restored place described as the lost place. These reasons are a unique layout Said portrayed to deal with the place. They also show an intense paradox of the image represented in various cultural classical literature tackling the relationship between man in exile, place, and motherland. Thus, Said presented a new image of his relationship with place in line with the different spatial frameworks he lived in, with all its cultural and social components. Yet, he lacked, in these different places, the familiarity, identity and security. These feelings and emotions made him aware that he is always displaced or in the wrong place and pushed him to seek salvation while, simultaneously, enabling him to free himself from the past. He also presents an alternative thought to the phenomenon of connection to one's motherland. This alternative notion in finding home out of place, a placeless home, is the main component that encompasses his vision of academic knowledge.

Kaywords: Edward Said, motherlad, identity, nostalgia, the place.

الهوامش

1- زياد الزعبي: مقدمته لكتاب المكان في الثقافة الوطنية، وثائق المؤتمر الثقافي الوطني السادس، الجامعة الأردنية، 2-2010/5/5، ص6.

2- إدوارد سعيد: تأملات حول المنفى، ص 131.

3- هيرمان: المعاني الكثيرة لكلمة الموطن في الألمانية، مجلة فكر وفن، ع75، سنة 30، 1993.ص15.

4- المرجع السابق. ص 15.

5- المرجع السابق، ص16.

6- المرجع السابق.ص18.

7- خارج المكان: ص45.

8- خارج المكان:ص25.

9- خارج المكان: ص 36.

10- بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، ج2، ص569.

11- خارج المكان: ص28.

12- مايك كرانغ: الجغرافيا الثقافية، ص140

13- بيتر بونسن: حيث ما كان أحد، مجلة فكر وفن، ع75، سنة 30، 1993، ص 30.

14- خارج المكان:ص 156.

15- خارج المكان: ص155.

16- خارج المكان: ص132.

17- خارج المكان: ص184.

18- إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ص19.

19- خارج المكان: ص184.

20- خارج المكان: ص181.

21- عبد الله التركماني: إدوارد سعيد المثقف الكوني والهوية المركبة، بصمات، ع2، يونيو/ حزيران 2007، ص60.

22- تأملات حول المنفى، ص 346. وانظر دراسة جمال مقابلة وعلي عشا "المفكر الإنساني لدى إدوارد سعيد، هويته مسؤوليته أنموذجه". كلية الآداب جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية، مج 71، ع3، يوليو، 2011.

23- خارج المكان: ص 9.

24- خارج المكان: ص109.

25- إدوارد سعيد: عن العالم والنص والناقد، الكرمل، ع78، شباط 2004، ص 122.

26- إدوارد سعيد: من القدس وبيروت إل سياتل، مجلة الحياة، 1 أكتوبر/ 2003.

27- أندري، لالاند: الموسوعة الفلسفية، مج(A-G) ت خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001، ص303.

28- هيرمان: المعاني الكثيرة لكلمة الموطن في الألمانية، ص 15.

29- حاوره صبحي حديدي: إدوارد سعيد: الهويات تعددية والمنفى حقل كريم، الكرمل، ع78، شتاء 2004، ص105.

30- خارج المكان: 20.

31- انظر إلياس خوري: سؤال النكبة: الصراع بين الحاضر والتأويل إدوارد سعيد ومسألة فلسطين، الكرمل، ع78، شتاء 2004، ص 46.

32- خارج المكان: ص226.

33- شمس الدين شرفي: جدلية الشرق والغرب، ص19.

34- غلين باومن: خيال المنفى: بناء المكان الفلسطيني من خارجه، الكرمل، ع60، صيف 1999، ص9، ص10.

35- إيتون هي واحدة من تسع مدارس إنجليزية مستقلة، هي مدرسة داخلية كاملة، وهي واحدة من المدارس العامة الأربع المتبقية للذكور فقط في المملكة المتحدة. وقد تلقى تسعة عشر رئيس وزراء بريطاني تعليمه في كلية إيتون.

36- خارج المكان: ص231.

37- خارج المكان: ص 70.

38- بيل اشكروفت: الإمبراطورية ترد بالكتابة، ص32.

39- خارج المكان: ص70.

40- خارج المكان:ص72.

41- خارج المكان: ص261.

42- إدوار سعيد: صور المثقف، ص62.

43- خارج المكان:ص352.

44- خارج المكان: ص192.

45- خارج المكان: ص203.

46- خارج المكان:ص 329.

47- خارج المكان: ص خارج المكان: ص207.

48- خارج المكان: ص208.

49- هيرمان: المعاني الكثيرة لكلمة الموطن في الألمانية، مجلة فكر وفن، ع75، سنة 30، 1993، ص18.

50- خارج المكان: ص292.

51- لندا أندرسن: السيرة الذاتية والمنفى، ت: هند شاهين، المجلة الثقافية، ع91، 2017، ص66.

52- خارج المكان: ص268.

53- خارج المكان: ص268، ص269.

54- خارج المكان: ص290، ص291.

55- خارج الكان: ص286، ص287،.

56- خارج الكان: ص305، ص306.

57- لندا أندرسن: السيرة الذاتية والمنفى، المجلة الثقافية، ع91، 2017.

المراجع:

أبو عودة، تيسير: **المثقف الطباقي: إدوارد سعيد وغواية المنفى**، www.aljazeera.net

أشكروفت، بيل، جاريث جريفيثيز، هيلين تيفين: **الإمبراطورية ترد بالكتابة - آداب ما بعد الاستعمار - النظرية والتطبيق**، ت: خيري دومة، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2005.

أندرسن، لندا: **السيرة الذاتية والمنفى**، ت: هند شاهين، المجلة الثقافية، ع91، 2017.

أندري، لالاند: **الموسوعة الفلسفية**، مج (A-G) ت خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 2001.

باومن، غلين: **خيال المنفى: بناء المكان الفلسطيني من خارجه**، الكرمل، ع60، صيف 1999.

بدوي، عبد الرحمن: **موسوعة الفلسفة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ط1، ج2.

بونسن، بيتر: فكر وفن، حيث ما كان أحد، **مجلة فكر وفن**، ع75، سنة 30، 1993.

التركماني، عبد الله إدوارد سعيد المثقف الكوني والهوية المركبة، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك** – جامعة الحسن الثاني – المحمدية – الدار البيضاء – المغرب "**بصمات**" – العدد (2) – يونيو/ حزيران 2007.

حديدي، صبحي: **إدوارد سعيد: الهويات تعددية والمنفى حقل كريم**، الكرمل، ع78، شتاء 2004.

خوري، إلياس: **سؤال النكبة: الصراع بين الحاضر والتأويل إدوارد سعيد ومسألة فلسطين**، الكرمل، ع78، شتاء 2004.

الزعبي، زياد: **المكان في الثقافة الوطنية**، وثائق المؤتمر الثقافي الوطني السادس، الجامعة الأردنية، 2-2010/5/5.

سعيد، إدوارد: **صور المثقف، "محاضرات ريث سنة 1993"**، النهار، بيروت، 1996.

سعيد، إدوارد: **تأملات حول المنفى**. ت: ثائر الأديب، ط2، دار الآداب، بيروت، 2007.

سعيد، إدوارد: **خارج المكان**، ت: فواز طرابلسي، دار الآداب، بيروت، ط1، 2000.

سعيد، إدوارد: **عن العالم والنص والناقد**، الكرمل، ع78، شباط 2004.

سعيد، إدوارد: **الثقافة والإمبريالية**، ت: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط4، 2014.

شرفي، شمس الدين: **جدلية الشرق والغرب، أو الهجنة والمشروع الكولونيالي (إدوارد سعيد نموذجا)**،

كرانغ، مايك: الجغرافيا الثقافية، ت: سعيد منتاق، **عالم المعرفة**، ع317، 2005.

مقابلة، جمال. وعلي عشا، **المفكر الإنساني لدى إدوارد سعيد، هويته مسؤوليته أنموذجه**. كلية الآداب، جامعة القاهرة، جمهورية مصر العربية، مج 71، ع3، يوليو، 2011.

هيرمان: المعاني الكثيرة لكلمة الموطن في الألمانية، **مجلة فكر وفن**، ع75، سنة 30، 1993.

References

Awkward, Michael. "Roadblocks and Relatives: Critical Revision in Toni Morrison's *The Bluest Eye.*" *Critical Essays on Toni Morrison*, edited by Nellie Y. McKay, Boston, Mass: G.K. Hall, 1988, pp. 57-68.

Fleetwood, Nicole R. *Troubling Vision: Performance, Visuality, and Blackness*. Chicago: The University of Chicago Press, 2011.

Gibson, Donald B. "Text and Counter text in Toni Morrison's *The Bluest Eye*." Lit: Literature, Interpretation, Theory, vol. 1 no. 1-2, Spring 1989, pp. 19-32.

Mori, Aoi. *Tony Morrison and Womanist Discourse*. New York: Peter Lang, 1999.

Morrison, Tony. *The Bluest Eye*. Vintage: London, 1994.

Moses, Cat. "The Blues Aesthetic in Toni Morrison's *The Bluest Eye*." *African American Review*, vol. 33, no. 4, Winter 1999, pp. 623-637.

Page, Philip. *Dangerous Freedom: Fusion and Fragmentation in Toni Morrison's Novels*. Jackson: University Press of Mississippi, 1995.

Syranyi, Agnes. "*The Bluest Eye* and *Sula*: black female experience from childhood to womanhood." *The Cambridge companion to Toni Morrison Literature*, edited by Justine Tally, Cambridge, 2007, pp. 11-25.

Tomm, Winnie. *Women's Spirits, Bodies and Places: Bodied Mindfulness.* Wilfrid Laurier University Press, 2010.

Webb, Yolanda. *The Racist Social Order, Mind Control, And African Americans.* iUniverse, 2015.

رحلة نحو فقد الهوية في رواية توني موريسون العين الأكثر زرقة

رشا مقابلة، كلية الآداب، جامعة جرش، جرش، الأردن.

آيه عكاوي، كلية الآداب، جامعة اليرموك، **إربد، الأردن**.

ملخص

تاريخ الأمريكيين من أصل أفريقي هو سجل للنضال من أجل حق الوجود والاعتراف. جزء لا يتجزأ من هذا الصراع هو مقاومة معايير الثقافة البيضاء المهيمنة التي جعلت من المستحيل على الأميركيين من أصول أفريقية التمسك بهويتهم. في "العين الأكثر زرقة"، تركز توني موريسون على الصعوبات التي تواجه النساء من أصول أفريقية في إثبات الهوية واحترام الذات في مجتمع تهيمن عليه الإثنية البيضاء. تهدف هذه الورقة إلى إظهار الصعوبات والتحديات التي تواجهها الشخصيات النسائية من أصول أفريقية في عالم يسيطر عليه نظام معقد من العرق والقمع الثقافي الجنسي الذي يعتبر تهديدًا لهؤلاء النساء وبقائهن على قيد الحياة.

الكلمات المفتاحية: الأدب الأمريكي الأفريقي، أزمة الهوية، هيمنة الإثنية البيضاء، العنصرية.

Conclusion

To conclude, throughout the novel, Morrison describes the hardships and challenges of Black female characters. Her novel explores a world dominated by a complicated system of race, class and sexual oppression which is seen as a threat to black women and their survival. Despite these challenges, in presenting the characters of Claudia and her sister Freida, Morrison provides an example of surviving black women who overcome the obstacles imposed by the superior blacks, whites and the society at large. Where on one hand the sisterly bond between Claudia and Freida empowers them to fight racial abuse, on the other hand Pecola's alienation from family and community results in her psychic fragmentation altogether. Unlike Pecola and Pauline, Claudia and Freida manage to preserve their original identities, not allowing the western ideals of beauty dictate their values. Pauline and Pecola both reject their blackness and with it their true identities. Pauline succeeds in finding her identity as a servant in a white family by blindly accepting western values, whereas Pecola goes insane because she demands a real change of her appearance as a proof of her beauty. However, in process, all the female characters lose something – Claudia and Freida lose their innocence. Even though they fight against the stereotype of white beauty, they experience disillusionment when they fail to save Pecola. Pauline loses her black self since she exchanges the life in the community she belongs to for the illusion of belonging to the white people's world. Pecola loses the most – her sanity.

a white girl. In one of Maureen's attacks, she says to Pecola "I am cute! And you ugly! Black and ugly black e mos. I am cute" (Morrison 71). In this encounter "Black" is identified with "Ugly" even within the African American community and Pecola is made aware that she is ugly because she is dark black. Such incidents reveal that Pecola is a victim of a racist and unjust society that has forced her to worship an alien culture and manufactured images, and to reject her self and identity. Moreover, Pecola is a victim of poverty and deprivation. Her family participates in her tragedy because they have not supported her. On the contrary, Pecola has inherited loss of self-worth from her parents. Therefore, Pecola becomes a catalyst of abuse and violence that both society and family inflicts upon.

While Pecola, her mother, Geraldine and Maureen Peal endorse the white cultural ideology of beauty, Claudia MacTeer, the leading narrator of the novel, rejects such an ideology that defines her as inferior. Through the character of Claudia, Morrison is representing a female African American who fights the dominant white beauty standards. Actually, Claudia questions black women's desire to have white culture qualities, like fair skin or blue eyes. On the contrary, Claudia feels "comfortable in her skin," and knows that "the thing to fear was the Thing that made her beautiful, and not us" (Morrison 32). This "thing" is the constructed racism permeating every level of society in America and judging people on the basis of their skin colour. Thus this "thing" was also the dominant culture's standard of beauty that had nothing to do with "blackness".

Unlike Pecola, Claudia resists the manufactured images of white beauty and rejects the worship of blue-eyed dolls. She wonders why children seem to want them, and why adults think that blue-eyed dolls are the perfect gift. (Morrison 17-18). Claudia's only reason to have dolls is to dismember them in order to find the source of beauty or "to understand the rationale for standards that insist on white physical superiority" (Awkward 59). In doing so, Claudia is deconstructing the notion of Western beauty. Instead of having blue-eyed dolls, she longs to spend Christmas Eve at Big Mama's warm kitchen while listening to stories and African American music (Morrison 21). In her essay on *The Bluest Eye*, Cat Moses writes that 'African American oral traditions are [embodied] in the three whores' speech, song, and laughter, and in Claudia's aesthetic and her narrative voice' (624). Moses goes further and suggests that the connection to African culture contributes to the characterization of Claudia, provides her an authoritative voice, and assists her to gain independence of societies' values. Therefore, this connection to tradition through storytelling and music is vital to the survival of the MacTeer sisters (629). Moreover, the lack of connection to heritage is also one of the main reasons leading to the down-fall of Pecola.

words, Geraldine and Maureen Peel are “colored people” but they are extremely different from “niggers,” who according to Geraldine’s caste system, “were easily identifiable”. While “[c]olored people were neat and quite; niggers were dirty and loud” (Morrison 85). She did her best so that her son would belong to the former group. Therefore, Louis Junior “wore white shirts and blue trousers; his hair was cut as close to his scalp as possible to avoid any suggestion of wool, the part was etched into his hair by the barber, In winter his mother put Jergens Lotion on his face to keep the skin from becoming ashen” (Morrison 85). These measures taken by Geraldine exposes her denial of her blackness and the blackness of her son. She tries to suppress the blackness of her son through cutting his hair and keeping his skin soft to fit into white society. The division that she establishes between “colored people” and “niggers” is her way to find a place in the white society and detach herself from her black culture which is not acceptable by white standards.

Pecola represents all that Geraldine despises and avoids at the same time. Invited by Louise Junior, Pecola finds herself at Geraldine’s house. Once inside, Louise Junior tortures Pecola by throwing a black cat in her face. The cat, instead, misses Pecola, hits the wall and lies dead. As Geraldine enters the house and sees Pecola, Louise Junior accuses Pecola of killing the cat. The mother of course sides with her own son and asks Pecola to leave the house and never comes back. Although Geraldine and her son intensify the tragedy of Pecola, but they, too, are victims of an ideology that permeates white culture standards. Morrison again exposes how African Americans are trapped in the vicious circle of suffering. Through the characters of the novel, Morrison clearly establishes that white aesthetic and white prejudice have manipulated the minds of blacks leading them to self-contempt because they can not meet the white standards. Instead of directing their frustration to the white culture that has continuously abused them, physically, mentally and psychologically, blacks have rejected themselves, their race and culture. In other words, the roots of the blacks’ self-hatred and contempt to each other are endorsed within white hegemony.

In addition, Maureen Peal is another female character in the novel contributing to the down-fall of Pecola. She is described as the “yellow dream gir with brown hair,” who is stylish and rich and enchanting “the entire school” including teachers and male/female students: “When teachers called on her, they smiled encouragingly. Black boys didn‘t trip her in the walls white boys didn‘t stone; white girls didn‘t suck their teeth when she was assigned to be their work partners (Morrison 48). The fact that Maureen is whiter than other black children makes her superior as she attracts the the attention of her teaches and classmates. Her endorsement of white aesthetics gives her the right to classify Pecola as “ugly” and herself as “cute” since she has a light skin and could be mistaken for

She looks up at him and sees the vacuum where curiosity ought to lodge. And something more. The total absence of human recognition – the glazed separateness. She does not know what keeps his glance suspended. Perhaps because he is grown, a man, and she a little girl. But she has seen interest, disgust, even anger in grown male eyes. Yet this vacuum is not new to her. It has an edge; somewhere in the bottom lid is distaste. She has seen it lurking in the eyes of all white people. So. The distaste must be for her, her blackness. All things in her are flux and anticipation. But her blackness that accounts for, that creates, the vacuum edged with distaste in white eyes. (Morrison 46-47)

Pecola here thinks that the 'vacuum' in the shopkeeper's eyes which she has seen often in white people is created by her blackness and ugliness.

In the face of her invisibility, she is deprived of a sense of worth and becomes nothing. Like Ralph Ellison's *Invisible Man*, her 'ugly' black skin hinders any acknowledgment of the child within. Actually, Yacobowski is very rude to her, and hesitates to touch Pecola's little hand to get the money she is paying for the candy. As she leaves the store, feeling ashamed, Pecola contemplates Mary Jane, a picture of a little blond girl with blue eyes on the wrapper of the candy. Rejected by the store owner, Pecola swallows the sweetness of candy with the mixed emotions of love, hate, pain, and anger. By eating Mary Jane candies, she identifies herself with Mary Jane and becomes Mary Jane in her fantasy: "To eat the candy is somehow to eat the eyes, eat Mary Jane. Love Mary Jane. Be Mary Jane" (Morrison 48). In Pecola's adolescent mind, attaching herself with objects that embodies the idea of beauty like the cup of Shirley Temple and the candy of Mary Jane would make her beautiful. As Singh comments Pecola's attachment with blue eyes "disturbs her ability to perceive and comprehend reality. It becomes an obsession with her and results in hallucination" (Singh 42). Morrison here exposes a social situation so distorted by the myth of whiteness that it produces in Pecola an obsession of the manufactured image of white.

While Pauline and Pecola are situated on the lowest level of the hierarchy of beauty, Geraldine and, the light-skinned, Maureen Peal rank high. They are not beautiful in terms of their physics but because they devote themselves to the art and manner of eliminating funkiness. The omniscient narrator gives an account of Geraldine that she is one of those girls who are interested in getting rid of "funkiness". In the same section of the novel, "Funkiness" is to involve in passion, nature and a wide range of emotions (Morrison 83). It can be seen when women laugh loudly, enunciate roundly, gesture generously, sway while walking, have thick lips and curly hair. As can be deducted, "Funkiness" is related to African American image and characteristics. Through presenting her example, Morrison presents the blacks' caste system among themselves. In other

a lot darker than most black people, which is the main reason that she is ridiculed). Doris Witt highlights a crucial crisis in the life of a dark skinned woman. She argues that "the excess of the dark black woman allows her to be both invisible and visible in both normative white culture and black communities" (qtd in Fleetwood 90). For dark-skinned women to be invisible in this trope is to isolate herself from both "normative" cultures and to fantasize about acquiring characteristics found in the hegemonic culture (blond-straightened hair, blue eyes, fair skin). But to visible, this means a dark skinned woman will be subjected to neglect, despise, and exploitation in both cultures. In Pecola's case, having a dark skin arouses in her the obsessive desire for blue eyes to be as beautiful and accepted as white people. This obsession might transfer her from being invisible to being accepted not only visible. The story begins with Claudia who gives a voice for Pecola. Throughout the novel, Pecola's voice is never heard because, as Morrison explains, Pecola is subjected to a series of rejection starting from her indifferent mother and abusive father, to her classmates and teachers at school and other adults (Morrison viii). As a result, Pecola has no personality and no perspective to speak from. Towards the end of the novel, however, Pecola is raped by her father, loses the baby she was carrying, driven into madness, and she is finally conversing with an imaginary friend. At this point Pecola's voice is heard. When she is reduced to madness, she has two voices, her own voice and that of her double (Suranyi 15). The lives of Claudia and her sister Frieda witness a dramatic change when Pecola comes to live with them. While Pecola's presence is unexpected, the MacTeer girls bond with Pecola during her stay. Each night, Pecola eagerly prays for "blue eyes, sky-blue eyes" (Morrison 23), thinking that if she looked different – pretty – perhaps everything would be better. She does not want any shade of blue, but the bluest eye in order to overcome this battle of self-hatred. Morrison here exposes the influence of the myth of whiteness which produces an obsession in an eleven-year-old girl. This is clear in Pecola's worship of the manufactured blue-eyed beauty symbol named Shirley Temple. Every night, Pecola would drink milk in the Shirley Temple cup praying for blue eyes. In this sense, Pecola becomes a victim of an alien but powerful culture that has forced its manufactured images.

Throughout the novel, Pecola encounters racism, not only from white people, but also from her own race. In their eyes she is too dark, and the darkness of her skin makes her ugly and inferior to every one. There are many incidents in the novel that lead Pecola into feelings of isolation and pain because of her physical appearance. For example, her encounter with Mr. Yacobowski, a white immigrant shopkeeper, makes her feel that for many people she does not really exist; that she is invisible:

Morrison, in this section, objectifies the white supremacy that Pauline coddles and pampers while hitting and slapping her own flesh and blood. Morrison, very clearly, depicts Pauline's craving for white standards and rejecting her role as a mother and a housewife. Winnie Tomm notes that "black women contend with racism in regard to the dominant culture and sexism with regard to both the dominant culture and their own Black culture" (156). Black women struggle against oppression but they might end up being a victim of the cultural dominance in an attempt to define and reconstruct their individuality. Patricia Hill Collins, on the other hand, identifies "ideological domination" as one of the dimensions that structure Black women's oppression. She states that one of the dilemmas that hinder some Black women from resisting ideological domination is when "Black women developed public masks of conformity to the dominant White culture" and defined their inner-selves accordingly (qtd in Tomm 156). This is clearly depicted in Pauline who surrenders to the cultural dominance. Consequently, the tragedy does not lie in Pauline's character, but in the racist, white culture she has internalized. This same culture has affirmed ideal white standards and white looks, and has rejected and degraded anything opposite to it, anything black. The ideal standards she embraces can only be accepted and acted upon as she rejects and negates herself and her black culture.

Instead of trying to help her daughter break out of the tradition of blindly accepting white hegemonic ideals and colorism among black community, Pauline becomes a role model for Pecola. Before Pecola's birth, Pauline would talk to Pecola in the womb and begins establishing bonds as expected of a mother. Yet, Pauline dismisses Pecola as she sees her because she is ugly. In her voice, Pauline explains: "But I knowed she was ugly. Head full of pretty hair, but Lord she was ugly" (Morrison 124). Pauline is the first to judge her daughter and label her as ugly. According to Nicole R. Fleetwood, "the dark-skinned black woman is often burdened with the dual role of being the most despised subject of colorism and its most vociferous enforcer" (89). Dark-skinned women suffer not only in the hegemonic culture but also in their own colored community. Pecola, a dark-skinned girl, is deprived of her mother's love and affection. Pauline, on the other hand, who experiences self-hatred fantasizes of having a mullatta child but instead she gives birth to a dark-skinned girl. Therefore, she cannot take her role as a loving and nurturing mother because of her internalized oppression on the one hand, and the ideological domination on the other. Instead Pauline will nurture "into her daughter […] a fear of growing up, fear of other people, fear of life" (Morrison 126). This explains Pecola's inner weakness and desire to dissolve into nothingness.

Pecola's self-perception is constructed by external forces. She surmises that the reason she is despised and ridiculed is that she is black. (actually, her skin is

with her black culture and her role as a domestic mother and a wife. Yolanda Webb argues that "the media teaches black people to hate themselves and as a result they start to deal with internalized oppression. Internalized oppression is often released on other blacks instead of the oppressors and part of the oppressors is the media" (134).

Thus when Pauline compares her life to pampered white and black women in the north, and when comparing Cholly to men who are able to provide for their families, she experiences self-hate and feels disconsolate. Later in the novel, Pauline decides to re-invent herself through incarnating the media images she has been addicted to watching for a long time now. This could be achieved at the Fishers, the white family whom she works at:

She looked at their houses, smelled their linen, touched their silk draperies, and loved all of it. The child's pink nightie, the stacks of white pillow slips edged with embroidery, the sheets with top hems picked out with blue cornflowers. She became what is known as an ideal servant, for such a role filled practically all her needs […] Soon she stopped trying to keep her own house […] More and more she neglected her house, her children, her man – they were like the after thoughts one has just before sleep. (Morrison 125)

Escaping blackness and associating with white dominant culture through playing the role of the 'model servant' for an ideal white family satisfies Pauline and enables her to get some level of self-respect. She takes orders from the family and is honored by what she sees as their validation in her existence, although in reality it is not validation of her person, but her role as their servant.

One day, while waiting for Pauline to get the laundry at the Fisher's house, Pecola, accompanied by the MacTeers girls, accidentally knocks off a pan of her mother's blueberry cobbler. The mother becomes more concerned with the floor and the little blue eyed white girl although Pecola is the one who has been burned by the falling cobbler. Instead of attending her injured daughter, Pauline runs to comfort the horrified little white girl promising to make a new pie for her:

In one gallop she was on Pecola, and with the back of her hand knocked her to the floor. Pecola slid in the pie juice, one leg folding under her. Mrs. Breedlove pulled her up by the arm, slapped her again, and in a voice thin with anger, abused Pecola directly and Freida and me by implication. "Crazy fool … my floor, mess … look what you … work … get on out … now that … crazy …my floor, my floor … my floor." Her words were hotter and darker than the smoking berries, and we back away in dread. The little girl in pink started to cry. Mrs. Breedlove turned to her. "Hush, baby, hush. Come here. Oh, Lord, look at your dress. Don't cry no more. Polly will change it." (Morrison 86-87)

a monologue of Pecola and her imaginary friend after the latter descends into madness. These fragmented voices weave the events that shape Pecola's life and require a careful reading to put together the pieces of the story depending on the different perspectives presented.

Pauline's loss of identity is caused by ignoring her reality and living in a world that exists only in her fantasies. Although her story is not the focus of the novel, it is important to discuss first because it explains the background of both characters' loss of identity. Pauline's obsession with the white culture standards of beauty does not start from an early age as she was raised in Alabama and has spent her teenage years in Kentucky where she was surrounded by her family, listened to African American songs, and was happily accepting her community and culture. Pauline's dilemma begins with her disfigured foot which makes notice physical differences between people. Although she faces many obstacles throughout her life, she always blames her lack of fulfilment on the foot because "[t]he easiest thing to do would be to build a case of her foot" (Morrison 108). Cholly Breedlove is the first to recognize her and her foot as beautiful: "Instead of ignoring her infirmity, pretending it was not there, he made it seem like something special and endearing" (Morrison 114). At the beginning of their relationship, the couple are happy and in love. Everything dramatically changes as Pauline and Cholly move to Ohio. There, Pauline has problems in adapting and she misses her earlier life back in the south. In her words, Pauline expresses that "[n]orthern colored folks was different too […] No better than whites for meanness. They could make you feel just as no-count" (Morrison 115). Actually, black women will make fun of how she does not straighten her hair and of the way she talks. Therefore, Pauline, starts buying new clothes and changing the way she talks while fights rage between the married couple over money.

At that point, her marriage is not a happy one anymore since Cholly is now spending his money on alcohol. To escape her frustration, Pauline starts watching movies in the theatre where she feels accepted,

The onliest time I be happy seem like was when I was in the picture show. Every time I got, I went. I'd go early, before the show started. They'd cut off the lights, and everything be black. Then the screen would light up, and I'd move right on in them pictures […] Them pictures gave me a lot of pleasure, but it made coming home hard and looking at Cholly hard. I' member one time I went to see Clark Gable and Jean Harlow. I fixed my hair up like I'd seen hers on a magazine. A part on the side, with one little curl on my forehead. It looked just like her. (Morrison 121)

In the theatre, Pauline is mesmerized by the glamour and fantasies of the ideal white world manufactured in movies; she gradually becomes dissatisfied

The Bluest Eye is Morrison's first novel published in 1970. In the novel, Morrison attempts to depict what it is to grow up black and female in America in the 1930s and 1940s. Also central to Morrison's novel is the question of beauty standards and how the dominant culture uses the concept of beauty to dominate over disenfranchised groups. In other words, the novel is not only about a black girl who is being continuously rejected in her community for her ugliness, but also it is about a girl who internalizes this rejection and accepts it "as legitimate, as self-evident" (Morrison vii).

Purpose of the Study

A number of critics have argued that *The Bluest Eye* addresses the issue of identity crisis in relation with beauty scale. Aoi Mori, for example, sates that Toni Morrison presents "the detrimental effects of the way white culture prevents African-American girls from developing their own Identity" (30). Mori continues by suggesting that dominant societies exploit the media to "keep the oppressed immobilized and to eliminate any attempt by any individual in the marginal groups to retrieve their identity and autonomy" (35). Actually, the majority of the black female characters in the novel are absorbed and marginalized by the "cultural icons portraying beauty: movies, billboards, magazines, books, newspaper, window signs, dolls and drinking cups" (Gibson 20). Philip Page, furthermore, attributes the identity crisis not only to the media, but also to the city life following the immigration of black people to the north: "In the South, Cholly and Pauline both have stable identities with connections to an African-American community, connections that they lose in the North" (51). The argument in this paper focuses on two points: first of all, Pauline and Pecola's self-loathing is established as a result of the standards imposed on them by a group that they are not even allowed to be part of. Their ugliness, reinforced by what they are told, what they see, and what they read, cannot be dismissed because others will keep reminding them of it. Second, Although Pauline and Pecola are being taunted by a culture that (persists on ostracizing them) they are not allowed to be part of, they do not attempt to resist it. Instead, they surrender to the ideals of that culture until they finally lose their identity.

Discussion

The novel is set during the Great Depression in a steel-mill town in the 1940s. In those days, many migrated in search of jobs and the characters of the novel came to Lorain, Ohio, for better living. The events are not presented chronologically; instead, they are linked by fragmented narrative voices: Claudia MacTeer the little girl, Claudia MacTeer the adult, and an omniscient narrator. The latter narrates the stories of the Breedlove family and the community around them. There is also Pauline's first-person narration and, by the end, a dialogue or

The Arab Journal For Arts Vol. 16 No. 2, 2019, pp. 775-786

Too Good to be White: A Journey to Lose Identity in Tony Morrison's *The Bluest Eye*

Rasha I. Maqableh[*] and **Aya W. Akkawi**[**]

Date of Submission: April 15, 2019 **Date of Acceptance:** Aug. 7, 2019

Abstract

The history of African-American is a record of struggle for the right of existence and acknowledgement. An integral part of that struggle is the enforcement of the values and standards of the dominant ideals of white culture that made it impossible for African-Americans to hold on their identity. In *The Bluest Eye*, Toni Morrison focuses on the difficulties, facing women, in obtaining identity and self esteem in a society dominated by white ethnocentrism. This paper aims at displaying the hardships and challenges of Black female characters in a world dominated by a complicated system of race, class and sex oppression which is seen as a threat to black women and their survival.

Keywords: African-American Literature, cultural ideals, identity, internalized racism, white ethnocentrism.

Introduction

In the foreword to the 1999 Vintage edition of *The Bluest Eye*, Tony Morrison recollects a conversation she had with a former classmate at an elementary school who was genuinely yearning for blue eyes. Her classmate's wish for physical transformation troubles Morrison, she states, "Implicit in her desire [for blue eyes] was racial self–loathing. And twenty years later I was still wondering about how one learns that. Who told her? Who made her feel that it was better to be a freak than what she was? Who had looked at her and found her so wanting, so small a weight on the beauty scale?" Morrison's search to answer these questions is behind the writing of *The Bluest Eye* which shows that African American women, young and old, are motivated by self-loathing, leading to their loss of identity. Pauline and Pecola Breedlove exemplify the injustice exercised on the blacks by whites' ethnocentrism.

© **Copyright 2019 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved**

* Faculty of Arts, Jerash University, Jarash, Jordan.

** Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Gilbert, Sandra and Susan Gubar. (1979). *The Madwoman in the Attic: The Woman Writer and the Nineteenth-Century Literary Imagination*.New Haven: Yale University Press.

Jung, Sandro. (2007). Charlotte Brontë's *Jane Eyre*, the Female Detective and the 'Crime' of Female Selfhood. *Brontë Studies*32 (1), 21-30.

Loomba, Ania. (1998).*Colonialism/Postcolonialism*. New York: Routledge.

Memmi, Albert. (1956). *The Colonizer and the Colonized*. London: The Orion Press.

Nestor, Pauline. (2008). Female Friendships in Mid-Victorian England: New Patterns and Possibilities.*Literature & History*, *17*(1), 36–47.

Ohmann Carol. (1977). Historical Reality and 'Divine Appointment' in Charlotte Brontë's Fiction.*Signs: Journal of Women in Culture and Society*. 2 (4), 757-778.

Roy, Parama. (1989). Unaccommodated Woman and the Poetics of Property in *Jane Eyre*. *SEL: Studies in English Literature, 1500-1900.*(29) 4, 713-727.

Said, Edward. (1993). *Culture and Imperialism*. New York: Vintage.

Said, Edward. (1978). *Orientalism: Western Conceptions of the Orient*. New York: Penguin.

Searle, Alison. (2006). An Idolatrous Imagination? Biblical Theology and Romanticism in Charlotte *Brontë's Jane Eyre*.*Christianity and Literature*. 56 (1), 35-61.

Spivak, Gayatri. (1985). Three Women's Texts and a Critique of Imperialism. *Critical Inquiry* 12 (1), 243-261.

Tracy, Thomas. (2004). 'Reader, I Buried Him': Apocalypse and Empire in *Jane Eyre*. *Critical Survey, 16*(2), 59-77.

Webb, Igor. (1981). *From Custom to Capital: The English Novel and theIndustrial Revolution*. Ithaca: Cornell University Press.

Wilks, Brian. (2016). Jane Eyre Revisited. Brontë Studies. 41 (4), 283-299.

Wollstonecraft, Mary (1792). *A Vindication of the Rights of Woman*. London: Penguin.

Zeng, Lijuan. (2014). The Harmonious Fusion of Literary Spirit and Religious Feelings of *Jane Eyre*.*Studies in Literature and Language*. 8 (2), 6-10.

3- See Edward Said's *Culture and Imperialism*, where he defines "contrapuntal reading" as "reading a text with an understanding of what is involved when an author shows … that a colonial sugar plantation is seen as important to the process of maintaining a particular style of life in England" (261).

4- For more details on the religious discourse in *Jane Eyre*, please see Barbara Hardy's *The Appropriate Form: An Essay on the Novel* and Thomas Vargish's *The providential Aesthetic in Victorian Fiction*. For more information on Colonial discourse in Jane Eyre, please see Firdouz Azim's *The Colonial Rise of the Novel* and Susan Meyer's *Imperialism at Home: Race and Victorian Women's Fiction*.

5- Here, see Paulo Freire's *Pedagogy of the Oppressed* in which he explains the relationship between the oppressors and the oppressed and how "the oppressed want at any cost to resemble the oppressors, to imitate them, to follow them" (62).

[6]- Here see Karl Marx's book, *Critique of Hegel's 'Philosophy of Right'* in which Marx criticizes institutionalized religion as an illusion whose objective is to provide justifications and reasons to keep society satisfied with their lot. He refers to this kind of religion as "the opium of the people" (131).

7- Albert Memmi's *The Colonizer and the Colonized* is important to understand colonial discourse used in *Jane Eyre*. Moreover, Memmi refers to the colonizer who accepts colonial discourse as "colonialist" who asserts his/her cultural superiority, legitimacy, and validity. So here, St. John and Jane can be described as "the colonizers who accept" to use Memmi's term.

References

Althusser, Louis. (1970). "From Ideology and Ideological State Apparatuses." In *The Critical Tradition: Classic Texts and Contemporary Trends*, 3rd. ed., edited by David H. Richter, 1264-72. New York: Bedford.

Brontë, Charlotte. (1847).*Jane Eyre*. London: Penguin.

Eagleton, Terry. (1975). *Myths of Power: A Marxist Study of the Brontës.*London: Macmillan Press.

Fain, Margaret. (2014). "Narrating the Queen in Jane Eyre. *The Journal of Brontë Society*. 39 (2), 141-152.

Foucault, Michel. (1965). *Madness and Civilization: A History of Insanity in the Age of Reason*. Trans Richard Howard. New York: Pantheon.

Franklin, Jeffrey. (1995).The Merging of Spiritualities: *Jane Eyre* as Missionary of Love. *Nineteenth-Century Literature*. 49 (4), 456-482.

Freire, Paulo. *Pedagogy of the Oppressed*. (1970). New York: The Continuum International Publishing Group Inc.

الدين المؤسسي والازدواجية في رواية جين آير لتشارلوت برونتي

عبد الله دقامسة، قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخّص

في رواية تشارلوت برونتي، لم تستطع بطلة الرواية، جين آير، من تجنب فخ الإمبريالية التي تمثلها الهيمنة الاستعمارية البريطانية في القرن التاسع عشر. من خلال قراءة معمقة للنص الروائي واستخدام نظرية ما بعد الاستعمار والنظرية الماركسية، سأشرح كيف أن جين آير تعيش حالة من الازدواجية تجاه الظلم. بمعنى آخر، نجد أن بطلة الرواية تشجب وتنتقد استخدام الدين كوسيلة لممارسة الظلم، ولكننا نجدها في مواقف أخرى تصمت على استخدام الدين للتقليل من الآخرين وتبرير استعمارهم. تدل هذه الازدواجية على أن إيديولوجية الاستعمار المتغلغلة في المجتمع البريطاني آنذاك تلوث وتقيد جين آير، وكذلك فإن هذه الإيديولوجية شكلت الرواية التي تبدو أنها تحتفل بتوجهات وفكر أوروبا الاستعمارية في القرن التاسع عشر، عندما كان الناس يعتقدون أن على أوروبا على وجه العموم، وبريطانيا على وجه الخصوص، مهمة "تطوير" و"تنوير" الشعوب والأمم "الأقل تحضرا".

الكلمات المفتاحية: تشارلوت برونتي، جين آير، الدين المؤسسي، الازدواجية، الإمبراطورية، الاستعمار.

Note

1- For more information on various readings of the novel (from a Marxist and Feminist perspective), please see Terry Eagleton, *Myths of Power: A Marxist Study of the Brontës* (1975) in which he reads *Jane Eyre* as a conservative text ending and Sandra Gilbert and Susan Gubar, *The Madwoman in the Attic: The Woman Writer and the Nineteenth-Century Literary Imagination* (1979). Carol Ohmann and Igor Web, on the other hand, engage with issue of gender and class rampant in the novel.

2- The prevailing attitude in England at that time was that expansion of England all over the world was “good” for everybody. England was believed that it had an obligation to “enlighten” and “civilize” the “savage and the less civilized.” Institutionalized religion was used to prove that the English had a divine mission as a “chosen people.”

4. Conclusion

Even though Brian Wilks, a Brontë scholar, reads *Jane Eyre* as a story that "adds weight to the argument that all people, however humble their origins, have rights," (2016, p. 299), I demonstrated that Jane's ambivalence proved that the novel didn't promote equal rights for all people. Following Edward Said's argument that "literature and culture" are never "politically" or "historically innocent," (*Orientalism* 1978, 27), I critically read Jane Eyre as a contaminated character, shaped by her own imperial culture back in the 19th century. *Jane Eyre*, an influential Victorian novel, tackles the idea of institutionalized religion and, at one point, challenges religious authority represented by those in power. Jane Eyre as the protagonist of the novel challenges and criticizes institutionalized religion since it is employed and manipulated to oppress and domesticate people, especially women. Jane is able to challenge and criticize all characters, whether domesticating figures or domesticated ones, who employ religion as a tool of oppression and domestication. In this regard, she criticizes Miss Abbot and Mr. Brocklehurst who use religion to support social oppression practiced on Jane by Mrs. Reed. Also, Mr. Brocklehurst's hypocrisy is a target of criticism since he does not do what he preaches. Moreover, Jane criticizes Helen for internalizing the oppressive ideologies represented by institutionalized religion. In fact, Helen herself becomes a tool of institutionalized religion and hence a tool of oppression. The last figure who is criticized for using religion to domesticate Jane is St. John. In fact, St. John goes too far when he appoints himself as God since he claims that if Jane refuses to marry him, she refuses God Himself. St. John is criticized for employing religious discourse to domesticate Jane; however, Jane keeps silent when St. John uses religious discourse to invade, colonize, and oppress other people and other nations. Similarly, Jane praises him, and she is sure that he will be rewarded in heaven for his missionary work since it is God's mission. Ambivalence lies in the fact that the religious discourse Jane criticizes throughout the novel is celebrated at the end of the novel. In fact, Jane is able to resist and challenge one aspect of repressive institutionalized religion, but she completely ignores or fails to resist and challenge the other aspect of repressive institutionalized religion which justifies invading and colonizing other people and other nations. Also, she utterly adopts and even celebrates the prevailing attitudes in Great Britain during the early and late nineteenth century, when people believed that Great Britain had an obligation to "civilize" and "enlighten" the "savage and less civilized" people. Thus, Jane's ambivalence demonstrates that Jane cannot avoid the logic of Empire.

acceptance of her uncle's fortune originating in the West Indies, "a colony whose economy was . . . based on slave labor" (Roy, 1989, p.723).

Not only does Jane approve St. John's imperialist project, but she also applauds his imperialist project and ambition. In her essay, "Three Women's Texts and a Critique of Imperialism," Gayatri Spivak asserts that "[t]he concluding passage of *Jane Eyre* places St. John Rivers within the fold of *Pilgrim's Progress*" (1985, p.249). Moreover, one can say that the last part of the novel is dedicated to praising St. John's imperialist ambitions and to mourning his "heroic" death. The last part establishes that *Jane Eyre* is an imperialist text and Jane as an ambivalent character:

> Firm, faithful, and devoted, full of energy, and zeal, and truth, he labours for his race; he clears their painful way to improvement; he hews down like a giant the prejudices of creed and caste that encumber it. He may be stern; he may be exacting; he may be ambitious yet; but his is the sternness of the warrior Great heart, who guards his pilgrim convoy from the onslaught of Apollyon. His is the exaction of the apostle, who speaks but for Christ, when he says, 'Whosoever will come after me, let him deny himself, and take up his cross and follow me.' His is the ambition of the high master-spirit, which aims to fill a place in the first rank of those who are redeemed from the earth – who stand without fault before the throne of God, who share the last mighty victories of the Lamb, who are called, and chosen, and faithful. (1847, pp. 520-21)

This long quote is full of Biblical allusions that emphasize the religious sacrifice St. John did in going to India as a missionary. Furthermore, the quote demonstrates how Jane is ambivalent since it is the same religious discourse, employed to oppress and domesticate women, that she is critical of throughout the novel. Moreover, Jane criticizes religious discourse when it is employed to assert self-denial; however, she herself promotes this doctrine here in this passage. Also, Jane seems to make St. John a Christ or a martyr who sacrifices himself for the improvement of others' lives. Later, Jane is sure that St. John will be rewarded in heaven since he dies for God's mission. Again, this is a clear example that Jane seems to be part of the colonial project dominating Great Britain back in the 19th century.

> For the evening reading before prayers, he selected the twenty-first chapter of Revelation. It was at all times pleasant to listen while from his lips fell the words of the Bible: never did his fine voice sound at once so sweet and full – never did his manner become so impressive in its noble simplicity, as when he delivered the oracles of God: and to-night that voice took a more solemn tone – that manner a more thrilling meaning – as he sat in the midst of his household circle . . . . (1847, p.480)

All these quotes show that St. John has a great influence on Jane who almost becomes his disciple in his missionary ambitions. Brontë depicts St. John in a way that he seems an ideal, loyal and dedicated Christian except for his patriarchalism.

Jane almost becomes his disciple because she buys into his imperialist and missionary goals and ambitions. First, Jane asserts that St. John "is right to choose a missionary's career" (1847, p.454) even though earlier in the novel St. John announces his missionary ambitions and goals: "'my vocation? My great work? ... My hopes of being numbered in the band who have merged all ambitions in the glorious one of bettering their race – of carrying knowledge into the realms of ignorance – of substituting peace for war, freedom for bondage, religion for superstition, the hope of heaven for the fear of hell?" (1847, p.431). She never objects to such discourse; on the contrary, she agrees with him to the extent that she blesses his work and accepts to join him in his missionary enterprise. When he tells her that he is going to India as a missionary, she says "'God will protect you; for *you have undertaken His work*" (1847, p.463 my emphasis). Here, Jane approves and applauds St. John's missionary work which includes colonizing and hegemonizing another culture because, as she claims, it is God's work. Not only does she applaud his missionary work, but she also agrees to accompany him to India to be a missionary. She tells him: "'I am ready to go to India, if I may go free'" (1847, p.467). In other words, she accepts to be his "fellow-missionary" and hence she accepts the whole religious discourse he uses to justify his missionary project. Moreover, Jane never objects to or even comments on St. John's reference to India as a place of "ignorance" and "superstition" (1847, p.431) and his reference to Indians as "savage tribes" (1847, p.470). All these examples show that Jane never even thinks that what St. John thinks of and plans for is something that has to do with colonizing and oppressing other people and another nation; on the contrary, she feels that what is thinking of and planning for is a divine mission sealed, approved and blessed by God. This makes her an ambivalent figure who denounces religious discourse employed to domesticate and oppress women while at the same time she approves the same discourse employed to colonize and oppress other people and another culture. The idea that she approves imperialist goals is enhanced by her

is not feminine. When Jane gets so angry and tells him that she cannot marry him "'because [he] did not love [her]'" and "'if [she] were to marry [him], [he] would kill [her],'" he accuses her of being "'violent, unfeminine, and untrue'" and her violent words "'betray an unfortunate state of mind: they merit severe reproof: they would seem inexcusable, but that it is the duty of man to forgive his fellow even until seventy-and-seven times'" (1847, p.475). What Jane does to be reproved for is that she challenges the patriarchal authority and she is accused of being unfeminine for doing that. Finally, St. John considers Jane a tool rather than a partner. Jane tells her cousin, Diana, that St. John's "'idea in proposing to [her] is to procure a fitting fellow-laborer in his Indian toils,'" and thus she wonders how she could "be chained to a man who regarded one but as a useful tool" (1847, pp.478-479). Finally, Jane refuses what Wollstonecraft called "legal prostitution" since she feels that she would be a tool and a slave rather than a wife and a partner.

3.2. Applauding Repressive Institutionalized Religion: Ambivalent Attitudes

Even though Jane criticizes St. John for his patriarchalism and his religious discourse that is used to domesticate her, she not only keeps silent when St. John uses the same discourse to colonize another nation, India, but she also approves and welcomes this kind of discourse. Criticizing institutionalized religion used as a domesticating tool while applauding religious discourse used to colonize another nation makes Jane ambivalent. In this regard, Parama Roy asserts that Brontë and Jane denounce "patriarchalism at home," but "they most heartily applaud patriarchalism abroad, in the shape of religious and political empire-building" (1989, p.723). One can say that they not only "applaud patriarchalism" but they also approve imperialism and Eurocentricism; in other words, they buy into the logic of imperialism that is a civilizing mission rather than a colonizing, dominating one.[7]

St. John is depicted in a way that he seems to be a good and benevolent man with a minor fault that Jane criticizes. Except for this fault – being a patriarchal, hard and cold man – St. John is like an angelic figure. He is ready to give up his life to help the poor and sick wherever they are (1847, pp.455-56). Moreover, St. John has a great influence on Jane to the extent that she is about to marry him against her will. Jane says, "he acquired a certain influence over me that took away my liberty of mind .... I fell under a freezing spell. When he said 'go,' I went; 'come,' I came; 'do this,' I did it" (1847, p.459). Later, she admits that "'I can do what he wants me to do: I am forced to see and acknowledge that'" (1847, p.466). Furthermore, Jane is so impressed by some of his evening readings from the Bible. In this regard, Jane says:

love, he gets angry and tells her: "'God and nature intended you for a missionary's wife ... A missionary's wife you must – shall be. You shall be mine: I claim you – not for my pleasure, but for my Sovereign's service'" (1847, p.464). Jane agrees to go to India as his sister or as a free missionary, but not as his wife. He refuses this idea and insists on marrying her. He even goes too far when he tells her that if she refuses to marry him, she refuses and denies God. He tells Jane: "'[r]efuse to be my wife, and you limit yourself for ever to a track of selfish ease and barren obscurity. Tremble lest in that case you should be numbered with those who have denied the faith, and are worse than infidels'" (1847, p.471). Then, he uses threatening and frightening images of hell by referring to certain Biblical texts when he does some evening reading before prayers with Jane and his sisters. He says: "'[h]e that overcometh shall inherit all things; and I will be his God, and he shall be my son. But ... the fearful, the unbelieving ... shall have their part in the lake which burneth with fire and brimstone, which is the second death'" (1847, p.480). The last two quotes are important since they show how St. John uses religious allusions and religious discourse to frighten and domesticate Jane. Moreover, the second quote resonates Miss Abbot's and Mr. Brocklehurst's religious discourse about hell, which is used to domesticate little Jane. Now, St. John's religious discourse is used to domesticate adult Jane. Furthermore, the former quote demonstrates his pompous nature even though he claims that he is humble. That is to say, he associates himself with God and he even implies that he is equal to God, especially when he states that if Jane denies him, she denies God. Moreover, he pompously claims Jane's refusal to marry him means denying faith and hence being an infidel.

In fact, Jane criticizes St. John for using religious discourse to domesticate her. Jane always complains that St. John makes her restless and uncomfortable, especially when she is happy. She once tells him that "'you are almost wicked to talk so. I am disposed to be as content as a queen, and you try to stir me up to restlessness'" (1847, p.451). Moreover, Jane refuses his religious discourse when he uses it to convince her to marry him. She states that "'I could decide if I were but certain ... were I but convinced that it is God's will I should marry you, I could vow to marry you here and now ..." (1847, p.482). This indicates that she does not believe in what he tells her that it is God's will that she should marry him. Furthermore, Jane realizes that St. John would not be a good husband for he is so "hard and cold." She says, "he would hardly make a good husband: that it would be a trying thing to be his wife" (1847, p.453). In fact, the more she talks with him, the more she feels that she "abandons" or gives up herself (1847, pp.460, 466). Also, Jane criticizes him for his patriarchalism. That is to say, he believes that a woman should be docile, subservient, and tamed; otherwise, she

> struck at without a reason, we should strike back again very hard; I am sure we should – so hard as to teach the person who struck us never to do it again. (1847, p.68)

However, Helen resorts to religious discourse to justify her passive meekness. Helen refers to another "state" after death where people find peace and comfort. This is the ideology that Marxists[6] critique most: religious discourse programs the poor in a way that they believe that if they remain non-violent and obedient to authority, God will reward them in heaven. Also, Mary Wollstonecraft (1792) critiques women who "boast of submitting to the Will of God blindly" (1792, p.228). This is the result of the institutionalized religion practiced by Mr. Brocklehurst and his people: creating passive meekness and hence domesticated figures, who later become domesticating ones.

The last figure that Jane criticizes for using religious discourse in domesticating women is St. John Rivers. Unlike Mr. Brocklehurst, St. John is represented in a way that he seems to be honest, ambitious, and dedicated. However, like Mr. Brocklehurst, St. John uses religion and religious discourse to domesticate Jane in a way the she must denounce domestic life, give up her emotions, and fulfill her religious duties: getting married to him and being a wife of missionary. His discourse and his behavior make Jane restless and unstable. For example, as Jane is so delighted because Christmas is approaching and she has relatives now, St. John tries to spoil her excitement. He tells Jane that "this world is not the scene of fruition; do not attempt to make it so: not of rest; do not turn slothful" (1847, p.451). When Jane wonders why he tries to make her restless, he resorts to religious discourse to justify what he is saying and doing:

> 'To the end of turning to profit the talents which God has committed to your keeping; and of which He will surely one day demand a strict account. Jane, I shall watch you closely and anxiously – I warn you of that. And try to restrain the disproportionate fervour with which you throw yourself into commonplace home pleasures. Don't cling to tenaciously to ties of the flesh; save your constancy and ardour for an adequate cause; forbear to waste them on trite transient objects. Do you hear, Jane?' (1847, p.451).

It is as if St. John wanted to resonate Mr. Brocklehurst's statement, "my mission is to mortify the lusts of the flesh," to assert that a body should be punished to save the soul. Here one can conclude that both St. John and Mr. Brocklehurst use religious discourse to perpetuate subservience, submission, and conformity.

Moreover, using religious discourse, St. John orders Jane to give up her emotions and fulfill her religious duties. St. John asks Jane to go to India with him and to be his wife. When Jane refuses to be his wife since they are not in

> that curse you; do good to them that hate you and despitefully use you.' (1847, p.69)

This passage echoes Mr. Brocklehurst's discourse in a way that Helen's and Mr. Brocklehurst's discourse emphasizes submission, subservience, domestication, and self-denial. Moreover, Helen becomes an instrument of a such oppressive ideology that, in fact, oppresses and domesticates her. Here, Helen achieves what Mr. Brocklehurst and those who are in power aim at: keeping the poor satisfied with their lot, keeping those in power in power, and not questioning authority. In this regard, Mary Wollstonecraft states that "with respect to religion, she [any woman] never presumed to judge for herself; but conformed, as a dependent creature should, to the ceremonies of the church which she was brought up in, piously believing that wiser heads than her own have settled that business: - and not to doubt is her point of perfection" (1792, p.65).

In fact, the narrative serves to criticize Helen's internalization of oppressive religious discourse. First, once Helen is punished by Miss Scatcherd because her nails are dirty, she never defends herself, believing that authority should not be questioned and challenged. Jane questions Helen's silence and wonders "[w]hy ... does she not explain that she could neither clean her nails nor wash her face, as the water was frozen?" (1847, p.64). However, Helen never questions authority, and even worse, not only does she admit that she is wrong and Miss Scatcherd is right, but she also justifies oppression in one way or another. Second, both Jane and Helen live in a place where rage, disobedience and resistance are the only result of brutal treatment and bitter conditions. That is to say, Lowood school, where orphaned girls study, is like a bleak prison, full of disease, punishment, toughness, torture, hunger and pain. In fact, the school is a physical as well as a psychological punishment for girls. Physical punishment lies in a lack of sufficient clothing, covers, and boots for the girls, the "scanty supply of food" (1847, p.71), and "walk[ing] "two miles to Brocklebridge Church" in the cold weather (1847, p.72). Psychological punishment lies in the toughness and strictness of the school regulations, rules, and tasks. Jane says "[t]he fear of failure in these points harassed me worse than the physical hardships of my lot. . ." (1847, p.71).

How one can be silent and non-violent in such a place is a question Jane tries to pose. Moreover, Jane tells Helen:

> [Y]ou are good to those who are good to you. It is all I ever desire to be. If people were kind and obedient to those who are cruel and unjust, the wicked people would have it all their own way; they would never feel afraid, and so they would never alter, but would grow worse and worse. When we are

criticism. Although Jane "[sees] the power of love and forgiveness from ... Helen Burns" (Zeng, 2014, p.7), who "provides Jane with decisive guidance and affirmation" (Nestor 2008, p. 44), Jane criticizes her friend's docility and submission. First, Helen is a domesticated figure who internalizes the oppressive ideologies of those who are in power, especially Mr. Brocklehurst and Miss Scatcherd. Helen is well programmed in a way that she passively and patiently endures the cruel treatment of her teachers and accepts suffering as something normal or as if it were a God's decision. For example, Miss Scatcherd always treats Helen as an object and severely punishes her physically and verbally. Even though Helen answers all questions Miss Scatcherd asks, Miss Scatcherd, instead, severely hectors and berates Helen: "[y]ou dirty, disagreeable girl! you have never cleaned your nails this morning" (1847, p.64). Then, Miss Scatcherd physically punishes Helen: "the teacher instantly and sharply inflicted on her neck a dozen strokes with the bunch of twigs" (1847, p.65). In both cases, Helen never objects to a such brutal treatment, thinking, or programmed to think, that she follows God's orders.

Why Helen does not object to such brutality and cruelty is due to institutionalized religion that programs her in a way that she believes that if she objects to such brutality she goes against God and His will. Helen tells Jane that if one objects to punishment, "Mr. Brocklehurst would expel [her] from the school" (1847, p.66). This is a religious school, which is supposed to represent peace, mercy, and tolerance. However, this school becomes a tool to domesticate and oppress the young girls. Moreover, Helen is so domesticated that she cannot see punishment as an act of cruelty or brutality. When Jane tells Helen that she has to object to Miss Scatcherd's cruelty, Helen replies: "Cruel? Not at all! She is severe; she dislikes my faults" (1847, p.66). Furthermore, Helen justifies her silence by saying that "the Bible bids us return good for evil" (1847, p.66). Here, Helen, by using this religious discourse becomes "Brocklehurst's model female student" (Roy, 1989, p.716) since she completely internalizes the oppressive ideology of institutionalized religion and his domesticating teachings.

Not only is Helen a domesticated figure, but she also intends to be a domesticating figure. Using religious discourse, Helen tries to domesticate Jane by advising her to tolerate other people's violence and cruelty. She tells Jane, who objects to her silence:

> Heathens and savage tribes hold that doctrine [resisting punishment]; but Christians and civilized nations disown it ... Read the New Testament, and observe what Christ says, and how He acts; make His word your rule, and His conduct your example ...[Christ says] 'Love your enemies; bless them

his commands and hence his oppressing religious discourse: "I have a Master to serve whose kingdom is not of this world: my mission is to mortify in these girls the lusts of the flesh, to teach them to clothe themselves with shamefacedness and sobriety, not with braided hair and costly apparel..." (1847, p.76). Jane completely refuses Mr. Brocklehurst to be an ideal figure for her and for the girls, or, as Alison Searle puts it, "Jane's commonsense and clear-headedness instantly dismisse(s) such idolatry" (2006, p. 45).

How is Mr. Brocklehurst a hypocrite and how does the narrative serve to criticize his religious discourse? In fact, his hypocrisy is a kind of criticism of Mr. Brocklehurst and his preaching and conduct. After his long sermon about how the girls should be purged of pride and luxury in order to "render them hardy, patient, [and] self-denying" (1847, p.75), his wife and two daughters enter the room, where he is preaching. They are luxuriously dressed up and "splendidly attired in velvet, silk, and furs" (1847, p.77). His wife has on "a false front of French curls" (1847, p.77). This episode clearly criticizes Mr. Brocklehurst who uses religious discourse to subvert and oppress the young girls, while, at the same time, he and his luxuriously wealthy family lead a very luxurious life. Moreover, the contrast between the luxurious life he leads and the poor, miserable, and unhealthy life the girls lead at Lowood school is also a kind of critique. The girls barley have enough food to eat and enough blankets to protect themselves from harsh coldness at Lowood school. As a result of such poor and unhealthy conditions, a typhus epidemic sweeps the school. Moreover, Mr. Brocklehurst justifies Mrs. Reed's harsh treatment of little Jane and thus supports social oppression. Even worse, he highly speaks of her while she is so harsh and unfair with Jane. As Jeffery Franklin points out, both Mr. Brocklehurst and Mrs. Reed are represented "as cruel, greedy, and hypocritical" (1847, p.464). Thus, these examples show that the narrative, as narrated by Jane Eyre, criticizes Mr. Brocklehurst who uses religious discourse to domesticate the girls and to keep their behavior within strictly defined standards. In other words, this kind of religious discourse, as Jane conveys in her narration, serves to justify and legitimize social oppression.

This oppressive religious discourse is internalized by Helen Burns, who is a product of Mr. Brocklehurst's institutionalized religion. In fact, Helen is a foil to Mr. Brocklehurst to some extent. In other words, if Mr. Brocklehurst represents a domesticating and hypocritical figure, Helen represents a domesticated and honest figure. In his essay, "The Merging of Spiritualities: Jane Eyre as Missionary of Love," Jeffrey Franklin (1995) argues that Helen "represents an ideal within the Christian discourse of the novel" (1995, p.465). Even though Helen is an honest figure who does what she preaches, and she is "the novel's Christian paragon" (Franklin, 1995, p. 466), she is not excluded from Jane's

to read a book which he describes as "'an account of the awfully sudden death of Martha G—, a naughty child, addicted to falsehood and deceit'" (1847, p.42).

It is, thus, clear that the novel serves to criticize these scary images Mr. Brocklehurst uses. First, Mr. Brocklehurst supports Mrs. Reed's oppression by using this frightening religious discourse. Here, religion becomes a tool of oppression, and it collides with social oppression. Second, he never even asks Mrs. Reed or little Jane why she (Jane) has a tendency to deceit and lying. Instead, he immediately refers to scary religious discourse which contributes to domesticating and subverting Jane; in fact, this kind of discourse helps reinforce social oppression practiced by Mrs. Reed and her son, John. In her essay, "Unaccommodated Woman and the Poetics of Property in *Jane Eyre*," Parama Roy (1989) asserts that "Mrs. Reed finds a willing ally and advocate in the Rev. Brocklehurst, who bears Jane away to his charity school, Lowood Institution. He is a particularly vociferous advocate for the structures of power and exploitation adumbrated in the Gateshead section" (1989, pp.715-716). So, this religious man, who is supposed to refute social oppression, justifies and contributes to social oppression and even legitimizes it by using religious discourse.

Furthermore, Mr. Brocklehurst is a hypocritical person who never does what he preaches. At Lowood Institution, which is supposed to be a place of mercy, love, peace, and affection, Mr. Brocklehurst turns this place into a kind of hell for Jane and other girl students. For example, he objects to serving bread and cheese to students since this is a kind of "luxury and indulgence." He refers to biblical texts to prove that girls should be "hardy, patient, and self-denying" and thus justifies their suffering. He says:

> A brief address on those occasions would take the opportunity of referring to the sufferings of the primitive Christians; to the torments of martyrs: to the exhortations of our blessed Lord Himself, calling upon His disciples to take up their cross and follow Him; to His warnings that man shall not live by bread alone, but by very word that proceedeth out of the mouth of God; to His divine consolations, 'if ye suffer hunger or thirst for my sake, happy are ye.' Oh, madam, when you put bread and cheese, instead of burnt porridge, into these children's mouths, you may indeed feed their vile bodies, but you little think how you starve their immortal souls! (1847, p.75).

Here Mr. Brocklehurst denies the girls' right to enjoy life or to lead a normal life, using religious discourse to prove what he is preaching. In the same context, he orders to cut off Julia Severn's naturally curly hair "to be arranged closely, modestly, and plainly" (1847, p.76). Again, he refers to biblical texts to justify

3. Discussion

3.1. Challenging Repressive Institutionalized Religion

In *Jane Eyre*, religion is used to domesticate women and to keep them satisfied with their lot and never to think of revolution against their oppressive situations. In this regard, Jane Eyre is critical of this kind of religion, and, as Sandro Jung explains, she is considered to be a self- assertive woman, who challenges "societal expectations" and fights "for equality" throughout the novel (2007, 21-22). There are different characters in the novel that are considered tools of the repressive religious discourse. For example, once Jane is taken to the red room, one of the servants, Miss Abbot, uses frightening images of religious discourse. Miss Abbot says, "God will punish her [little Jane]: He might strike her dead in the midst of her tantrums ... Say your prayers, Miss Eyre, when you are by yourself; for if you don't repent, something bad might be permitted to come down the chimney and fetch you away" (1847, p.16). One might say that the Jane is critical of this kind of frightening religious discourse since little Jane does nothing wrong to repent. It is Mrs. Reed and her son, John, who do wrong to little Jane and who need to repent. Also, this kind of religious discourse is used to subjugate any kind of objection or rebellion Jane might even think of. On the other hand, the servant, who is already oppressed, internalizes the oppressive religious discourse and turns into an oppressor, using the same tool oppressors use to domesticate the lower class.[5]

Another character who uses religious discourse as an oppressive tool is Mr. Brocklehurst, a clergyman who owns and overlooks a charitable institution that Jane becomes a part of. In fact, Mr. Brocklehurst uses religion and frightening religious discourse to subvert and domesticate people. Just as Miss Abbot uses scary and threatening religious discourse to keep little Jane silent and submissive, Mr. Brocklehurst uses threatening and scary religious images when visiting Mrs. Reed's house where he meets ten-year-old Jane. In his conversation with little Jane, Mr. Brocklehurst asks her about prayers, about psalms, and about her reading of the Bible. When her answers do not please what he expects, he immediately calls her "wicked" and the wicked "go to hell ... A pit full of fire ... to be burning there forever" (1847, p.39). Moreover, he accuses her that she has a "wicked heart" that she needs "pray to God to change it: to give [her] a new and clean one: to take away [her] heart of stone and give [her] a heart of flesh" (1847, p.40). Another frightening image Mr. Brocklehurst uses when conversing with little Jane is the association of falsehood with hell. When Mrs. Reed tells him that little Jane has "a tendency to deceit" (1847, p.41), he says "[d]eceit is ... a sad fault in a child ... it is akin to falsehood, and all liars will have their portion in the lake burning with fire and brimstone" (1847, p.41). The last scary image Mr. Brocklehurst uses in this episode is when he asks little Jane

Jane Eyre is Gayatri Spivak. In her article, "Three Women's Texts and a Critique of Imperialism," Spivak examines three works by women: Charlotte Brontë's *Jane Eyre*, Jean Rhys' *Wide Sargasso Sea*, and Mary Shelly's *Frankenstein*. She argues that it is impossible to approach a 19th century British literature "without remembering that imperialism, understood as England's social mission, was a crucial part of the cultural representation of England to the English" (1985, p.243). She explains how Bertha Mason, as the white Jamaican Creole character in the novel, is produced by the rise of imperialism and is described by both Jane and Rochester on the frontier between the human and the animal (1985, p.247). Even though Spivak reads Brontë's novel as an imperialist text, she does not show how Jane's attitudes towards institutionalized religion fluctuate as I will demonstrate in this article.

In his article, "The Merging of Spiritualities: Jane Eyre as Missionary of Love," J. Jeffrey Franklin explains that there are various "overlapping discourses of spirituality within the text" and "the primary spiritual discourse in Jane Eyre is ... Christian" (1995, p.457). He shows how Brontë engages with different spiritual discourses dominating Britain back in the 19th century, stating that the novel "is quite representative of its time in showing a multiplicity of competing spiritual discourses within Christianity ... in another sense the novel troubles Christianity itself by introducing spiritual discourses from outside orthodox doctrines" (1995, pp.459-460). Even though Franklin explores various Christian discourses as represented in the novel, he neither relates such religious discourses to imperialism nor explains why Jane Eyre is ambivalent when it comes to religious discourse. And this is where I attempt to fill the gaps.

Thomas Tracy's "'Reader, I Buried Him': Apocalypse and Empire in Jane Eyre" tackles the idea of Empire and colonial discourse in Brontë's novel. Even though Tracy asserts that the imperial project is highlighted, especially at the end of the novel, he claims that the novel "does not offer evidence of hostility towards colonized peoples, nor does it appropriate the image of slavery merely to figure the oppression of white women" (2004, p. 60). He even refutes the idea that the novel affirms "St. John's evangelizing mission" (2004, p.59). He typologically reads the novel "as a Bildungsroman in which her hero, Jane, attains spiritual enlightenment in the Christian tradition ...and the novel's ending not only references but replicates the Revelation, a work which is central to Jane Eyre's signifying system" (2004, p. 60). My reading, however, is going to oppose Thomas Tracy's analysis by claiming that the novel, in fact, approves and reinforces St. John's colonial mission. On the other hand, Tracy does not show why Jane Eyre is ambivalent throughout the novel. My analysis will thoroughly address this issue.

as "a structure of attitude and reference" (1993, p.248). Taking a cue from Edward Said, I will re-read Charlotte Brontë's novel, *Jane Eyre* (1847), to explore the protagonist's attitude toward oppression through her critique of one of the oppressive ideologies: institutionalized religion. Jane Eyre's critique exposes, first, her ambivalent personality and, second, her implicit acceptance of the colonial discourse on the uncivilized, savage, and backward "other."

As for the idea of institutionalized religion as an ideology, some critics such as Marx, Althusser, Foucault, Mary Wollstonecraft among many others claim that institutionalized religion is used to promote repressive practices to keep the poor satisfied with their lot and to maintain the status quo or to keep those in power in power. It is what people do in the name of God/religion to maintain their power and domination. Moreover, institutionalized religion is one of the ideological state apparatuses Althusser refers to when discussing how oppression and domination are practiced over the poor and the marginalized. Such ideological apparatuses contribute to reproducing "the dominant system by creating subjects who are ideologically conditioned to accept the values of the system" (Loomba, 1998, p.33). Similarly, Michel Foucault implies that such an environment, where institutionalized religion is practiced, is self-policing:

> For the Catholic Church ... confinement represents, in the form of an authoritarian model, the myth of social happiness: a police whose order will be entirely transparent to the principles of religion, and a religion whose requirements will be satisfied, without restrictions, by the regulations of the police and the constraints with which it can be armed. There is, in these institutions, an attempt of a kind to demonstrate that order may be adequate to virtue. In this sense, "confinement" conceals both metaphysics of government and a politics of religion; it is situated, as an effort of tyrannical synthesis, in the vast space separating the garden of God and the cities which men, driven from paradise, have built with their own hands. (1965, pp.100-101)

Furthermore, Mary Wollstonecraft argues that religion is manipulated by men in a way that they prove that women are weak, and thus "they [women] are not in a capacity to judge for themselves, they ought to abide by the decision of their fathers and husbands as confidently as by that of the church" (1792, p.110).

There is much written on *Jane Eyre*, especially the idea of religious discourse and colonial motif in the novel,[4] but little attention has been paid to the protagonist of the novel as she internalizes the colonial discourse dominating Great Britain back in the 19th century, and she develops ambivalent attitudes toward religious discourse. One of the famous critics who explores Brontë's

Great Britain in the 19th century on the people living there back then. This kind of analysis is not nearly as often discussed. My "contrapuntal reading"[3] seems to be a different way of approaching the novel, especially the main character, Jane Eyre. In other words, my reading explicates the submerged presence of Empire in Brontë's *Jane Eyre* and Jane Eyre's adoption of the Empire's discourse. My analysis aims to reveal how the unquestioned ideology of British colonial domination back in the 19th century contaminated and even handcuffed those who stood up against certain repressive apparatuses the state used to subjugate its members. Moreover, this article attempts to demonstrate that the mainstream ideology of the British Empir eshapes Jane Eyre and informs the novel, which seems to celebrate the prevailing Eurocentric attitudes in Britain in the 19th century when people believed that Europe in general and Britain in particular had an obligation to "civilize" and "enlighten" the "less civilized" people and nations.

In this paper, I claim that Jane Eyre as a product of her socio-economic, cultural environment is an ambivalent character. And Jane Eyre's ambivalence shows the trace of Empire in her. In other words, she is critical of using religion to oppress her own people, especially women. She, in fact, "recounts the plight of so many women" throughout the novel (Fain 2014, p. 148). On the other hand, she keeps silent when the same discourse of institutionalized religion is used to justify colonizing and oppressing other people and nations. In order to explore the representation of institutionalized religion in *Jane Eyre*, my analysis is based on close reading of the novel, and it is informed by Postcolonial and Marxist theory. To develop this argument, it will be necessary to divide it into three sections along with a conclusion. The first will give a brief review of related literature. The second will analyze how institutionalized religion is challenged and criticized, especially when religion is used to domesticate women (and here the novel is critical of patriarchy). The final section will examine how Jane Eyre keeps silent when institutionalized religion is used as a tool to justify colonizing another nation, and thus Jane Eyre approves of imperialism and Eurocentricism, seeing imperialism as a civilizing mission rather than a colonizing, hegemonic one.

2. Review of Related Literature

In his seminal book, *Culture and Imperialism* (1993), Edward Said explains that "allusions to facts of empire" abound in "nineteenth– and early-twentieth-century British and French culture," especially "in the British novel" (p.248). He refers to many 19th century British novels where there are allusions and references to colonialism. Even though he does not elaborate on Charlotte Brontë's *Jane Eyre*, Said demonstrates how such texts creates what he refers to

The Arab Journal For Arts Vol. 16 No. 2, 2019, pp. 757-774

Institutionalized Religion and Ambivalence in Charlotte Brontë's *Jane Eyre*

Abdulla M. Dagamseh*

Date of Submission: May 1, 2019 **Date of Acceptance:** July 11, 2019

Abstract

In Charlotte Brontë's novel, *Jane Eyre*, the protagonist, Jane Eyre, cannot avoid the trap of empire, which represents the British colonial domination in the 19th century. Through close reading of the text and using Postcolonial and Marxist theory, I claim that Jane Eyre develops an ambivalent attitude towards oppression. That is to say, she, at one point, is very critical of using religion to oppress her own people. On the other hand, she keeps silent when the same discourse of institutionalized religion is used to justify colonizing and oppressing other people and nations. This ambivalent attitude shows that the unquestioned ideology of British colonial domination contaminates and even handcuffs Jane Eyre. Thus, the mainstream ideology of the British empire shapes Jane Eyre and informs the novel, which seems to celebrate the prevailing Eurocentric attitudes in Britain back in the 19th century when people believed that Europe in general and Britain in particular had an obligation to "civilize" and "enlighten" the "less civilized" people and nations.

Keywords: Charlotte Brontë, *Jane Eyre*, institutionalized religion, ambivalence, empire, colonialism

1. Introduction

At this point, Charlotte Brontë's *Jane Eyre* has been called upon to represent any number of Marxist, Feminist and Postcolonial themes, concepts, among many other ideas in various discourses.[1] Critics have noted multiple interpretations of this novel. Saying anything new about this novel seems to be quite a challenge to any literary critic. Yet, a re-reading of the novel contributes to demonstrating the effect of colonial discourse and experience[2] dominating

© Copyright 2019 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved

* Department of English Language and Literature, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Mona Baker (ed.) *In Other Words: A Coursebook on Translation*. London: Routledge, 1992.

Mona Baker (ed.) *The Routledge Encyclopedia of Translation Studies*. London, New York: Routledge, 2008.

Oxford Dictionary Online. Oxford, n.d. Web. 2016.

Pickthall, Mohammed Marmaduke. *The Glorious Qur'an*. Elmhurst, New York: Tahrike Tarsile Qur'an, Inc, 2000.

Shaker, Abdullah. *Towards Better Understanding of the Qura'nic Text*. Irbid: Hamada Establishment for University studies, 2007.

Von, D. A. *'Ulum al-Qur'an: An Introduction to the Sciences of the Qur'an*. UK: The Islamic Foundation, 1983.

Xiabin, He. *Can we throw 'equivalence' out of the window*? Translating Today Magazine. (4) (2005), pp. 18-19

References

Abdel Haleem, M. A. *The Qur'an*. Oxford: Oxford University Press, 2010.

Abdul-Raof, Hussein. "The Qur'an: Limits of Translatability". *Qur'an Translation: Discourse, Texture and Exegesis*. Chapter 8, 91-106. Richmond, Surrey: Curzon, 2001.

Al Durra, Mohammad. *Tafsīr al Qur'an wa I'rābuh wa Bayānuh*. Damascus, Beirut: Dār al Ḥikma, 1991.

Al Hilali, Muhammad Taqi-ud-Din, and Muhammad Muhsin Khan. *The Noble Qur'an*. Riyadh:Dar-us-Salam Publications, 1995.

Al Nausābūrī, Nithām al Dīn al Ḥasan al Ḥusainī. *Gharā'ib al Qur'an wa Zaghā'ib al Furqān*. Ibrahim Atwa Awad (ed). Egypt: Mustafa al Halabi wa Awladuh, 1970.

Al Qurṭubī, Abū Abdullah Muhammad al Anṣarī. *Al Jami' li-Aḥkām al Qur'an*. Abdullah bin al Muḥsin al Turkī (ed). Riyadh: Dār al Risālah, 2006.

Al Ṣṣābūnī, Muhammad. *Ṣafwat al Tafāsīr*. Beirut: Dār al Qur'an al Karīm. 1980.

Al Ṭabarī, Muhammad bin Jarīr. Jāmi' al Bayān fī Tafsīr al Qur'an. Beirut: dar al Ma'rifa, 1990.

Al Zamakhsharī, Abu al Qasim. *Al Kashaf 'an Ḥaqa'iq al Tanzīl wa 'uyūn al Aqāwīl fī wujūh al Ta'wīl*. Beirut: Dar al Fikir, 1983.

Aldahesh, Ali.*(Un)Translatability of the Qur'ān: A Theoretical Perspective*. December 2014. DOI: 10.5296/ijl.v6i6.6497.

Ali, Abdulla Yusuf. *The Meaning of the Holy Qur'an*. The Islamic Foundation, 2003.

Aziz, Yowell Y. *A Contrastive Grammar of English and Arabic*. Mosul: University of Mosul, 1989.

Ghazala, Hasan. *Translating Islamic texts: Textbook*. Jeddah: Konoz al- Marifa, 2013.

Hatim, Basil and Mason, Ian. *The Translator as Communicator*. London and New York: Routledge. 1997.

Khalil, Aziz M. *A Contrastive Grammar of English and Arabic*. Amman: Jordan book Center, 2010.

Merriam-Webster Online. Merriam-Webster, n.d. Web. 2016.

قراءات في تراجم سورة الانشقاق

ريما العيسى، مركز اللغات، جامعة آل البيت، المفرق، الأردن.

ملخّص

تُجري هذه الورقة دراسة مقارنة حول أربع ترجمات لسورة الانشقاق، وهي ترجمات يوسف علي، ومحمد هلالي محسن خان، وبيكثال، ومحمد عبد الحليم. وقد تم تقديم آراء متعددة حول العرض، وذلك لبيان مدى إخفاق المترجمين في ترجمة بعض الآيات في السورة الكريمة. وتم تصنيف مشكلات الترجمات إلى مشكلات معجمية وأخرى أسلوبية وثالثة نحوية، بينما تفرعت هذه الفئات من جانبها فروعا توضح الفجوات التي يمكن مواجهتها أثناء ترجمة النص القرآني. وقد قوبلت المشكلات من خلال نظريات الترجمة الحرة والمقيدة. ولأن النصوص الدينية، وبخاصة الروحية منها، تستند في ترجمتها إلى السياق، فإنها شكلت حالة خاصة استدعت الحذر الشديد في التعامل معها. ويلاحظ المقال، في المحصلة النهائية، أن القواعد المعجمية والنحوية والأسلوبية للغة المترجم إليها لا تتطابق أحيانا مع قواعد الخطاب القرآني، لأن هذه القواعد محلية وليست عالمية.

الكلمات المفتاحية: ترجمة دينية، تفسير القرآن.

inshaqqat, ḥuqqat, muddat, takhallat, ḥuqqat	انشَقَّتْ، حُقَّتْ، مُدَّت، تَخَلَّتْ، حُقَّتْ
thubūrā, sa'īrā, masrūrā, yaḥūra, baṣurā	ثُبُورًا، سَعِيرًا، مَسْرُورًا، يَحُورَ، بَصِيرًا
ash-shafaq, wasaq, ittasaq, ṭabaq	الشَّفَقِ، وَسَقَ، اتَّسَقَ، طَبَقٍ
Fa-'amma man ūtiya kitābahu bi-yameīnihi wa-'amma man ūtiya kitābahu wrā'a thahrihi	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ

Syntactic problems

Dealing with two remote language systems, Arabic and English in this case, can lead to the existence of syntactic problems. Grammatical problems also emerge, such as the difference in word order, the tense and type of verbs, questions and negations, adjectives and adverbs, nominal vs. verbal sentences as well as conjunctions. Since word-to-word equivalence is not usually used as a strategy in translating the Qur'an, these kinds of problems can often be overcome.

The Cognate Accusative

In the sixth *Aya* "كَادِحُ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا", the use of cognate is for assertion. In his book, Dr. Abdullah Shaker suggested the use of the word "certainly" in order to give a more appropriate translation without losing the meaning.

Exclusion

Exclusion is the process of excluding a subset from a set, one of the particles, and the use of "*illā*"إلا is an example of this feature. "*Illā allathīna 'āmanū wa-'amilu aṣṣāliḥāt lahum 'ajrun ghayru mamnūn* إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ" In the case above, the particle "*illā*" does not express exclusion as it is rendered in the translations given. It is rendered as "except, save, and but". This particle here works as *wāw alsti'nāf*"واو الاستئناف", and it is used for resumption of a new idea in a new sentence. This meaning was inferred from another *aya* in "*sūra al-Baqara*, the cow" (Qurṭubī 19: 282).

Generally speaking, the syntactic and stylistic norms of the target language fail to match those of the Qur'an discourse. The loss of stylistic effect occurs when the source text style is, in certain positions, wasted and not appropriately compensated for. However, there's a "general agreement" on the capability of acquiring a fairly good degree of resemblance in semantic presentation across languages rather than achieving stylistic properties, as Hussein Abdul-Raof said:"stylistic properties are linguistic features far from universal." (p32)

convey good news, an issue which is not tackled in given translations. Moreover, the meaning of the "ف"involves a semantic function: an immediate action with no hesitation which is impossible to render.

The Implicit Oath is also one of the problems that may face the translator due to its structure which cannot be found in English. For instance, in *aya* nineteen"لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ" *la-tarkabunna,* Pickthall and Haleem's translations do not give the meaning of the full structure of the Oath. As for Ali's translation, he inserted the word "surely" to replace "نون التوكيد".

Aya twenty-three begins with "و"which is "واو الحال". Although it is rendered as a conjunction including "but or and", these comparable conjunctions do not even give a close meaning because it has no counterpart in English; the meaning of "واو الحال" can only be achieved through appropriate rendering of the whole *aya* to express the meaning fully.

Metaphor

In both *ayas*: "وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ"*wa-athinat li-rabbihā wa-ḥuqqat*, and " وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ" *wa-alqat mā fīhā wa-takhallat*, we have what is called in the Arabic language as"استعارةمكنية" *isti'āra makniyyih*.

"وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ":شبهت حال السماء والأرض في انقيادها لتأثير قدرة الله تعالى بانقياد المستمع المطاوع للأمر.

"وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ": شبهت حال الأرض بحال المرأة الحامل، تلقي ما فيها عند الشدة والهول، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإلقاء. (الدرة 10: 509)

In " *wa-athinat li-rabbihā wa-ḥuqqat",* the sky and the earth are referred to as humans who are submissive to Allah and, thus, obey His orders, whereas in *"wa-alqat mā fīhā wa-takhallat*", the earth is referred to as a pregnant woman who miscarriages for the intensity and the horrors of what she sees. The woman in this metaphor is omitted, but it is inferred by one of its features- the process of casting out what is within (Durra10:509).

Antithesis

This *sura* is marked by parallel structures that can hardly be rendered into English. Antithesis with which The Qur'an is highly characterized is language specific.

Stylistic Problems

Regarding stylistic issues in translation, the crucial question tackles the uncertainty if it is feasible to reflect the style of the source text or if it is even possible to mirror. The translators' understanding of the source text might affect the process of translation, resulting in a misleading translation. Therefore, rendering the style can be a thorny issue for translators; this, in turn, triggers the complexity of literal vs. free translation. The style of the text includes things such as the use of foregrounding and backgrounding, repetition, translation resistance, metaphor, antithesis and so on. All these constituents express the meaning of a text.

Fore grounding and back grounding

Syntactically, *aya* six should be fore grounded and placed after the first *aya* in order to achieve the meaning of the Arabic conditional structure; when the sky cracks or splits, humans labor in toilsome towards Allah. This cannot be expressed while translating the *sūrah*, but it might be explained in a footnote or by a reference to *tafsīr*. Another foregrounding can be found in the last *aya*; the Comment "الخبر" *al-khabar* is fronted, whereas the Topic ""المبتدأ*al-mubtada'* is postponed. This change in word order is achieved in both translations. However, the meaning of assertion on the believers who will be rewarded made by such a change is not given in both translations. As an example of backgrounding, *aya* nineteen is backrounded because the reference of the" لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ " *la-tarkabunna* is in aya six "يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ"*yā ayyuha al-'insāan*. (Qurṭubī 19:278)

Translation resistance

Certain words in both translations as well as others are translation resistance, either because they do not have a counterpart or because they are language or culture specific. For example, in *aya* sixteen the word"الشفق" *ash-shafaq* was translated as: afterglow of sunset, the ruddy glow of Sunset, and the twilight; the same structure refers to "الرقة والضعف"*ar-riqqa wa-ḍḍa'f* which reflects the human heart condition of tenderness and weakness (Qurṭubī 19:274-5, Zamakhsharī 4:235), and it also refers to the whiteness found in the sky at the time. Another example presented is the meaning in *aya* eighteen"اتَّسَقَ"which defines the fullness of the moon. What couldn't be expressed in this translation is the gradual process for the completion of the moon fullness.

The use of "فَبَشِّرْهُم" and what follows this verb of changing in the color of the skin and facial features in addition to the sarcasm implied to acquaint non-believers of what they are going to receive is a substantial tool in Arabic to

The verb "لَتَرْكَبُنَّ" *la-tarkabunna* is literary translated into "travel, journey" by Ali, Picthall and khan. The verb is explained in *tafsīr* as the change of Man's conditions throughout his life and in the hereafter. It has many explanations related to different *ayas* in the Qur'an: the ascent of the Prophet to the heaven and the leveled skies, for example, and the stages of man's creation from a sperm to a full human, in addition to other various meanings presented by scholars. What was accomplished in Khan's translation is placing

"throughout his life and in the hereafter" between parenthesis in order to clear things out unlike Ali and Pickthall in *aya* number nineteen. Haleem uses "progress" which indicates the transformation from one level to another or "from stage to stage" without being more specific about the intrinsic nature of this stage. This generalization might be useful since it includes the different renderings of the *aya*.

Regarding the use of parenthesis in *aya* twenty-two, Ali should have been more illustrative instead of using "it" with no reference. On the other hand, Haleem has explicitly stated the reference in a more proper manner as "the Qur'an". As for the last *aya* in which "غَيْرُ مَمْنُونٍ"*ghayrumamnūn* means " غير منقوصٍ ولا مقطوع"*ghayr manqūṣ wa-lā maqṭū'*, all translations have also failed to give the right meaning. Still, it can easily be well-suited by combining the translations of the words together in order to give the full meaning: "unfailing never-ending reward". The other meaning that the word *mamnūn* suggests is the reward given by Allah to the believers because of their good deeds. Allah does not present these rewards as grace, but believers deserve them as a consequence of obeying Allah.

Over translation

Unlike Pickthall, Ali over translated some *ayas* in certain places, using parenthesis within the translation, such as in *ayas* two and five. It might be inferred that he employed this technique for being incapable to provide an adequate translation straight forward to express the full meaning of the *ayas*, or, sometimes, the translator might be indecisive about which diction to select for offering the counterpart in the target language. The word "(clean)" is exemplified in his translation of the fourth *aya* as such case. Nonetheless, both translators should have clarified more certain positions- *aya* five for instance- to clear out the confusion made by the repetition of the *aya*: the first refers to the sky while the second to the earth.

consensus on the interpretation of "*inshaqqat*": the sky having doors made out of clouds (Ṭabarī12:72) or lines of openings in the sky made by white clouds. In his translation, Haleem seeks to display the most accurate equivalence; "cracks" suggests having lines of splitting rather than breaking apart, and it also suggests the sound that accompanies this act of "crack". This meaning is not suggested in the other dictions used.

In the second *aya*, Pickthall does not give the meaning of "وَحُقَّتْ"*wa-ḥuqqat*" and he must do so" (Khan 824). Pickthall also uses "in fear", which is a meaning suggested by (Zamakhsharī4:234); this act of cracking is done because Allah orders the sky to do so and it has to do so- it is an act of submission.

In the third *aya*, Khan might have given a more appropriate equivalent than "stretched forth". The selection of this translation is taken from the Ḥadith of Prophet Mohammad صلى الله عليه وسلم "تمد مدّ الاديم", "*tumadu madda al 'adīm*". It is leveled, as Haleem suggests, but also stretched out as all *tafsīr* books point out. In the fourth *aya*, the word "وَتَخَلَّتْ"*wa-tkhallat* refers to what is on the surface of the earth as well; the earth relinquishes people still alive, mountains, seas and oceans (Qurṭubī 19:270).None of the translations refers to this part of the meaning. Al Qurṭubī also states in the same place that the earth will be replaced by another one called "*as-sāhira*" because it will be leveled and stretched out. Additionally, it will cast out what is within and abandon all on the surface for Judgment Day.

In *aya* number eight, "فسوف" *fa-sawfa*, is used not only for referring to a future tense but also for assertion, which can be clearly found in Picthall and Khan's translations by using "truly" and "surely" respectively. Moreover, the reference of "أَهْلِهِ" *'hlihi* in the ninth *aya* is not agreed upon among scholars: it is rendered as family, people and folks. However, a footnote can solve the problem by referring to the different explanations of *'hlihi* "الحور العين، أهله من المؤمنين، عائلته التي دخلت الجنة." *'ā'ilatahu al-latī dakhalat al-janna, ahlahu minal-mu'minīn, and al-ḥūr al-'īn"*

Despite the fact that translators must apply the norms of the target language and even its culture while translating a text, such norms are inapplicable when it comes to translating The Qur'an due to its supreme style. Therefore, translators should not impose the cultural norms whilst translating it. This is the case in *aya* 18; Khan and Haleem might have provided a more suitable rendering for this *aya* by referring to the moon with the pronoun "it", instead of using "she" or "her" and using the interpretation " the full moon" when it is at the full.

Yusuf Ali	Hilali &Khan	Pickthall	Abdel Haleem	Sura Al-Inshiqaq	Aya no.
	and الله عليه وسلم whatever he brought, i.e. this Qur'an and Islamic Monotheism, etc.).				
But Allah has full knowledge of what they secrete (in their breasts)	And Allah knows best what they gather (of good and bad deeds),	And Allah knoweth best what they are hiding.	God knows best what they keep hidden inside--	وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ	23
So announce to them a Penalty Grievous,	So announce to them a painful torment.	So give them tidings of a painful doom,	So give them news of a painful torment.	فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	24
Except to those who believe and work righteous deeds: For them is a Reward that will never fail.	Save those who believe and do righteous good deeds, for them is a reward that will never come to an end (i.e. Paradise).	Save those who believe and do good works, for theirs is a reward unfailing.	But those who believe and do good deeds will have anever-ending reward.	إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ	25

Lexical problems

Lexical problems, being one of the most provocative problems observed, can be defined as the absence or lack of equivalence. Some terms do not have counterparts in English, driving the translator into conveying them by hiring one of the translation strategies: the semantic and communicative. The common lexical problems emerge from using literal translation, synonymy and polysemy, which, in turn, might not reflect the concrete shades of meanings every so often whether the translator finds their equivalence in the target language or not. [Shades of meaning might not be expressed in particular contexts.]

The selection of certain vocabulary

In the first *aya*, Ali provides the meaning of "*inshaqqat*"as"rend" and this meaning illuminates the violence that accompanies the action of the splitting. Pickthall, in contrast, employs "*inshaqqat*" as the Arabic parallel for the word "split", and then he adds the shade "asunder", whereas “cracks" is the Arabic substitute chosen by Haleem. According to *Tafsīr* books, there is a general

Yusuf Ali	Hilali &Khan	Pickthall	Abdel Haleem	Sura Al-Inshiqaq	Aya no.
Truly, did he think that he would not have to return (to Us)!	Verily, he thought that he would never come back (to Us)!	He verily deemed that he would never return (unto Allah).	He thought he would never return [to his Lord]--	إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ	14
Nay, nay! for his Lord was (ever) watchful of him!	Yes! Verily, his Lord has been ever beholding him!	Nay, but lo! his Lord is ever looking on him!	Indeed he will! His Lord was watching him.	بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا	15
So I do call to witness the ruddy glow of Sunset;	So I swear by the afterglow of sunset;	Oh, I swear by the afterglow of sunset,	I swear by the twilight,	فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ	16
The Night and its Homing;	And by the night and whatever it gathers in its darkness,	And by the night and all that it enshroudeth,	by the night and what it covers,	وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ	17
And the Moon in her fullness:	And by the moon when it is at the full.	And by the moon when she is at the full,	by the full moon,	وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ	18
Ye shall surely travel from stage to stage.	You shall certainly travel from stage to stage (in this life and in the Hereafter).	That ye shall journey on from plane to plane.	you will progress from stage to stage.	لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ	19
What then is the matter with them, that they believe not?-	What is the matter with them, that they believe not?	What aileth them, then, that they believe not	So why do they not believe?	فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	20
And when the Qur'an is read to them, they fall not prostrate,	And when the Qur'an is recited to them, they fall not prostrate.	And, when the Qur'an is recited unto them, worship not (Allah)?	Why, when the Qur'an is read to them, do they not prostrate themselves [to God]?	وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ	21
But on the contrary the Unbelievers reject (it).	Nay, those who disbelieve belie (Prophet Muhammad صلى	Nay, but those who disbelieve will deny;	No! the disbelievers reject the Qur'an--	بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ	22

Yusuf Ali	Hilali &Khan	Pickthall	Abdel Haleem	Sura Al-Inshiqaq	Aya no.
O thou man! Verily thou art ever toiling on towards thy Lord- painfully toiling,- but thou shalt meet Him	O man! Verily, you are returning towards your Lord with your deeds and actions (good or bad), a sure returning, and you will meet (the results of your deeds which you did).	Thou, verily, O man, art working toward thy Lord a work which thou wilt meet (in His presence).	You humans, toiling laboriously towards your Lord, will meet Him:	يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ	6
Then he who is given his Record in his right hand,	Then as for him who will be given his Record in his right hand,	Then whoso is given his account in his right hand	Whoever is given his record in his right hand	فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ	7
Soon will his account be taken by an easy reckoning,	He surely will receive an easy reckoning,	He truly will receive an easy reckoning	Will have an easy reckoning	فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا	8
And he will turn to his people, rejoicing!	And will return to his family in joy!	And will return unto his folk in joy.	And return to his people well pleased,	وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا	9
But he who is given his Record behind his back,-	But whosoever is given his Record behind his back,	But whoso is given his account behind his back,	But whoever is given his his record from behind his back	وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ	10
Soon will he cry for perdition,	He will invoke (for his) destruction,	He surely will invoke destruction	Will cry out for destruction--	فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا	11
And he will enter a Blazing Fire.	And he shall enter a blazing Fire, and be made to taste its burning.	And be thrown to scorching fire.	He will burn in the blazing fire.	وَيَصْلَى سَعِيرًا	12
Truly, did he go about among his people, rejoicing!	Verily, he was among his people in joy!	He verily lived joyous with his folk,	He used to live among his people well pleased.	إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا	13

and Pickthall, Jakobson (1959), Nida and Taber (1982), and Baker (1992). Von Denffer (1983) believes that no fair translation could be achieved from using word-to-word translation. He also asserts the fact that the Qur'an's eloquence is inimitable (27). Baker also finds that culture- specific terms, especially those of Arabic including the Qur'an religious terminologies, are hard to be translated and, thus, need to adapt specific strategies for non-equivalence translating so as to prominently deliver their conceptual and cultural meanings.

Sūrat al-Inshiqāq (Arabic: سورة الانشقاق) (The Sundering; Splitting Open; The Craking) is the 84th *sura* of the Qur'an with twenty-five *ayas*. It is a Makkan *sura*; it mentions details of the Judgment Day when everyone will be questioned about their deeds in this world.

The translations available are those provided by Yousef Ali, Muhammad Hilali-Muhsin Khan, Pickthall and Mohammad Abdel Haleem.

بسم الله الرحمن الرحيم

Yusuf Ali	**Hilali &Khan**	**Pickthall**	**Abdel Haleem**	**Sura Al-Inshiqaq**	**Aya no.**
When the Sky is rent asunder,	When the heaven is split asunder,	When the heaven is split asunder	When the sky cracks	إِذَا السَّمَاء انشَقَّتْ	1
And hearkens to (the Command of) its Lord, and it must needs (do so);-	And listens to and obeys its Lord - and it must do so.	And attentive to her Lord in fear,	Obeying its Lord as it rightly must	وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ	2
And when the earth is flattened out,	And when the earth is stretched forth,	And when the earth is spread out	When the earth is levelled out	وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ	3
And casts forth what is within it and becomes (clean) empty,	And has cast out all that was in it and became empty.	And hath cast out all that was in her, and is empty	Casts out its contents, and becomes empty	وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ	4
And hearkens to (the Command of) its Lord,- and it must needs (do so);- (then will come Home the full reality).	And listens to and obeys its Lord - and it must do so.	And attentive to her Lord in fear!	Obeying its Lord as it rightly must	وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ	5

Oftentimes, the arguments in translating the Qur'an are built on explanations and attestations taken from various Arabic sources. The problems stem from the fact that the *ayas* are explained by using certain expressions used in many *tafsīr* books, resulting in having multiple possible translations. However, some of these can affect establishing adequate translation.

It is difficult to translate religious texts, The Qur'an in particular, as they are highly sensitive in addition to the challenge that the translator encounters in the varieties of word orders as well as the presence of highly specific lexical and syntactic items employed to create an effective and supreme style. Translators have to take into account that the structure of The Qur'an is semantically oriented, which makes the translators' task even more difficult to achieve. This paper sheds light on some inappropriateness that might be found in four translations of The Qur'an in terms of the selection of certain vocabulary, structure, syntax and style. This paper may also, in certain positions, suggest other, more appropriate solutions**, t**aking into consideration that English and Arabic each has its own linguistic system, on one hand, and lexical, syntactic as well as stylistic features, on the other hand, that could be deliberated among other norms by translators.

Review of Related Literature

Translators do not opt for equivalence in translating sacred texts as a strategy. As Baker (1992) points out, Arabic, as any other language, has cultural-specific terms that have no equivalence, therefore, requiring the necessity for approaching other non-equivalence strategies to convey their meaningYet Xiabin comes to a conclusion that "equivalence will remain central to the practice of translation … even if it is marginalized by translation studies and translation theorists" (2005:19)

Hatim & Mason (1997) discuss the variables of translating sacred texts, coming out with adopting a unified strategy. The tendency for such adaptation is "to promote an understanding of textuality that is, on the one hand, both rigorous and comprehensive, and on the other, not tied to specific tasks or situational requirements." (93)

Untranslatability is an issue that has been widely discussed by scholars of translation studies, especially when it comes to the translation of the Qur'an. Catford (1956), Hatim and Munday (2004), Bassnett (2002),and Abdul-Raof (2001) all have debates regarding the Qur'an. A number of studies and translation theories have tackled the issue of translating the Qur'an.

Some as Aldahesh (2014) believes in the untranslatability of the Qur'anic text. The same opinion is adopted by many scholars as Rahman (1988), Arberry

Notes on the Translations of Sūrat al-Inshiqāq

Rema El-Isa*

Date of Submission: April 4, 2019 **Date of Acceptance:** May 16, 2019

Abstract

This paper conducts a comparative study about four translations of sūrat al-Inshiqāq: Yousef Ali, Muhammad Hilali-Muhsin Khan, Pickthall and Mohammad Abdel Haleem. Multiple opinions of exposition have been provided to explore how, in certain ayas, the translators fail to find an appropriate equivalent. The translations' problems are categorized into lexical, stylistic and syntactic problems, whereas these categories also have sub-categories in order to clarify the gaps that might be encountered while translating the Qur'anic text. The problems are investigated through the theories of free and bound translation. Since religious texts, especially the sacred ones, are context-based, they have different meanings which are not easy to tackle. In conclusion, the lexical, syntactic and stylistic norms of the target language fail to match those of the Qur'an discourse because these features are far from universal.

Keywords: Religious translation, Untranslatability, Qur'an exposition.

Introduction

Religious terms are regarded as one of the most specific, peculiar and difficult parts of any given language, making them the hardest to translate. This is because they are context based and often ambiguous in definition; they might have different meanings. The problem lies in the lack of equivalences for certain expressions that are not easy to tackle in that it is sometimes hard to find expressions with the same meaning in the target language. Although languages share some expressions, they still have their own specific terms, or shades of meanings- the reason why it is hard to find the exact equivalent. In order to achieve a fair if not an adequate translation, translators must discern the exact meanings of these words and expressions in both the source and the target languages. Hence, a number of translation strategies are needed to overcome these problems.

© **Copyright 2019 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved**

* Languages Center, Al al-Bayt University, Mafraq, Jordan.

Scheufele, b. (2004). Framing-effects approach: a theoretical and methodological critique. *Communications*, *29*(4), 401-428.

Weisman, c. M. (2017). *Just coverage and the path to peace: reporting operation protective edge in haaretz, bbc online, and the new york times* (doctoral dissertation, ohio university).

References

Abdul-nabi, z. (2015). Based on the peace journalism model: analysis of al-jazeera's coverage of bahrain's uprising and syria's chemical attack. *Global media and communication*, *11*(3), 271-302.

Alshathry, t. (2015). *A comparative framing analysis of isil in the online coverage of cnn and al-jazeera*. Master thesis. Iowa state university

Ardèvol-abreu, a. (2015). Framing theory in communication research. Origins, development and current situation in spain. *Revista latina de comunicación social*, (70).

Bruce, m. D. (2014). Framing arab spring conflict: a visual analysis of coverage on five transnational arab news channels. *Journal of middle east media*, *10*(1), 1-26.

Cozma, r., &kozman, c. (2018). The syrian crisis in us and lebanese newspapers: a cross-national analysis. *International communication gazette*, *80*(2), 185-204.

Dally, mohammed (2012).*news coverage of middle east issues on france24 and al-hurra*. Non-published master thesis.mass communication faculty, cairo university.

Dimitrova, d. V., & connolly-ahern, c. (2007). A tale of two wars: framing analysis of online news sites in coalition countries and the arab world during the iraq war. *The howard journal of communications*, *18*(2), 153-168.

Elmasry, m. H., shamy, a. E., manning, p., mills, a., &auter, p. J. (2013). Al-jazeera and al-arabiya framing of the israel–palestine conflict during war and calm periods. *International communication gazette*, *75*(8), 750-768.

Emansayed, (2013).*the role of arabic oriented channels in the ranking of the elite agenda towards arab issues*.non-published phd thesis. Faculty of education.ainshams university.

Entman, r. M. (1991). Framing us coverage of international news: contrast in narratives of kal and iran air incidents.*journal of communication*, 41 (4),, 6 – 27.

Fahmy, s. S., & al emad, m. (2011). Al-jazeera vs al-jazeera: a comparison of the network's english and arabic online coverage of the us/al qaeda conflict. *International communication gazette*, *73*(3), 216-232.

Holsti, o.r. (1969*). Content analysis for the social sciences and humanities*. Reading, mass.: addison-wesley pub co.

أطر المعالجة الإخبارية للشؤون العربية في المواقع الإلكترونية للقنوات الأجنبية الموجهة: دراسة تحليلية مقارنة لموقعي BBC وDW الألمانية

حاتم سليم علاونة، قسم الصحافة والإعلام، جامعة اليرموك، إربـــد، الأردن.

عرين عمر الزعبي، باحثة، مجال الإعلام السياسي، الأردن.

ملخّص

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أهم الموضوعات التي تناولتها المواقع الإخبارية الناطقة باللغة العربية فيما يخص الشؤون العربية، والمصادر الإعلامية التي استندت إليها في هذه المعالجة، وسعت الدراسة إلى تعرّف طبيعة الأطر الإعلامية التي تناولتها المواقع المبحوثة في معالجتها للشؤون العربية، وتم الاعتماد على المنهج المسحي (الذي تم من خلاله استخدام أسلوب تحليل المضمون)، والمقارن لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف في معالجة كل من الموقعين، كما تم استخدام أسلوب العينة الطبقية لاختيار (3) أشهر من عام (2017) إذ بلغ عدد المواد الإعلامية المحللة (1200) مادة إخبارية. وتوصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أبرزها:

- جاءت وكالات الأنباء العالمية في مقدمة المصادر الصحفية التي اعتمدت عليها المواقع المتناولة بالتحليل في معالجتها للموضوعات المتعلقة بالشؤون العربية، بنسبة (51.4%)، أما مصادر المواقع الخاصة فقد احتلت المرتبة الثانية، بنسبة (26.3%).
- جاء التقرير الصحفي في مقدمة الأنماط الصحفية المستخدمة أثناء معالجة المواقع للموضوعات المتعلقة بالشؤون العربية، بنسبة (44.8%)، واحتل الخبر الصحفي المرتبة الثانية بنسبة (43.8%).
- تفوق إطار الصراع على بقية أنواع الأطر الإعلامية أثناء معالجة المواقع المتناولة بالتحليل للموضوعات المتعلقة بالشؤون العربية، فقد شكل ما نسبته (43.9%)، تلاه في المرتبة الثانية إطار المسؤولية بنسبة (41.6%).

الكلمات المفتاحية: المعالجة الإخبارية، الأطر الإعلامية، الشؤون العربية، المواقع الإلكترونية، القنوات الأجنبية الموجهة.

However, the results show the superiority of the German DW website, while it is ranked secondly in the BBC website.

6- The analyzed websites use the generic frame during their covering of Arab affairs, where it is ranked firstly on the overall total, but the BBC has outperformed ranking first in it, while second in the German DW website.

7- The websites be careful to present their news within the conflict frame, it ranked first in the total, but the BBC has outperformed were it ranked firstly, while it came second in the DW website.

Recommendations

Based on the findings of the study, the researcher recommends the following:

1- More Focus on the Palestinian issue by the international media. As the conflict and wars in the Arab countries and the Middle East are growing, the Palestinian issue is clearly absent from the media, especially the international media. The issue of the Israeli-Palestinian conflict is no longer as interesting as before.

2- Intense attention to the issue of sectarian conflicts, which have become widespread in a number of countries such as Lebanon, Iraq and Syria, and threaten the security and stability of other countries.

3-focuson the Arab sources in matters related to the Arab issue, since these issues are occurring in the Arab countries, so be careful to invitation the international media to follow Arab sources regarding these events.

4- More interest to the article, especially in matters related to crises, wars and conflicts, in order to highlight the views, attitudes and deep analyzes relevant to the topic.

5- To raise the framework of ethical principles and humanitarian concerns more in the issues related to crises, wars and conflicts in the Arab region, especially in some of the countries that suffered from the blockade and which resulted in moral and humanitarian tragedies, such as Syria, Iraq and Lebanon.

6- Conducting specialized studies in the international media speech that oriented by the Western countries to the Arab region, to know the trends of these countries of the issues raised in the Arab region.

As for the DW website, it was found that the responsibility frame came first and surpassed the rest of the frames with the highest frequency (325) and 44.5%. This means that the Deutsche Fillet website provided events and information within the responsibility context. This may be due to Germany's policy towards the Arab countries, especially the countries where there are conflicts and wars, such as Syria.

The second rank was the conflict frame by (36.7%), the third rank was occupied by humanitarian concerns by (10.7), The ethical principles frame came in fourth rank by (7.3%), And the economic and strategic frames have not achieve much attention from the analyzed sites, where only 1% for both of them.

The results of the previous table show that there were statistically significant differences in the category of media types, where the level of significance was (0.001), which indicates that there are differences in this category. For the DW channel site, because it is the highest frequency.

Conclusion

The most important results of the study are:

1- The BBC and DW website focused on conflicts and wars in Syria and the activities of terrorist organizations more than others in their covering of Arab issues.

The conflicts and wars in Syria ranked first in the German DW website, while it is ranked fourth in the BBC website, and the results show that the German website surpassed the BBC website in highlighting conflicts and wars in Syria and pay more concerns to them.

2- The BBC and DW websites were largely based on international news agencies in their covering of Arab issues. They ranked first in the total; the two websites are equal in their reliance on international news agencies, ranking first in each.

3-The report has been heavily used in the BBC and DW websites during its covering of Arab issues, followed by the news, which was used by well by analyzed websites compared to other press types. The results show DW website exceed to use report, Ranked first, while second in the BBC.

4- The use of the neutral coverage (objective) by the websites involved in the analysis. The results show the German DW website is superior to neutral coverage, and ranked third in the BBC website.

5-The results indicated the size of interest of the websites analyzed about Arab issues was average. The category (250-500 words) ranked firstly in the total.

7- Types of Frames of Arab Affairs Topics in the Online Coverage of Oriented Channels Websites.

Table (8): Types of frames by oriented websites.

Types of frames	BBC		DW		Total	
	F	%	F	%	F	%
Responsibility frame	195	41.5	304	41.6	499	**41.6**
Conflict frame	238	50.6	289	39.7	527	**43.9**
Strategy frame	0	0	2	0.3	2	**0.2**
Economic Results Frame	0	0	4	0.5	4	**0.3**
humanitarian interest frame	14	3	78	10.7	92	**7.7**
ethical principles frame	23	4.9	53	7.3	76	**6.3**
Total	470	100	730	1000	1200	**100**
(0.001) sig=.= (11.842) Chi^2						

Table 8 shows the types of frames used in the BBC and DW sites covering of Arab affairs. It is clear from data in the previous table that these frames were used in varying percentages between each site.

At the total level, Table 8 shows that the conflict frame superiority on types of frames list by 43.9.

The previous result is logical because the nature of the issues and topics analyzed, that political and security issues are the conflicts and crises and relations tense, which led to the conflict frame ranked first.Followed by the responsibility frame with(41.6%). The third place was occupied by humanitarian interest by (7.7%),Which was related to Syrian crisis and Syrian refugees crisis. Some stories dealt these issues within a humanitarian frame that highlights the suffering of the Syrian or Iraqi people in their crisis.

As for the ethical principles frame came in fourth place by 6.3%. The final rank was taken by the strategic frame by 1% only.

For each site, it was found that the conflict frame ranked first on the BBC website by 50.6%, which indicates that the BBC provided most of the information and news of Arab issues in the conflicts and wars context.

The second place was occupied by responsibility frame by 41.5%, and the ethical principles ranked third with (4.9%), and humanitarian interest by (3%).

words) in ranked second by (43.4%), and the last category came (more than 500 words) by (10.2%).

Regarding to the DW website the results show that the category (from 250 to 500 words) topped the first (49.7%), Followed by the category of (more than 500 words) (26.4%), while the last ranked category (less than 250 words) by (23.8).

The results indicated that there were statistically significant differences in the category of (size of interest), where the significance at (0.05), and the differences in the category (250-500 words) for the German DW channel site.

6- Nature of Frames of Arab Affairs Topics in the Online Coverage of Oriented Channels Websites.

Table (7): nature of frames by oriented websites.

Nature of frames	BBC		DW		Total	
	F	%	F	%	F	%
Specific frame	214	45.5	378	51.8	592	**49.3**
Generic frame	256	54.5	352	48.2	608	**50.7**
Total	470	100	730	100	1200	**100**
= (1.286).sig= Chi^2(0.257						

Table (7) shows the nature of the news coverage frameworks for Arab affairs used by the BBC and DW websites, which came in two forms, the specific frame and the generic frame, the oriented websites using these frames with varying degrees.

At the total level, the generic frame ranked first by (50.7%), followed by specific frame by (49.3%), this result indicates that the oriented website presented the events and issues of the Arab region in general and abstract context.

For each site, the results show that the generic frame ranked first on the BBC website by (54.5%), ranked second and final is the specific frame with (45.5%).

Regarding to the DW website note that the specific ranked first by (51.8%), and the generic frame ranked last by (48.2%).

The results confirm that there are no statistically significant differences in the nature of frames category. The statistical significance (0.277) and the chi square value = (1.286). This is not significant at 0.05.

For each site, the table data indicates that aggressive (offensive) coverage topped in the BBC website with a total of 159 times and 33.8%.Indicating that the BBC was not objective in its presentation the topics and events about Arab affairs, But provided information and news by a personal, wrong and misleading.

The biased coverage ranked second by 33.4%, and lastly was neutral coverage with 32.8%.

As regards to the DW website, the results show that the neutral coverage ranked first by 91.4%. Indicating that the German website was more objective in its presentation of the events in the Arab region and presented the truth in all its details to the audience, Followed by aggressive (offensive) coverage in ranked second by (6.7%), The latter rank was occupied by biased coverage (1.9%).

The results indicated that there were statistically significant differences in the types of coverage, where the statistical significance was (0.000), and the value of the s chi^2 = 34.991a, the differences in the neutral (objective) coverage in favor of the German DW channel site because it is the highest frequency.

5- Size of Interest of Arab Affairs Topics in the Online Coverage of Oriented Channels Websites.

Table (6): size of interest by oriented websites.

size of interest	BBC		DW		Total	
	F	%	F	%	F	%
Less than 250 words	218	46.4	174	23.8	392	**32.6**
From 250 - 500 words	204	43.4	363	49.7	567	**47.3**
More than 500 words	48	10.2	193	26.4	241	**20.1**
Total	470	100	730	100	1200	**100**
Chi^2 = (43.763).sig=((0.02						

Table (6) shows the size of interest in the BBC and DW websites about Arab region. The category of (250 words - 500 words) was ranked first by 47.3%.Which indicates the size interest of Arab affairs were average by the sites analyzed, the category (less than 250 words) ranked second by (32.6%), while the category (more than 500 words) took the last ranked by 20.1%.

The result is logical and harmonious with the findings of the study about the types of press, that report ranked first, and the news ranked second.

For each site, the results indicate that a category (less than 250 words) topped the BBC website by (46.4%),Followed by the category (from 250 to 500

The news ranked second with a total of (526), (43.8%). The article ranked third with a total of 112 times, which represented 9.3%. The interview came in the fourth ranked by (1.8%), And the Investigation ranked fifth (0.3%).

As for the press sources used in each website, the results of this study indicate that the news was ranked first on the BBC channel site with a total of (215) with (45.7%), followed by the report (41.9%), And the article ranked third with (10.4%), The other types came late mattresses in the list, none of it exceeded 2%.

In the DW websites, the report ranked first with (46.7%), followed by news in the second with (42.6%), while the article remained stable in ranked third by (8.6%), The other types came late mattresses in the list, none of it exceeded 5%.

Table (4) shows that there are statistically significant differences at (0.05) in the press types category, where the differences in the report category were it in favor of the DW site because it is has a highest frequency.

4- Types of Coverage of Arab Affairs Topics in the Online Coverage of Oriented Channels Websites.

Table (5) types of coverage by oriented websites

Types of coverage	BBC		DW		Total	
	F	%	F	%	F	%
Aggressive coverage (offensive)	159	33.8	49	6.7	208	**17.3**
Biased coverage	157	33.4	14	1.9	171	**14.3**
Neutral coverage (objective)	154	32.8	667	91.4	821	**68.4**
Total	470	100	730	100	1200	**100**
= (34.991a). SIG= Chi^2(000.0)						

Table (5) shows the types of coverage of oriented websites channels for Arab issues and events. The data in the previous table show that 3 types of coverage were used during their coverage of events with varying degrees.

The overall level neutral coverage (objective) ranked first with (68.4%), Which indicates that the sites analyzed away from the tendency and bias in the selection and presentation the news and information, and give an integrated picture of the balance about truth without distortion.

It Followed by aggressive (offensive) coverage with a total (208), by (17.3%), it may be due to different relations and attitudes between countries toward these issues, while the third ranked and final is a biased coverage with 14.3%.

The results also indicate that foreign newspapers occupied the fourth ranked with (1%). Arab newspapers and Arab news agencies did not achieve any frequencies.

As for the press sources used in each site, the results show that the international news agencies topped in the BBC website with a total of (189) and percentage (40.1%), then the self-sources ranked second with (34.5%), The sources of the site + agencies ranked third with (23.4%) while foreign newspapers ranked last (1.9%).

As for a DW website, the international news agencies remained top by 58.6%, Followed by self-sources in the second ranked (21%), then self-sources + agencies in the third ranked with (20%),Arab newspapers and Arab news agencies did not achieve any frequencies.

Table (3) shows that there are no statistically significant differences at the level of (0.05) in the sources category with chi^2 value = (2.667), and statistically significant at (0.102).

3- Press Types of Arab Affairs Topics in the Online Coverage of Oriented Channels Websites.

Table (4): Press types by oriented websites.

Press types	BBC		DW		Total	
	F	%	F	%	F	%
Report	197	41.9	341	46.7	538	**44.8**
News	215	45.7	311	42.6	526	**43.8**
Article	49	10.4	63	8.6	112	**9.3**
Interview	9	1.9	12	1.7	21	**1.8**
Investigation	0	0	3	0.4	3	**0.3**
Total	470	100	730	100	1200	**100**
= (36.465). SIG= Chi^2(0.05)						

Table (4) shows that websites used some press types more than other. They relied on the reports, news, article, investigation and interviews with varying degrees.

The report came at the forefront of these types, reaching (538) times (44.8%), and it can be explained that the oriented websites give the issues of the Arab region a great importance by presenting the details extensively, which is came as report form.

- The activities of terrorist organizations, its favor to DW website, because it is the highest frequency.
- The gulf affair, its favor to the BBC website, because it is the highest frequency.
- Sectarian and civil conflicts, its favor to DW website, because it is the highest frequency.
- The Syrian refugees' crisis, its favor to DW website, because it is the highest frequency.

2- The Sources of Arab Affairs Topics in the Online Coverage of Oriented Channels Websites.

Table (3): sources by oriented websites.

sources	**BBC**		**DW**		**Total**	
	F	**%**	**F**	**%**	**F**	**%**
International news agencies	189	40.2	428	58.6	617	**51.4**
Self-sources	162	34.5	153	21	315	**26.3**
Agencies +self-sources	110	23.4	146	20	256	**21.3**
Foreign newspapers	9	1.9	3	0.4	12	**1**
Arab newspapers	0	0	0	0	0	**0**
Arab News Agencies	0	0	0	0	0	**0**
Total	470	100	730	100	1200	**100**
= (2.667).sig= Chi^2(0.102)						

Table (3) shows that the analyzed websites relied on a number of sources while covering Arab issues, it relied on its sources (reporter, correspondents, writers of articles), international news agencies, and foreign newspapers. The results show that the websites depended from sources more than others uneven manner.

The international news agencies came in the forefront of these sources, with a total of (617) times, representing (51.4%).

which indicates The international news agencies played a great role in providing the media with information and important news about hot issues in the Arab region, So the adoption of the analyzed websites Significantly on these agencies.

As for self-sources, it ranked second with a total of (3159) times (26.3%), followed by self-sources + Agencies in third ranked with 21.3%.

The data in Table 2 shows the oriented websites presented during the Arab issues coverage 14 topics which addressed various aspects of security and political issues in the Arab region. It is noted that some of the topics achieved concern by the analyzed websites, while others achieved little concern.

The top topics were covering by the BBC and DW sites at the general total were: "Conflict and War in Syria" (12.4%), which indicates the Syrian crisis is ranked firstly in the international media agenda.

The activities of terrorist organizations ranked secondly (12.3%), because the activities of terrorist organizations expanded significantly in the Arab region and the Middle East region. They became the international public opinion regarding the actions carried out in different regions and countries, Followed by the Gulf affair with 12.2% in the third rank.

The fourth rank was occupied by the Syrian refugee crisis with 11.2%, followed by sectarian and civil conflicts by 11.3% Fifth place.It indicates the international media concerns the issue related to sectarian and civil conflicts that broke out in a number of countries such as Iraq, Syria, Lebanon, Yemen and others.

The topics: Yemen affair, the terrorist attacks in Jordan, the Sudan affair, Israeli-Palestinian conflict, Lebanon issue, the security and political situation in Egypt didn't achieve a high degree of importance so it ranked late,And none of them exceeded 5%.

For each site, The data in Table (2) indicates that the Gulf affair ranked first in the BBC website by 19.8%,Followed by the political conflict in Saudi Arabia ranked second with (17.4%), followed by sectarian conflicts (11.1%) in third place.

As for the activities of terrorist organizations, they ranked fourth (10.4%), followed by conflicts and wars in Syria 9.6%.

The "Iraqi issue" and "the crisis of the Syrian refugees" are ranked sixth, with 9.1% each.

Table (2) shows that there are statistically significant differences in the topics category because the statistical significance level is 0.000 and the value of chi square = (25.070). Thus, it is statistically significant at (0.05).

The differences in the following subcategories:

- Conflicts and wars in Syria, its favor to DW website, because it is the highest frequency.

Findings and Discussions

The results showed that the total of news stories that covering the Arab affairs in the BBC and DW websites in 2017 was 1200, there were 470 from BBC website and 730 DW website,It is noted that there is a clear and significant difference in the interest degree of oriented websites that analyzed about Arab issues, The German website is more interested in political and security Arab affairs, perhaps due to Germany's foreign policy toward the Arab region, and shows interest and assistance to the Arab countries, especially their great attention tothe Syrian crisis And the issue of Syrian refugees in particular.

-The Topics of Arab Affairs in the Online Coverage of Oriented Channels Websites.

Table (2): topics by oriented websites.

#	Topics	BBC		DW		Total	
1	The Israeli-Palestinian conflict	11	2.3%	7	1	18	**1.5**
2	Sectarian and civil conflicts	52	11.1%	83	11.4	135	**11.3**
3	Terrorist attacks in Jordan	7	1.5%	27	3.7	34	**2.8**
4	Conflicts in Libya	13	2.8%	82	11.2	95	**7.9**
5	Refugee crisis	43	9.1%	93	12.7	136	**11.3**
6	Conflicts and wars in Syria	45	9.6%	104	14.2	149	**12.4**
7	Iraq affairs	43	9.1%	81	11.1	124	**10.3**
8	Yemen affairs	11	2.3%	24	3.3	35	**2.9**
9	Activities of Terrorist Organizations	49	10.4%	99	13.6	148	**12.3**
10	Political conflict in Saudi Arabia	82	17.4%	46	6.3	128	**10.7**
11	Gulf affairs	93	19.8%	53	7.3	146	**12.2**
12	Lebanon affairs	13	%2.8	4	0.5	17	**1.4**
13	Sudan affairs	4	%0.9	17	2.3	21	**1.8**
14	The security and political situation in Egypt	3	%0.6	10	1.4	13	**1.1**
15	Others	1	%0.2	0	0	1	**0.08**
	Total	470	100%	730	100	1200	**100**
	=(25.070).sig = Chi^2(00.000)						

conflicts, In contrast Britain, which is similar in its policy with the United States' offensive policy.

- Time Frame of Study

The time frame of study was a year of 2017, by using the two-stage stratified sample method, the year (2017) was divided into three groups, each group containing (4) months, and the researchers chose one month from each group by lot method, as it show in table 1:

Table (1): size of sample.

Group	Sample	Sample size	
		BBC	DW
Group(1) Jan,Feb,mar,Apr	March	158	219
Group (2)May,Jun,Jul,Aug	July	214	276
Group(3)Sept,Oct,Nov,Dec	November	98	235
Total		470	730

We noticed from the previous table there were (1200) stories from (3) months selection from year of (2017) in BBC and DW websites, and there were (470) stories from BBC website, (730) stories from DW website.

Validity and Reliability

- Validity

The researchers presented the study tool to 3specialists arbitrators in academic affairs and they have expertise in the scientific research field, that would observations make the tool is applicable and measurement commensurate with the nature of the research.

- Reliability

To verify the reliability of the study, two colleagues from mass communication Faculty at Yarmouk University were assigned to re-analyze 10% of the study sample, applying Holsti equation wasachieved (87%), which is an acceptable percentage indicating that the study tool is applicable to the research objectives.

Data Analysis

By using SPSS program, the following statistical measures were applied:

- Percentage and Frequencies.
- Chi square test (Chi^2),to find statistical differences between the analyzed websites in the categories.

Research Questions

The study seeks to answer the following questions:

1- What are the topics of Arab affairs in the online coverage of oriented channels websites? And Are there any statistically significant differences in this category between the sites analyzed?

2- What are the sources of Arab affairs topics in the online coverage of oriented channels websites? And Are there any statistically significant differences in this category between the sites analyzed?

3- What are the types of stories of Arab affairs in the online coverage of oriented channels websites? And Are there any statistically significant differences in this category between the sites analyzed?

4- What are the types of coverage of Arab affairs in the online coverage of oriented channels websites? And Are there any statistically significant differences in this category between the sites analyzed?

5- What is the size of interest of Arab affairs topics in the online coverage of oriented channels websites? And Are there any statistically significant differences in this category between the sites analyzed?

6- What are the frames natures of Arab affairs topics in the online coverage of oriented channels websites? And Are there any statistically significant differences in this category between the sites analyzed?

7- What are the frames types of Arab affairs topics in the online coverage of oriented channels websites? And Are there any statistically significant differences in this category between the sites analyzed?

Methodology

This study used content analysis to examine BBC and DW covering of Arab affairs during 2017, Content analysis defined by (Holsti, 1969, p14) that "any technique for making inferences by objectively and systematically identifying specified characteristics of messages".

- Sample

The researchers chose BBC and DW websites as a representative of the news sites of the oriented channels by using the purposive sample. The researchers justify the reason for choosing these two sites because each website represents a different editorial policy, that German policy is more sympathetic and consistent with the events and issues of the Arab region. This was manifested by Germany's interest in the issue of the Syrian refugees and its great interest in providing much assistance to the Arab countries that witnessed

cognition studies, (is concerned with journalistic frames, that is, journalists' cognitions as criteria of news production. and how they are presented as media frames in news reporting. merely trace structures of coverage, that is, media frames.

(2) The public discourse or social movement approach has a macro focus. Here, studies examine which political actors can launch their frames in the media. Media, in this context, are seen as 'carriers' for the frames of others and media content serves as an indicator for the examination of discourse.

(3) The media effects approach. Studies examine how media framing influences schemata, attitudes, emotions and decisions of media recipients, that is, media users. Thus, this approach goes beyond the level of mere cognition.

To be able to identify framing in the news, (Entman, 1991) identifies five popular ways for framing news stories:

- **Conflict – conflict** between parties can be prioritized, as opposed to the actual decision made.
- **Human Interest/Personalization** – presenting a story with human face, personality is promoted over more important aspects.
- **Consequence** – consequences can be wide ranging. Pursuing a policy may be unwise in terms of unity within a party or coalition or in terms of the status of a nation globally.
- **Morality** – media coverage can often moralize, sometimes due to the indiscretions of political actors; or alternative, policies can be seen as morally questionable. E.g. Michael Moore's editorializing of the US Patriot Act, worldwide critique of US foreign policy all takes a moral tone
- **Responsibility** – attributing responsibility, either for a cause or a solution. In the wake of Asian Tsunami one frame was "global responsibility" for find solutions as well as blaming the lack of preparedness on the local governments.

Nature of Frames

a) Specific – For instance, reporting the Asian Tsunami was linked to consequences, how many further deaths there could be if aid was not received, and issues of responsibility.

b) Generic – For example, conflict and the game of politics as opposed to frames of values.

The researchers applied this theory by Customize two categories they are:

1. Frames nature.
2. Frames types.

coverage regarding all those involved in the conflict. By and large in a highly competitive media environment, our findings suggest that in reporting the US/Al Qaeda conflict Al-Jazeera websites did not provide different perspectives of the war to Arabic- and English-language online users.

8- Dimitrova & Connolly (2007) study. A tale of two wars: Framing analysis of online news sites in coalition countries and the Arab world during the Iraq war. This study used quantitative content analysis to explore the websites of prestige news media in the United States and the United Kingdom, as well as Egypt and Qatar, examining both the frames used by news media in their coverage of the conflict, as well as the voices heard—and unheard—throughout the coverage. The analysis showed that the "tale of war" was constructed differently by the different international media. Arab online news media were more likely to use the military conflict and violence of war frame, whereas Coalition media emphasized the rebuilding of Iraq frame. Differences in the tone of coverage and the use of sources across the four news media were also found.

Distinguishes this Study from Previous Studies.

The study was distinguished from previous studies as follows:

- The subjects of previous studies varied between the Palestinian-Israeli conflict, the Arab Spring and the Syrian crisis, but the current study focused on the subject of all Arab affairs.
- Also the present study is distinguished from all previous studies by selecting distinct analytical categories from other studies, such as the type of coverage and the nature of the framing.

Theoretical Framework

The theoretical framework of the study based on framing theory, which has experienced a rapid development since the mid-1960s, when it emerged in the field of sociology. Framing has become a multidisciplinary paradigm that allows the holistic study of media effects on individuals and audiences. Far from being exclusively located in the sender of information, framing is located in four elements of the communication process: the sender, the receiver, the (informative) message and culture (Ardèvol-Abreu, p423, 2015).

This classification allows for the specification of three branches of framing research as Scheufele mention, p403,2004):

(1) The communicator approach either concentrates on journalists' cognitions or on media coverage. A sub-field within this approach, which we will call

between the networks, and between two dimensions of network taxonomy—western and liberal commercial—in how Arab Spring news selection and content was visually framed. A systematic comparative analysis was conducted on visual coverage of the civil unrest in Tunisia, Algeria, Yemen, Egypt, Libya, and Syria. Three entire newscasts from each network airing between December, 2010 and June, 2011, were analyzed. The data from 1,951 shots reveal both similarities and differences in how the networks utilized the human interest and political frames in their Arab Spring coverage. Results revealed no difference in the application of the human interest frame between western and liberal networks. However, the comparison between the individual networks revealed that Alhurra invoked the political frame more often than Al Jazeera and BBC Arabic.

6- **Auter,Shamy, Mills And Elmasry study(2013). Al-Jazeera and Al-Arabiya framing of the Israel–Palestine conflict during war and calm periods.** This framing study compares Al-Jazeera and Al-Arabiya coverage of the Israel–Palestine conflict during the 2008/2009 Gaza conflict and one year later, during a period of calm. Findings suggest that both networks used framing mechanisms to highlight Palestinian perspectives over Israeli ones and frame Palestinians as victims of Israeli aggression. The networks regularly described Palestinian casualties and showed images of Palestinian grief, provided more voice to Palestinian sources, and personalized Palestinian deaths.

7- **Fahmy study (2011).Al-Jazeera vs. Al-Jazeera: A comparison of the network's English and Arabic online coverage of the US/Al Qaeda conflict.** In light of US criticism that Al-Jazeera network is biased in its coverage against the United States by aiding the terrorist cause and the fact that most of the accusations of bias continue to be based on the claim that Arab media such as Al-Jazeera Arabic include the language of terror organizations, while its English-language counterpart, Al-Jazeera English, is being cleansed by changes and omissions, this research sought to investigate whether these claims could be validated. Examining online coverage of the US/Al Qaeda conflict in the Arabic-language Al-Jazeera website, these claims were measured against online coverage of the conflict in the English-language Al-Jazeera website. By content analyzing prominence of news stories (frequency and placement), use of sources and tone of coverage, the research demonstrates a significant difference regarding the placement of news stories between the English- and Arabic-language Al-Jazeera websites, but no further differences were found. The overwhelming majority of attributed sources were from the United States and its allies. Furthermore, results revealed Al-Jazeera websites did not shy away from negative

due to the dramatic devastation wrought upon Gaza.Haaretz was found to be more evenhanded, likely due to its market of Israelis and Jews throughout the world. BBC Online and Haaretz both relied heavily on official (military and government sources), while The New York Times relied on experts. Measures of peace journalism were varied among the variables being analyzed.

3- **Alshathry** study (2015). **A comparative framing analysis of ISIL in the online coverage of CNN and Al-Jazeera.** This study is a content analysis of how CNN and Al-Jazeera framed ISIL in their online news coverage from June to October 2014. A total of 154 stories were analyzed in order to determine the differences in the news framing and sourcing of ISIL (also known as ISIS). The websites' original languages were used, respectively English (CNN) and Arabic (Al-Jazeera). The study found that CNN and Al-Jazeera relied heavily on episodic coverage. Also, the conflict frame dominated CNN coverage while Al-Jazeera used more responsibility and economic-consequences framing. Regarding sources, the study found that CNN cited more U.S. officials while Al-Jazeera relied more on other media.

4- Abdul-Nabi study.Based on the peace journalism model: Analysis of Al-Jazeera's coverage of Bahrain's uprising and Syria's chemical attack. This study seeks to analyze Al Jazeera coverage on the basis of the Peace Journalism Model (PJM). The study also aimed to determine whether the channel is used to promote the foreign policy of Qatar and the GCC countries during the Bahrain uprising and Al-Gouta attack. The study was based on the survey method. The sample of the study consisted of (10) news stories from the Al Jazeera Arabic website and (10) news stories from the Al Jazeera English website, from March 14, 2011 to March 31, 2011, The results showed that both channels (100%) reported that Al-Jazeera was used as propaganda. Claims and accusations from both sides were transmitted without an informal presentation, based on the analysis of military and chemical weapons experts.The results also showed that the coverage was framed within the framework of "Shiite Protesters". The results confirmed the convergence between the two sites (Al Jazeera Arabic) and (Al Jazeera English) interest in the subjects of the study.

5- Bruce study (2014).Framing Arab Spring Conflict: A Visual Analysis of Coverage on Five Transnational Arab News Channel. Which guided by framing theory, a quantitative content analysis was conducted on news programming from five transnational satellite news channels that broadcast to/from the Arab world—Al Jazeera, Al Jazeera English, Al Arabiya, Alhurra, and BBC Arabic. The project examined if differences exist

Secondly, this study sought to know the difference between the German policy and the British policy towards the issues of the Arab region and to determine the coverage nature of each.

Finally, the study is meant the frameworks of Arab security and political issues coverage, and to know which ones are most interested in the international media.

Literature Review

The researchers surveyed previous researches and studies which related to currently study, and they were able to mention the following studies:

1- **Cozma & Kozman study. (2018). The Syrian crisis in US and Lebanese newspapers: A cross-national analysis. International Communication Gazette.**this comparative content analysis explores how elite newspapers in the United States and Lebanon covered the international reaction to Syria's use of chemical weapons against its own citizens in August 2013. The analysis addresses the overlap between media and politics from a dual perspective: how news media in different countries frame international political crises and how the underlying political and media systems lead to similarities and variations. The comparison found that Lebanese newspapers dedicated four times as many stories to the crisis, but coverage in both countries relied heavily on officials and the conflict frame. When present, bias in Lebanese newspapers aligned with the partisan ownership of the news outlets, but their reportage was more thematic than U.S. coverage.

2- **Weisman study (2017). Just Coverage and the Path to Peace: Reporting Operation Protective Edge in Haaretz, BBC Online, and the New York Times**. The study pertains to media coverage of Israel/Palestine, with emphasis on The New York Times, Israeli publication Haaretz, and BBC Online coverage of the conflict in Gaza during the summer of 2014. The study delve quantitatively into the material which was studied, utilizing measures of bias, as well as indicators of peace journalism to accomplish the objective of thoroughly analyzing the 351 news stories sampled from the three publications at hand. The study was employed eleven variables; six pertaining to news bias and five operationalized indicators of peace journalism. Also the study was argued that peace journalism is a partial yet powerful remedy for biased coverage. Although it is considered to be a form of advocacy journalism, it can when translated onto the pages of conventional news outlets, shed objective light on even the direst and most intractable shades of conflict.The study found that The New York Times and BBC Online favored Palestinians in headlines and photographs, likely

The abundance and intensity of events in the Arab region was created a fierce competition between many foreign countries which seek to attract the attention and guidance of Arab public opinion according to its policy and in order to serve its objectives, Which led to establishment of satellite channels speaking in Arabic that Stretching from China eastward to the United States of America westward which's oriented to the Arab audience.

The political and economic importance of the Arab states has made a small country such as Denmark think of establishing an Arabic-speaking channel which broadcasts 24 hours a day many of the programs viewing options for the Arab viewer. These channels have contributed to breaking the monopoly of Arabic channels related Arab issues, International satellite channels have strengthened their presence and influence in public opinion through dialogue programs and the simulation of the broadcasts of Arab channels, especially the news (Sayed, 2013, p. 81).

Since the Arabic-speaking Western media have begun to carry out their activities and directing their messages, they contribute to Arab public opinion shaping according to what their owners want, the limits of Arabic media in many aspects help the western channel in their mission, which allows these channels to influence the Arab audience in one way or another.

And if the Arab media messages are over-exaggerating and falsifying the facts, It is matched by a professionally crafted message and quiet texts, and organized news details and analytical readings through advanced scientific techniques reaching the Arab audience via foreign air, making them attractive and thus become the recipient's attention (addaly, 2012, p. 1).

Purpose of Study

Political conflicts, security tensions, and civil and sectarian wars in the Arab region have attracted the attention of international public opinion, that's making it a rich material for their media, with large coverage and analysis for the Arab Affairs.

Accordingly, this is study seeks to examine how Arabic-speaking satellite channels news websites covered Arab issues, and the study also search to find out how different between the editorial policy of Britain and Germany about the Arab affairs through their media.

Importance of the Study

The study is important for several reasons, firstly the lack of local and Arabic studies in the media library that dealt the German DW channel news site, the Arab library lacks to some extent the studies of the German news websites.

Coverage Framing of Arab Affairs in Oriented Channels Websites in Arabic: Comparative Analytical Study of Bbc And Dw News Websites

Hatem S. Alawneh[*] and **Areen O. Al-Zou'bi**[**]

Date of Submission: Jan. 29, 2019 **Date of Acceptance:** June 16, 2019

Abstract

The aim of this study is to find out the most important topics covered by the Arabic-language news websites about Arab affairs, and the media sources that these websites rely on for its news and coverage. The study attempts to identify the nature of media framing that the websites use when dealing with Arab affairs. The survey method was used and the study also used the comparative analysis method to identify similarities and differences in the coverage. Three months were selected from year of (2017) as a sample. The number of news stories analyzed was (1200) news stories. The study reached a number of results, most notably:

-International news agencies came in the forefront of the press sources with (51.4%) followed by private sources (26.3%).

-The press report came in the first rank of the press patterns which was used in coverage of Arab Affairs (44.8%) followed by news (43.8%).

- Conflict frame was superior to the other frame types with (43.9%), followed by the responsibility frame (41.6%).

Keywords: News coverage, Media Frames, Arab Affairs, websites, oriented channels.

Introduction

Over the last five years Arab region has suffered from many crises, conflicts and disturbances. It has also been a copious of wars, armed conflict and the increasing suffering of peoples, Whether in the Arab region, such as Syria, Iraq, Yemen, Palestine and elsewhere, or at the regional level, such as the conflicts between Iran and Turkey or Iran and Saudi Arabia. This is made Arab region is full of events and unique daily news.

© **Copyright 2019 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved**

* Journalism Department,Yarmouk University, Irbid, Jordan.

** PhD Researcher, political media field, Jordan.

Zheng, Bijian, China's "Peaceful Rise" to Great Power-Status, *Foreign Affairs*, 84(5),2005.

Zheng, Yongnian.&Tok, Sow Keat, "Harmonious Society" and "Harmonious World: Chinas Policy Discourse under Hu Jintao. *China Policy Institute. Briefing Series* (26). 2007. Retrieved from: https://nottingham.ac.uk/cpi/documents/briefings/briefing-26-harmonious-society-and-harmonious-world.pdf

Korolev, Alexander, "The Strategic Alignment between Russia and China: Myths and Reality", *Singapore: Lee Kuan Yew School of Public Policy* Research, working Paper No. 15-19, 2015. Retrieved from: http://scholarbank.nus.edu.sg/bitstream/handle/10635/119412/2015-strategic_alignment_Russia_China-unpublished.pdf?sequence=2

Lawrence, A.. *China's Foreign Relations Since 1949*, PKP, London, 1975.

Lin Piao, Speech on the IX PCC, 1969. In H. Hinton (Ed.), *Government and politics in revolutionary China: selected documents (1949-1979),* Scholarly Resources, Wilmington,1982.

Mao Zedong, "There Are Two Intermediate Zones", September, 1963, *History and Public Policy. Program Digital Archive*, Translation from the Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China and the Party Literature Research Center, eds., Mao Zedong on Diplomacy (Beijing: Foreign Languages Press, 1998.

Medeiros, Evan S., *China's International Behavior: Activism, Opportunism, Diversification*, Rand Cooperation. 2009.

Opitz, Peter J., *Chinas Aussenpolitik: Ideologische Prinzipien-strategische Konzepte,* Edition Interfrom AG.Zürich, 1977.

Opitz, Peter, J., China und Westeuropa zwischen 1945 und 2000: Phasen einer Annähung. In S. Luther,& P. Opitz, (Ed.). *China Rolle in der Weltpolitik*,. München, 2000,.

Qimao, Chen, New Approaches in China's Foreign Policy: The Post –Cold War Era,". *Asian Survey*, 18(3), 1993.

Roy, Denny, *China's Foreign Policy*, Macmillan Press, London, 1998.

The Shanghai Communiqué 27 February 1972 In H. Hinton (Ed.), *Government and politics in revolutionary China: selected documents,* Scholarly Resources (1949-1979), 1982, Wilmington.

Weggel,Oskar,. Von Unruhestifter zur Ordnungsmacht-China in der UNO. In S. Luther,& P. Opitz, (Ed.). *China Rolle in der Weltpolitik*, München, 2000.

Yahuda, Michael B.). *Toward the end of the isolation: China's foreign policy after Mao,* Macmillan, London, 1983.

Yue, Jianyong, Peaceful Rise of China: Myth or Reality? *International Politics*, 2008, 45. Retriefed from: https://myweb.rollins.edu/tlairson/china/chirisepeace.pdf

33. Keyuan, Zou, Building a 'Harmonious World': A Mission Impossible. *The Copenhagen Journal of Asian Studies*. 30(2), 2012, p.74-99.
34. Medeiros, Evan S., Ibid.
35. Keyuan, Zou, Ibid.

Referances

Deng, Xiaoping, Speech at the General Assembly 1974. In H. Hinton (Ed.), *Government and politics in revolutionary China: selected documents (1949-1979),* Scholarly Resources, Wilmington, 1982.

Fabritzek, Uwe G., Die Außenpolitische Praxis gegenüber Ost-und West-Europa. In: M. Luise Näht&E. Groeling (Ed.). *Die Außenpolitik China,. Oldenbourg*, Verlag, München. 1975.

Glaser, Bonnie S., China's Security Perceptions: Interests and Ambitions. *Asian Survey*, 18(3), 1993.

Graver, John W., *Foreign Policy of the People's Republic of China*, Prentice Hall, NJ, 1993.

Graver, John W., Peking's Soviet and American Policies: Toward Equidistance. In D. Chou. *Peking's Foreign Policy in the 1980s*, Institute of International Relations, 1989.

Hinton, Harold C., *Communist China in World Politics*, Houghton Mifflin, Boston, 1966.

Hu, Jintao, Build towards a Harmonious World of Lasting Peace and Common Prosperity, New York: *Speech at the Plenary Meeting of the United Nations' 60th Session*, September 15. 2005, Retrieved from: http://www.un.org/webcast/summit2005/statements15/china050915eng.pdf

Jein, Do, The *Making* of a *Cold War Turning Point*.: The *Sino-Soviet Split* and the *Prelude* to *Detente* with the *United States*, *1965-1968. The Korean Journal of International Studies*. 12(1), 2014. Retrieved from: file:///C:/Users/VAIO/Downloads/kjis012-01-01.pdf

Jing-Yun Hsu. and Jenn-Jaw Soong, "Development of China-Russia Relations (1949-2011) Limits, Opportunities, and Economic Ties". *Chinese economy*, 47(3), 2014. Retrieved from: http://www.ncku.edu.tw/~cseas/

Keyuan, Zou, Building a 'Harmonious World': A Mission Impossible. *The Copenhagen Journal of Asian Studies*. 30(2), 2012.

18. Jein, Do, The *Making* of a *Cold War Turning Point*.: The *Sino-Soviet Split* and the *Prelude* to *Detente* with the *United States*, *1965-1968. The Korean Journal of International Studies*. 12(1), 2014, pp.113-136. Retrieved from: file:///C:/Users/VAIO/Downloads/kjis012-01-01.pdf
19. Weggel,Oskar,. Von Unruhestifter zur Ordnungsmacht-China in der UNO. In S. Luther,& P. Opitz, (Ed.). *China Rolle in der Weltpolitik*, München, 2000, pp. 133-135.
20. Weggel,Oskar, Ibid.
21. Deng, Xiaoping, Speech at the General Assembly 1974. In H. Hinton (Ed.), *Government and politics in revolutionary China: selected documents (1949-1979),* Scholarly Resources, Wilmington, 1982, pp. 346-350.
22. Deng, Xiaoping, Ibid.
23. Garver, John W., Peking's Soviet and American Policies: Toward Equidistance. In D. Chou. *Peking's Foreign Policy in the 1980s*, Institute of International Relations, 1989, pp. 116-140.
24. Garver, John W., Ibid.
25. Qimao, Chen, New Approaches in China's Foreign Policy: The Post –Cold War Era,". *Asian Survey*, 18(3), 1993, pp. 237-251.
26. Glaser, Bonnie S., China's Security Perceptions: Interests and Ambitions. *Asian Survey*, 18(3), 1993, pp. 252-271.
27. Korolev, Alexander, "The Strategic Alignment between Russia and China: Myths and Reality", *Singapore: Lee Kuan Yew School of Public Policy* Research, working Paper No. 15-19, 2015. Retrieved from:
http://scholarbank.nus.edu.sg/bitstream/handle/10635/119412/2015-strategic_alignment_Russia_China-unpublished.pdf?sequence=2
28. Zheng, Bijian, China's "Peaceful Rise" to Great Power-Status, *Foreign Affairs*, 84(5), 2005, pp.18-24.
29. Qimao, Chen, Ibid.
30. Yue, Jianyong, Peaceful Rise of China: Myth or Reality? *International Politics*, 2008, 45, 439–456. Retriefed from:
https://myweb.rollins.edu/tlairson/china/chirisepeace.pdf
31. Hu, Jintao, Build towards a Harmonious World of Lasting Peace and Common Prosperity, New York: *Speech at the Plenary Meeting of the United Nations' 60th Session*, September 15. 2005, Retrieved from: http://www.un.org/webcast/summit2005/statements15/china050915eng.pdf
32. Zheng, Yongnian.&Tok, Sow Keat, "Harmonious Society" and "Harmonious World: Chinas Policy Discourse under Hu Jintao. *China Policy Institute. Briefing Series* (26). 2007. Retrieved from:
https://nottingham.ac.uk/cpi/documents/briefings/briefing-26-harmonious-society-and-harmonious-world.pdf

Notes

1. Opitz, Peter J: Gezeitenwechsel: *Die Sino-Sowjetischen Beziehungen in historischen Perspektive*, Bundesinstitut für ostwissenschaftliche und internationale Studien, Köln, 1990, p.
2. Medeiros, Evan S., *China's International Behavior: Activism, Opportunism, Diversification*, Rand Cooperation. 2009, pp. 193-195.
3. Opitz, Peter J., *Chinas Aussenpolitik: Ideologische Prinzipien-strategische Konzepte,* Edition Interfrom AG.Zürich, 1977, pp. 49-50.
4. Roy, Denny, *China's Foreign Policy*, Macmillan Press, London, 1998, p.14
5. Jing-Yun Hsu., and Jenn-Jaw Soong, "Development of China-Russia Relations (1949-2011) Limits, Opportunities, and Economic Ties". *Chinese economy*, 47(3), 2014, pp.70-87. Retrieved from: http://www.ncku.edu.tw/~cseas/
6. Mao Zedong, "There Are Two Intermediate Zones", September, 1963, *History and Public Policy. Program Digital Archive*, Translation from the Ministry of Foreign Affairs of the People's Republic of China and the Party Literature Research Center, eds., Mao Zedong on Diplomacy (Beijing: Foreign Languages Press, 1998, p. 387-389.
7. Lawrence, A.. *China's Foreign Relations Since 1949*, PKP, London, 1975, p.167.
8. Hinton, Harold C., *Communist China in World Politics*, Houghton Mifflin, Boston, 1966, pp.209-215.
9. Fabritzek, Uwe G., Die Außenpolitische Praxis gegenüber Ost-und West-Europa. In: M. Luise Näht&E. Groeling (Ed.). *Die Außenpolitik China,. Oldenbourg*, Verlag, München. 1975, p. 276-277.
10. Fabritzek, Uwe G., Ibid.
11. Jing-Yun Hsu., and Jenn-Jaw Soong., Ibid.
12. Graver, John W., *Foreign Policy of the People's Republic of China*, Prentice Hall, NJ, 1993, p 305.
13. Jing-Yun Hsu., and Jenn-Jaw Soong., Ibid.
14. Lin Piao, Speech on the IX PCC, 1969. In H. Hinton (Ed.), *Government and politics in revolutionary China: selected documents (1949-1979),* Scholarly Resources, Wilmington,1982, pp. 274-284.
15. Yahuda, Michael B.). *Toward the end of the isolation: China's foreign policy after Mao,* Macmillan, London, 1983, p.38.
16. Opitz, Peter, J., China und Westeuropa zwischen 1945 und 2000: Phasen einer Annähung. In S. Luther,& P. Opitz, (Ed.). *China Rolle in der Weltpolitik*,. München, 2000, pp. 7-31.
17. The Shanghai Communiqué 27 February 1972 In H. Hinton (Ed.), *Government and politics in revolutionary China: selected documents,* Scholarly Resources (1949-1979), 1982, Wilmington, pp. 342-344.

- China pursues a more multilateral peaceful foreign policy that includes intensifying its presence in international organizations at both the regional and the global level.

الهيمنة الدولية في المنظور الصيني العالمي: من "عالم متناقض إلى عالم متناغم"

خير سالم ذيابات، قسم العلوم السياسية، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

ملخّص

تبحث هذه الدراسة في المنظور الصيني العالمي تجاه ظاهرة الهيمنة الدولية منذ قيام الصين في عام 1949 وحتى نهاية عام 2018، وتهدف الدراسة إلى الكشف عن محاولات الصين في معارضة هذه الهيمنة من خلال محاولة تشكيل "جبهة متحدة" مع بقية دول العالم من غير القوتين العظميين في فترة الحرب الباردة ضد هيمنة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. كما تهدف الدراسة إلى توضيح الأسباب الرئيسية التي دعت الصين لأن تتخلى عن هذه الإستراتيجية لصالح الدعوة إلى بناء "عالم متناغم" منذ عام 2005. وقد استندت الدراسة إلى فرضية مفادها "وجود علاقة ارتباطية بين استفادة الصين من هيمنة النظام الاقتصادي العالمي الحالي وبين دعوتها لتشكيل "عالم متناغم" تديره القوى الدولية بما فيها الصين نفسها". وجاءت الدراسة في أربعة أقسام: الأول بحث موقف الصين تجاه الهيمنة الأمريكية في خمسينيات القرن الماضي، والثاني بين نظرة الصين حول "المنطقة الوسطى" لتشكيل جبهة موحدة ضد هيمنة القوتين العظميين خلال مرحلة الستينيات من القرن نفسه، بينما كشف القسم الثالث عن محاولة الصين إنشاء هذه الجبهة الموحدة عن طريق نظرية "العوالم الثلاثة" الصينية التي سادت النظرة الصينية إلى العالم منذ السبعينيات وحتى نهاية الحرب الباردة. أما القسم الرابع، فبين التحول في الموقف الصيني تجاه الهيمنة الدولية منذ انتهاء الحرب الباردة بعد أن بدأت الصين تتخلى عن فكرة التحريض التقليدي ضد هيمنة القوى الدولية وبداية الدعوة إلى تشكيل "عالم متناغم" تشارك الصين في إدارته. وقد قام الباحث باستخدام كلّ من المنهج التاريخي والوصفي المقارن لتوضيح جوانب هذه الدراسة. وخلصت الدراسة إلى عدة استنتاجات أهمها أن الصين فشلت في مقاومة الهيمنة الدولية خلال الحرب الباردة، وأن تحسن موقع الصين في النظام الاقتصادي العالمي كقوة اقتصادية وسياسية بعد نهاية الحرب الباردة جعل بكين تبحث عن توسيع شبكة علاقاتها السلمية مع القوى الدولية والإقليمية كافة في محاولة لتشكيل "عالم متناغم" يخدم نجاحاتها الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: الصين، الهيمنة الدولية، "المنطقة الوسطى"، نظرية "العوالم الثلاثة"، "العالم المتناغم".

secured, and the idea of the "China threat" or "China hegemony" could be countered[35].

Figure 5: The Harmonious World in PRC's Perspective since 2005
Source: By the researcher

Conclusion

Although China had been one of the challengers of the international hegemony practiced by the two superpowers during the Cold War era, the new international changes after the end of the Cold War namely its international economic successes play an important role by giving up this course in favor of building a "harmonious world". Under this assumption, the study concluded that:

- China had failed by opposing international hegemony during the era of the Cold War. It tried to create a united front (once by the "Intermediate Zone" and another by "Three Words"strategy) with countries belong to the Second World (European and Japan) and Third World against the superpowers, but it failed to compensate the importance of the United States and the Soviet Union for these countries.
- Considering its assimilation in globalization process, its deeply relations with all round international community members, global and regional powers, markets, and institutions, China has given up opposing traditional international hegemony (provocation other countries against other powers).
- China is trying to prove to the rest of world (especially the Western countries) that it is no longer a revolutionary state that challenges international system, but is a responsible member of international community. The PRC has demonstrated this by calling for a "harmonious World".

This peaceful orientation was assured another time in September 2005 as President Hu Jintao called at the summit for the 60th anniversary of the founding of the United Nations for a "harmonious World" which could exists through[31]:

1. Upholding multipolarity to realize common security and peace for all countries on the basis that all countries should corporate in preventing wars and conflicts and safeguarding world security under the shadow of the United Nations.
2. Promoting mutually beneficial cooperation to achieve common prosperity and development of all countries.
3. Supporting the spirit of inclusiveness to build a harmonious world together by enhancing inter-civilization dialogue and exchanges, allowing cultures to complement one another through competition and comparison, and to develop together by seeking common ground while putting aside differences.
4. Encouraging UN reform actively to maintain the authority of the United Nations, improve its efficacy and give a better scope to its role so that it will be better empowered to take on new threats and new challenges.

This call could be interpreted that Chinas international behaviour is no more antagonistic with other powers like United States, Russia and the EU[32]. In this respect, China has to promote and develop the international system so as to build the idealistic "harmonious world" it advocates. In the same time, China's contributions are necessary and will benefit both the world community and its continuing rise[33].

Furthermore, China’s future is inextricably and increasingly linked to the international community, in particular that China’s current economic growth combined with the acceleration of globalization, deeply connected with the international community and depends on close and continuing interaction with global and regional powers, markets, and institutions. China is completely aware that a series of simple and serious mistakes could easily dent and destroy its achievements[34].

In addition to that, the promotion of a "harmonious world" serves China's peaceful development aims. This can be touched through the 12th Five-Year Plan (2011-2015) period, in which China's foreign policy targets the following six areas: development, big power relations, promotion of neighbourly cooperation and mutual trust, consolidation and cooperation of developing countries, reform of the international system, and ideational mechanism improvement. By theseall round diplomatic orientations, a "harmonious world" could be created, during which the growing global influence of China would be

win PRC's huge markets. For this reason, a strategic partnership between the PRC would be an important component in the United States' strategy in Asia to strengthen the United States' position in this competition as well as to counter any expansionist ambitions in the region, in particular the Japanese and Russian ambitions. At the same time, Japan would pay a special attention to the PRC, if Japan tries to play a greater global and regional role by establishing an economic bloc in East Asia[26].

In the light of these circumstances, China's perceptions and objectives after the end of the Cold War have driven a foreign policy that has, for the most part, accommodated U.S. power, focused on the gradual development of China's economic power and its military capabilities, and sought to minimize external threats[27]. On this basis, the PRC has tried to manage its relations with these powers under the main purpose of the PRC's independent foreign policy, and to maintain a stable and peaceful international environment, especially in East Asia region[28].

To reach this target, the PRC began at the beginning of the second millennium, to follow a new approach toward the great powers, whose components depends on[29]:

- Reviving its strategic relations with Russia against any possible Western threat,
- Avoiding possible confrontation and tensions with global and regional powers,
- Maintaining positive ties with the Western countries particularly with the United States - regardless of some crises in the relations between the two parties like Taiwan crisis 1996 and Yugoslavia 1999
- Building good ties with neighbouring and Third World countries especially that China still needs a peaceful international environment for its economic success.

Under these circumstances, the PRC began to promote the concept of "Peaceful Rise" in attempt to refute the realistic Western suspicions that China will most likely challenge the international system through its industrial economic power and its expansion in armaments, as well as to convince other powers that China is the beneficiary of the economic globalization and international system, and therefore to maintain a cooperative relations with Western countries and safeguard the stability of the international system is a vital interest to development of the Chinese economy[30].

Therefore, avoiding alliance or strategic relationship with the Soviet Union or the United States and opposing their hegemony offered a good opportunity for the PRC to manoeuvre and to search for a pivot-position in the strategic triangle relationship with both superpowers(24). At the same time, strengthening cooperation on economic, trade, science, and technology issues with them and with other countries was also one of the important elements in achieving this pivotal position. Under this course, the PRC intensified its openness and contacts with Second and Third World countries.

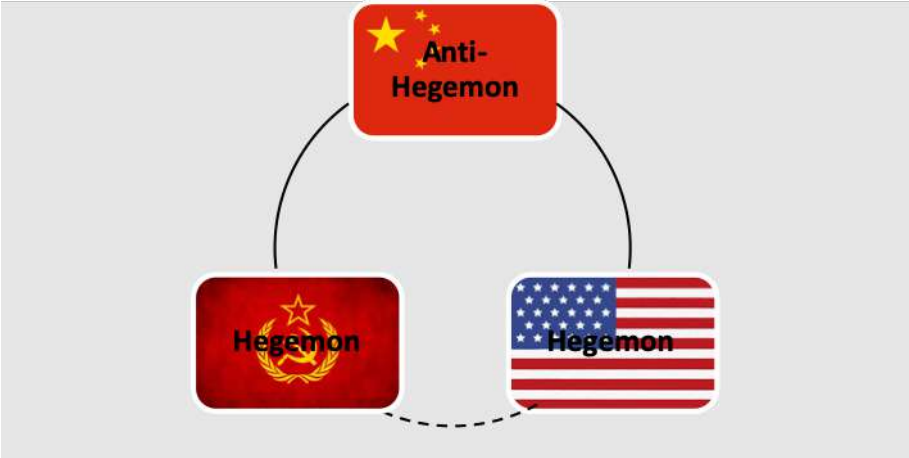

Figure4: The Condiractory World in PRCs Perspective during the 1980s.
Source: By the researcher.

4. Accommodating Hegemony and calling for a"Harmonious World" 1990-2018

In light of the end of the Cold War and the disintegration of theSoviet Union, the PRC´s foreign policy was forced to rearrange its international agenda to face any possible challenge that would emerge in the light of collapse. In other words, the Soviet disintegration reduced the PRC's position in the Sino-Soviet-American strategic triangle, decreased the PRC's strategic manoeuvrable capability and the contributed in emerging of the United States as the lonely hegemon superpower. Therefore, various arguments tried to predict the PRC's foreign policy in the post-Cold War era: Some of them believed that the PRC could no longer exploit the contradiction between the Soviet Union and the United States to have more attention to the PRC's position as the Western industrial countries did in the Cold War era and the PRC would be the next United States' victim in the East-West conflict(25). Others urged that the PRC would benefit from the growing competition and contradiction among the major economic powers: The United States, Japan, and Western Europe, which try to

hegemony of the Soviet Union and the United States. But in the late 1970s, the Chinese clearly tried to entice the United States in this "united front" to isolate the Soviet Union. For this reason, the PRC began to improve its relations with all countries that could contribute in the formation of this new" united front": The Third World countries, the Socialist countries, and the second World countries which consist of Japan and Western Europe[22].

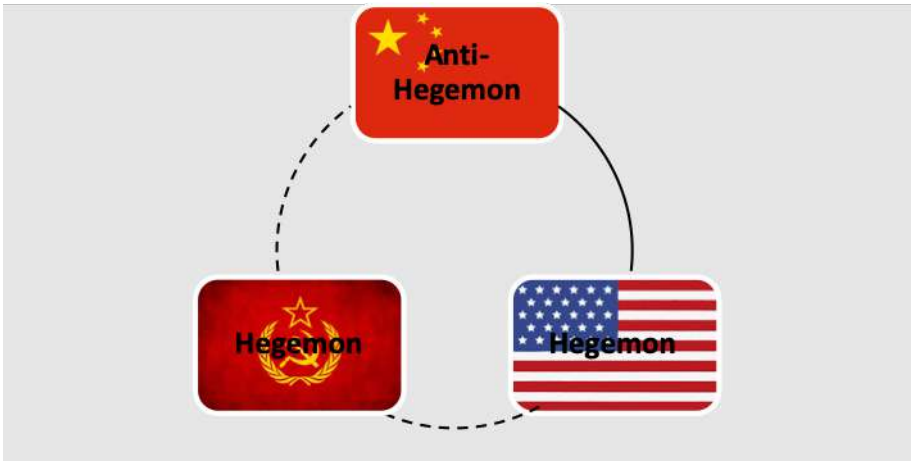

Figure3: The Condiractory World in PRCs Perspective during the 1970s
Source: By the researcher

With the announcement of its independent foreign policy in 1982, the PRC tried to create more favourable position for itself in the Sino-Soviet-American strategic triangle. To achieve this goal, the PRC began to move toward a more balanced relationship with superpowers. For this reason, the PRC continued to cooperate with the United States while simultaneously normalizing Sino-Soviet relations, which were careful and limited without alarming and alienating the United States[23]. Through this adjustment in the Chinese foreign policy, the PRC sought to achieve the following advantages:

- Improving the PRC's position in the strategic triangle with the superpowers.
- Creating a peaceful environment that would guarantee stability around the Chinese periphery and enable the PRC to make considerable cuts in military expenditure.
- Improving the PRC's economic situation as a result of the economic opening, this would include economic and trade contacts with the Soviet Union and the East European countries in addition to the Western countries.
- Reducing superpower hegemony and enhancing the opportunity to create an international multipolar system.

3. Anti-Hegemony through "Three Worlds Strategy" 1971-1990

The PRC's entrance into the United Nations influenced the PRC to change its position regarding the UN. Initially it regarded it as an American imperialist instrument during the previous two decades, the United Nations became a suitable forum for the PRC, where they could articulate and implement their strategy through the following(20):

1. The United Nations gave the PRC an opportunity to expand its relations with other countries, which meant the end of its international isolation. This was of course at the expense of its rival regime on Taiwan.
2. The United Nations opened the door to the PRC to increase its political influence through its veto right in the Security Council. This helped the PRC improve its international position toward superpowers, in particular, the Soviet Union.
3. Through its position in the United Nations, PRC regarded itself as the spokesman for Third World demands against superpowers hegemony.

Under these circumstances, the PRC began to improve its relations with other countries hoping that it could expand its influence to mobilize their efforts to counter the superpower hegemony in general and the Soviet threat, in particular. The Chinese strategy was characterized in accordance with the "Three Worlds" strategy that proclaimed by Deng Xiaopeng at the 6th Special Session of the UN General Assembly in April 1974. In accordance with this strategy, the Chinese divided the world for three parts(21):

1. The First World included the United States and the Soviet Union.
2. The Second World consisted of the remaining developed countries such as West Europe and Japan.
3. The Third World included the developing countries in Asia, Africa, Latin America, and other regions.

In accordance with this strategy, the PRC regarded the superpowers as international exploiters and oppressors. They were the source of world war. They sought to exploit their nuclear capability as an instrument to bring the remainder of the world under their control through subversion, interference, aggression, and economic exploitation. The countries of the Second and the Third Worlds were controlled, threatened, and suffered from colonialist and imperialist oppression and exploitation. In the meantime, these countries strove to oppose the superpower hegemony and sought to free themselves from the First World enslavement. Therefore, the PRC attempted to exploit this contradiction between the superpowers and the rest of the world, calling upon the Third World and the Second World to establish a united front to oppose the

United States. On the contrary, a careful rapprochement with the United States would be the best alternative to the PRC and would present different advantages[16]:

1. A strategically protection against the external threats.
2. Breaking off the PRC's international isolation by assisting the PRC's entry into the United Nations.
3. Economic assistance from the Western industrial countries.
4. Improving the PRC's position towards Taiwan.

This was followed by the American table tennis team's visit in April 1971, which opened the door for more positive measures such as: the abolishing the United States' embargo on direct trade with the PRC, followed by Kissinger's visit to China in July 1971, in which it was confirmed that President Nixon had accepted the Chinese invitation to visit the PRC Finally, came the Nixon's historical visit during the period 21-28 February 1972. At the end of this visit, the two sides agreed to a joint declaration "Shanghai Communiqué", which called for promoting efforts toward the normalization of relations between the two sides[17]. According to this redefinition of China's international policy after 1969, the PRC resumed returning its ambassadors to their posts in 1969 and actively sought establishment of official relations with almost all other states[18].

Because of the PRC's new ties with other states, many countries in the United Nations openly sought to admit the PRC to the United Nations[19]. Thereby, and after 22 years of international isolation, the PRC could take its place in the United Nations as a permanent member in the Security Council.

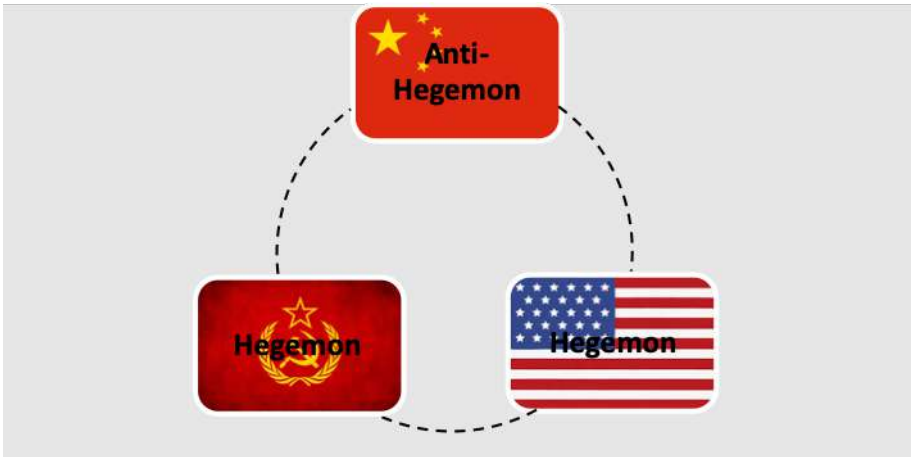

Figure2: The Condiractory World in PRCs Perspective during the 1960s.
Source: By the researcher.

the PRC, the new treaty contained a secret protocol providing for the stationing of Soviet troops in Mongolia. A few months later, many Soviet forces were deployed into forward positions in Mongolia and along the Chinese border. By the end of 1967, the number of the Soviet troops increased and totalled between 250,000 and 350,000[(12)]. Thereafter, the Soviet intervention in Czechoslovakia in August 1968 heightened the Chinese fear of the Soviet threat, and proved the readiness of the Soviet Union to suppress any dissenting ally by force. This could have meant that the PRC might be the next Soviet victim. These increasing fears became real with armed clashes between both sides in March 1969[(13)].

These developments promoted the PRC to add the Soviet Union on its list of majors' enemies, which must be confronted. The IX Chinese National Congress expressed this position in April 1969 as Lin Piao (Vice Chairman of the Communist Party of China 1969-1971) declared that there were at that time four main contradictions in the world[(14)]:

1. The contradiction between the oppressed nations on one hand, and imperialism and social-imperialism on the other.
2. The contradiction between the proletariat and the bourgeoisie in the capitalist and revisionist countries.
3. The contradiction between imperialist and social-imperialist countries and among the imperialist countries.
4. The contradiction between socialist countries on one hand and imperialism and social-imperialism on the other.

Therefore, the PRC regarded Soviet control over East European countries and the People's Republic of Mongolia, in addition to its troop's presence along the Chinese border as the most dangerous threat against China and other countries, and all countries and people should oppose this "new Soviet imperialist revisionism" as the PRC. In the meantime, the United States indicated a willingness to begin peace talks with North Vietnam and was looking for a way to withdraw its forces from the Indochina war to meet the increasing Soviet challenge in Europe and the Middle East[(15)].

On the other side, Chou En-lai (the first prime minister of the PRC 1949-1976) encouraged opening relations with the West and a cautious approach to the United States. He was aware that any confrontation with both superpowers would cost them too much, since the PRC was not strong enough to oppose the Soviet Union and the United States at the same time. Moreover, the possibility of uniting with the "intermediate zone" countries was also difficult considering their ties with the Superpowers. A relaxing of relations with the Soviet Union was not considered acceptable for the PRC although it would protect it from the

American hegemony. The Chinese believed that an improvement of relations with the Japanese would contribute to building this desired "united front" with the "Intermediate Zone" countries. Strong Sino-Japanese relations would strengthen this front against the United States and the Soviet Union(7). Furthermore, relations with Japan, which developed into an economic power, would hopefully enable the PRC to obtain improved Japanese technology. Meanwhile, the Sino-Soviet conflict and French recognition of the PRC in 1964 led Japan open relations with China. This trend intersected with the orientation of the new Japanese government which sought to open economic ties with all nations regardless of their political systems. This increased trade between the two sides(8). Moreover, PRC interest in the West European countries began to grow, especially after the failure of the “Great Leap Forward” in 1958 at the time that Sino-Soviet relations began to deteriorate. Thus, in 1958, the PRC established a commercial council with Western Germany in addition to that already established with Britain in 1955(9). The PRC also tried to end its isolation that made by the superpowers through applying this strategy, in which Western Europe play an important role by its unification with The Third World- as the strategy- to free of the superpower hegemony, which seeks to seize the “Intermediate Zone” and bring its countries under their control. With this strategy, the PRC sought to weaken both centres of polarity and to improve its position in the international system. It sought also to enhance the contradictions within the Western camp and create antagonism among the Western allies, which would weaken United States influence in the world. On the other hand, this strategy could increase Western European fears of a Soviet threat and could create an alliance relationship between the PRC and Western European countries. This would greater possibility of obtaining European loans and technological aid. This Chinese hope grew, particularly with the French recognition of the PRC in Jan 1964. But then with the outbreak of the Cultural Revolution 1966-1968 and China’s support of the Vietnamese struggle 1965 bilateral relations with Western European countries deteriorated(10).

Under these circumstances, the PRC’s foreign policy during the 1960s was characterized by growing opposition to both superpowers and by attempts to form a "united front" with Third World and Second World countries against the United States and the Soviet Union. These attempts failed during the Cultural Revolution, during which the PRC gravitated toward a more isolationist position(11).

With the end of the 1960s, new international changes began to play an important role in reorienting of the PRC’s foreign policy. The Soviet threat began to intensify, particularly with its renewal the 1936 treaty of mutual security between Mongolia and the Soviet Union in January 1966. According to

American Hegemony, regarding to improve its position in the International World System, in particular, China considered the United States as its main enemy after the latter recognized the Kai-shek regime in Taiwan, and after the military confrontation they had gathered in the Korean War 1950-53. This alignment was also a good instrument to implement some of the Chinese purposes and interests in developing relations with other countries (the Socialist Camp and the Third World) to attain its own aims and objectives(5).

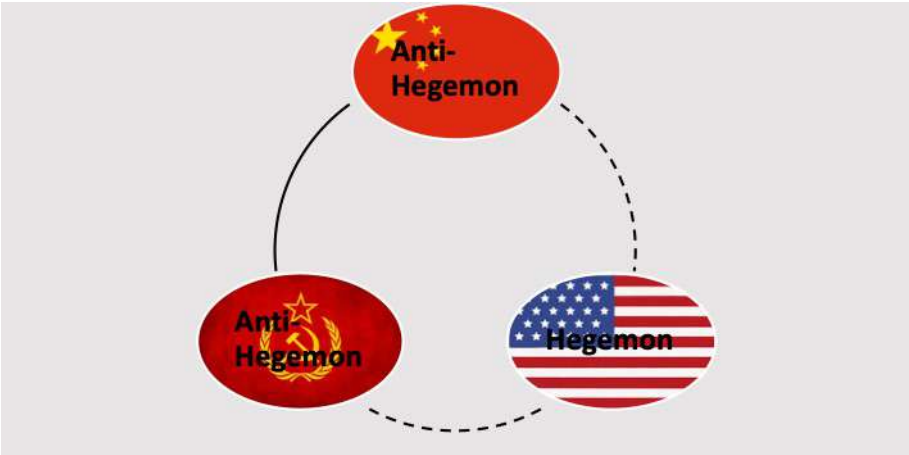

Figure1: The Condiractory World in PRCs Perspective during the 1950s.
Source: By the researcher.

2. Anti-Superpowers Hegemony 1960-1970

With the expansion of Sino-Soviet rift in the second half of the 1950s, coupled with the increasing hostility toward the United States, the PRC began to look for a new option to counter its loss of its Soviet ally against the United Sates. This new approach incorporated a redefinition of the "Intermediate Zone" strategy(6), which asserts that there is an intermediate zone between the United States and the Soviet Union. This zone consists of two parts: the first zone includes the underdeveloped countries in Asia, Africa, and Latin America, which remain in continuous struggle against American imperialism. The second intermediate zone includes the developed countries in Western Europe, Canada, and other capitalist countries, which were also attempting to free themselves of United States hegemony, which try to bring these countries under the American control before it destroy the Socialist states. Thus, a "united front" between both parts of the "Intermediate Zone" and the Socialist countries would share the same interest of opposing the American imperialism and prevent its aggression. To achieve this strategy, the PRC tried to improve its relations with Japan and Western Europe to encourage them to cooperate with the newly independent countries in the Third World countries, and the Socialist countries against

3. Zheng, Y.&Tok, S. (2007)."Harmonious Society" and "Harmonious world: Chinas Policy Discourse under Hu Jintao. In this paper, the author discusses how the policy discourse "Harmonious world "has become the guideline of the Chinese Communist Party how its defining the discourse of political power in China under the Chinese president Hu Jintao.
4. Zheng, B. (2005). China's "Peaceful Rise" to Great Power-Status. The author describes how China advocates a new international political and economic order, one that can be achieved through incremental reforms and the democratization of international relations.

1. Anti-American Hegemony 1949-1959

After assuming power in China and the establishing the People's Republic of China (PRC) on October 1, 1949 under the leadership of Mao Zedong, the new leadership believed that the future of the PRC merited the adoption of Marxist-Leninist ideology to compensate for what they had lost to their imperialist overlords(1), as well as to recover their rightful position among the community of nations after a "Shameful Century" of foreign domination(2). Therefore, China's world view was based on its purely Marxist grounds. The PRC believed that the world situation was characterized by the following contradictions(3):

- The contradiction between Socialism and Capitalism.
- The contradiction between the proletariat and the bourgeois within the Capitalist states.
- The contradiction between the oppressed nations and the imperialism.
- The contradiction among the various imperialist states.
- The contradiction among various mono-capitalist groups.

In accordance with these contradictions, the Chinese government viewed the "class struggle" as the driving force for both individual and international relations, which means clearly that the conflict between Communism and Capitalism was the main contradiction, which made the World Revolution and the struggle against Imperialism and Capitalism (US and its allies) as the leading purpose of the Chinese foreign policy in this period(4). For this reason, the PRC had regarded the USA and its allies as a real threat who try to hinder the inevitable growth of the socialist states' power –under which the PRC-, and will try to destroy the Chinese power. Therefore, the PRC aligned itself during the first half of the 1950s with the Soviet Union as a recognized leader of the Socialist World to counter this imperialist ambition of the United States. After the Communist leadership formed this worldview. Quite obviously, the alignment to the Soviet Union was one of its instruments to counter the

- The subject of the study is linked to one of the rising powers, which has economic, political and military weight in the existing international system.
- The subject makes a theoretical contribution to the analysis of China's foreign policy by presenting China's perspective toward the international system.
- The subject of this study is characterized by novelty and theoretical modernity, where the researcher relied on a purely theoretical framework in the analysis of Chinese attitudes towards the existing international system. Therefore, this study will provide some important and basic information to many interested in Chinese affairs.
- The study will try to analyze the nature of the relationship between China and the actors of the international system, especially the United States and Russia in a theoretical framework that may contribute in understanding the interlocking relationship among these actors.

Hypothesis

To answer the previous questions, and to achieve its purposes, the study is based on the premise that "the more China benefits from the hegemony of the global economic system, the more it will call for a harmonious world and give up opposing international hegemony practiced by other powers".

Methodology

The study employs the analytical approach based on the theory of neorealism in the analysis of Chinese trends in achieving its goals, considering that national security and interest has been a cornerstone of Chinese policy in recent years. In addition, the historical approach will be used to examine the reasons stands beyond the Chinese new call for a "harmonious world".

Literature Review

There are many literatures that are related to this subject such as:

1. Keyuan, Z. (2012). Building a 'Harmonious world': A Mission Impossible. The author examines in this article the doctrine of "harmonious world" to see whether it is practical in conducting international relations between China and the rest of the world and how China should adjust its foreign policy thinking to better cope with the more complicated world.
2. Medeiros, S. (2009). China's International Behaviour. This monograph analyzes the Chinese foreign policy and assesses the challenges for China in implementing its strategy, and evaluates the implications for U.S. interests and U.S. policy

Introduction

From its inception in 1949 until the beginning of the new millennium, the People's Republic of China witnessed a continuous cycle of confrontations with the poles of the international system. After the confrontation with the United States since the 1950s, which was later enhanced by a new confrontation the Soviet Union until the end of the 1980s, and renewed another time with the United States after the end of the Cold War, rejection the international hegemony practiced by the both superpowers over the affairs of the international system has been a cornerstone of China's global policy for "unacceptable" international hegemony whatever its source.

Perhaps China's goal at that time was to try to mobilize the Third World and the Second World countries (Europe and Japan) against the two superpowers (the United States in special), who posed at various times a threat to China's security until the end of the 1990s.With the beginning of the new millennium, China gradually seemed to give up its provocative propaganda against international hegemony; and has begun to call for a "harmonious world", in which all international powers, including China itself, could share in its management.

Statement of the Problem and study questions

The study tries to reveal the shift in China's view of international hegemony, which has been criticized for long decades by Beijing through answering the following questions:

1. How has China shaped its global outlook after the end of the World War II?
2. What was the Chinese perspective on international hegemony during the Cold War?
3. What are the reasons for China to change its perspective on international hegemony after the Cold War?
4. What is China's current view of international hegemony?

Objectives and Significance

This study seeks to achieve many goals. The most important of these lie in revealing China's perspective on the issue of international hegemony during the East-West conflict, as well as on the change that took place after the end of this conflict.

Meanwhile, the study derives its significance from the following considerations:

The Arab Journal For Arts Vol. 16 No. 2, 2019, pp. 701-720

International Hegemony in China's Global Perspective: From "Contradictory to Harmonious World"

Khair Salem Diabat*

Date of Submission: Jan. 7, 2019 **Date of Acceptance:** March 3, 2019

Abstract

This paper will analyze the People Republic of China's (PRC) position toward international hegemony in the context of the PRC's global perspective since its establishment in 1949 until the end of 2018. The study aims to expose China's attempts to oppose this hegemony throughout the Cold War by forming a "united front" against the two superpowers: the United States and the Soviet Union. Furthermore, it aims to clarify why China has abandoned this strategy and has called for a "harmonious world" since 2005. The study is based on the premise that "the more China benefits from the hegemony of the global economic system, the more it will call for a harmonious world and give up opposing international hegemony practiced by other powers." The study is divided into four sections. The first examines China's position toward American hegemony in the 1950s. The second explains China's worldview of the "Intermediate Zone" to form a "unified front" against the hegemony of the superpowers through the 1960s. The third reveales China's attempt to establish this united front through the Chinese "Three Worlds" strategy which dominated China's Worldview from the 1970s until the end of the Cold War. The fourth section shows the shift in China's attitude toward international hegemony after China has abandoned the idea of traditional provocation against the hegemony of international powers and began to call for a "harmonious world", in which China could participate. The researcher uses both the historical and analytical descriptive method to explain this study. The study concluds that China has failed to oppose international hegemony practiced by the two superpowers during the Cold War, and its improved position in the global economic system as an economic and political power after the end of the Cold War has made Beijing seek to expand its network of peaceful relations with all international and regional powers in a hope to create a "harmonious world" that serves its economic success as well as its global rise.

Keywords: China, International Hegemony, "Intermediate Zone" strategy, "Three Worlds" strategy, "Harmonious World".

© **Copyright 2019 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved**

* Department of Political Science, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Rowan, B., Schilling, S., Ball, D. & Miller, R. (2001). *Measuring teachers' pedagogical content knowledge in surveys: An exploratory study*. Consortium for Policy Research in Education, Ann Arbor: Michigan University.

Setiadi, R., &Musthafa, B. (2013). Pedagogical content knowledge (PCK) and teaching performance of Indonesia's language teachers at the aftermath Teacher Certification Program: A case of Indonesia. *Asia-Pacific Collaborative Education Journal*, *9*(2), 69-78.

Shulman, L. S. (1986). Those who understand: Knowledge growth in teaching. *Educational Researcher*, *15*(2), 4-14.

Shulman, L. S. (1987). Knowledge and teaching: Foundations of the new reform. *Harvard Educational Review*, *57*(1), 1-22.

Turner-Bisset, R. (1999). The knowledge bases of the expert teacher. *British Educational Research Journal*, *25*(1), 39-55.

Turnuklu, E. B., &Yesildere, S. (2007). The pedagogical content knowledge in mathematics: Pre -service primary mathematics teachers' perspectives in Turkey. *IUMPST: The Journal*, 1, 1–13.

Van Driel, J.H., Verloop, N. & De Vos, W., (1998). Developing science teachers' pedagogical content knowledge. *Journal of Research in Science Teaching*, *35*(6), 673-695.

Zuljan, M.V. &Vogrinc, J. (EDs). (2010). *Facilitating effective student learning through teacher research and innovation*. Faculty of Education: University of Ljubljana, Slovenia. ISBN 978-961-253-051-8.

Khan, I. A. (2011). Learning difficulties in English: Diagnosis and pedagogy in Saudi Arabia. *Educational Research,2*(7),1248-1257.

Kind, V. (2009). Pedagogical content knowledge in science education: Perspectives and potential for progress. *Studies in Science Education*, *45* (2), 169-204.

Kultsum, U. (2017). The concept of pedagogical content knowledge (PCK): Recognizing the English teachers' competences in Indonesia. *Advances in Social Science, Education and Humanities Research,* 134, 55–59.

Lenard, D. B. & Lenard, I. (2019). Examining pedagogical content knowledge of ESP teachers. *Journal of Teaching English for Specific and Academic Purposes, 6* (3), 353-364.

Loughran, J., Berry, A., &Mulhall, P. (2006). *Understanding and developing science teachers' pedagogical content knowledge*. Rotterdam: Sense.

Marks, R. (1990). Pedagogical content knowledge: From a mathematical case to a modified conception. *Journal of Teacher Education*,*41*(3), 3 -11.

Morrison, A. D. &Luttenegger, K.C. (2015). Measuring pedagogical content knowledge using Multiple points of data. *The Qualitative Report*, *20*(6), 804-816.

Olfos, R., Goldrine, T., & Estrella, S. (2014). Teachers' pedagogical content knowledge and its relation with students' understanding.*RevistaBrasileira de Educação*,*19*(59),913-943.

Park, S., & Chen, Y.-C. (2012). Mapping out the integration of the components of pedagogical content knowledge (PCK): Examples from high school biology classrooms. *Journal of Research in Science Teaching*, *49* (7), 922–941. doi: 10.1002/tea.21022

Park, S., & Oliver, J. S. (2008). Revisiting the conceptualization of pedagogical content knowledge (PCK): PCK as a conceptual tool to understand teachers as professionals. *Research in Science Education*, *38*(3), 261-284.doi: 10.1007/s11165-007-9049-6

Richards, J. C. (2011). Exploring teacher competence in language teaching. *The Language Teacher*, *35*(4), 3-7.

Rovegno, I. C. (1992). Learning to teach in a field-based methods course: The development of pedagogical content knowledge. *Teaching and Teacher Education*, *8*(1), 69-82.

Evens, M., Elen, J., Depaepe, F. & Belgium,K.L. (2016). Pedagogical content knowledge in the context of foreign and second language teaching: A review of the research literature. *PortaLinguarum*, 26,187-200.

Finger, G., Jamieson-Proctor, R. & Albion, P. (2010). Beyond pedagogical content knowledge: The importance of TPACK for informing pre-service teacher education in Australia. In M. Turcanyis-Szabo& N. Reynolds (Eds.), *Key competencies in the knowledge society* (pp. 114-125). Berlin, Heidelberg: Springer.

Giri, M.K. (2011). Teachers *as a facilitator*. NeltaChoutari: Nepalese ELT practitioners meet the world. Retrieved on 20April, 2017 from: http:llneltachoutari.wordspot.coml2011l02l0111389

Grossman, P. L. (1989). A study in contrast: Sources of pedagogical content knowledge for secondary English. *Journal of Teacher Education*, *40*(5), 24-31.

Guerriero, S. (2013). *Teachers' Pedagogical knowledge and the teaching profession*. The Organization for Economic Co-operation and Development(OECD), 2-7. Retrieved on 25 August,2017 from:http://www.oecd.org/edu/ceri/Background_document_to_Symposium_ITELFINAL.pdf.

Hijazi, D (2012). Difficulties Jordanian non -English major university students face while learning English as a foreign language: A student perspective. *Journal of the College of Education*; Aswan University, 26, 29 - 54.

Ibrahim, B. (2016). Pedagogical content knowledge for teaching English. *English Education Journal*, 7(2) 155-167.

Jones, A., & Moreland, J. (2005). The importance of pedagogical content knowledge in assessment for learning practices: a case-study of a whole-school approach. *Curriculum Journal*, *16* (2), 193-206. doi:10.1080/09585170500136044.

Keller, M.M., Neumann, K., & Fischer. H. E. (2016). The impact of physics teachers' pedagogical content knowledge and motivation on students' achievement and interest. *Journal of Research in Science Teaching*,*54*(5),586 -614.

Khader, K. &Shaat, M. (2010). Reasons behind non-English major universitystudents' achievement gap in English language in Gaza Strip from students' perspectives. Retrieved on 5 May, 2017 from: www.quo.edu / English / conferences / first national conference /pdf files /khaderkhader

References

Abell, S. (2007). Research on science teachers' knowledge. In S.K. Abell& N.G. Lederman (Eds.), *Handbook of research on science education* (pp. 1105-1149). Mahwa, New Jersey: Lawrence Erlbaum.

Atay, D., Kaslioglu, O., & Kurt, G. (2010). The pedagogical content knowledge development of prospective teachers through an experiential task. *Procedia -Social and BehavioralSciences*, *2*(2), 1421-1425.

Ball, D. L. (1991). Research on teaching mathematics: Making subject matter part of the equation. In J. Brophy (Ed.), *Advances in Research on Teaching* (pp.1-48). Greenwich, CT: JAI Press.

Ball, D.L., Thames, M.H., & Phelps, G. (2008). Content knowledge for teaching: What makes it special? *Journal of Teacher Education*, *59* (5), 389-407.

Batur, Z., &Balci, S. (2013). Research on Turkish pre-service teachers' pedagogical content knowledge. *International Journal of Social Science*, *6*(11), 21-43.

Baxter, J. A., & Lederman, N. G. (1999). Assessment and measurement of pedagogical content knowledge. In J. Gess-Newsome & N. Lederman (Eds.), *PCK and science education* (pp. 147–161). Dordrecht, Netherlands: Kluwer Academic Publishers.

Cesur, K. &Ertas, A. (2018). Examining the prospective English teachers' pedagogical content knowledge: Canakkale Case. *International Journal of Progressive Education, 14*(3), 123-140. doi: 10.29329/ijpe.2018.146.9

Cochran, K. F. (1997). *Pedagogical content knowledge: Teachers' integration of subject matter, pedagogy, students, and learning environments*. Retrieved on 15 May, 2017 from:

https://www.narst.org/publications/research/pck.cfm

Darling-Hammond, L. (2000). Teacher quality and student achievement: A review of state policy evidence. *Educational Policy Analysis Archives*, *8*(1), 1-49.

Depaepe, F., Verschaffel, L., &Kelchtermans, G. (2013). Pedagogical content knowledge: A systematic review of the way in which the concept has pervaded mathematics educational research. *Teaching and Teacher Education*, 34, 12-25.

PCK enhances students' achievement and the quality of the learning-teaching process in general (Guerriero, 2013). Unfortunately, the present study has shown that Jordanian English language in-service teachers' PCK isn't sufficient enough to produce satisfactory results regarding students' achievement, scoring only a medium level of knowledge.

In light of the results of this study, the following recommendations can be made:

1-Conducting studies to measure pre-service and in-service English language teachers' PCK since such studies are rare.

2-Conducting studies to examine the nature of PCK and how to develop it in the field of English language teaching.

3-Carrying out studies to investigate the relationship between teachers' PCK and students' achievement in English.

4-Devising training programs for teachers to develop their PCK and create effective learning environments for all students.

مستوى معرفة المحتوى التربوية لدى معلمي اللغة الإنجليزية كلغة أجنبية

ديما حجازي وأمل الناطور، مركز اللغات، جامعة اليرموك، إربـــد، الأردن.

ملخّص

تسعى هذه الدراسة إلى تحديد مستوى معرفة المحتوى التربوي لدى معلمي اللغة الإنجليزية في سياق عملهم في تدريس الإنجليزية كلغة أجنبية. وقد جُمعت بيانات الدراسة من تسعة معلمين يمارسون مهنة التدريس، وذلك بناء على أسئلة مفتوحة النهايات، تتعلق بالقواعد النحوية، واللفظ، ومشاكل التعبير الكتابي. وقد أظهرت النتائج أن معرفة معلمي اللغة الإنجليزية الأردنيين في مجال مهنتهم التربوية غير كافية. وأظهرت النتائج أيضا أن التكامل بين معرفة المعلمين بما يدرسونه وعملية التدريس نفسها وكيفية التدريس (PCK) غير متحقق بصورة مرضية، بل هو متوسط المستوى.

الكلمات المفتاحية: معرفة المحتوى، المعرفة التربوية، معرفة المحتوى التربوي، اللغة الأجنبيّة.

As Ball (1991:5) said, 'Teachers cannot help children learn things they themselves do not understand'. This result may be attributed to the fact that teachers' academic knowledge, whether they have an A.A., B.A. or even M.A., is not adequate enough since curricula taught at educational institutions may lack courses that provide student teachers with the required knowledge which is of great importance to demonstrate their understanding before they are practically engaged in the teaching experience.Teachers' knowledge about the subject matter they teach and about language teaching itself in terms of different aspects like phonology, syntax, grammar, written and spoken language use may not be adequate enough. This result is in line with the study of Al-Jaro et al (2017) who analyzed the curricula of English Teacher Education Program (ETEP) at the faculty of Education of Sana'a University in Yemen and found that they lacked courses that could enhance student teachers' needed content knowledge to be reflected on their teaching practices. In addition, it is in harmony with the study of Batur and Balcis' (2013) and Cesur and Ertas (2018), who found that teachers' content knowledge was not appropriate enough and that teachers were less confident about it.

Concerning pedagogical knowledge, the results showed that teachers did not know enough about how to teach in an effective way. The results of this study showed that some teachers found difficulties in understanding the ways students think and in identifying their misconceptions. Moreover, their knowledge about how to organize, present, assess and adapt different topics and problems according to their learners' abilities and interests was not sufficient. This result may be due to the fact that teachers lack strategies, techniques, insights, methods and understanding of the educational context to transfer knowledge since student teachers' preparation at the university or college level focuses more on the academic than on the practical aspect of teaching. In general, the results showed that the integration between what teachers know about what they teach, about the process of teaching and how to teach was not adequate and needed to be improved. This result is in line with most studies of the related literature such as Batur and Balcis (2013), Ibrahim (2016), Kultsum (2017) and Cesur and Ertas (2018).

Conclusion and Recommendations

Teachers and their efficient ways of teaching are key factors of students' success. Thus, they need to transfer their knowledge to students in an organized and appropriate way. Such kind of knowledge is called pedagogical content knowledge, which enables teachers to understand how students think and learn, know their conceptions and their misconceptions, what topics are easy or not easy for them and how to assess their learning. Having an appropriate level of

should stop comparing between their first language and English language and should learn more about singular and plural nouns to understand them deeply".

Teachers' responses to problem 4: Five teachers failed to understand Mahmoud's thinking way, while the others said that Mahmoud may have thought that wherever "gh" are found together, they are not pronounced, considering this as a rule. Moreover, only five of them gave vague reasons as to why letters are silent in English, saying that "It's all to do with the history of some letters. We, for example, used to pronounce the 'gh' with a hard h like the Scottish but then the French invaders added a g to the h to reflect the 'hard' h sound. We leave the gh in there to show the origins and history of the word and sometimes it is a grammar issue". Besides, only two teachers were aware of some general rules of silent letters, but their knowledge was not enough. Moreover, all teachers found difficulty in determining appropriate assessment criteria for Mahmoud's answer. For example, one of the teachers said that "the last two words are wrong, so Mamhood's Mark is 3/5". Obviously; his assessment was wrong because only (cough) was wrong. In fact, no one could determine acceptable criteria to assess Mahmoud's answer. Finally, five of the teachers found difficulty in suggesting suitable solutions for the problem of silent letters, giving actually only vague answers.

Teachers' responses to problem 5: All teachers pointed out that the reasons behind students' difficulties in writing in English are related to lack of practice, enthusiasm and motivation. In fact, there are other reasons that teachers failed to mention, such as the lack of students' vocabulary storage, and difficulties with word order, tense, spelling, and punctuation. In addition, six teachers said that "A, B, C and F would help students to improve their writing while D and E wouldn't". Concerning other solutions to improve students' writing, eight teachers mentioned similar solutions to the ones presented by the researchers. Only one teacher added two solutions: "asking students to write authentic topics related to their real life and providing them with appropriate and sufficient feedback".

Discussion

Teachers' appropriate PCK is a key factor and a vital element that facilitates students' learning in a suitable way. Park and Oliver (2008) stated that PCK requires teachers not only to master the content of the subject they teach but also to deliver it in a proper way. In this study, the results showed that Jordanian teachers did not have an adequate and tolerable content knowledge in English language. Three of them had the same misconception that students had about using "a" and "an". Besides, most of them didn't know the difference between "have to" and "must", and only two knew some general rules about silent letters.

of the teachers said that students should know that “a” is used in front of consonants and “an” is used in front of vowels, which is the same misconception that students have. Whereas the other six said that students should know that “a” is used in front of a word that begins with a consonant sound and “an” is used in front of a word that begins with a vowel sound. In fact, the six teachers presented the correct grammatical rule as a solution but didn’t mention how to present it to students and train them to distinguish between vowels and consonants through, for example, listening to audio tapes, giving them work sheets, playing games, or giving them clear examples.

Teachers’ responses to problem 2: Four of the teachers found difficulty in answering the question about the prerequisite knowledge that Muna might not have had. However, five teachers answered it but in different ways. For example, one teacher said, “Muna should know that libraries have policies for lending or renting books, because there is a record of these books in the system and she should know that if she doesn’t return them on time a fine will be given”. Another teacher said, “Muna might not know the difference between should, must and have to (modals of obligation)” without mentioning the difference. In fact, five teachers couldn’t form appropriate questions to understand Muna’s misconception. For example, teachers could ask Muna: Why do you want to return the books to the library? What has made you do that? What is the source of obligation? Does the obligation come from outside (the library law) or does it come from inside (your inner self)? If it comes from outside (external obligation), Muna needs to use the word “have to”; if it comes from inside, she needs to use the word “must”. Besides, five teachers failed to give Muna real world examples to help her, while four gave examples, such as “I have to get a visa to go to America”; “I have to get a license to drive a car”.

Teachers’ responses to problem 3: Four teachers found difficulty in determining Ahlam’s way of thinking while the other five said that “Ahlam considered the word “information” as the subject of the sentence and thought that it was a plural noun”. One teacher said that “Ahlam made a mistake in adding "the" before the word “information” as not all nouns take “the”. Of course, what he said was totally wrong because Ahlam’s mistake was not related to the use of the definite article "the". On the other hand, eight teachers related Ahlam’s mistake to only one grammatical misconception, saying that “Ahlam translated the word “information” into Arabic “ma’loomat” and thought it was plural like the Arabic word, so she used “are” instead of “is”. No one said that Ahlam's mistake was in thinking that “question types” is the subject of the sentence, so she used the verb “are” (subject –verb agreement). Concerning the suggested solution, eight teachers offered insufficient solutions such as “students

The results show that in-service English language teachers face difficulties in determining students 'misconceptions about different issues of English language. Moreover, they do not have sufficient assessment knowledge and find difficulties in forming appropriate criteria. Teachers' total scores of all the five problems were calculated as presented in Table 3 below.

Table 3: Teachers' Total Scores of all Five Problems

Teachers	Problem 1 (out of 9)	Problem 2 (out of12)	Problem 3 (out of 9)	Problem 4 (out of15)	Problem 5 (out of 6)	Total (out of 51)
1	3	4	3	5	3	18
2	3	4	5	5	4	21
3	3	4	5	5	4	21
4	7	4	5	5	4	25
5	7	6	7	5	4	29
6	7	8	7	9	4	35
7	7	9	7	9	4	36
8	8	9	7	10	4	38
9	8	9	7	10	5	39

Teachers' levels were determined according to their answers to all five problems. Their levels are presented in table 4.

Table 4: Teachers' Pedagogical Content Knowledge Levels

Levels	F	Percentage %
Level 1 (Low) 17-25	4	44%
Level 2 (medium) 26-41	5	56%
Level 3 (high) 42-51	0	0%
Total	9	100%

None of the teachers had a high PCK level, but 56%of them had a medium level, while 44% of them scored a low level.

Teachers' responses were also analyzed in a qualitative way, as presented in the following:

Teachers' responses to problem 1: Three of the nine teachers pointed out that Ahmad asked Ali about whether to say "ax-ray machine or an x -ray machine" because they were in class or about to have an exam; he wanted to learn and understand well. The other six said that he asked the question in order to know the difference between "a" and "an". Honestly, six of them could understand Ahmad's and Ali's ways of thinking. They said that Ahmad might have had a misconception about the basic difference between "a" and "an". He may have asked that question because he thought that "a" is used only in front of consonants and "an" is used only in front of vowels (a,e,o,u,i), and "x" is not a vowel. Concerning the solutions to overcome the students' misconceptions, three

Results

In order to answer the question of the study, frequencies and percentages of English language teachers' responses according to the categories of the problems were computed and are shown in Table 2:

Table 2: Frequencies and Percentages of English Language Teachers' Responses According to the Categories of the Problems

Problems	Categories	Given points					
		Points 1		Points 2		Points 3	
		F	(%)	F	(%)	F	(%)
Problem 1	Understanding students' way of thinking and misconceptions.	3	33%	0	0%	6	67%
	Determining the reasons behind students' misconceptions.	3	33%	0	0%	6	67%
	Suggesting solutions to overcome students' misconceptions.	7	78%	2	22%	0	0%
Problem 2	Understanding students' misconceptions.	4	45%	2	22%	3	33%
	Determining the reasons behind students' misconceptions.	4	45%	5	55%	0	0%
	Asking suitable questions to reveal students' misconceptions.	5	55%	4	45%	0	0%
	Being able to relate students' learning to real world situations	5	55%	4	45%	0	0%
Problem 3	Understanding students' way of thinking and their misconceptions.	4	45%	0	0%	5	55%
	Determining the reasons behind students' misconceptions.	1	11%	8	89%	0	0%
	Suggesting solutions to overcome students' misconceptions.	1	11%	8	89%	0	0%
Problem 4	Understanding students' way of thinking and their misconceptions.	5	55%	4	45%	0	0%
	Having sufficient knowledge of the topics they teach.	7	78%	2	22%	0	0%
	Suggesting solutions to overcome students' misconceptions.	5	55%	4	45%	0	0%
	Determining suitable criterion for assessment	5	55%	4	45%	0	0%
	Assessing students' answer in an appropriate way.	5	55%	4	45%	0	0%
Problem 5	Determining students' difficulties in learning.	1	11%	7	78%	1	11%
	Suggesting suitable solutions to overcome students' difficulties.	0	0%	9	100%	0	0%

- Criteria for problem 2 were understanding students' misconceptions, determining the reasons behind students' misconception, asking suitable questions to reveal students' misconceptions, and being able to relate students' learning to real world situations.
- Criteria for problem 4 were understanding students' way of thinking and misconceptions, having sufficient knowledge of the topics they teach, suggesting solutions to overcome students' misconceptions, determining suitable criteria for assessment, and assessing students' answers in an appropriate way.
- Criteria for problem 5 were determining students' difficulties in learning and suggesting suitable solutions to overcome students' difficulties.

After applying these criteria, the highest score obtained was 51 and the lowest was 17. Three points were given to correct answers with sufficient explanation, 2 points were given to correct answers with insufficient explanation and 1 point was given to unsuitable answers. Scores between 42-51 were determined as Level 3 (Excellent), scores between 26 -41 were determined as Level 2 (Medium) and scores between 17 -25 were determined as Level 1 (low). The researchers computed the teachers' total scores on all the five problems and scores were explained in terms of the following levels:

- Level 3 (excellent): Having sufficient knowledge of the topic; understanding students' problems and the reasons behind them; forming appropriate questions to understand students' way of thinking; finding out solutions to eliminate students' problems; determining suitable assessment criteria and assessing students' answers in terms of these criteria.
- Level 2 (medium): Having sufficient knowledge of the topics; understanding students' problems and the reasons behind them; forming appropriate questions to understand students' way of thinking; facing difficulties by creating solutions to eliminate and process students' problems; facing difficulties in determining suitable assessment criteria and assessing students' answers in terms of these criteria.
- Level 1 (low): Having insufficient knowledge of the topics they teach; facing difficulties in understanding students' problems and the reasons behind them; being unable to ask suitable questions to understand students' way of thinking; being unable to create solutions to eliminate students' problems; facing difficulties in determining suitable assessment criteria and assessing students' answers in terms of these criteria.

To ensure reliability, the instrument was verified by applying and re-applying it (test- retest) two weeks later to another group that consisted of (5) English teachers not included in the original study sample. Pearson correlation coefficient between the estimates was then measured at both times. Cronbach's coefficient α was used to calculate the internal consistency coefficient of the problems of the instrument. Table 1 shows these values, considered appropriate for the purpose of this study.

Table 1: Cronbach's coefficient and Pearson correlation coefficient of the Dimensions of the Instrument (problems of the study)

Problems	**Cronbach's coefficient**	**Pearson correlation coefficient**
1	0.91	0.89
2	0.91	0.92
3	0.93	0.90
4	0.91	0.88
5	0.90	0.85
Total value of the problems as a whole	0.95	0.93

Procedures of the Study

The following procedures were adopted for the purpose of collecting data: Identifying the objective of the study; determining the sample of the study; developing the instrument of the study (five open ended problems); applying the instrument; analyzing the results in light of the aim of the study; drawing conclusions and recommendations according to the study results.

Data analysis

The collected data were analyzed both quantitatively and qualitatively. For quantitative analysis, 17 criteria were adopted, taking into consideration PCK components, in order to evaluate teachers' responses according to them.

- Criteria for problems 1 and 3 were understanding students' way of thinking and their misconceptions, determining the reasons behind students' misconceptions, and suggesting solutions to overcome students' misconceptions.

Problem 4: The teacher asked Mahmoud to write down five words that contain silent letters and to say why such letters are silent.

Mahmoud's answer: Thought Brought Caught Through Cough. Honestly, I don't know why "gh" are silent letters.

-Discuss Mahmoud's way of thinking. -Justify why some letters are silent in English? -What are the general rules for silent letters? -Determine assessment criteria for Mahmood's answer. -What is Mahmoud's mark according to your criteria? -What are the solutions for this problem?

Problem 5: The following conversation took place between Rahaf and Rafeef, two 10th grade students.

Rahaf: I feel really disappointed.

Rafeef: Why?

Rahaf: I face many difficulties in writing about any topic in English. My marks in writing tests are always low.

Rafeef: Me too. In fact, I don't know what to do!

-What are the reasons behind students' difficulties in writing different topics in English? -Here are some suggested solutions; indicate if such solutions would help students or not:

Suggested solutions	**Would help students**
A-Using warm –up activities to increase students' motivation towards writing. B-Teach students how to organize their writing in terms of the introduction, the main body and the end. c- Train students on how to use "mapping" and "brainstorming" techniques. d-Ask students to take out descriptive phrases to make sentences shorter. e-Tell students that every single idea shouldn't take more than a few sentences. f-Ask students to share their ideas with other students and to work in groups. A, B, C and F would help. D and E wouldn't help.	

-What are other solutions for this problem?

Figure1: English In-class Problems

Validity and Reliability of the Study Instrument

In order to validate the instrument, the researchers asked a jury of EFL university professors to judge whether or not the open ended problems of the study were clear and suitable. Following their suggestions, one of the problems was omitted because of its ambiguity, leaving the study with five problems instead of the suggested six.

willingness to participate in the study. Surprisingly, the researchers noticed that the majority of English language teachers, although they were clearly informed about the pedagogical aims of the research, refused to participate in the study and that many didn't even know what PCK meant.

Instrument of the Study

The researcher used one instrument, which consisted of five open ended problems, to collect the data. In fact, the researchers adapted the instrument of Turnuklu and Yesildere (2007), who used four open ended problems to find out pre–service mathematics teachers' approaches in order to determine their PCK, to suit the English language field. Each of the five problems focused on teachers' attempts to explain students' misconceptions or difficulties in grammar, pronunciation and writing. In fact, teachers are expected to understand students' way of thinking, find out appropriate solutions, relate students' learning to real –life situations and determine suitable assessment criteria for students' answers. The problems are presented below in Figure 1:

Problem 1: The following conversation took place between Ahmad and Ali, two 9th grade students:
Ahmad: Do we say "a x-ray machine "or "an -x ray machine "?
Ali: We can say an orange, an illness, an umbrella, an elephant and an automobile. So, in my opinion, we can't say an x-ray machine.
-Why, do you think, Ahmad asked this question? -What is Ali thinking about? -What can be done to overcome the students' misconceptions about using "a" and "an"?
Problem 2: The following conversation, figure (2), took place between Muna and her teacher:
Teacher: Where are you going, Muna?
Muna: I am going to the library.
Teacher: Why?
Muna: I must return the books I borrowed last week.
Teacher: Why did you use the word "must "?
Muna: Because it expresses a strong obligation.
-What prerequisite knowledge might Muna not have? -What kind of questions can be asked to Muna to understand her misconception? -What kind of real world examples can be given to help her?
Problem 3: The teacher asked Ahlam to use the word "information "in a complete sentence.
Ahlam's answer: The information about the question types are useful.
-Discuss Ahlam's way of thinking. -Ahlam made a mistake that is perhaps related to one of two grammatical misconceptions. What are they? -What is the relationship between one of these grammatical misconceptions and Ahlam's first language? -What solutions can you offer to overcome such problems?

and interview guides. The results revealed that teachers are weak regarding pedagogical knowledge and knowledge of learners' abilities and that their teaching approaches still needed to be developed. In addition, learners' knowledge tended to be poor since teachers lack attention and interactions to solve students' problems and misconceptions in understanding the subject. All teachers had limited knowledge of how to identify learners' conceptions even though they had had many years of teaching experience. Thus, the study concluded, English teachers still needed to improve their PCK.

Kultsum (2017) investigated the concept of PCK in Indonesian school context, with focus on the English teaching strategy in Indonesia. His review revealed that English language teachers' PCK was not adequate enough and needed to be improved especially in pedagogical teaching and learners' knowledge.

Cesur and Ertas (2018) examined the PCK of **127** prospective English language teachers in the English Language Teaching Department of CanakkaleOnsekiz Mart University. The results revealed that the prospective teachers believe they did not have the required knowledge of the language they were teaching. In addition, their lesson planning knowledge, knowledge of learners, and knowledge about assessment were not adequate enough because what they believed they could do and what they actually did were different. In general, their PCK needed to be improved.

Lenard and Lenard (2019) conducted a study to examine English for Specific Purposes (ESP) teachers' PCK. The sample consisted of 47 ESP teachers working at 7 Croatian universities who voluntarily participated in an anonymous survey.The results revealed that teachers had sound PCK and that although they felt less confident about their content knowledge, they prepared thoroughly for their lessons and presented content in an appropriate way, employing suitable instructional techniques based on learners' abilities and educational context.

In sum, a vast body of literature has dealt with teachers' PCK in the field of sciences. Yet, studies of PCK in the field of language teaching are still rare (Atay et al, 2010), especially those that measure the PCK level of in-service English language teachers for the purpose of finding out if they are competent enough or not. Hence, there is a need to carry out a study on EFL teachers' PCK in Jordan.

Participants of the Study

The participants were nine English language teachers who were selected from among English teachers in Irbid Governorate in Jordan after showing

Literature Review

The focus of most previous research papers conducted to discuss teachers' PCK was on the fields of mathematics, chemistry and physics. Unfortunately, studies that focus on the field of English language teaching are rare, although Shulman (1986) indicated that PCK is applicable to different fields. Evens et al (2016) asserted that research on PCK is very scarce in their study about PCK in the context of foreign and second language teaching. However, Olfos et al (2014) and Morrison and Luttenegger (2015) maintained that it is difficult to measure teachers' PCK in any field. Baxter and Lederman (1999) asserted that determining the PCK of teachers is not easy since they do not have the required experience or the appropriate means to express the ideas or the decisions beyond their teaching practices that form their PCK.

In fact, some studies in the related literature focused on how training programs can affect teachers' PCK positively as Grossman (1989) pointed out. She compared the teaching practices of six new teachers (only three of them participated in training programs). The results revealed that trained teachers were better at using and adapting their teaching practices according to their students' needs. It was also found that trained teachers were better in enhancing their students' motivation towards learning English.

Other studies focused on the impact of teachers' PCK on students' achievement and motivation. For example, Keller et al (2016) studied the impact of physics teachers' PCK and motivation on students' achievement. The results revealed that German and Swiss teachers' PCK affected students' achievement positively and teacher motivation affected students' interests positively too.

More to the point,Turnuklu and Yesildere (2007) conducted a study, whose sample consisted of 45 teachers and whose instrument included four open ended problems, to find out the pre-service primary mathematics teachers' PCK competency. They concluded that having mathematical knowledge was important but not enough to teach mathematics. They recommended that primary mathematics teachers should be familiar with all PCK aspects. Similarly, Batur and Balcis' (2013), whose study sample consisted of five pre-service teachers and in which they used a semi-structured interview to collect the needed data, concluded that Turkish teachers' curriculum knowledge and content knowledge were not appropriate and teachers still affected by the traditional method of teaching did not do well.

Ibrahim (2016) carried out a study in Banda Aceh /Indonesia to find out how well four English teachers displayed PCK in teaching English and how they developed their teaching knowledge. The instruments were observation sheets

Problem of the Study

In fact, EFL students suffer from clear weakness despite governments' and policy makers' keenness on a good teaching of English. A previous study by one of the researchers of this study (Hijazi, 2012) revealed that one of the major difficulties students face in English learning is that related to their teachers' lack of qualification. In fact, this is in line with a study by Kind (2009) who asserted that one of the students' main complaints is about their teachers' lack of efficiency in the classroom. To be honest, this is contrary to expectations from teachers who are supposed to master the subject matter and to be armed with the needed methods and strategies to teach it. Teachers should be able to convey their message in an appropriate way, despite the fact that their profession is becoming more difficult with recent technological developments that require radical and essential changes in teachers' roles and tasks to be more facilitators and monitors than carriers of information. They need to have profound knowledge of the subject matter and a rich one of how to teach it. However, some teachers may lack the appropriate PCK or not know how to make the subject understandable to their students. As a result, the researchers have decided to investigate the PCK of some English language teachers in Jordan, in an attempt to uncover some reasons behind students' weakness in English.

Question of the Study

The study tries to answer the following question:

What is the level of the pedagogical content knowledge of in-service English language teachers in an EFL context?

Significance of the Study

The significance stems from the fact that very few studies were conducted to investigate the problem of this study especially in the Jordanian context; thus, the findings can be used as a reference by other scholars for further research with other variables and different instruments. Moreover, the study may enrich the field of teaching EFL since most researchers (e.g. Ball et al, 2008 and Depaepe et al, 2013) in the related literature focused only on the PCK of teachers in the field of science and mathematics. Besides, it may shed light on the level of the PCK of EFL teachers to uncover some of the reasons behind the difficulties that students encounter while learning English. Finally, it may encourage policy makers to conduct training programs and workshops for teachers focusing on the PCK principles and on how to transfer the appropriate knowledge to students.

(Cochran, 1997). As a result, PCK has become a necessity in teachers' professional development and it should be included in teacher education programs because high levels of teachers' PCK leads to high levels in students' achievement (Abell, 2007).

Some PCK components have been mapped out by researchers. Grossman (1990) asserted that PCK has four components: knowledge of teaching purposes, learners, curriculum and instructional strategies. Setiadi and Musthafa (2013:73) indicated that English teachers' PCK includes knowledge of content, students' conceptions and misconceptions, general pedagogy, curriculum, educational contexts, educational goals, assessment and evaluation, and application of assessment and evaluation results for instructional purposes. Besides, Park and Chen (2012) indicated that the components of PCK in their study, although designed for science and chemistry, include orientations for teaching other disciplines, shaped into four categories: knowledge of curricula, knowledge of assessment of scientific literacy, knowledge of student's understanding, and knowledge of instructional strategies. Each of these four categories is explained in detail by the researchers.

In fact, PCK is one of seven categories of teachers' knowledge, besides content knowledge, general pedagogical knowledge, curriculum knowledge, knowledge of learners and their characteristics, knowledge of educational contexts and knowledge of educational ends, purposes and values (Shulman,1987:8). Clearly, some researchers such as Marks (1990) and Turner-Bisset (1999) indicate that the borders of PCK are not fixed or well-defined, because other or different knowledge components were added to the concept of PCK in the related literature.

Veritably, PCK is hard to measure due to factors such as that related to teachers' perceptions of PCK and acquired experience. Other variables are class management, or how teachers deal with different situations. The second factor that affects measuring is students, whose different backgrounds affect the measuring process. The last factor is that it is hard to design a case study, a questionnaire or a pilot study that can accurately measure the PCK of teachers, and if there is one, it is hard to be measured on a large scale (Rowan et al, 2001).

In this paper, the researchers aim at investigating the PCK of a group of Jordanian English language in-service teachers to find out if some of the problems that students face while learning English as a foreign language are due to their teachers' approach.

Plainly, well-qualified teachers need to have good knowledge of the subject they teach, know how to introduce, explain and illustrate this subject, and know the way students think in order to enhance their understanding. Actually, this combination of content and teaching skills is called Pedagogical Content Knowledge (PCK), a scheme founded by Lee Shulman (1986) who argues that content knowledge is what the teachers should teach. However, pedagogical knowledge means how to teach and how to justify knowledge to students relying on both educational coursework and gained personal experience (Rovegno, 1992). Shulman (1987:8) defined PCK as "that special amalgam of content and pedagogy that is uniquely the province of teachers, their own special form of professional understanding". This corresponds to what Van Driel et al (1998:674) call Craft Knowledge (CK), an "integrated knowledge which represents the teachers' accumulated wisdom with respect to their teaching practice."

According to Shulman (1986:9-10), PCK includes the frequently taught topics, the helpful forms of representing these ideas and "the most powerful analogies, illustrations, examples, explanations, and demonstrations." In addition, it encompasses a perception of the ways of making the learning of certain topics easy or difficult: "the conceptions and preconceptions that students of different ages and backgrounds bring with them to learning."

PCK is a practical knowledge that demonstrates what teachers use during the teaching process (Kind, 2009). Richards (2011:6) indicated that PCK "could include course work in areas such as curriculum planning, assessment, reflective teaching, classroom management, teaching children, teaching the four skills, and so on." It provides teachers with knowledge that enables them to be experts in their areas of study. Even more interesting is the fact that PCK deals with teachers' knowledge of how to introduce the subject to their students. It also lays emphasis on the teachers' knowledge of students' expected difficulties and challenges during the process of learning, their awareness of the strategies to be followed considering students' backgrounds, needs and characteristics, and their experience of evaluating students' learning (Shulman, 1987). Indeed, teachers in general do not have the same PCK because such knowledge is influenced by various factors such as the teaching context, content and experience. (Loughran et al, 2006).

Shulman has had a great impact on researchers such as Jones and Moreland (2005); Park and Oliver (2008); Finger et al (2010); Setiadi and Musthafa (2013); and Olfos et al (2014). Most of them agree that PCK is the best way that should be adopted by teachers to facilitate transferring knowledge to their students. It influences the process of planning in the classroom and determines the way of making use of every minute according to students' needs and abilities

The Level of Pedagogical Content Knowledge of In-Service English Language Teachers in a Foreign Language Context

Dema Hejazi and Amal Al-Natour*

Date of Submission: Jan 5, 2019 **Date of Acceptance:** May. 13, 2019

Abstract

The aim of this study is to find out the level of pedagogical content knowledge of in-service English language teachers in a foreign language context. The data were collected from 9 in-service English language teachers' responses on five open-ended grammar, pronunciation and writing problems. The results show that Jordanian English language teachers don't know enough about what they teach. Furthermore, they show that the integration between what teachers know about what they teach and about the process of teaching and how to teach (PCK) isn't adequate enough (with a medium level).

Keywords: Content knowledge; Pedagogical Knowledge; Pedagogical Content Knowledge; Foreign Language.

Introduction

Teachers have an essential role in the educational process; their abilities can be reflected on their students' achievement and success (Darling-Hammond, 2000). They should possess satisfactory skills and take into account that English teaching is a highly demanded profession due to the importance of this language in scientific research, higher education and the labor market (Khader and Shaat, 2010; Khan et al, 2011). Frankly put, they do not need only to hold an educational degree, but also to have a wide variety of teaching competencies. They have to develop their knowledge base (Guerriero, 2013) to deal professionally with students' different needs and learning styles.

However, teachers are not the only source of knowledge anymore. As they perceive themselves as guides and facilitators, teachers now play the role of an inspirer, who is supposed to motivate learners by creating a suitable learning environment (Giri, 2011). The need for the "communicative approach" is great in Jordan, as it is in other countries, to prepare students for life-long learning in an ever-changing world (Zuljan and Vogrinc, 2010).

© Copyright 2019 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved

* Language Center, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

Lester, Mark & Beason, Larry.(2005). *Handbook of English Grammar and Usage*. New York: McGraw Hill Publishing Company.

Levey, Stephen.(2007). *The next generation: Aspects of grammatical variation in the speech of some London preadolescents*. Unpublished PhD dissertation, Queens Mary, University of London.

Marius, Richard&HarveyWiener.(1985).*TheMcGraw-HillCollegeHandbook*. McGraw-Hill Book Company.

Meechan, Marjory, and Michele Foley.(1994). One resolving disagreement: Linguistic theory and variation:*There's bridges*. *Language Variation and Change*,6, 63–85.

Olson, Judith. (1997). *GrammarEssentials*. New York: Learning Express.

Roberts, Paul. (1962). *EnglishSentences*.Harcourt, Bracve and World, Inc.

Shaw, Harry. (1979). *McGraw-HillHandbookofEnglish*. McGraw-Hill Ryerson Limited.

Smallwood, Carolyn. (1979). Disagreement in Canadian English existential.In Leslie Blair,Christine, Burns and Lorna Rowsell, eds. *Proceedings of the 1997 Annual Conference ofthe Canadian Linguistic Association*. Calgary: Department of Linguistics, University ofCalgary, 227–38.

Tagliamonte, Sali. (1998). *Was*/*were* variation across the generations: View from the city of York. *LanguageVariation and* Change, 10, 153–191.

Tagliamonte, Sali(2008). There *was* universals, then there *weren't*: A comparative sociolinguistic perspective on default singulars. In *Vernacular Universals Versus Contact-induced Change*,Markku Fillpula, Heli Paulasto, and JuhaniKlemola, eds., 103-129.Routledge, Oxford.

Walker, James. (2007). There's bears back there: Plural existentials and vernacular universals in (Quebec)English. *English World-Wide*,28, 147–166.

Wolfram, Walt. (1991). *Dialects and American-English*. Englewood Cliffs, NJ: Prentice Hall Regents.

Woods, Howard. (1979). *A socio-dialectology survey of the English spoken in Ottawa:A study of sociological and stylistic variation in Canadian English.* PhD. dissertation,University of British Columbia.

Crawford, William. (2005). Verb agreement and disagreement: A corpus investigation of concord variation in existential *there* + *be* constructions. *Journal of English Linguistics*,33, 35–61.

Cruschina, Silvio. (2015). Patterns of variation in existential constructions.*Isogloss* 1(1), 33-65.

DeWolf, GaelonDodds. (1992). *Social and Regional Factors in Canadian English*. Toronto, ON: Canadian Scholar's Press.

Davies, Mark. (2008). *The Corpus of Contemporary American-English:425 million words, 1990-present. Available online at http;//corpus.byu.edu.coca.*

Eisikovits, Edina.(1991). Variation in subject-verb agreement in inner Sydney English. In *English around the World: Sociolinguistic Perspectives*, ed.Jenny Cheshire, 235-256. Cambridge:Cambridge University Press.

Feagin, Crawford. (1979). *Variation and Change in Alabama English: A Sociolinguistic Study of the White Community*. Washington, DC: Georgetown University Press.

Fowler, H. (1996).*The New Fowler's Modern English Usage*. Oxford: Oxford University Press.

Fries, Charles. (1940). *American-English Grammar*. New York: Appleton-Century-Crofts.

Hannay, Michael. (1985). *English Existentials in Functional Grammar*. Dordrecht: Foris.

Hay, Jennifer &Daniel Schreier.(2004). Reversing the trajectory of language change: Subject-verb agreement with be in New Zealand English.*Language Variation and Change*, 16, 209-235.

Hazen, Kirk.(2000). Subject-verb concord in a post-insular dialect: The Gradual persistence of dialect patterning. *Journal of English Linguistics* 28, 127–144.

Hilton, Katherine. (2016). Nonstandard agreement in Standard English: The social perception of agreement variation under existential there. *Selected Papers from New Ways of Analyzing Variation (NWAV 44)*, 22(2), 59-70.

Huddleston, Rodney. (1984). *IntroductiontotheGrammarofEnglish*. Cambridge: Cambridge University Press.

Krejci, Bonnie and Katherine Hilton.(2017). There's three variants: Agreement variation under existential *there*. *Language Variation & Change* 29(2), 187-204.

Note

1. The data in parentheses refer to the name of the corpus, the channel, the name of the program, the date and the time of the program.
2. Adams (2005) points out that some studies conclude that it is contraction rather than tense that affects the choice of singular agreement. That is why Adams excluded *there's* from her analysis of existential variation in Quebec English. More details on this point are provided in the results and discussion section.
3. There is nothing special about the data of the year 2011 in COCA. Yet, the researchers choose this year as they intend to conduct a study on the same topic in 2020 and compare and contrast the results with the ones of the present study. With the very rapid revolution of technology and media, the reserarchers believe that ten years would be a reasonable period of time to compare and contrast results to check the nature as well as the directionality of language variation and change.

References

Aaron, Jane. (1997). *The Little, Brown Compact Handbook*. Pearson Longman.

Adams, Jackie. (2005). *Concord variation, convergence, and Quebec English: There's lots of things to consider*. M.A. mémoire, University of Ottawa.

Britain, David. (2002). Diffusion, levelling, simplification and reallocation in past tense *be* in the English Fens.*Journal of Sociolinguistics*, 6(1), 16-43.

Britain, David, and Andrea Sudbury.(2002). There's sheep and there's penguins: Convergence, 'drift', and 'slant' in New Zealand and Falkland Island English. In*Language Change: The Interplay of Internal, Externaland Extra-linguistic Factors*, ed. M.C. Jones and E. Esch, 209–240. Berlin: Mouton de Gruyter.

Chambers, Jack.(2004). Dynamic typology and vernacular universals. In *Dialectology Meets Typology: DialectGrammar from a Cross-linguistic Perspective*, ed. B. Kortmann, 127–146. Berlin: Walter de Gruyter.

Cheshire,Jenny, Fox,Sue,Kerswill,Paul, Torgersen,Eivind. (2008).Ethnicity, friendship network and social practices as the motor of dialect change: Linguistic innovation in London. *Sociolinguistica*, 1-23.

Cheshire, Jenny and Sue Fox.(2008). Was/were variation: A perspective from London. *Language Variation & Change*,21,1-38.

Christian, Donna, Wolfram, Walt, &Dube, Nanjo.(1988). *Variation and change in geographically isolated communities: Appalachian English and Ozark English*. Tuscaloosa: University of Alabama Press.

في التراكيب الوجودية في اللغة الإنجليزية الأمريكية المعاصرة: توافق الفعل مع الفاعل: دراسة قائمة على المدونات النصية

عقاب يوسف الشواشرة، قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، جامعة اليرموك، إربـــد، الأردن.

محمد أحمد العمري، قسم اللغة الإنجليزية، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن.

ملخّص

تهدف هذه الدراسة إلى بحث توافق الفعل مع الفاعل في التراكيب الوجودية في مدونة اللغة الإنجليزية الأمريكية المعاصرة من وجهة نظرٍ تنوعية. وبالرغم من أن هذا المتغير تمت دراسته في لهجات اللغة الإنجليزية المتعددة إلاّ أنّ هذه الدراسة تركز على مدونة معينة لإيجاد العلاقة بين توزيع متغيرات توافق الفعل مع الفاعل في الإنجليزية الأمريكية مع عددٍ من العوامل اللغوية (الزمن والتقليص ونوع الجمع وتقارب الفعل والفاعل). ولتحقيق هذا الهدف، تم استخلاص 375 مثالاً تحوي تراكيب وجودية في هذه المدونة، ومن ثم ترميز هذه الأمثلة بناءً على العوامل اللغوية المذكورة آنفا. تم تحليل البيانات باستخدام برنامج جولد ڤـارب X القادر على إعطاء نسب توافق الفعل مع الفاعل وعدمه في الأمثلة المستخلصة. أكدت نتائجّ هذه الدراسة النّتائج والفرضيات السابقة حيث إنّ الزمن المضارع، والصيغة المقلصة، وعدم وجود مقطع الجمع، ووجود فاصل بين الفعل والفاعل، تؤدي إلى عدم توافق الفعل مع الفاعل من حيث الجمع والإفراد في الإنجليزية الأمريكية المعاصرة. بالإضافة إلى ذلك تم إثبات فرضيات التنفيذ والافتراضية والمفرداتية من خلال غياب مقطع الجمع والمادة الفاصلة بين الفعل والفاعل والتكرار العالي للتركيب (يوجد) على التوالي.

الكلمات المفتاحية: اللغة الإنجليزية الأمريكية المعاصرة، اللغويات المدونة، التراكيب الوجودية، التغير والتنوع اللغوي، المنهج التنوعي.

contemporary spoken American-English. Processing, default, and lexicalization hypotheses (Walker, 2007, p.162) are supported by the absence of plural-s, intervening material, and the high frequency of occurrence of *there's* respectively.

In the case of excluding *there's* from the data, the contributions of the linguistic factors favoring singular agreement differ completely (except in adjacency) from the results obtained when*there's is* included. In spite of its high occurrence in the data of corpora, we believe that no thorough study can be conducted in the case of excluding *there's* from the data. It can be excluded in one part of any study, but not at all, to compare the effects of its presence and absence.Its exclusion causes more inconsistency and unreliable results than its inclusion does.

It is very clear that usage does not match prescription. However, it might be argued that there is a tendency, whether intentional or not, to use forms of verbs that agree with their subjects. In the case of this study, this tendency might be seen as a result of the nature of the collected data. Our data were collected from media programs. This means that meetings and interviews were intended to be for the public. That is why interlocutors tend to watch their spoken language more because they were talking in a way or another to the public. Consequently, tokens that reflect correct standard agreement between subjects and verbs in existential constructionsare greater than non-standard agreement tokens.

Based on these results, it is recommended to study variation in existential constructions in semi-formal and formal speech styles in more varieties of English to be able to compare the results with the ones reported in the previous studies that focus on spontaneous speech. In addition, as COCA includes data from 1990 until 2017, it is recommended to investigate variation in existential constructions in COCA through comparing and contrasting the results regarding this variation in the years 1990 and 2000, which in turn can be compared and contrasted with the ones reported in this study. These are suggested topics that the researchers leave for further future research.

Table 8: Contribution of linguistic factor groups to the selection of singular agreement variant after excluding *there's*

Factor	%	No./tokens	Total N.
Tense			
Present	5	9	197
Past	8	4	48
Contraction			
Contracted	0	0	0
Full	5	13	245
Kind of plural			
Ending with pl. –s	5	13	245
Not ending with pl. –s	0	0	0
Adjacency of subject NP			
Adjacent	3	2	70
Non-adjacent	6	11	175
		13	245

The only factor that confirms the results in Table (2) is adjacency. Table (8) shows that non-adjacent subjects favor singular agreement (6%) compared to adjacent subjects (3%). This might be for the reason we mentioned in the adjacency section. *There's* appears to be unaffected by adjacency at all. Whenever *there's*is used, then the singular agreement is automatically included in its structure. In other words, whenever the copula is contracted in *there* constructions, the singular is used regardless of adjacent or non-adjacent subjects.

Though the results obtained without *there's* differ entirely (except adjacency) from the results of the present study and the mainstream of previous studies, they are not reliable enough to make generalizations. Their rates and percentages are low (8% and 5%), reflected in very few tokens in the data.

Notwithstanding the low rates of the results in Table (8), one important conclusion that can be drawn is the fact that variation in existential constructions is mainly associated with *there's*. Any exclusion for this item in particular will result in a kind of inconsistency in the results (unlike what Walker 2007 mentioned).It is true that its high occurrence might affect the consistency of the results, but its exclusion appears to result in more inconsistency than its inclusion does.

5. Conclusion

The results of the study confirm the findings of previous studies and hypotheses. Present tense, contraction, absence of plural-s, and presence of intervening material favor singular agreement in existential constructions in

Table 6: Distribution of singular agreement in non-adjacent subjects with and without *there's*

	%	**N/Total**
Non-adjacent subjects with *there's*	90.5	105/116
Non-adjacent subjects without *there's*	9.5	11/116

Apparently, this supports the claim that the presence or absence of intervening material does not affect the choice of singular verbs in the presence of *there's*. Intervening material appears to affect the choice in other environments (i.e. in the absence of *there's*).That is, adjacency can be a factor but beyond contraction.To make sure that this claim is valid, we have an analysis of the data after excluding*there's*.

4.5 Results after excluding *there's*

The results in Table 7below show that standardplural agreement is almost categorical in the absence of *there's* (95.5 %). In the presence of *there's*, it is also standard plural agreement that has the highest percentage (62%), as Table 1 above depicts. Yet, it is not as high as the percentage before. This indicates that the absence of *there's*increases the possibility of using the standard plural variants.

Table 7: Overall distribution of standard and non-standard agreement variants in the corpus (COCA) after excluding*there's*

Variants	%	No.
Singular (is, was)	5	13
Plural (are, were)	95	232
N	100	245

It is also worth investigating the roles of the linguistic factors after excluding *there's.* The results in Table (8) show different results from the ones including *there's* in this study. Unlike most of the results in Table (2) above, past tense, full forms of the copula, and presence of plural-s favor singular agreement(8%), (5%), and (5%) respectively. These are exactly the opposite of the results in Table (2). Walker (2007) finds that past tense favors singular agreement (.60%) when he excludes*there's*.

4.4 Adjacency (intervening material)

Similar to other studies (Walker, 2007; Adams, 2005; Tagliamonte, 1998; Britain and Sudbury, 2002), the results of the present study show an effect for intervening material on agreement in existential constructions. The presence of intervening material is found to favor singular agreement (41%). This seems justifiable in that speakers might lose attention to the agreement after having added some words between the subject and its verb. They do not have the chance or sometimes the desire to pause and go back to their words to identify the agreement. As a result, they use the singular from at the very beginning without paying much attention to the agreement.

Regarding the effect of the length of the intervening material on agreement, Tagliamonte (1998) believes that the presence of any intervening material increases the possibility of singular agreement. Britain and Sudbury (as cited in Adams, 2005, p.30) argue that "three or more intervening items led to categorical concord in New Zealand."

Something should be added to what Tagliamonte (1998) and Britain and Sudbury (2002) mention about intervening material. It is clear in the studies mentioned above that the presence of intervening material increases the possibility of using singular variants. Yet, the question here is what about adjacent plural subjects with singular agreement variants. In our data, the percentage of adjacent plural subjects with singular variant is 29% (27 tokens out of 94 as shown in Table 2). There is no intervening material here, but the singular is used. So, there must be something else conditioning the occurrence of singular rather than the intervening material.We investigate the data again to find a reason for that. Wefind that out of 27 tokens, there are 25 ones with *there's* (92.5 %).In addition to what has been mentioned before about the effect of contraction on using singular variants, it seems that *there's* is not affected by adjacency. In other words, adjacency (intervening material) affects other variants but not *there's*. This can be seen in Table 5.

Table 5: Distribution of singular agreement in adjacent subjects with and without *there's*

	%	**N/Total**
Adjacent subjects with *there's*	92.5	25/27
Adjacent subjects without there's	7.5	2/25

To provide reliable results, we also investigate the occurrences of *there's* in non-adjacent subjects. Weget the same results. Even in non-adjacent subjects the presence of *there's* is dominant (90.5%), as can be seen in Table 6 below.

grammatical errors. The same thing applies to the speakers in these programs; they are after appearing as logical and convincing as possible in front of their audience. That is why they may not lend much attention to the grammaticality of their sentences.

It is true that grammaticality is important, but we think that native speakers tend to speak in a way that they feel comfortable. This way reflects speaking in the way they like, and using everyday speech is the speech style that is suitable for this purpose (the language that is free from prescription); it enables speakers to focus on one direction (ideas and logical flow of these ideas). Trying to watch the grammar of words distracts the speaker's attention to ideas that might not appear to be strong and convincing enough to the listeners. We know that this may not be the case all the time, but it might be one of the interpretations for this lack of agreement in existential constructions.

4.3 Kind of plural

As shown in Table 2, our results perfectly confirm the previous results (Meechan and Foley, 1994; Britain and Sudbury, 2002; Adams, 2005 when he excluded *there's*). The absence of plural-s at the end of the subject noun phrase favors singular agreement (79%), whereas nouns with plural-s disfavor singular agreement. In the above studies, plural-s makes it salient that the noun is plural, and speakers have in mind this association between the plural-s and plural nouns. That is why they favor the plural agreement.

Adams (2005, p.32-33) notes that there is no difference between lexical plurals and grammatical plurals in favoring the singular agreement. Yet, after excluding the lexical item *people* from her data, she finds a difference in favor of singular agreement for lexical plurals. She finds that the presence of the lexical item *people* in particular decreases the possibility of singular agreement.

In our data, checking the occurrence of this exact lexical item, *people*, wefind that this item in particular occurs 15 times out of 28 (54%). In all occurrences, it isused with singular verbs. It is the only lexical plural item that categorically favors singular agreement. Unlike Adams (2005), wefind that the presence of this lexical item increases the possibility of singular agreement from 54% to 79%(when excluding *people*), as can be seen in Table 4 below.

Table 4: Distribution of singular agreement in lexical plurals with and without *people*

	%	**N/Total**
Lexical plurals with *people*	79	22/28
Lexical plurals without *people*	54	7/13

The results in Table 3 show that there is no single occurrence of contracted past verb and all contracted forms are present and singular. Also, when they are in full forms, present and past tenses have very low tokens of singular agreement (8 for the present and 4 for the past). The agreement becomes categorical (100%) when the verb is contracted and present. In our data, although the number of tokens with full forms of the verb is not large, it shows that present, full forms of the copula favor singular agreement more than past counterparts do. The percentage is doubled in the direction of singular agreement (from 1.6 % to 3.2 %).

Walker (2007, p.163) does not use contraction and tense together in his study. Rather, he excludes contraction and uses tense only. That is because he believes that contraction might affect the choice of singular variant rather than the tense of the verb in the copula. Also, he concludes that "the inclusions of *there's* in previous studies of singular agreement may be responsible for inconsistencies in the ranking of constraints, especially those of tense and type of determiner (163)."For that reason, he excludes*there's* from his first analysis. He comes up with opposite results where he finds that past tense contexts (60 %) favor singular agreement than present-tense contexts do (18%).

4.2 Contraction

Our results confirm the ones in the previous studies (Meechan and Foley, 1994; Hay and Schreier, 2002; Adams, 2005) in that contracted verbs in the copula favor singular agreement. It is noticed in this study that this preference is entirely categorical for the benefit of the singular agreement (100%). The association between contraction and singular agreement apply in all tokens. Adams (2005, p.27) justifies for this categorical singular agreement (97% in her data) in that "contraction draws attention away from the copula, and ungrammatical agreement is much less noticeable."

It can be drawn from the above results that native speakers of English apparently use singular verb that is contracted with *there* regardless of the subject. It might be the case that they use a singular verb before thinking of the possible subject that is forthcoming after the verb. Jespersen (as cited in Adams 2005, p.1) believes that singular agreement has grown to be "a fixed formula to indicate the existence of something; it is often pronounced before the speaker has considered whether it is singular or plural word that is to follow." Another interpretation for this might be that speakers being interviewed in public programs on TV (as the case in our data) are under psychological pressure. They tend to focus on the idea that they want to explain or convey rather than the grammaticality of their sentences. In most cases of these programs, listeners are not language mavens; they need to follow the ideas rather than observing

Table 2: Contribution of linguistic factor groups to the selection of singular agreement variant in existential constructions in American-English

Total N.	No./tokens	%	Factor
Tense			
Present	43	139	327
Past	8	4	48
Contraction			
Contracted	100	130	130
Full	5	13	245
Kind of plural			
Ending with pl. –s	35	121	347
Not ending with pl. –s	79	22	28
Adjacency of subject NP			
Adjacent	29	27	94
Non-adjacent	41	116	281
		143	375

4.1 Tense

The results in Table 2 show that present-tense contextsfavor singular agreementmore than past-tense contexts do.These results confirm the ones reported in the previous studies regarding tense(Adams, 2005; Feagin, 1979; Britain and Sudbury, 2002; Meechan and Foley, 1994; Eisikovits, 1991). However, Walker (2007) and Adams (2005) believe that contraction here is the reason behind the preference of using singular agreement rather than the present tense itself. Adams (2005, p.28) states that "some studies have drawn the conclusion that it is contraction, rather than tense that seems to be affecting the rate of singular concord." That is why she did another run of analysis using tense and contraction as one factor group. She finds that full forms of the copula show low occurrences of singular agreement in both the present and the past. When the verb is contracted, singular agreement becomes categorical with present tense only (97%). These results justify what Adamsdid in combining tense and contraction as one factor group. We follow Adams in her approach of using contraction and tense as one factor group. The results are very similar, as shown in Table 3 below.

Table 3: Distribution of singular agreement by tense and contraction

	Present	%	Past	%
Contracted	130/130	100	0/130	0
Not contracted	8/245	3.2	4/245	1.6

After having coded the whole tokens according to the aforementioned linguistic factors, the researchers resorted to a computer program, namely Goldvarb X, which is capable of providing a statistical analysis of the distribution of the variants of the targeted variable (i.e., singular and plural agreements in this study). This program also presents the contribution and the statistical significance of the factor groups (independent variables) in constraining the choice of variants. These results are presented in the ensuing section.

4. Results and discussion

The results in Table 1 below show the overall distribution of the standard and non-standard agreement variants in COCA. It can be noticed that the number of plural verbs is more than that of singular verbs.

Variants	%	No.
Singular (is, ‘s, was)	38	143
Plural (are, ‘re, were)	62	232
N	100	375

This is a surprising result if we compare it with the previous studies based on everyday communications. Yet, if it is compared with the studies that used formal speech data such as De Wolf (1992), then we can understand that our result is justified as it is based on semi-formal speech data. This is in line with Smallwood (1979), who finds that the percentage of non-standard agreement is higher in informal speech data than that in formal and semi-formal speech data. While the percentage of non-standard agreement is 94% in Ottawa English (Meechan & Foley, 1994), it is 26% in De Wolf’s (1992) controlled frame tests and 41.8% in Smallwood’s (1979) semi-formal task survey. Therefore, our result supports Smallwood’s claim about the effect of style on standard and non-standard agreement in existential constructions in English. COCA includes different genres and styles. The spoken data can be safely classified as semi-formal simply because they are different from the speech data collected through sociolinguistic interviews. While in both cases, speech data were recorded, the ones in COCA were obtained from public TV shows and channels, unlike the interviews that were just between the interviewer (mainly the researcher(s) and the interviewee.

Now, we turn to the contribution of the linguistic factors in constraining variant choice of standard and non-standard agreement in existential constructions.

3.4.2 Contraction

Contraction (contracted forms and full forms as a factor group) is said to affect the choice of the variant. Many studies show that contracted forms favor singular agreement compared to full forms (Hanney, 1985; Smallwood,1979):

7) **There's** many sources that you cite. (COCA, Tail to the Nation, 110113, 2:00 PM)

8) **There's** lots of things…(COCA, Fox, 110114, 10:00 PM)

Walker (2007, p.6) states that "tense and contraction cannot be extricated as contraction can only occur with present-tense forms of **be**." This is true, but we included contraction as a factor of the frequency of contracted forms with present-tense and their effects on choosing singular agreement.

3.4.3 Kind of plural

The presence or absence of the plural –s is said to affect variability in existential constructions. Meechan and Foley (1994) suggest that the presence of plural-s on the subject of existential constructions might favor plural agreement as in the following example:

9) If **thereare** law**s** of Hollywood physics, this film surely violates a bunch.(COCA, CBC_ Evening News, 110127, 6:30 PM)

Hanney (1985) adds that the absence of plural-s extension beyond the NP favors singular agreement, as in (10) below.

10) **There'speople** with fire hoses. (COCA, ABC_20/20, 110325, 10:00 PM)

3.4.4 Adjacency

In existential constructions, the noun phrase subject can occur immediately after the verb with no intervening material between them, or it can be separated by an intervening material. We considered anything that comes between the subject noun phrase and the verb as an intervening material. These include articles, adjectives, nouns, numbers and the negative morpheme *no*. Many studies show that non-adjacent subjects (as in 11-13 below) favor singular agreement (Tagliamonte, 1998; Britain and Sudbury, 2002).

11) There was **somany** questions still unanswered. (COCA, NBC_ Dateline, 110121, 9:00 PM)

12) I mean, there's **even** photos that probably can't be seen on air. (COCA, CNN_ Evening News, 110115)

13) There**'s***large***parts** of your story… (COCA, NBC_ Dateline, 110121, 9:00 PM)

(b)**Therewill** 100 times more.(COCA,CNN_Arena, 110315, 8:00 PM)

(c) **Therehave** been cars turned over and washed on to the highways.(COCA, PBS_News Hour, 110314, 6:00 PM)

Meechan and Foley (1994) mention that contracted ***are*** might be confused with zero copulas. Walker (2007) excluded this sub-variable because of its rarity of occurrence. In our study, no single token of the contracted ***are*** was noticed and then it is automatically excluded.The number of tokens after the exclusions was three hundred and seventy five.

3.3 Procedure

The procedure followed to extract data from the corpus was by word search. Typing the word ***there*** in the word(s) space, choosing ***nounpl***. in the ***pos*** (part of speech), and highlighting ***SPOK*** and ***2011***from the drop list enabled us to get the eligible tokens.

Having tried different ways to extract the data, we found that the above mentioned procedurewas the most adequate one. However, one problem arose. Even with the clear and precise instructions given in the procedure of extracting the tokens (*there*, plural noun, SPOK, and 2011), we always got all tokens for 2011 including academics, magazines, fiction, and newspapers. We did try it many times, but we got the same thing. Weadopted this search because it was thebest among the tens of trials with different instructions. Wefiltered out(14618) tokens including all tokens in 2011. Then we extracted spoken ones alone by going over the whole tokens (14618). It was easy because the tokens were classified by genre. All we had to do was to take the spoken tokens out of the data and choose the eligibleones for the study. The number of the spoken tokens in 2011 was 5317. Weexaminedthose tokens and excluded the ones with singular copulaverbs and singular subjects. Also, we excluded tokens where *there* was not used in existential constructions and where it was followed by modals and/or verb to have (as mentioned above in the variable context). A totalof375 tokens wereretained for further analysis. These tokens were coded according to some linguistic factors.

3.4 Linguistic factors conditioning variation

Each token was considered to see whether it is followed by a singular or a plural agreement. Then we coded them based on a number of linguistic factors.

3.4.1 Tense

There are two factors here (present and past). Following many studies(e.g., Feagin, 1979; Britain and Sudbury, 2002), it is hypothesized that present-tense contexts favor singular agreement than past- tense counterparts.

agreeing form *there are* + NPpl in how it influences social perceptions." This means that, excluding the prescriptive norms, *there's* is not stigmatized in spontaneous speech (as well as more careful speech) at both production and perception levels.

In a nutshell, it is very clear that the use of singular variants in existential constructions with plural subjects is only condemned by prescriptivists. Yet, research has shown that usage does not match prescription where speakers frequently use singular verbs with plural subjects in *there* constructions in existential constructions(Walker,2007; Britain and Sudbury, 2002; Feagin, 1979; Hanney, 1985; Smallwood, 1979; Tagliamonte, 1998, Mecchan and Foley, 1994).

3. Methodology

3.1 Source of data

The data were taken from the Corpus of Contemporary American-English (COCA). This corpus contains more than 560 million words (Davies, 2008) that are equally divided among spoken, fiction, newspapers, magazines, and academic. For the sake of this study, only spoken tokens were considered. The corpus includes 20 million words each year from 1990-2017. It is updated once or twice every year.

This corpus is suitable for looking at current, ongoing changes in the language. Search can be for words, phrases, wildcards, lemmas, parts of speech, or any combinations of these. Search can be limited by genre or overtime.

3.2 Variable Context

The context of this variable includes existential constructions with **there** plus one of these forms of verb **be** (is,'s, was, are,'re, were) followed by a plural noun phrase as its subject.

Every such construction was identified. Because the number of tokens was more than seventy thousand tokens in the whole corpus, we included only tokens in 2011[3]. Still, the number was around five thousand tokens. We included only spoken ones in 2011, and this limits the number to 452. Among these, tokens where ***there*** is not used in existential constructions and/or is not followed by a verb are excluded as in 6(*a*). Also, we excluded all tokens in which ***there*** is followed by a ***modal***, ***have***, or***has*** as in 6 (*b* and *c*).

6)

(a) Those FBI agents sat **there** for many hours.(COCA, Fresh Air, 110314, 12:00 PM)

2.1 Prescriptive treatment of existential constructions

In this section, we provide what some prescriptivists (Fries, 1940; Robert, 1962; Shaw, 1979; Marius & Wiener, 1985; Olson, 1997; Lester & Beason, 2005) mention about standard and non-standard agreement in existential constructions. To start with, Lester &Beason (2005, p.124) describe this phenomenon as follows: "a surprising number of subject-verb errors involve sentences that begin with *thereis* and *therewas*. Part of the problem is that […] the subject actually follows the verb (*There is usually some leftovers in the freezer*). The verb is singular but the actual subject is plural, so the verb also needs to be in the plural forms." Similarly, Shaw (1979, p.73) argues that "*There* is not a subject. After *there* […] we usually find the verb first and then the subject."

According to Marius& Wiener (1985, p.179), "when verbs follow *there* atthe beginning of a sentence, make sure that the subject that follows the verb agrees with it." Within the same lines, Olson (1997, p.121) emphasizes that "when a sentence asks a question or begins with the word *there*[…] the subject follows the verb. Locate the subject of the sentence and make certain the verb matches it." This is further prescribed by Aaron (1997, p.106), who adds that "the verb agrees with the subject even when the normal word order is inverted. Inverted subject-verb order occurs mainly in […] constructions beginning with *there* and a form of *be*."

For his part, Huddleston (1984) distinguishes between amount and proportion in the case of mass noun phrases. He argues that in sentences like (4-5) below, the former is perfectly acceptable while the latter is not.

4) There was some sugar on the floor.

5) *There was most of the sugar on the floor.

These prescriptive views are summarized in a similar view by Fowler (1996, p.778), who states that

Before launching into a sentence beginning with *there* plus a part of the verb to be, one must decide whether the following subject is actually or notionally singular or plural. [Fowler indicates that] there is a strong, not always resisted, temptation, found prominently but not only in uneducated speech, to introduce a plural subject with the reduced form *there's*.

Fowler's viewpoint regarding the strong temptation to use *there's* regardless of the number of the following subject by educated and, to a higher degree, uneducated speakers of English is supported by Hilton (2016). Hilton (2016, p.60)finds that the cliticized form *there's*, but not *there is*, is very frequent, not stigmatized even in Standard English and "almost identical to the standard

This paper proceeds as follows. Section 2 reviews the pertinent literature on subject-verb agreement in existential constructions from a prescriptive, as well as, a variationist perspective. Section 3 introduces the methodology used to collect and analyze the data. Section 4 presents the results and discusses them in light of the wider existing literature. Section 5 concludes the paper and recommends for further future research.

2. Literaturereview

Variability in existential constructions in English varieties has been intensively studied: Toronto (Smallwood,1979), Quebec City (Adams, 2005; Walker, 2007), Ottawa (Meechan and Foley, 1994; Woods,1979), Halifax (Meechan and Foley, 1994), Australia (Eisikovits, 1991), Falkland Islands (Britain and Sudbury, 2002), New Zealand (Britain and Sudbury, 2002; Hay and Schreier, 2004), the United Kingdom (Britain, 2002; Crawford, 2005; Tagliamonte, 1998), the United States of America (Feagin, 1979; Christian, Wolfram and Dube, 1988; Hazen, 2000; Crawford, 2005;Krejci& Hilton, 2017).These studies investigated in details this widespread variable in almost all possible internal and external factors conditioning its occurrence. The researchers noted a strong correlation between the frequencies of singular and plural subjects in existential constructions and linguistic factors such as tense of the verb, contraction of the copula and intervening material, as well as social factors such as age, sex, education and style. The presentstudy is only limited to linguistic factors as the corpus we use, (COCA), does not provide a social stratification of the participants according to their age, gender, education and social class. Therefore, our study sheds lights on the effects of some linguistic factors on choosing singular or plural variants in existential constructions.

The above-mentioned studies come up with similar results regarding this variable. The following linguistic factors are reported to favor singular agreement: present-tense contexts (Britain and Sudbury, 2002; Feagin, 1979), contraction,[2] presence of intervening material (Tagliamonte, 1998), absence of plural-s at the end of noun phrase subjects, grammatical subject (Chambers, 2004; Cheshire, 2008) and positive contexts (Levey, 2007). In spite of the fact that some few studies come up with different results [Hay and Schreier (2004) found that past-tense contexts favor singular agreement], these studies show that the occurrence of this variation is in a way or another regular. Before introducing the methods of data collection and analysis, we turn now to prescriptivists' views about agreement in existential constructions. This helps in identifying whether or not every day communications reflect these prescriptive views.

sociolinguistic interviews in investigating all levels of variation in spontaneous speech style, it is necessary to study variation in different speech styles. Consequently, using corpora such as COCA gives the chance to study variation in semi-formal and formal speech styles. By doing so, the results can be compared and contrasted with the ones obtained from investigating informal speech styles. This provides a better understanding of the effects of different speech styles on all kinds of variation, including the one under investigation. Before introducing the linguistic variable, the researchers provide the research questions that they seek to answer in this study.

1.1 Research Questions

This study addresses the following questions:

1) What is the distribution of the standard and non-standard variants ofsubject-verb agreement in existential constructions in contemporary spoken American-English?
2) How do some linguistic factors affect the variable subject-verb agreement in contemporary spoken American-English?

1.2 The variable

The variable chosen in this study is subject-verb agreement in plural existentials. There are two noticeable variants, namely singular ('s, is, and was) and plural ('re, are, were) as in (3 a-e) below.

3)

*a)*I want to hear you. RENEE: But, I mean, I -- there**'s people** that I see on TV out there that's been in worse condition.(COCA:NBC_ Dateline, 110315,9:00 PM)

b) I don't see the wisdom of intervention by American military forces but if there **arethings** we can do to isolate and sanction the Qaddafi government to put further. (COCA:CBS_Evening News,110227,6:00PM)

c) my brother's partner. Well, what my father didn't know was that there **wascameras** there for security, and when the guys that came - my brother. (COCA: NPR FRESHAir, 110215, 9:00PM)

d) right after my brother passed. It was very difficult, the times, and there **weremoments** that when it would help me get through it.(COCA:CNN Morgan,110215, 9:00 PM)–

e) But apparently there **is** now **mommies** that are going on their Facebooks... KOTB: Gagging everyone. (COCA: NBC_Today, 110322, 7:00AM)

the subject and its verb either agreeor disagree in number as in (1) and (2) respectively.

1) If **thereare** law**s** of Hollywood physics, this film surely violates a bunch. (COCA, CBC_ Evening News, 110127, 6:30)
2) But apparently there **is** now **mommies** that are going on their Facebooks... KOTB: Gagging everyone. (COCA: NBC_ Today, 110322, 7:00AM)[1]

Variationin existential constructions can be heard everywhere in spoken English. It is not restricted to one area or one group of people (Walker, 2007). It is very frequent in native speakers' speech: at universities, in malls, in markets, at schools, in formal and informal styles of language, in language of educated and uneducated, young and old, women and men.Moreover, this variation is widespread in almost all varieties of English, Old English (Tagliamonte, 1998), contemporary spoken English and even Standard English (Hilton, 2016).Walker (2007, p.148) states that "this variability exists in every variety of English […] and is one of the few areas of grammar in which standard varieties show variable agreement."

While morpho-syntactic variation of subject-verb agreement in existential constructionshas been extensively studied in different varieties of English, we study this variation in a particular corpus, namely Corpus of Contemporary American-English (COCA, cf. more details are in the methodology section). Therefore, the main contribution of the present study lies in its reliance on real language in use through using COCA, which has never been used to analyze variation in existential constructions in American-English.

In the previous studies of the variable subject-verb agreement in existential constructions in English varieties, linguistic and social factors have been reported as the determining factors in constraining the variant choice (Walker, 2007; Tagliamonte, 2008). While most of the studies use data from everyday communications, very few other studies use formal (De Wolf, 1992) and semi-formal (Smallwood,1979) speech data to investigate this variation. The results of these studies show that non-standard agreement in existential constructions in English is higher in informal speech than in semi-formal speech, which in turn is higher than formal speech. This is in line of Smallwood (1979), who argues that style plays a role in constraining the choice between standard and non-standard agreement in existential constructions.Therefore, using COCA as the source of our data enables the researchers to investigate the status of this variation in semi-formal and formal speech styles as COCA includes public interviews and TV shows that are different from sociolinguistic interviews (Labov, 1972, 1984) that are usually obtained on an individual basis through face-to-face interactions between the interviewer and the interviewee. In spite of the importance of

The Arab Journal For Arts Vol. 16 No. 2, 2019, pp. 661-680

Subject-Verb Agreement in Existential Constructions in Contemporary American English: A Corpus-Based Study

Ekab Y. Al-Shawashreh[*] and **Mohammad A. Al-Omari**[**]

Date of Submission: Dec. 26, 2018 **Date of Acceptance:** July 4, 2019

Abstract

This study investigates the variable subject-verb agreement in existential constructions in the Corpus of Contemporary American-English (COCA). While variable subject-verb agreement in existential constructions has been extensively studied in many varieties of English, we study this variation in a particular corpus to find out the correlation between the distribution of the standard and non-standard subject-verb agreement variants in American-English and a number of linguistic factors (tense, contraction, kind of plural and adjacency of subject and verb). To achieve this goal, a total of 375 tokens of standard and non-standard agreement in existential constructions are extracted from the corpus and coded in terms of the aforementioned linguistic factors. The data are then analyzed using a computer program, namely Goldvarb X, which is capable of providing the frequencies of the standard and non-standard variants in the extracted tokens. The results of the study confirm the findings of the previous studies and hypotheses. Present tense, contraction, absence of plural-s, and presence of intervening material are found to favor singular agreement in existential constructions in contemporary spoken American-English. In addition, processing, default, and lexicalization hypotheses (Walker, 2007) are supported by the absence of plural-s, intervening material, and the high frequency of occurrence of *there's*respectively.

Keywords: Contemporary American English, corpus linguistics, existential constructions, language variation & change, variationist approach.

1. Introduction

Variable subject-verb agreement in existential constructions in Englishvarieties has been widely investigated from a variationist sociolinguistic perspective (Feagin, 1979; Wolfram, 1991; Meechan & Foley, 1994; Walker, 2007; Cheshire & Fox, 2008; Tagliamonte, 1998, 2008; Cruschina, 2015). It has been reported that subject-verb agreement varies in these constructions in that

© Copyright 2019 by The Society of Arab Universities Faculties of Arts, All rights reserved

* Department of English Language and Literature,Yarmouk University, Irbid, Jordan.
** Department of English Language, The Hashemite University, Zarqa, Jordan.

Subscription Form

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.

قسيمة اشتراك

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر في جامعة اليرموك، اربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.

Name: ..... الاسم:

Address: ..... العنوان:

P.O. Box:..... ص.ب:

City & Postal Code: ..... المدينة والرمز البريدي:

Country: ..... الدولة:

Phone:..... هاتف:

Fax: ..... فاكس:

E-mail: ..... البريد الإلكتروني:

No. of Copies: ..... عدد النسخ:

Payment:..... طريقة الدفع:

Signature:..... التوقيع:

ترسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن."

Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

I would like to subscribe to the Journal — أرغب الاشتراك بالمجلة

For — لمدة

- ☐ One Year — ☐ سنة واحدة
- ☐ Two Years — ☐ سنتان
- ☐ Three Years — ☐ ثلاث سنوات

سعر النسخة الواحدة (دينار أردني) One Issue Price	أسعار الاشتراك السنوي One Year Subscription Rates	
	داخل الأردن Inside Jordan	خارج الأردن Outside Jordan
سعر البيع العادي 10 دنانير Standard Price JD 10	الأفراد 10 دنانير Individuals JD 10	20 دولارات أمريكية US $ 20
سعر البيع للطلبة 4.000 دنانير Students JD 4 000	المؤسسات 20 دنانير Institutions JD 20	30 دولارًا أمريكيًا US $ 30
خصم 40% للمكتبات ومراكز البيع 40% Discount for Bookshops and Libraries		

Correspondence — المراسلات

Subscriptions and Sales:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in -Chief
Dean of the Faculty of Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel. 00962 2 7211111 Ext. 3555 or 2900
Fax. 00962 2 7211137
Email: artsarabuni@gmail.com
artsarabuni@yu.edu.jo

مراسلات البيع والاشتراكات:

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب
رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب"
عميد كلية الآداب
كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن
هاتف :7211111: 00962 2 فرعي 3555. 2900
فاكس : 00962 2 7211137
البريد الإلكتروني : artsarabuni@gmail.com
artsarabuni@yu.edu.jo

Table of Contents

Abstracts in English of Arabic Articles

*	**The Arabic Critical Term between Lexical Meaning and Modern Concept** Ra'ed W. Jaradat	423
*	**The Role of the "Speaker" in the Stages of "The Emergence and Growth of Arabic Grammar" (A study in the light of some modern perspectives)** Fares A. Alsoud and Faisal I. Safa	454
*	**The Effect of Iranian Regimes on Persian Language and its Vocabulary** Mazen Al-Noaime and Enas Shdaifat	489
*	**Spatial Economic Behavior of the Owners of Commercial Stores and their Impact on the Commercial Areas in Irbid City** Omar M. Aldayafleh and Walaa Bani Younis	523
*	**The Center and Margin in the Sa'alik Poetry in the Pre-Islamic Era in the Light of Cultural Semiotics** Zahi Najeeb Salami and Yousef Abuaddous	549
*	**Ottoman Coins in the Jerusalem District in the Tenth Century AH/ 16th Century AD 921-1111 AH/ 1516-1700 AD** Zuhear Ghanaiem and Othman Al-Taal	571
*	**The Economic Life of Jews in the City of Jerusalem in the Light of Records of the Sharia Court: Register No. (397) Date (1319-1324AH / 1901-1906AD): Agencies as a Model** Hanan Malkawi	596
*	**Between Arabic and Hebrew: Language Choices for Iraqi-Jewish writers after their immigration to Israel** Mahmoud Amarat and Mohammad Nusairat	625
*	**Motherland is out of place: A Study of Said's Autobiography** Ahlam Masad	656

Scientific Research in English

*	**Subject-Verb Agreement in Existential Constructions in Contemporary American English: A Corpus-Based Study** Ekab Y. Al-Shawashreh and Mohammad A. Al-Omari	661
*	**The Level of Pedagogical Content Knowledge of In-Service English Language Teachers in a Foreign Language Context** Dema Hejazi and Amal Al-Natour	681
*	**International Hegemony in China's Global Perspective: From "Contradictory to Harmonious World"** Khair Salem Diabat	701
*	**Coverage Framing of Arab Affairs in Oriented Channels Websites in Arabic: Comparative Analytical Study of Bbc And Dw News Websites** Hatem S. Alawneh and Areen O. Al-Zou'bi	721
*	**Notes on the Translations of Sūrat al-Inshiqāq** Rema El-Isa	743
*	**Institutionalized Religion and Ambivalence in Charlotte Brontë's Jane Eyre** Abdulla M. Dagamseh	757
*	**Too Good to be White: A Journey to Lose Identity in Tony Morrison's The Bluest Eye** Rasha I. Maqableh and Aya W. Akkawi	775

15. Authors are responsible for financial expenses when deciding to withdraw the manuscript.
16. Authors amend their manuscripts according to the referees' suggestions within a month of being notified of the acceptance.
17. Submissions are compiled according to technical criteria set forth by the Editorial Board.
18. Published manuscripts reflect their authors' perspectives and are neither representative of Association of Arab Universities Journal for Arts nor the Editorial Board.
19. Works Cited:
    1. References in the texts are serially numbered between brackets.
    2. References in the works cited are in the following order:

       The author's full name: reference, part, number, publisher, place of publication, year, page(s).

       Example: Dayf, Shawqi: *The First Abbasid Period*, Dar al-Maarif, Egypt, 1966m p. 24.
    3. In case a periodical or a journal is used, the author's name is run first, and is followed by the periodical and/or journal title, volume, number, year, and page(s). Single pages take p., multiple pages take pp.

       Example: Sa'aydan, Ahmad Saleem: "On Arabicization of Sciences". *Jordanian Arabic Language Academy Journal*, Volume 1. No 2 July 1978, p. 101.
    4. Reference list entries should be alphabetized by the last name of the first author of each work, beginning with Arabic references and is followed by the foreign works.
20. Subscription Information:

    Annual subscription rates in Jordan: Individuals (JD 5.00), institutions (JD 10.00)

    Outside Jordan: Individuals ($ 15), institutions ($ 15.00)
21. Manuscripts are mailed to:

Secretary General
The Scientific Society of Arab Universities

Editor-in-Chief
Dean of the Faculty of Arts
Yarmouk University, Irbid, Jordan
Tel. 00962 2 7211111 Ext: 3555 or 2900
Fax.00962 2 7211137
Email: *artsarabuni@gmail.com*
Website: *http//artsarabuni.yu.edu.jo*

Association of Arab Universities Journal for Arts,

A Refereed, Biannual, Scholarly Journal,

Published by The Scientific Society of Arab Universities, Faculties of Arts

Terms and Conditions of Manuscript Submission:

1. Manuscripts are published in Arabic, English, and French. However, submission in other foreign languages is acceptable with the Editorial Board approval.
2. The Journal publishes manuscripts in the categories of review articles and reports on international conferences and refereed academic seminars.
3. Abstracts of no more than 150 words are submitted in both languages, Arabic and English, and followed by the key words in the manuscript.
4. All submitted manuscripts should be original, comprehensive, logically organized, and thoroughly investigated. The manuscript should be written in simple language and should also be precise.
5. The author has to proofread his/her research paper in terms of language, including syntax, spelling, style and structure, formatting, and punctuation before sending it for publication in the journal.
6. Manuscripts should not have been previously accepted for publication or published somewhere else.
7. All submitted manuscripts are subject to peer review and editorial review.
8. When accepted for publication, submissions become a property of the journal and cannot be reclaimed without the journal's approval.
9. Authors cannot republish their academic works without a written approval from the Editorial Board. In addition, the journal should be notified of the republication .
10. The manuscript is to be sent to artsarabuni@gmail.com. The format of the submitted manuscript must be:
    A. In a word processing format (i.e. MS Word).
    B. Serially numbered.
    C. Double-spaced throughout
    D. Font: Ariel; Font Size: 14-point.
    E. Margins: 2.5 cm. (1 inch).
11. A typical manuscript should not exceed 30 pages including figures, drawings, tables, and appendixes.
12. All authors of a manuscript should include their full names, academic status, and affiliation on the cover page of the manuscript.
13. The Journal preserves its right not to publish any submission and the journal's decisions are decisive.
14. If not accepted, submissions are not returned to their authors.

Advisory Committee:

Prof. Barbara Michalak-Pikulska, The Jagiellonian University of Kraków, Poland.

Prof. Mohammad Khan, National Defense University, Pakistan.

Prof. Philip Lan, Rowan University, France.

Prof. Jinling Wang, The University of New South Wales, Australia.

Prof. Olga Galatanu, The University of Nantes, France.

Prof. Maymounah Al-Khalifa Al-Sabah, Kuwait University, Kuwait.

Prof. Kamal Jerfal, The Dean of Faculty of Arts, The University of Sousse, Tunisia.

Prof. Hasan Kateb, The Dean of Faculty of Arts, Université des Fréres Mentouri Constantine 1, Algeria.

Prof. Murad Mawhoob, The Dean of Faculty of Arts, Univeristy of Hasan II, Morocco.

Prof. Mohammad Ahmad Ghoniem, El-Mansoura University, Egypt.

Prof. Abdullah Al-Garni, Faculty of Arabic Language, Umm Al-Qura, Saudi Arabia.

Prof. Ahmad Al-Mahmoudi, The Dean of Faculty of Arts, Moulay Ismail University, Morroco.

Prof. Suzan Elkalliny, The Dean of Faculty of Arts, Ain Shams University, Egypt.

Prof. Salah Fleefel Al-Jabri, The Dean of Faculty of Arts, University of Baghdad, Iraq.

Prof. Shukri Al-Almabkhot, Manouba University, Tunisia.

Prof. Ezzeldin Omar Mousa, Naif Arab University for Security Sciences, Saudi Arabia.

Prof. Fuad Shehab, University of Bahrain, Bahrain.

Prof. Abdulaziz Almani, King Saud University, Abdulaziz Almani Chair, Saudi Arabia.

Prof. Adnan Al-Sayed, President of The Lebanese University, Lebanon.

Prof. Abdulsalam Al-Masdi, Tunisia.

Prof. Salah Fadhel, Ain Shams University, Egypt.

Prof. Saed Maslouh, Kuwait University, Kuwait.

Prof. Nehad Al-Mousa, The University of Jordan, Jordan.

Prof. Hasan Sammour, The University of Jordan, Jordan.

Prof. Wafi Salaheddin Haj Majed, Department of Arabic Language, World University, Lebanon.

Editorial Board

Editor-in-Chief:

Prof. Mohammad Ahmad BaniDomi , *Secretary General of The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts, Dean of the Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Members:

Prof. Suzanne B. Stetkevych, *Georgetown University, USA.*

Prof. Tilman Seidensticker, *Friedrich-Schiller-Universität Jena, Germany.*

Prof. Suaad Abed-Alwahab, *The Dean of Faculty of Arts, Kuwait University, Kuwait.*

Prof. Mohammad Al-Qudah, *The Dean of Faculty of Arts, University of Jordan, Jordan.*

Prof. Abedel baset Marashdeh, *The Dean of Faculty of Arts, Al-Al-Bayt University, Jordan.*

Prof. Zuhier Obeidat, *The Dean of Faculty of Arts, The Hashemite University, Jordan.*

Prof. Mohammed Obaid Allah, *The Dean of Faculty of Arts, Philadelphia University, Jordan.*

Dr. Taleb Ababneh, *The Dean of Faculty of Arts, Irbid National University, Jordan.*

Managing editor: Dr. Khalid Q. Bani Domi.

Editor of english languages: Dr. Abdullah M. Dagamseh.

Executive Secretary: Reema Qazaq.
Secretariat: Nidaa Baniissa.
Journal Administrator: Omar Irshaidat.

© Copyright 2019 by The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts
All rights reserved.

No part of this publication may be reproduced without the prior written permission of the Editor-in-Chief.

Opinions expressed in this journal are solely those of their authors and do not necessarily reflect the opinions of the Editorial Board or the policy of The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts

Typesetting and Layout
Majdi Al-Shannaq

ISSN 1818-9849

Association of Arab Universities

The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts

Association of Arab Universities

Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published by The Scientific Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities Members of AARU

Vol. 16 **No.2** **Oct. 2019 / Rabia 1 1441 H**